

رفع  
عبد الرحمن النجدي  
أسكن الله الفردوس  
www.moswarat.com

# شفاء القلب للحج

بشرح

## بن كدة الملك

للعلامة محمد الطاهر بن عاشور التونسي

رابعه وقدم له

الأستاذ الدكتور مازن المبارك

أعده وعلق عليه

محمد عواد العواد

دار الشؤون  
دمشق الشام



رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

شَفَاءُ الْقَلْبِ بِالسَّحَابِ  
بِسَحَابِ  
بِرِزْقِ الْمَلَكِ





شَفَاءُ الْقَلْبِ الْحَيِّ

بِشَج

بُرْدَةِ الْمَلِكِ

لِلْعَلَامَةِ مُحَمَّدِ الطَّاهِرِ بْنِ عَاشُورِ التُّونِسِيِّ

رَاجِعَهُ رَقَمَ لَهُ

الْأَسْتَاذَ الذَّكُورَ مَازِنَ الْمُبَارَكِ

أَعْتَدَهُ وَعَلَّنَ عَلَيْهِ

مُحَمَّدَ عَوَّادَ الْعَوَّادِ

كَذَا التَّقْوَى

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكتاب : شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح

المؤلف : محمد الطاهر بن عاشور التونسي

الطبعة الأولى : ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م

الرقم الدولي : ISBN : 978-9933-518-913-5-2



9 789933 518912

لايسمح بإعادة نشر هذا الكتاب  
أو أي جزء منه ، وبأي شكل من  
الأشكال ، أو نسخه ، أو حفظه  
في أي نظام إلكتروني أو  
ميكانيكي يمكن من استرجاع  
الكتاب أو أي جزء منه ، وكذلك  
ترجمته إلى أي لغة أخرى دون  
الحصول على إذن خطي مسبق .

## دار التقوى

للطباعة والنشر والتوزيع

سورية - دمشق - حلبوني

هاتف : ٢٢١٥٤٦٤ ١١ ٩٦٣ + / ص . ب : ٣٠٧٢١

جوال : ٩٤١٩٤٤٣٨٧ ٩٦٣ + / ٩٣٣٢٠٦٠٠٧ ٩٦٣ +

E-mail: daraltaqwa.pu@gmail.com

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### البردة

#### الفصل الأول

##### في الغزل وشكوى الخرام

مَرَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ  
 وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلْمَاءِ مِنْ إِضْمٍ  
 وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ: اسْتَفِيقْ يَهُمِ  
 مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمِ  
 وَلَا أَرِقتَ لِذِكْرِ الْبَانَ وَالْعَلَمِ  
 ذِكْرَى الْخِيَامِ وَذِكْرَى سَاكِنِي الْخَبِيمِ  
 بِهِ عَلَيْكَ عَدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقْمِ  
 مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَدِّكَ وَالْعَنَمِ  
 وَالْحُبِّ يَعْتَرِضُ اللَّذَاتِ بِالْأَلَمِ  
 مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلَمْ  
 عَنِ الْوُشَاةِ وَلَا دَائِي بِمُنْحَسِمِ  
 إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْعُدَالِ فِي صَمَمِ  
 وَالشَّيْبِ أَبَعَدُ فِي نُصْحِ عَنِ التَّهَمِ

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانِ بَدِي سَلَمِ  
 أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ  
 فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ: اكْفُفَا هَمَّتَا  
 أَيُحْسَبُ الصَّبُّ أَنْ الْحُبُّ مُنْكَتِمِ  
 لَوْلَا الْهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَى طَلَلِ  
 وَلَا أَعَارَتْكَ لَوْنِي عَبْرَةَ وَضْنِي  
 فَكَيْفَ تُنْكَرُ حُبّاً بَعْدَ مَا شَهَدَتْ  
 وَأَثَبْتَ الْوَجْدَ خَطِيئَةَ عَبْرَةَ وَضْنِي  
 نَعَمْ سَرَى طَيْفٌ مِنْ أَهْوَى فَأَرْقِنِي  
 يَا لَأَيْمِي فِي الْهَوَى الْعُذْرِي مَعْدِرَةَ  
 عَدَّتْكَ حَالِي لَا سِرِّي بِمُسْتَتِيرِ  
 مَحْضَتَيْي التُّضَحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ  
 إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذْلِي

#### الفصل الثاني

##### في التحذير من هوى النفس

مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ  
 ضَيْفِ أَلَمٍ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمِ

فَإِنَّ أَمَارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظْتُ  
 وَلَا أَعَدْتُ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قَرَى



كَتَمْتُ سِرّاً بَدَا لِي مِنْهُ بِالكَتْمِ  
 كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الْخَيْلِ بِاللُّجْمِ  
 إِنَّ الطَّعَامَ يُقْوِي شَهْوَةَ النَّهْمِ  
 حُبُّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَقَطَّمَهُ يَنْقَطِمِ  
 إِنَّ الْهَوَى مَا تَوَلَّى يُضْمِ أَوْ يَصِمِ  
 وَإِنْ هِيَ اسْتَخَلَّتِ الْمَرَعَى فَلَا تُسِمِ  
 مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ  
 فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنْ التُّخْمِ  
 مِنَ الْمَحَارِمِ وَالزَّمِّ حِمِيَةَ النَّدَمِ  
 وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكَ التُّضْحُحِ فَاتَّهَمِ  
 فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَضَمِ وَالْحَكَمِ  
 لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِذِي عُقْمِ  
 وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ: اسْتَقِمِ  
 وَلَمْ أَصِلْ سِوَى فَرْضِي وَلَمْ أَصِمِ

### الفصل الثالث

#### في مدح النبي ﷺ

أَنِ اشْتَكَّتْ قَدَمَاهُ الضَّرَّ مِنْ وَرَمِ  
 تَحْتَ الْجِجَارَةِ كَشْحاً مُنْرَفِ الْأَدَمِ  
 عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيُّمَا شَمَمِ  
 إِنَّ الضَّرُّورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى الْعِصَمِ  
 لَوْلَاهُ لَمْ تُخْرَجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ  
 وَالْفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ  
 أَبْرَ فِي قَوْلٍ لَا مِنْهُ وَلَا نَعَمِ  
 لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الْأَهْوَالِ مُفْتَحَمِ

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أَوْقَرُهُ  
 مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا  
 فَلَا تَزُمُ بِالْمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا  
 وَالنَّفْسُ كَالطُّفْلِ، إِنْ تَهْمَلُهُ شَبَّ عَلَى  
 فَاضْرَفِ هَوَاهَا وَحَاذِرُ أَنْ تُوَلِّيَهُ  
 وَرَاعِهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ  
 كَمْ حَسَنْتَ لَذَّةً لِلْمَرءِ قَاتِلَةٌ  
 وَأَخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَعِ  
 وَاسْتَفْرِغِ الدَّمَغَ مِنْ عَيْنٍ قَدْ امْتَلَأَتْ  
 النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِيهِمَا  
 وَلَا تُطْعِ مِنْهُمَا خَضَمًا وَلَا حَكَمًا  
 اسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلٍ بِلا عَمَلِ  
 أَمْرُتَكَ الْخَيْرَ لَكِنْ مَا اثْتَمَرْتُ بِهِ  
 وَلَا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةٌ

ظَلَمْتُ سُنَّةً مِنْ أَحْيَا الظَّلَامِ إِلَى  
 وَشَدَّ مِنْ سَعَبِ أَحْشَاءِهِ وَطَوَى  
 وَرَاوَدْتُهُ الْجِبَالَ السُّمَّ مِنْ ذَهَبِ  
 وَأَكَّدْتُ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ  
 وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةٌ مَنْ  
 مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْنِ  
 نَبِيُّنَا الْأَمْرُ النَّاهِي فَلَا أَحَدٌ  
 هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ

مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْقَصِمٍ  
وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ  
عَرَفَا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشَفَا مِنَ الدَّيَمِ  
مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكْمِ  
ثُمَّ اضْطَفَاهُ حَبِيباً بَارِئُ النَّسَمِ  
فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ  
وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحاً فِيهِ وَاحْتَكِمِ  
وَأَنْسُبْ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ  
حَدِّ فَيُعْرَبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ  
أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرُّمِّ  
حِرْصاً عَلَيْنَا فَلَمْ تَرْتَبْ وَلَمْ نَهَمِ  
لِلْقُرْبِ وَالْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَجِمِ  
صَغِيرَةً وَتَكِلُ الطَّرْفَ مِنْ أَمِّ  
قَوْمٍ نِيَامَ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالْحُلْمِ  
وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كَلِّهِمْ  
فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ  
يُظْهِرُنْ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ  
بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمِ  
وَالْبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي هِمَمِ  
فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمِ  
مِنْ مَعْدِنِي مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسَمِ  
طُوبَى لِمُنْتَشِقِي مِنْهُ وَمَلْتَمِمْ

دَعَا إِلَى اللَّهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ  
فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ  
وَكَلَّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسٌ  
وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمْ  
فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ  
مُنْرَةً عَنْ شَرِيكَ فِي مُحَاسِنِهِ  
دَعَا مَا أَدْعَتْهُ التَّصَارِي فِي نَبِيِّهِمْ  
وَأَنْسُبَ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفِ  
فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ  
لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَمًا  
لَمْ يَمْتَحِنًا بِمَا تَغْيَا الْعُقُولُ بِهِ  
أَعْيَا الْوَرَى فَهَمُّ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى  
كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنِينَ مِنْ بُعْدِ  
وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ  
فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ  
وَكَأَيُّ آيٍ أَتَى الرَّسُلُ الْكِرَامُ بِهَا  
فَإِنَّهُ شَمْسٌ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا  
أَكْرَمُ بِخَلْقِ نَبِيِّ زَانَهُ خُلُقٌ  
كَالزُّهْرِ فِي تَرَفٍ وَالبَدْرِ فِي شَرَفِ  
كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ فِي جَلَالَتِهِ  
كَأَنَّمَا اللُّوْلُؤُ الْمَكْنُونُ فِي صَدْفِ  
لَا طِيبَ يَعْدِلُ تَرْبَا ضَمَّ أَعْظَمَهُ

## الفصل الرابع

### في مولده ﷺ

يا طيب مُبْتَدَأُ مِنْهُ وَمُخْتَمِمٌ  
 قَدْ أُتْدِرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالنَّقَمِ  
 كَشَمَلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرِ مُلْتَمِمِ  
 عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمِ  
 وَرَدَّ وَاوَدَّهَا بِالْغَيْظِ حِينَ ظَمِي  
 حُزْنًا وَبِالْمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ  
 وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنَى وَمِنْ كَلِمِ  
 تُسْمَعُ وَيَارِقَةُ الْإِنْدَارِ لَمْ تُشَمِ  
 بَأَنَّ دِينَهُمُ الْمُعْوَجَّ لَمْ يَقُمْ  
 مُنْقَضَةً وَفَقَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَنَمِ  
 مِنَ الشَّيَاطِينِ يَقْفُو إِتْرَ مُنْهَزِمِ  
 أَوْ عَسْكَرَ بِالْحَصَى مِنْ رَاحَتِيهِ رُمِي  
 نَبْدًا الْمُسَبَّحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَمِمِ

أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْضِرِهِ  
 يَوْمَ تَفَرَّسَ فِيهِ الْفُرْسُ أَنَّهُمْ  
 وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى وَهُوَ مُنْصَدِعٌ  
 وَالنَّارُ خَامِدَةٌ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَسْفِ  
 وَسَاءَ سَاوَةٌ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا  
 كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالْمَاءِ مِنْ بَلَلِ  
 وَالْجِنُّ تَهْتِفُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ  
 عَمُوا وَصَمُّوا فَاغْلَانُ الْبَشَائِرِ لَمْ  
 مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الْأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ  
 وَبَعْدَ مَا عَايَنُوا فِي الْأَفْقِ مِنْ شُهْبِ  
 حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مُنْهَزِمِ  
 كَأَنَّهُمْ هَرَبًا أَبْطَالَ أَبْرَهَةَ  
 نَبْدًا بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحِ بَبْطِنِهِمَا

## الفصل الخامس

### في معجزاته ﷺ

تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلا قَدَمِ  
 فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الْخَطِّ بِاللَّقَمِ  
 تَقِيهِ حَرَّ وَطَيْسٍ لِلْهَجِيرِ حَمِي  
 مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةٌ مَبْرُورَةٌ الْقَسَمِ  
 وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي  
 وَهُمْ يَقُولُونَ: مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرَمِ  
 خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحْمِ

جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الْأَشْجَارُ سَاجِدَةٌ  
 كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْرًا لِمَا كَتَبَتْ  
 مِثْلُ الْعِمَامَةِ أُنَى سَارَ سَائِرَةٌ  
 أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ  
 وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمِ  
 فَالْصِّدْقُ فِي الْغَارِ وَالصِّدِّيقُ لَمْ يَرَمَا  
 ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى



مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الأُطْمِ  
 إِلا وَنِلْتُ جَوَاراً مِنْهُ لَمْ يُضْمِ  
 إِلا اسْتَلَمْتُ النَّدى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ  
 قَلْباً إِذا نَامَتِ العَيْنَانِ لَمْ يَنْمِ  
 فليس يُنْكَرُ فِيهِ حَالٌ مُحْتَلِمِ  
 وَلا نَبِيٍّ عَلى غَيْبِ بِمُتَّهِمِ  
 وَأَطَلَقْتُ أربأً مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ  
 حَتى حَكَتْ عُرَّةً فِي الأَعْصِرِ الدُّهُمِ  
 سَيْبٌ مِنَ اليَمِّ أَوْ سَيْلٌ مِنَ العَرَمِ  
 عَلى الرُّبَا وَالهَضَابِ انْهَلْ وَانْسَجِمِ  
 بِإِذْنِ خَالِقِهَا لِلنَّاسِ وَالنَّعَمِ  
 عَمَائِماً بِرُقُوسِ الهَضْبِ وَالأَكَمِ  
 مِثْلَ البَهَارِ عَلى الخَدَّيْنِ وَالعَنَمِ  
 إِلى المَكَارِمِ نَفْسُ النُّكْسِ وَالبَرَمِ  
 أَلْحَقْتُ مُنْفَخِماً مِنْهَا بِمُنْفَخِمِ  
 هِى المَوَاهِبُ لَمْ أَشَدِّ لَهَا زِمِي  
 فَمَا يُقَالُ لِفَضْلِ اللّهِ: ذَا بِكُمْ؟  
 حَدِّ السَّوَاءِ فَذُو نَطْقٍ كَذِي بَكَمِ

وَقَايَةَ اللّهِ أَغْنَتْ عَن مُضَاعَفَةِ  
 مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْماً وَاسْتَجَزْتُ بِهِ  
 وَلا التَّمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ  
 لا تُنْكَرِ الوَحْيِي مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ  
 فِذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوتِهِ  
 تَبَارَكَ اللّهُ مَا وَحْيِي بِمُكْتَسَبِ  
 كَمْ أَبْرَأْتُ وَصِيباً بِاللَّمْسِ رَاحَتُهُ  
 وَأُخِيَّتِ السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ دَعْوَتُهُ  
 بَعَارِضٍ جَادَ أَوْ خِلَّتِ البِطَاحُ بِهَا  
 لَمَّا شَكَتْ وَقَعَهُ البِطَحَاءُ قَالُ لَهُ  
 فَأَدَّتِ الأَرْضُ مِنْ رِزْقِ أَمَانَتِهَا  
 وَأَلْبَسَتْ حُلَلامُنْ سُنْدُسٍ وَلَوْتُ  
 فَالتَّخُلُ بِاسِيقَةٍ تَجَلُّو قَلَانِدَهَا  
 وَفَارَقَ النَّاسَ دَاءُ القَحْطِ وَانْبَعَثَتْ  
 إِذَا تَتَبَّعْتَ آيَاتِ النَّبِيِّ فَقَدْ  
 قَلْ لِلْمَحَاوِلِ شَاوٍ فِي مَدَائِحِهِ  
 وَلا تَقُلْ لِي بِمَاذَا نَلْتُ جَيِّدَهَا  
 لَوْلَا العَنَايَةُ كَانِ الأَمْرُ فِيهِ عَلى

### الفصل السادس

#### في شرف القرآن ومدحه

ظُهُورَ نارِ القِرَى لَيْلاً عَلى عَلمِ  
 وَليسَ يَنْقُصُ قَدراً غَيْرَ مُنْتَظَمِ  
 مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الأَخلاقِ وَالشَّيَمِ  
 قَدِيمَةً صِفَةُ المَوْصُوفِ بِالقَدَمِ

دَعْنِي وَوَصْفِي آيَاتِ لَهُ ظَهَرَتْ  
 فَالذُّرُّ يَزْدَادُ حُسْناً وَهُوَ مُنْتَظَمٌ  
 فَمَا تَطَاوُلُ أَمَالِ المَدِيحِ إِلى  
 آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثَةٌ

لَمْ تَفْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهِيَ تُخْبِرُنَا  
 دَامَتْ لَدَيْنَا ففَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ  
 مُحَكَّمَاتٍ فَمَا تُبْقِيْنَ مِنْ شُبَّهِ  
 مَا حُورِبَتْ قَطُّ لِإِعَادٍ مِنْ حَرْبٍ  
 رَدَّتْ بِلَاغَتِهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا  
 لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ  
 فَمَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا  
 فَرَّتْ بِهَا عَيْنٌ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ:  
 إِنَّ تَثْلُهَا خَيْفَةٌ مِنْ حَرِّ نَارٍ لَطَى  
 كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبْيِضُ الْوَجْوهُ بِهِ  
 وَكَالضَّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدَلَةٌ  
 لَا تَعْجَبَنَّ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكَرُهَا  
 قَدْ تُنْكَرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ

عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمٍ  
 مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدْمِ  
 لِدِي شِقَاقٍ وَمَا يَبْغِيْنَ مِنْ حَكَمٍ  
 أَعْدَى الْأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِي السَّلَامِ  
 رَدَّ الْغَيْوْرَ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحَرَمِ  
 وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيَمِ  
 وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْثَارِ بِالسَّامِ  
 لَقَدْ ظَفَرْتَ بِحَبْلِ اللَّهِ فَاغْتَصِمِ  
 أَطْفَاتٍ حَرَّ لَطَى مِنْ وَرْدِهَا الشَّبِمْ  
 مِنَ الْعُصَاةِ وَقَدْ جَاوَوْهُ كَالْحُمَمِ  
 الْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمْ  
 تَجَاهُلًا وَهُوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ الْفَهْمِ  
 وَيُنْكَرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ

## الفصل السابع

### في إسرائته ومعراجته عَلَيْهِ السَّلَامُ

يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمُ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ  
 وَمَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ  
 سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ  
 وَيَتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً  
 وَقَدَّمْتِكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا  
 وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطَّبَاقَ بِهِمْ  
 حَتَّى إِذَا لَمْ تَدْعُ شَأوًا لِمُسْتَبِقِ  
 خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ  
 كَيْمَا تَفُورَ بِوَضَلِ أَيِّ مُسْتَتِرٍ

سَعِيًّا وَفَوْقَ مُتُونِ الْأَيْثِقِ الرُّسْمِ  
 وَمَنْ هُوَ النُّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُعْتَمِرٍ  
 كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ  
 مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرِكْ وَلَمْ تُرَمِ  
 وَالرُّسُلُ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ  
 فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعِلْمِ  
 مِنَ الدُّنُوِّ وَلَا مَرْقَى لِمُسْتَتِمِ  
 نُودِيَتْ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعِلْمِ  
 عَنِ الْعُيُونِ وَسِرِّ أَيِّ مُكْتَتَمِ

وَجُرِّتَ كُلُّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمٍ  
وَعَزَّ إِذْرَاكَ مَا أُوتِيَتْ مِنْ نِعَمٍ  
مِنَ الْعِنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِمٍ  
بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ

فَحُرِّتَ كُلُّ فَخَّارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ  
وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا أُولِيَتْ مِنْ رُتَبٍ  
بُشْرَى لَنَا مَعَشَرَ الْإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا  
لَمَّا دَعَا اللَّهَ دَاعِينَا لِطَاعَتِهِ

## الفصل الثامن

### في جهاد النبي ﷺ

كَنَبَأَةٌ أَجْفَلَتْ غُفْلًا مِنَ الْغَنَمِ  
حَتَّى حَكَّوْا بِالْقَنَا لِحْمًا عَلَى وَصَمٍ  
أَشْلَاءَ شَالَتْ مَعَ الْعِقْبَانِ وَالرَّحَمِ  
مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لِيَالِي الْأَشْهُرِ الْحَزْمِ  
بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ الْعِدَا قَرِمٍ  
يَزْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الْأَبْطَالِ مُلْتَطِمٍ  
يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكَفْرِ مُصْطَلِمٍ  
مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْضُولَةَ الرَّحِمِ  
وَخَيْرِ بَعْلِ فَلَمْ تَيْتَمِ وَلَمْ تَيْمِ  
مَاذَا رَأَى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُصْطَلِمٍ  
فُضُولَ حَتْفٍ لَهُمْ أَذْهَى مِنَ الْوَحْمِ  
مِنَ الْعِدَا كُلِّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللَّمَمِ  
أَقْلَامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرِ مُنْعَجِمِ  
تَصَامَمَتْ عَنْهُ أذْنَا صِمَّةِ الصَّمَمِ  
وَالْوَرْدُ يَمْتَارُ بِالسِّيْمَا مِنَ السَّلْمِ  
فَتَحَسَّبُ الرَّهْرَهَ فِي الْآكِمَامِ كُلِّ كَمِي  
مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لَا مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ  
فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْبَهْمِ وَالْبَهْمِ

رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَا أَنْبَاءَ بَعْثَتِهِ  
مَا زَالَ يَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ  
وَدُّوا الْفِرَارَ فَكَادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ  
تَمْضِي اللَّيَالِي وَلَا يَذْرُونَ عِدَّتَهَا  
كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ  
يَجْرُ بِحَرِّ حَمِيمٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ  
مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلَّهِ مُخْتَسِبٍ  
حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ وَهِيَ بِهِمْ  
مَكْفُولَةٌ أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبِي  
هُمْ الْجِبَالُ فَسَلَّ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ  
وَسَلَّ حُتَيْنًا وَسَلَّ بَدْرًا وَسَلَّ أَحَدًا  
الْمُضْدِرِّي الْبَيْضَ حُمْرًا بَعْدَ مَا وَرَدَتْ  
وَالْكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الْخَطِّ مَا تَرَكَتْ  
إِنْ قَامَ فِي جَامِعِ الْهَيْجَاءِ خَاطِبُهُمْ  
شَاكِي السَّلَاحِ لَهُمْ سِيْمَا تَمَيِّزُهُمْ  
تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاخَ النَّصْرِ نَشْرَهُمْ  
كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبْتُ رَبَا  
طَارَتْ قُلُوبُ الْعِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقَا



وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نُضْرَتُهُ  
وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيِّيَ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ  
أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ  
كَمْ جَدَلْتُ كَلِمَاتِ اللَّهِ مِنْ جَدِيلٍ  
كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجَزَةٌ  
إِنْ تَلَقَّهَ الْأَسَدُ فِي آجَامِهَا تَجَمُّ  
بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرِ مُنْقَصِمٍ  
كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الْأَشْبَالِ فِي أَجْمٍ  
فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ الْبُرْهَانَ مِنْ خَصِمٍ  
فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي الْيُثْمِ

## الفصل التاسع

### في التوسل بالنبي ﷺ

خَدَمْتُهُ بِمَدِيحِ أَسْتَقِيلُ بِهِ  
إِذْ قَلْدَانِي مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ  
أَطَعْتُ غِيَّ الصَّبَا فِي الْحَالَتَيْنِ وَمَا  
فِيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تَجَارَتِهَا  
وَمَنْ يَبِغْ أَجْلاً مِنْهُ بِعَاجِلِهِ  
إِنْ آتَ ذَنْبًا فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ  
فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَّتِي  
إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي أَحِذًا بِيَدِي  
حَاشَاهُ أَنْ يَحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ  
وَمُنْذُ الرِّمْتِ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ  
وَلَنْ يَفُوتَ الْغِنَى مِنْهُ يَدَا تَرِبَتْ  
وَلَمْ أَرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَفْتُ

ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشُّعْرِ وَالخِدَمِ  
كَأَنْنِي بِهِمَا هَدْيِي مِنَ النَّعَمِ  
خَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الْأَثَامِ وَالنَّدَمِ  
لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسْمِ  
يَبْنَ لَهُ الْعَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمِ  
مِنَ النَّبِيِّ وَلَا حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ  
مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذَّمِّ  
فَضْلاً وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ  
أَوْ يَرْجِعِ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ  
وَجَدْتُهُ لِخَلَاصِي خَيْرَ مُلْتَزَمِ  
إِنَّ الْحَيَا يُنْبِثُ الْأَزْهَارَ فِي الْأَكْمِ  
يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَتْنَى عَلَى هَرَمِ

## الفصل العاشر

### في المناجاة وعرض الحاجات

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَالِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ  
وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ بِي  
فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا  
سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمِيمِ  
إِذَا الْكَرِيمُ تَجَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ  
وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

إِنَّ الْكَبَائِرَ فِي الْغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ  
تَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعِضْيَانِ فِي الْقَسَمِ  
لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمٍ  
صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الْأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ  
عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍ وَمُنْسَجِمِ  
وَأَطْرَبَ الْعَيْسَ حَادِي الْعَيْسِ بِالنَّعْمِ  
وَعَنْ عَلِيٍّ وَعَنْ عُثْمَانَ ذِي الْكَرَمِ  
أَهْلُ التَّقَى وَالنَّقَا وَالْحِلْمِ وَالْكَرَمِ  
وَاعْفِرْ لَنَا مَا مَضَى يَا وَاسِعَ الْكَرَمِ  
يَتْلُوهُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَفِي الْحَرَمِ  
وَأَسْمُهُ قَسَمٌ مِنْ أَعْظَمِ الْقَسَمِ  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي بَدْءِهِ وَفِي خَتَمِ

يَا نَفْسِ لَا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ  
لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا  
يَارَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسِ  
وَالطُّفْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ  
وَأَثَدُنَّ لِسُحْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ  
مَا رَنَّحَتْ عَذَابَاتِ الْبَانِ رِيحُ صَبَاً  
[ثم الرضا عن أبي بكرٍ وعن عمرٍ  
والآلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ فَهُمْ  
يَا رَبِّ بِالْمُصْطَفَى بَلَّغْ مَقَاصِدَنَا  
وَاعْفِرْ إِلَهِي لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ بِمَا  
بَجَّاهُ مَنْ بَيْتُهُ فِي طَيْبَةِ حَرَمٍ  
وَهَذِهِ بُرْدَةُ الْمُخْتَارِ قَدْ خُتِمَتْ

\* \* \*

(١) يوجد في بعض النسخ أبيات لم يشرح عليها أحد من الشارحين، لكن لا بأس بها. «شرح

البردة للباجوري، ص ١٣٢» اهـ. وقد ذكرناها بين معكوفتين.





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا وحبينا  
 وشفيعنا محمد ﷺ وبعد:

فإن مما يحتاجه طالب العربية بشتى علومها (اللغة، والنحو، والتصريف،  
 والعروض، والقوافي، وصنعة الشعر، وأخبار العرب، وعلم الجدل، وعلم  
 أصول النحو، والبيان، والمعاني، والبديع . . .) لكي يحوز قصب السبق، وينال  
 صدر العلم، أن يهتم بالمراس والتمرين والتدريب والتطبيق . وإن أقرب طريق  
 لتعلم العربية وفهم قواعدها وتذوق أسرارها هو أن يسعى طالبها إلى أعيان الكلام  
 العربي قرآناً أو حديثاً أو شعراً أو نثراً فيدرسه: كلمةً وجملَةً وتركيباً ومعاني . .  
 ومن أعيان الشعر العربي قصيدة البردة التي ضمت أسراراً ومعاني عظيمة لا  
 يستهان بها ولذا كثر شراحها ومستخرجو أسرارها . . فأعظمُ بها لغة ومعنى  
 وذوقاً، وأنعم بها أهلاً واستحقاقاً للمدارسة والبيان والنظر والتطبيق . .

ولقد تعددت شروحاتها ما بين مسهب وموجز ومقتصد، ومن الشروح القيمة  
 شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح الذي نقدمه لطلاب العربية خاصة ولطلاب  
 العلم عامة لما فيه من ميزات ستعابنها من كثب، وتلمسها عن قرب، وإني أتقدم  
 بخالص الشكر ووافر التقدير لفضيلة أستاذنا الأستاذ الدكتور مازن المبارك  
 حفظه الله، الذي لحظ العمل بعنايته وأفاض عليه من رعايته، وفرغ له من وقته،  
 وزود العمل بجليل تدقيقاته، وعظيم لفتاته، ورائع تصحيحاته، ورائق ملحوظاته ما  
 لا يسعني حياله إلا أن أدعو الله تعالى أن يجزيه عنا وعن طلاب العلم كل خير .  
 كما أتوجه بالشكر للأخ الأستاذ لؤي الأحمر صاحب دار التقوى لإخراجه  
 هذا الكتاب بهذه الحلة القشبية .

هذا وأرجو من الله تعالى أن أكون قدمت هذا الشرح على النحو الذي يريده  
 مؤلفه، فإن أحسنت فمن الله تعالى، وإن قصرت فمن نفسي ولا حول ولا قوة  
 إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تقديم

### بقلم الدكتور مازن المبارك

الحمد لله على نعمائه، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه.

وبعد: فرحم الله البوصيري فقد خص النبي ﷺ بأعظم قصائده وأفخم مدائحه، ومن خص النبي بذلك فقد خص شعره بالفضل، ومن مدح النبي بشعره فقد مدح شعره بالنبي وشرفه بذكره ﷺ.

ولست أعرف قصيدة في الأدب العربي بلغت ما بلغته (البردة) من شيوع وشهرة، أو حظيت بما حظيت به من رعاية واهتمام، سواء أكان ذلك على المستوى الثقافي عامة والأدبي خاصة، من تشطير وتخميم وتسييع ومن شرح ودراسة، أم كان على المستوى الشعبي حفظاً لها وترديداً في حلقات الذكر وتلاوة لها وإنشاداً، تبركاً بها واتخاذاً لها رقية للاستشفاء.

ولم يقف الاهتمام بها عند الإقبال على شرحها والتهافت على طباعتها ونشرها، بل تجاوز ذلك إلى منافستها أو تقليدها أو معارضتها في النظم مدحاً للنبي ﷺ بمعناها، ووزناً على بحرها وقافيتها، وصدق أحمد شوقي -رحمه الله - إذ قال:

المادِحُونَ وَأَرْبَابُ الْهَوَى تَبَعُ لِصَاحِبِ الْبُرْدَةِ الْفَيْحَاءِ ذِي الْقَدَمِ  
مَدِيحُهُ فِيكَ حُبٌّ خَالِصٌ وَهَوَى وَصَادِقُ الْحُبِّ يُمْلِي صَادِقَ الْكَلِمِ

على أن وصف البوصيري بالإخلاص والصدق في مدحه للنبي ﷺ لم يُنجه من تهمة المغالاة التي بلغ بها بعضهم حدّ التكفير أو كاد، وذلك في موضع أو اثنين من قصيدته على حين التمس آخرون العذر له وفسروا مراده وأولوا قوله بما لا إثم فيه ولا حرج، يؤيدهم في ذلك أن البوصيري جعل (مبلغ العلم فيه ﷺ) أنه بشر، وأنه خير خلق الله كلهم). وقال:

دَعَّ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاخْتَكِمِ

وَأَنْسَبَ إِلَى ذَاتِهِ مَا شَتَّتَ مِنْ شَرَفٍ      وَأَنْسَبَ إِلَى قَدْرِهِ مَا شَتَّتَ مِنْ عِظَمٍ  
فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ      حَدٌّ فَيُعْرَبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمٍ  
ونحن نقول: إن لغة البشر تقف عند حد لا تتعداه، وإن الزمان ينقضي ولا  
ينتهي تعداد صفاته وشمائله ﷺ، ومن ذا الذي يبلغ بكلامه حقه من المدح أو  
يحيط بكماله من الوصف، وهو الذي:

تمضي العصور ووصفه لا ينقضي      يفنى الزمان وفضله لا يُحصَرُ  
بل لقد أدرك البوصيري نفسه أنه لن يوقيه حقه، وأن الكلام أعجز من أن  
يحيط بوصفه ومديحه فقال:

إِنَّ مِنْ مُعْجَزَاتِكَ الْعَجْزَ عَنْ وَصْفِ  
كَيْفَ يَسْتَوْعِبُ الْكَلَامُ سَجَايَا  
لَيْسَ مِنْ غَايَةِ لِيُوصِفِكَ أَبْغِي  
إِنَّمَا فَضْلُكَ الزَّمَانُ وَأَيَّا  
لَمْ أُطِلْ فِي تَعْدَادِ مَدْحِكَ نُطْقِي  
غَيْرَ أَنِّي ظَمَأْتُ وَجِدَ وَمَا لِي  
وكان من أبرز ما أخذ على البوصيري أنه قال:

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَالِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ      سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمِيمِ  
وقال في بيت آخر:

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا      وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ  
مما جعل بعض الناس يذهب إلى اتهامه بالشرك وبالمبالغة في وصفه ﷺ بما  
لا دليل عليه، وأحسن بعضهم الظن وذهبوا في تفسير قوله إلى ما لا إثم فيه  
فقالوا: إن الحادث العمم الذي أشار إليه البوصيري هو الحشر الذي يستشفع فيه  
المسلمون بسيد الخلق وأكرمهم على الله ﷺ، وذلك حادث كلنا يلوذ فيه  
برسول الله ﷺ. ولعل البوصيري أراد ذلك حقاً، إذ أنه قال في قصيدته المعروفة  
بالمهزية، وهي في مديح النبي ﷺ أيضاً:

يَا شَفِيعاً بِالْمُذْنِبِينَ إِذَا أَشَدَّ      فَقَ مِنْ خَوْفِ ذَنْبِهِ الْبُرَاءُ

وهي الشفاعة الكبرى التي حُصَّ بها النبي ﷺ والتي نرجوها كلنا مع البوصيري . وأما الرد على نقد البيت الثاني فقد قالوا: إن في الحديث النبوي ما يدل على أن الله سبحانه وتعالى أطلع نبيه على علم لا يعلمه إلا هو سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وأنه هو سبحانه ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَن أَرَادَ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٧] وأقول: إن البوصيري نفسه ذكر في همزيته أن علوم النبي ﷺ هي مما أوحى الله سبحانه وتعالى إليه فقال:

بالعلوم التي عَلَيْكَ مِنَ الدِّينِ بِمَا كَاتِبٌ لَهَا إِمْلَاءٌ  
ولعلَّ من الإنصاف ألا ننتهم مسلماً بالكفر ما أمكننا التأويل ونسأل الله لنا  
وللبوصيري المغفرة وحسن الثواب .

ورحم الله ابن القيم فقد قال: «إن المنصف يهب خطأ المخطئ لإصابته، ويهب سيئاته لحسناته، ومن ذا الذي يكون قوله كله سديداً وعمله كله صواباً؟ وهل ذلك إلا للمعصوم الذي لا ينطق عن الهوى والذي نطقه وحي يوحى» ﷺ .

وقد ذكّرني اختلاف الناس حول البوصيري وتباين أحكامهم عليه بما كتبه أستاذنا سعيد الأفغاني - عليه رحمة الله - حين دارت المحاورات بينه وبين شيخنا الأستاذ محمود شاکر - رحمه الله - حول نبوة المتنبّي وعقيدته فكتب الأستاذ الأفغاني مقالاً عنوانه: «دين المتنبّي» في مجلة الرسالة وكان مما قاله: «وإذا كان موضوعنا البحث في دين الرجل فلا بد أن ننبه قبل الشروع فيه إلى أنا سنخرج على ذلك السخف التقليدي الذي توارثناه في عصورنا الأخيرة جيلاً عن جيل، في تكفير الناس من أجل كلمة قالوها أو عمل قاموا به، نتعلق لذلك بأوهى الأسباب، ونتكلف له كل التكلف، لنخرج مسلماً عن دينه إن كرهناه، أو نؤول له ما زلّ به لسانه إن أحببناه. تُعقد لذلك المجالس في المساجد والمدارس وعند السلطان، وتؤلف الرسائل وتثار الفتن وتراق الدماء، حتى لقد سؤل الشيطان لبعض الحكام أن يتخذ من عبدة الهوى هؤلاء مطايا يركبها إلى غايته

فيمن يكره من كل أمر بمعروف أو جبّاه بحق أو نائر على ظلم، فما أسرع ما كانت تخرج الفتيا بالتكفير وما أسرع الحاكم حينئذ إلى البطش والفتك .

ولولا الخروج عن الموضوع - والكلام للأستاذ الأفغاني - لأفضت في شرح هذه الناحية من تاريخنا وما أدت إليه من سوء العقبي، وما جرّت على العلم والدين من ويلات وخراب، وخاصّة أخريات عصور الجهل، يوم كان يضطلع بهذه المهازل شيخ الإسلام في السلطنة العثمانية .

وحسب المرء أن يذكر على سبيل التمثيل آراء المحبّين والمبغضين في أجلاء الصحابة - رضي الله عنهم - صدرَ تاريخنا، ثم أقوال هؤلاء وهؤلاء في الحلاج ومحي الدين بن عربي وتلك الطبقة . بل ما لي أعمد إلى التاريخ البعيد وفي فجر نهضتنا مثل صالحه من ذلك فاذكروا إن شئتم الأئمة جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا ومن لفّ لفهم، ألم يرفعهم قوم إلى درجات المصلحين المجتهدين، ويهبط بهم آخرون إلى دركات الكفار أعداء الدين؟!

وغريب منهم هذا الفضول والتطفل والله تعالى لم يجعل إلينا أمر الناس حتى نزج أنفسنا في هذه المزالق . ومتى ملك بشرٌ أمرَ بشرٍ والله يقول: ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٥٢]، أما كان في خويصة أنفسهم ما يشغلهم عن الناس والتحكّم في آخرتهم؟ وما كان أقربهم من إنصاف لو عرضوا القول أو الفعل على الحق فسموا الأشياء بأسمائها وحكموا عليها بالخطأ أو الصواب ولم يحتملوا النصوص ما لا تحمل، ووكلوا أمر الناس إلى الله، إذن لو قرؤوا على أنفسهم عنتاً طويلاً ووقتاً سيسألهم الله عن إنفاقه في هذه السفاسف والآثام، وجهوداً لم يرزقهم الله إياها ليفرقوا دينه شيعاً ويؤلبوا عباده بعضهم على بعض .

وأنا إذ أعرض لدين المتنبي فإنما أحكم على أقوال قالها وعلى هنات صدرت عنه، فأعرضها على الحق، وسواء على الباحث - إذا اجتهد وأخلص - أكان المتنبي بعد ذلك مسلماً أم ملحداً، فما لنا إيمانه ولا علينا كفره، ولا يملك إنسان لإنسان عذاباً ولا ثواباً .

وبمثل قول أستاذنا الأفغاني نقول، فإذا جاز حمل الكلام على ما لا إثم فيه حملناه عليه، وإذا حكمنا فحكمنا على الكلام نفسه لا على قائله، وإذا كان في كلام المرء خطأ أو مبالغة رددناه ووهبنا خطأ قائله لإصابته كما قال ابن القيم، وفوضنا أمر قائله إلى الله سبحانه فهو وحده الذي يعلم ما في القلوب.

وبعد فإذا ذاعت في الأدب العربي قصائد جواد، وكان من أشهرها في باب المديح النبوي قصيدة "بانت سعاد" في القديم، و"ريم على القاع" في العصر الحديث فإن أكثرها شيوعاً وشهرة بردة البوصيري "أمن تذكر جيران" فلقد دخلت باب المديح وباب الشعر الديني وباب التصوف وباب الأدب وباب الأذكار في أمصار العالم الإسلامي.

ولم تنل قصيدة أخرى ما نالته من إعظام وتقدير وإقبال على الاتصال بها والسعي للانتماء إليها بتشطيرها أو تخميسها أو تسبيحها أو معارضتها أو شرحها بلغة التلاوة والحفظ والإنشاد، حتى باتت أشهر القصائد على ألسن الناس عامة وأكثرها تردداً بين جماهير المسلمين.

وقد أعجب السيد محمد عواد العواد، أحد النابهين من طلاب الدراسات العليا في قسم اللغة العربية، بالشرح الذي وضعه العلامة التونسي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور المتوفى سنة ١٢٨٥هـ و١٨٦٨م، وهو جدّ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور صاحب التفسير المسمى بـ«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» والمختصر باسم «التحرير والتنوير».

والشارح ابن عاشور أحد أعلام عصره في قطره، ومن علماء جامع الزيتونة، عرف بالعلم والصلاح، وعمل في التدريس والقضاء والفتيا، وله كتب وآثار ثرية وشعرية، وقد جاء شرحه للبردة مفيداً بما تضمنه من لفتات لغوية ونحوية وبلاغية، وإن جاءت فيه استطرادات ساقه إليها تبخره في علوم كثيرة كالتاريخ والتصوف..

وقد بذل المحقق جهده فقدّم للشرح بمقدمة لخص فيها حياة أبي عبد الله البوصيري وتحدّث عن البردة وذكر من وقف على أسمائهم من شراحها ومشطريها ومعارضيهها، وناقش ما وجّه إلى صاحبها من نقد، ثم تحدّث عن

الشارح ابن عاشور، حياته وعلمه وآثاره ومميزات شرحه، وضبط النص وخرّج الأحاديث النبوية والشواهد الشعرية، ولم يفته التعليق عند الحاجة إليه وختم عمله بوضع ما رآه في حاجة إليه من فهارس فنية.

ولا يسعني إلا أن أشيد بالعمل، وحسب السيد محمد عواد العواد أن هذا العمل باكورة إنتاجه وأنه قام فيه بما يقتضيه التحقيق مما يقتضينا شكره والدعاء له بالسداد والتوفيق.

رحم الله البوصيري ناظم البردة وغفر له.

ورحم الله الشيخ ابن عاشور وأثابه.

وجزى الله المحقق خيراً وسدد خطاه ونفع به.

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيد الأنبياء والمرسلين، والحمد لله رب

العالمين.

وكتبه

مازن عبد القادر المبارك

في ٦ من شوال ١٤٢٦هـ



## التمهيد

- لا بد قبل كل شيء من أن أمهد للكتاب بما أراه مهماً حتى يكون القارئ على بينة من أمره وذكرته في التمهيد:
- أ- نبذة عن ناظم البردة وهو شرف الدين البوصيري .
- ب- نبذة عن البردة .
- ج- نبذة عن ابن عاشور شارح البردة .
- د- نبذة عن شرح البردة: شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح .
- هـ - عملي في إخراج هذا الشرح .



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### أ - ترجمة البوصيري<sup>(١)</sup>

نسبه: شرف الدين، أبو عبد الله، محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله الصنهاجي الدلاصي البوصيري الدلاصيري.

الصنهاجي: نسبة إلى أصله المغربي فهو من قبيلة بني حبنون، أهل قلعة حماد المغربية.

الدلاصي: نسبة إلى مكان ولادته وهي دلاص قرية أبيه.

البوصيري: نسبة إلى بوصير من أعمال بني سويف بمصر مكان نشأته وهي قرية أمه.

الدلاصيري: نسبة مركبة من دلاص وبوصير.

مولده: ولد بدلاص أول شوال سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١٢ م.

عصره ومشايخه: كان القرن السابع حافلاً بالعلماء العظام فمنهم: الشيخ أحمد البدوي (٦٧٨ هـ) والشيخ إبراهيم الدسوقي (٦٧٢ هـ) والشيخ عز الدين بن عبد السلام (٦٦٠ هـ) وأبو الحسن الشاذلي (٦٥٦ هـ) وابن عطاء الله السكندري (٧٠٩ هـ) وابن دقيق العيد (٧٠٢ هـ).

وقد أخذ التصوف على الطريقة الشاذلية عن الشيخ أبي العباس المرسي الشاذلي (٦٨٦ هـ / ١٢٨٧).

من تلاميذه: العز بن جماعة.

الوظائف التي تسلمها:

- تولى مديرية الشرقية وكثير من العلماء يشككون بذلك لأن مثله وقد عانى من الفقر والشكوى لا يتقلد وظيفة كهذه وقد كانت الشرقية ثلاثمائة وثمانين بلدة.  
- وتولى الفتيا.

(١) كشف الظنون ١/١٣٣١، معجم المؤلفين ٢/١٠، الأعلام ٦/١٣٩، معجم شعراء المدح النبوي ٣٥٣، البردة ومعارضاتها ١١.

- وتولى القضاء .

شعره:

كان رحمه الله تعالى بارعاً بالخط والإنشاء والنظم، وكان من أعلام شعراء التصوف في عصره. ومن العجب العجاب أن شعره في أغلبه لا يمتاز بجودة ولا ببلاغة ولا بروعة كبيرة كالتي نالته المدائح النبوية التي استحوذت على قصب السبق في كل رهان.

فشعره مرسل على السجية يمتاز ببساطة القول وطول النفس فقصيدته أم القرى ٦٣٦ بيتاً، وقصيدة ذخر المعاد في وزن بانت سعاد ٢٠٦ أبيات، وقصيدة أمدايح لي فيك ٩٩ بيتاً.

وفاته:

توفي بالإسكندرية سنة ٦٩٤ / ١٢٩٤م، أو ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م، أو ٦٩٧هـ /

١٢٩٧م.

وكتب على قبره هذه الأبيات:

محمد بن سعيد حاز منزلة  
والناس فيه على منوال برده  
أبياتها كالرقى أضحت مكررة  
تُتلى بكل بقاع الأرض ينشدها  
وفي سماء الهدى الهمزية ازدهرت  
ميلاده في دلاص ثم غادرها  
وقد ترعرع في بوصير بلده  
فرحمة الله لا تنفك هامية  
هواتف الحق نادته مؤرخة:

في صادق الشعر أعيت كل تحرير  
باؤوا بعجز وأبدوا كل تقصير  
فيُشتفى كل منفوس ومصدور  
فم الزمان بإجلال وتوقير  
كأنها رقت في اللوح بالنور  
باليمن والأمن تنفيذاً لمقدور  
و منها قد جاء تركيب الدلاصيري  
عليه حتى يحين النفخ في الصور  
وحي القبول على لحد الأبوصيري

٢٤ ١٦٩ ١١٠ ٤٢ ٣٥٠

= ٦٩٥

## ب - البرقة (١)

اسمها:

(الكواكب الدرية في مدح خير البرية).

هي مائة بيت واثنان وستون بيتاً في كشف الظنون ومائة وستون في ديوان البوصيري ومائة وواحد وسبعون عند ابن عاشور، وقسمها حاجي خليفة عشرة أقسام:

- اثنا عشر في المطلع .
- ستة عشر في ذكر النفس وهواها .
- ثلاثون في مدائح الرسول عليه الصلاة والسلام .
- تسعة عشر في مولده .
- عشرة في يُمنِ دعاء من دعا به .
- سبعة عشر في مدح القرآن .
- ثلاثة عشر في ذكر معراجة .
- اثنان وعشرون في جهاده .
- أربعة عشر في الاستغفار .
- تسعة في المناجاة .

سبب إنشادها:

روي أنه أنشأها حين أصابه فالج فاستشفع بها إلى الله سبحانه وتعالى ولما نام رأى النبي ﷺ في منامه فمسح بيده المباركة فعوفي وخرج من بيته أول النهار فلقبه بعض الفقهاء فقال له: يا سيدي أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله ﷺ قال: أي قصيدة تريد؟ فقال: التي أولها: أمن تذكر جيران . . إلخ فأعطاهم له وجرى ذكرها في الناس، ولما بلغت الصاحب بهاء الدين وزير الملك

(١) كشف الظنون ١/١٣٣١، ديوان البوصيري ١٩٠، معجم شعراء المدح النبوي ٣٥٣، البردة ومعارضاتها ١٤ .

الظاهر استنسخها ونذر أن لا يسمعها إلا حافياً واقفاً مكشوف الرأس، وكان يتبرك بها هو وأهل بيته، ورأوا من بركاتها أموراً عظيمة في دينهم ودنياهم.

وحكي أن البوصيري - رحمه الله - وصل إلى قوله:

فمبلغ العلم أنه بشر .....

فاستغلق عليه ولم يدر بم يكمله، فاهتم لذلك فرأى النبي ﷺ في المنام يسأله عن سبب توقفه فقال: استغلق عليّ، فقال له رسول الله ﷺ: قل:

..... وأنه خير خلق الله كلهم

### لماذا سميت البردة؟

روي أنه أصاب سعد الدين الفارقي رمد عظيم أشرف منه على العمى فرأى في منامه قائلاً يقول: امض إلى الصاحب بهاء الدين وخذ منه البردة واجعلها على عينيك تُشَفَّ إن شاء الله تعالى فنهض من ساعته وجاء إليه وقال ما رأى في نومه فقال الصاحب: ما عندي شيء يقال له البردة وإنما عندي مديح النبي ﷺ أنشأها البوصيري فنحن نستشفي بها فأخرجها ووضعها سعد الدين على عينيه فعوفي من الرمد .

وقال المولى مصنفك في شرحه للبردة بعد نقل منامه ورؤيته النبي عليه الصلاة والسلام: فألقى ﷺ برداً على عاتقيه ومسح بيده فلما استيقظ وجد بدنه صحيحاً كله ووجد ذلك البرد على عاتقيه ففرح به فخرج . . . إلى آخر القصة . وروي عن بعضهم أنه أصابه مرض فطلب القصيدة فجاء صاحبها إليه وقرأها فشفاه الله سبحانه وتعالى من ساعته فأعطاه برداً فسميت بالبردة تيمناً<sup>(١)</sup>.

### سبب اشتهاها:

يمكن إرجاع أثر البردة إلى خمس نواح<sup>(٢)</sup>:

١- أثرها في الجماهير الشعبية وهو أثر واضح المعالم، فجمهور المسلمين في شتى الأقطار لم يحفظوا قصيدة مطولة كما يحفظون البردة، فمعظمهم يرددها

(١) كشف الظنون ١٣٣١ .

(٢) معجم أعلام المدح النبوي ٣٥٦ .

صباح مساء ويقرؤها في كل المناسبات ولذا تعددت طبعاتها وقد يتفننون في حفظها ففي دار الكتب المصرية نسخ من البردة محلاة بالذهب .

٢- أثرها في التأليف ويظهر ذلك جلياً في كثرة شراحها:

فمن شروحيها:

- شرح لعبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢ هـ).
- شرح لمحمد بن مرزوق الحفيد (٧٤٢ هـ).
- شرح ابن الصائغ محمد بن عبد الرحمن (٧٧٦ هـ).
- الاستيعاب لما في البردة من البيان والإعراب، لمحمد بن أحمد بن مرزوق (٧٨١ هـ).
- شرح لابن القصار (٧٩٠ هـ).
- شرح لمحمد بن بهادر الزركشي (٧٩٤ هـ).
- إغاثة اللهفان لابن النحوية (٨١٨ هـ).
- شرح لابن هشام عبد الله بن يوسف النحوي (٨٦١ هـ).
- الأنوار المضية في مدح خير البرية لجلال الدين المحلي (٨٦٤ هـ).
- شرح للشيخ محمد السنوسي التوحيدي (٨٩٥ هـ).
- الزبدة في شرح قصيدة البردة للشيخ خالد الأزهري (٩٠٥ هـ).
- شرح للشيخ زكريا الأنصاري (٩٢٦ هـ).
- شرح لشيخ الإسلام أحمد بن محمد بن حجر (١٠٠٩ هـ).
- شرح لبرهان الدين اللقاني (١٠٤١ هـ).
- شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح للفقير المغربي ابن عاشور الأنصاري (١٢٨٤ هـ).

وغيرها كثير . . . عد منها في كتاب البردة ومعارضاتها خمساً وسبعين شرحاً<sup>(١)</sup>.

٣- أثرها في الدرس فقد كان علماء الأزهر يتدارسونها مع تلاميذهم .

(١) البردة ومعارضاتها ٣٢ . معجم شعراء المدح النبوي ٣٥٦

٤- أثرها في الشعر والشعراء فمنهم من ضمنها ومنهم من شطرها ومنهم من خمسها ومنهم من سبعها ومنهم من عارضها .

وممن شطرها:

- عبد القادر البيساري (١٢٣٠ هـ).

- أبو الهدى الصيادي (١٣٢٨ هـ).

- محمد الشاذلي خزندار (١٣٧٤ هـ). وذكر في كتاب البردة ومعارضاتها

اثني عشر مشطراً<sup>(١)</sup>.

وممن خمسها نحو الثمانين:

- منهم السيوطي (٩١١ هـ).

- عبد القادر الجبالي (١١٢٢ هـ). وذكر في كتاب البردة ومعارضاتها ستاً

وعشرين مخمّساً<sup>(٢)</sup>.

وممن عارضها:

- الإمام الصرصري (٦٥٦ هـ).

- حازم القرطاجني (٦٨٤ هـ).

- ابن جابر الأندلسي (٧٤٩ هـ).

- صفى الدين الحلبي (٧٥٢٠ هـ).

- ابن خاتمة الأندلسي (٧٧٠ هـ).

- عبد الرحيم البرعي (٨٠٣ هـ).

- ابن حجة الحموي (٨٣٧ هـ).

- عائشة الباعونية (٩٢٢ هـ).

- عبد الغني النابلسي (١١٤٣ هـ).

- محمود سامي البارودي (١٣٢٢ هـ).

(١) البردة ومعارضاتها ٨٤، معجم شعراء المدح النبوي ٣٥٦.

(٢) البردة ومعارضاتها ٥١، معجم شعراء المدح النبوي ٣٥٦.



- أحمد شوقي (١٢٨٥ هـ).

- أحمد الحملاوي (١٣٥١ هـ)<sup>(١)</sup>. وذكر في كتاب البردة ومعارضاتها  
واحداً وعشرين معارضاً<sup>(٢)</sup>.

نقد البردة<sup>(٣)</sup>:

إن وجود بعض الانتقادات على البردة لا يقلل من أهميتها أو ينقص من قيمتها، لأنها أولاً وأخيراً كلام بشر، وناظمها إنسان، وكلاهما معرض للخطأ والزلل، ولو ادعي غير ذلك لألحقناها بالقرآن الكريم، ولألحقنا صاحبها بدرجة الأنبياء المعصومين، ولهذا لسنا مع من ينتصر للبردة الانتصار الأعمى، والاتباع المطلق، ويمتنع عن سماع المآخذ، بل نحن نجل البوصيري، ونعرف للبردة حقها، لكن نسمع ما يُقال عنها وتُنتقد به، فإن كان النقد ناشئاً عن الجهل بالمعنى، أو التجاهل المقيت رددنا عليه بالدليل والتعليل اتباعاً للعلم وتقصيماً للحقيقة.

أما إن كان النقد في محله، ويناصره الشرع والعقل والعلم فلم لا نتبعه؟ ومع كل هذا فإن النقد لا يؤثر في عظمة البردة ولا منزلة صاحبها وأقصى ما يقال فيه إنه مجتهد أخطأ، وكلنا يؤخذ منه ويرد إلا صاحب ذلك القبر ﷺ.

وما نجده اليوم عند بعض الناس - أصلحهم الله - من ازدراء البردة بسبب انتقادهم لبعض ما فيها هو العمى الحقيقي، والجهل الفاضح، فنحن نقول لهم: خذ ما صفا ودع ما كدر، وأنكى من ذلك المبالغة في ذمها واذم ناظمها بل تكفير ناظمها وقارئها، مع نسيانهم أو تناسيهم أن في ذلك تكفيراً لجمهور المسلمين، وإزراء لعلماء المسلمين على اختلاف أزمانهم..

فلسنا مع المغالاة في الذم ولا مع المغالاة في المدح، وسأذكر الانتقادات التي انتقدت بها البردة، وما أُجيبَ عليها، وللقارئ الخيار في قبول ما يراه ورد

(١) كشف الطنون ١/ ١٣٣١ .

(٢) البردة ومعارضاتها ٣٩ .

(٣) الرد على البردة لعبد الله أبا بطين، رفع الإشكال عن مسألة المحال ونقد قصيدة البردة لأبي الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق ٤١ .

ما عداه، مع أننا لسنا مكلفين بالاعتقاد بصحة كل ما في البردة، ولا بالاعتقاد ببطلانه .

١- يقول المنتقد: لِمَ كل هذا التقديس والتبجيل للبردة؟!، حتى صارت تتلى في المجالس، وتقرأ في المحافل والمناسبات، ليس هذا فحسب بل إن الناس أصبحوا يعتقدون ببركتها ويستشفون بها ويستنصرون بها .  
أجيب: بأن هذا ناشئ عن:

أ- أن الشعر ديوان العرب، وأن المسلمين أولعوا بالشعر .

ب- أن المسلمين من فرط محبتهم للنبي ﷺ أصبحوا يحبون كل ما له به صلة، وهذه البردة إنما هي من علائق الممدوح بها ﷺ .

ج- ورد في كثير من الكتب والمراجع سبب إنشادها وحصل بالتجربة ذلك، ولا مانع من ذلك، إذ الاستشفاء يكون بالقرآن والدعاء وأحاديث النبي ﷺ، وبكل كلام طيب صادق صحيح، إذ لما قرأ بعض الصحابة على المملدوغ سورة الفاتحة فشفي قال له ﷺ: «ما أدراك أنها الشافية»، فهذه الإشارة وإن وردت في خصوص آية من القرآن إلا أن الحديث عام في البحث عن وسائل الشفاء من الكلام الطيب، وخاصة أن الوارد عنهم ذلك علماء أجلاء، وأنا أظن أن البردة بكلماتها وتراكيبها ليست بحد ذاتها شفاء إنما الحال التي يصل إليها القارئ من فرط الحب، ونبض الفؤاد، ودمع العين، وحنين القلب، وذكر الحبيب ﷺ، وتأنيب النفس، والشعور بالتقصير، والألم على الذنب... هو الحال الذي يُنظر فيها إليه، ويستجاب فيها دعاؤه، والذي يوصل إلى ذلك الحال هو كلمات البردة وتراكيبها .

٢- يقول المنتقد: إن في البردة أبياتاً تتحدث عن أمور مكذوبة على النبي ﷺ وغير صحيحة عنه وإن الذي يروي حديثاً مكذباً هو أحد الكاذبين على النبي ﷺ وهو الذي قال: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» .  
من ذلك: قوله:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم  
قال المنتقد: لم يرد عن النبي ﷺ أن من أجله خلقت الدنيا بل إن هذا يرده

القرآن فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ أفادت الآية أن الله لم يخلق الدنيا لأجل النبي ﷺ، بل لأجل عبادته ومعرفته .  
ومن ذلك: ذكره لبعض الوقائع التي لم يُثبتها دليل صحيح صريح كانظفاء نار المجوس وتزلزل الإيوان . .

أجيب: بأننا لو نعلم حق اليقين أن هذه الأحاديث مكذوبة على النبي ﷺ لما رويناها، أو بيّنا ضعفها -على الأقل- أما الأحاديث الضعيفة فلا مانع عظيماً من الاعتماد عليها في أخبار السيرة والوقائع، خاصة إن وردت عن علماء أعيان، وفي كتب كثيرة من كتب السيرة المعتمدة كسيرة ابن هشام والروض الأنف والسيرة الحلبية، لاسيما وأن وقائع السيرة لم تُخدم بما خدمت به كتب الأحاديث والأحكام من تخريج وتصحيح .

قال في نقد البردة ٤٤: ما ذكرتموه من الانتقاد على قوله: لولاه لم تخرج الدنيا من العدم فهو غير صحيح من ناحيتين:

الأول: أنه ورد في ذلك حديث [رواه الحاكم والطبراني وابن عساكر وسيأتي] وإن كان ضعيفاً «لولا محمد ما خلقتك» .

الثاني: أن الكلام صحيح في عمومته، وفي القرآن ما يؤيده والمنتقدون واهمون، لأن الله خلق الجن والإنس لعبادته وخلق الدنيا والآخرة لأجلهم وجعل الدنيا مكاناً لعبادتهم قال تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ﴾ أي لأجلكم ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ [البقرة: ٢٩] وجعل الآخرة مكاناً لجزائهم فلولا المكلفون ما خلقت الدنيا والآخرة، والنبي ﷺ سيد المكلفين، ومن عادة العرب أن يخاطبوا سيد القوم بما يشترك معه القوم فيه على سبيل التكريم، فصح قوله: لولاه لم تخرج الدنيا من العدم على قاعدة العرب في مخاطبة السادة والأمراء وذوي القدر العظيم وفي القرآن الكريم آيات وجه الخطاب للنبي ﷺ مع أن الأمة تشترك معه فيها .

ثم إنه ما دام الأمر لا يتعلق بالاعتقاد ولا بالحلال والحرام فلا ضير في الاعتماد على حديث ضعيف خاصة أنه ورد في كتب كثيرة من كتب السيرة .

٣- يقول المنتقد: إن في البردة شركاً صريحاً، وكفراً بواحاً، وذلك برفع

النبي ﷺ عن درجة البشرية إلى الألوهية ودرجة النفع والضرر، مع أن الله تعالى قال له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ٢٨] وأمره الله تعالى أن يقول: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٨٨] وأن يقول: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢٢]، وقد قال لابنته فاطمة وعمه العباس وعمته صفية: «لا أملك لكم من الله شيئاً» وقال لكل المسلمين: «لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد الله ورسوله» وقال: «إذا سألت فاسأل الله» وقال: فيما رواه أحمد - «يا أيها الناس ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله» وقد قال عنده رجل: ما شاء الله وشئت، فغضب وقال: «أجعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده». وروى عبد الرزاق عن أبي سهيل بن أبي سهيل قال: رأني الحسن بن علي رضي الله عنه عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى فقال: هلم إلى العشاء فقلت: لا أريده فقال: مالي رأيتك عند القبر فقلت سلمت على النبي ﷺ فقال: سلم إذا دخلت المسجد ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «لاتتخذوا قبوري عيداً ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وصلوا عليّ حيثما كنتم» ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء.

وذلك الشرك هو في قول البوصيري:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به      سواك عند حلول الحادث العمم  
وقوله:

ما سامني الدهر واستجرت به      إلا ونلت جواراً منه لم يضم  
أجيب: بأن ما يدعيه البعض بأن البوصيري قد غالى في المدح حتى رفعه إلى درجة الألوهية هو كلام باطل بل إن البوصيري نفسه دافع عن نفسه وإيمانه واعتقاده بقوله:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم      واحكم بما شئت مدحافيه واحتكم  
أي: اترك المرتبة التي أوصل النصارى إليها عيسى عليه السلام وهي مرتبة الإله أو ابن الإله. ثم امدح بكل ما يوسعك الكلام وتُقَدِّرك البلاغة ما دام ضمن مرتبته الحقيقية وهي البشرية.

ثم إن مسألة التوسل من المسائل التي اختلف فيها العلماء : ومعنى التوسل : أن يسأل الإنسان الله تعالى مقدماً أمامه وسيلة ما ، تحقق له استجابة الدعاء ، وتقرب تلبية طلبه من الله تعالى .

فإذن لا بد أن يكون المسؤول هو الله تعالى ، تحقيقاً لقوله ﷺ : «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ» . ثم يجوز أن يقدم الإنسان بين يديه وسيلة ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] مع اعتقاده أن هذه الوسيلة لا تنفع بذاتها ولا تضر بذاتها بل إن المستجيب هو الله تعالى إذ ليس لأحد دون الله تصرف أو فعل ﴿لَا أَمَّاكُ لِنَفْسِي صَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [الأعراف: ٨٨] «لا أملككم لكم من الله شيئاً»، إذن أصل الوسيلة مشروع ، وهذه الوسيلة ثلاثة أنواع :

١- التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا وأفعاله العظيمة ، وكل هذه يجوز التوسل بها قال تعالى ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] .  
٢- التوسل بالأعمال الصالحة ، وهذا جائز أيضاً بدليل أصحاب الغار الثلاثة إذ ذكر كل منهم عملاً ينجيه مما هم فيه .

٣- التوسل بشيء أو شخص بذاته كالكعبة أو رجل صالح أو النبي ﷺ :  
والعلماء في هذا النوع على ثلاثة مذاهب :

الأول : حرمة التوسل مطلقاً ، اعتماداً على عموم الأدلة المانعة من سؤال غير الله والمبينة أنه لا يملك الإنسان لغيره شيئاً . وهذا الفريق مغالٍ في التحريم لأن المتوسل لا يسأل المتوسل به بل يسأل المتوسل إليه ، وأن المتوسل به لا يملك له شيئاً إنما الملك للمتوسل إليه أيضاً وما شأن المتوسل به إلا كونه وسيلة فحسب .

الثاني : جواز التوسل إن كان المتوسل به حياً وحرمة إن كان ميتاً :  
ودليل هذا التفصيل : أن التوسل جارٍ على غير القياس فيجب أن يتبع ما ورد عن النبي ﷺ وما ورد في التوسل ورد في حال الحياة :

فعمر توسل بالعباس وهو حي ، ولم يتوسل بالنبي ﷺ الذي كان ميتاً ، حيث قال عمر : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فنتسقيناً وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فأسقنا .

وما ورد من حديث الضرير كان في حياة النبي ﷺ .

الثالث: جواز التوسل بالنبي ﷺ مطلقاً أي في حياته ومماته، بشرط أن يكون المسؤول هو الله، واعتقاد السائل أن النبي ﷺ لا يملك له نفعاً إلا الوسيلة، واستدلوا:

بأن غرض المتوسل هو التوسل بالمرتبة والمكانة عند الله وهذا مما لا يختلف في الحياة أو بعد الوفاة لأن التأثير هو لله لا للمتوسل به .  
والتفريق بينهما تفريق لا دليل عليه .

ثم إن حديث الضرير وإن ورد في حياة النبي ﷺ إلا أنه ورد في إحدى رواياته أنه كرر العمل به الصحابي عثمان بن حنيف في عهد عثمان رضي الله عنه .

وإن قول عمر: إنا كنا نستسقي . . هو إخبار عن الواقع وليس بياناً لحكم ما، فالتوسل بالصالحين من الأحياء جائز، والتوسل بالصالحين من الأموات جائز، فعمر توسل التوسل الأول، ولم يمنع من الثاني، فعدم فعله لا يفيد عدم جواز فعله .

ثم إن التوسل والتبرك بآثار النبي ﷺ لم يختلف في جوازها في الحياة أو بعد الممات فإن البخاري روى أن أنساً حين حضرته الوفاة أوصى أن يجعل في حنوطه من السك الذي كان قد جمعه أم سليم من عرقه ﷺ فجعل في حنوطه .

يقول أستاذنا علي حمد الله: يعترض بعض الأفاضل على مضمون بعض آيات البردة ويقبلها أفاضل آخرون على أنها من التوسل الجائز كالتوسل بالصدقة الجارية ويعلم ينتفع به وبالولد الصالح بل بدعاء الصالحين عموماً وكتوسل المريض بالصدقة والمولود له بالعقيقة وكارتياح المواضع المباركة للدعاء فيها كالمساجد عموماً والثلاثة خصوصاً والله هو القائل لنوح عليه السلام ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْ لِي مَنَزَلاً مَبَارَكاً ﴾ وكترب المضطر لأيام مباركة وساعات حميدة تيمناً وتوسلاً بها لاستجابة الخالق، كل هذا صحيح مع أن المتوسل به فيها جميعاً هو المال والعلم والإطعام والمواضع والأزمان وكلها من متاع الحياة الدنيا، مباركة أو غير مباركة، وبكل ذلك توسل المؤمنون . . إذن أفلا يكون التوسل بشفاعاة النبي ﷺ

أولى منها جميعاً.. نعم أولى.. ولكن كان على البوصيري في ألفاظه أن يتخير ما هو أولى للمعنى لا للوزن أو غلبة العاطفة.. هذا مع إقرارنا التام أن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى وأنه هو المعطي والمانع، والنافع والضار، وأنه هو القائل في سورة النساء: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٢] (وبعض الغيب جزء من هذا العلم) وأنه عز وجل كرمه ومنحه ما لم يمنح غيره من الأنبياء ولا سيما الشفاعة. قلت: ... مع إقرارنا التام بكل ذلك.. نقر أن الدعاء الذي لا يجوز إلى غير الخالق يختلف تماماً عن التوسل وأن على المسلم الفطن أن يميز ما في الأبيات من دعاء ومن توسل. نقول (توسل) ولا نقول (توسط) لأن الوسيلة والتوسل سبب وتسبب وليست وسيطاً بين العبد وربّه ليضمن له ما يريد وهيئات هيئات ذاك الضمان عفا الله عنا وعن خاتنه الأحرف أحياناً والقلب سليم إن شاء الله<sup>(١)</sup>.

فإن كانت المسألة مما اختلف فيه العلماء فلا داعي إلى التشهير به لاعتماده على قول صحيح. هذا إذا أدركنا التوسل بين الجواز وعدم الجواز. أما ما نراه من نسبته إلى الشرك فهذا مما لا يجوز أن يُرمى به مسلم، وإن نادى بما نادى به النبي ﷺ أسامة بن زيد: «كيف بلا إله إلا الله؟!» وبما حذر منه النبي ﷺ حينما قال: «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما». ويمكن أن يخرج البيتان بأن يراد بهما يوم القيامة وقوله:

**ولن يضيق رسول الله جأحك بي إذا الكريم تجلّى باسم منتقم**  
قريئة واضحة على أنه أراد: ما لي من ألوذ به في الشفاعة لله في ذلك الموقف العظيم وهذا المعنى صحيح فإن الناس يومئذ يلجؤون إلى آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى فيحيلهم إلى النبي ﷺ فيقول «أنا لها أنا لها فيذهب ويسجد تحت العرش فينادى: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع» وهذا الذي أراده الناظم، وقد أصلحه بعض المعاصرين<sup>(٢)</sup> وطبع بهذا الإصلاح في الإمارات:

(١) البردة إعراباً ٢١٩ .

(٢) أبو الفضل بن الصديق، نقد البردة ٤٥ .

يا أكرم الخلق ما لي من يُشَفِّع في سواك عند حلول الحوادث العمم  
 ٤- يقول المنتقد: إن البوصيري أخطأ في قوله:

وقدمتك جميع الأنبياء بها والرسل تقديم مخدوم على خدم  
 فهذا خطأ لا شك فيه، لأن الأنبياء بعضهم مع بعض ليس فيهم خادم  
 ومخدوم، وليس تفضيل بعضهم يقتضي أن يكون المفضل خادماً للفاضل بل هم  
 سواء في النبوة، وفي حديث المعراج المتواتر ذكر النبي ﷺ أن يحيى وعيسى  
 ويوسف وموسى وهارون وغيرهم حين تلقوه حياه كل واحد منهم بقوله: «مرحباً  
 بالنبي الصالح والأخ الصالح» وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله  
 ﷺ: «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد» رواه أحمد وأبو داود وقد  
 أصلح بعض المعاصرين البيت بقوله:

وقدمتك جميع الأنبياء بها وكرموك لفضل فيك من قدم<sup>(١)</sup>  
 ٥- يقول المنتقد: إن البوصيري غالى وبالغ في المغالاة بقوله:

فإن من جودك الدنيا وضررتها ومن علومك علم اللوح والقلم  
 إذ في هذا مبالغة لا دليل عليها.

أجيب: بأننا متفقون على أن النبي ﷺ يعلم بتعليم الله له، لا بعلم ذاتي في  
 نفسه، وهذا مضمون قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣].  
 فهو يعلم علم اللوح والقلم بتعليم الله له، ويعلم الغيب بتعليم الله له، ويعلم  
 علم المستقبل بتعليم الله له.

فكل ما يثبت للنبي ﷺ من العلوم فهو مبني على تعليم الله له، وما نفي عنه  
 من العلوم فهو مبني على علمه لها بنفسه كما نفي في الحديث: «من حدثكم أن  
 محمداً يعلم ما في غد فقد كذب، ومن زعم أن محمداً يخبر عما في غد فقد  
 أعظم الفرية على الله».

أما عن علمه ما في اللوح المحفوظ فيستأنس له بما أخرجه أحمد والترمذي  
 عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ ذات غداة عند

(١) أبو الفضل بن الصديق، نقد البردة ٤٣ .



صلاة الصبح حتى كدنا نترأى عين الشمس فخرج سريعاً فثوب بالصلاة فصلى رسول الله ﷺ وتجاوز في صلاته فلما سلم دعا بصوته قال لنا: على مصافكم كما أنتم ثم انفتل إلينا ثم قال: أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة إني قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استثقلت فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة فقال: يا محمد قلت: لبيك رب قال: فيم يختصم الملائة الأعلى؟ قلت: لأدري قالها ثلاثاً قال: فرأيتك وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي فتجلى لي كل شيء وعرفت، وفي رواية: فعرفت ما في السموات والأرض، وفي رواية: فعلمت ما بين المشرق والمغرب، فقال: يا محمد قلت: لبيك رب قال: فيم يختصم الملائة الأعلى؟ قلت: في الكفارات قال: ما هن؟ قلت: مشي الأقدام إلى الحسنات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء حين الكريهات قال: فيم؟ قلت: إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة بالليل والناس نيام قال: سل قل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وإذا أردت فتنة قوم فتوفني إليك غير مفتون أسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقرب إلى حبك قال رسول الله ﷺ: «إنها حق فادرسوها ثم تعلموها» قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقد أصلح بعض المعاصرين هذا البيت بقوله:

فإن جودك في الدنيا وضرتها وفي كتابك علم اللوح والقلم<sup>(١)</sup>

فالنبي ﷺ أجود ولد آدم، وهو في الآخرة أجودهم أيضاً بما له من شفاعات في أمته، وكتابه القرآن فيه علوم الأولين والآخرين وهو معجزته الكبرى، وكيف لا وهو كتاب أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض وقال في حقه: ﴿مَا قَرَأْنَا فِي أَلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] ذلك أن المقصود هو أن الغلو في المدح مذموم لقوله تعالى ﴿لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] وأيضاً فإن

(١) أبو الفضل بن الصديق في كتابه رفع الإشكال ونقد البردة ٤٥ .

مادح النبي ﷺ بأمر لم يثبت عنه يكون كاذباً عليه في وعيد الحديث: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» .

وقد يجاب عن هذا بأن اللوح خاص بما كان وما سيكون من الأحداث والوقائع، فالنبي ﷺ عالم بهذا بتعليم الله له، ويعلم غير هذا كصفات الله تعالى . .

٦- يقول المنتقد: إن البوصيري حلف بغير الله وهذا مما لا يجوز، فإن كان معتقداً بعظمة المحلوف كفر فقد قال النبي ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك»، وذلك في قوله:

**أقسمت بالقمر المنشق إن له قلباً إذا نامت العينان لم ينم**  
أجيب: لقد دعاه إلى ذلك الوزن، أو أن المراد أقسمت برب القمر كما خُرج حديث: «أفلح وأبيه إن صدق»، أو أن المراد أقسمت بانشقاق القمر وهو من أفعال الله تعالى لكن أعوزه الوزن إلى ذلك اللفظ .

ومع كل هذه الانتقادات تبقى البردة ناراً على علم، وقمة في البلاغة والمعاني، وما شأن هذه المثالب إلا شأن الإنسان ولكي تتم بها معجزة القرآن بأنه الكتاب الوحيد السالم من كل خطأ والكامل عن كل نقص، شأنه في ذلك شأن قائله ومنزله سبحانه وتعالى . .

## ج - نبذة عن ابن عاشور<sup>(١)</sup>

### نسبه:

هو أبو عبد الله محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور .

وهو جد الشيخ ابن عاشور (محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ت ١٣٩٣ هـ) صاحب تفسير التحرير والتنوير .

### ولادته:

ولد ابن عاشور سنة ( ١٢٣٥هـ / ١٨١٥م ) .

### أسرته:

أصل سلفه من الأندلس ثم هاجروا إلى سلا بالمغرب الأقصى ثم انتقلوا إلى تونس وأول من استوطنها الصوفي محمد المولود بسلا .

وابن عاشور من بيت شهير بالعلم والشرف والصلاح ورثه الخلف عن السلف فولد هذا الفاضل في مهد ذلك الفخار فطلب العلم من شيوخ عصره الأعلام وأقبل عليه إقبال شغف وغرام فعظم محصوله وتوفرت لديه فروع العلم وأصوله واشتهر بالذكاء اشتهاً ذكاء وأصبح بحره متدفقاً لا تنزحه من مستفيده الركاء .

### نشأته:

توفي والده وتركه صغيراً فرباه أخوه الأكبر الشيخ محمد (حمدة) وقرأ بجامع الزيتونة .

### مشايخه:

أخذ عن أخيه الشيخ محمد المتوفى سنة ١٢٦٠ والشيخ محمد بن ملوكة ، والشيخ إبراهيم الرياح ومحمد بن الخوجة ومحمد معاوية ومحمد المختار وعاشور الساحلي ومحمد بيرم الثالث وغيرهم .

(١) شجرة النور الزكية رقم ١٥٦٥ ص ٣٩٢، تراجم المؤلفين التونسيين لمحمد محفوظ ٤/٣٠٠، عنوان الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب للشيخ محمد النيفر ١/١٢٢، إيضاح المكنون ٢/٥٢، الأعلام ٦/١٧٣، معجم المؤلفين ١٠١/١٠١ .

## أخلاقه:

كان شهماً، ذكياً، رفيع الأخلاق، عالي الهممة، حلو المحاضرة، طيب المعاشرة مع تلاميذه، بعيداً عن التصنع في الزي، وكان له نفس أبيّة، وفصاحة سحباية<sup>(١)</sup>، له اليد البيضاء في سائر العلوم، أحد أئمة هذه الأمة في العلوم العقلية والنقلية.

## المناصب التي وليها:

بعد تخرجه تصدر للتدريس بجامع الزيتونة، وفي سنة ١٢٦٢/١٨٤٦ سمي مدرساً من الطبقة الأولى بجامع الزيتونة، وكان له ختم بمدرسة عاشور يتسابق إليه العلماء لما يبدي فيه من تحقيق متاح. وأقرأ النحو والبلاغة والأصول والأدب فدرس شرح المحلي لجمع الجوامع للسبكي بين العشاءين وهو قاض تلبية لرغبة تلاميذه في إكمال الكتاب ولما ذاع صيته بعد زمن قليل رام المشير الأول أحمد يلشباي تقديمه لخطة القضاء قائلاً في مجلسه: هذه ثمرة غرسي نريد الانتفاع بها في حياتي؛ لأن تحصيله كان في أيام دولته واستشار فيه محمد بيرم الثالث فما عابه إلا بصغر السن فقال له: هل تعلم أعلم منه ممن تقدمه بالسن فأجابه بعدم العلم فولاه الباي قاضياً في ٢٥ رجب ١٢٦٧ / ٢ أيار ١٨٥١م، وله من العمر ٣٥ سنة، قال ابن أبي الضياف: وكان يومئذ في الفنون المعقولة أحسن منه في الفقه، وللرجل همّة حملته على الانقطاع إلى الدواوين الفقهية وعمر بها أوقاته، حتى تدارك في قليل من الزمان ما فاتته، وجارى مع فحول الفقهاء في مضمارهم ومعارك أنظارهم، ويحذو في الفقه حذو العلامة أبي الفداء إسماعيل التميمي من مشاركة الأصول بالفروع، لا يذكر فقهاً أو ترجيحاً إلا يدل عليه ويقول: لا يعجبني أن أقول هكذا قال الفقهاء، وما يمنعني أن أعلم الدليل كما علموه، وفي

(١) نسبة إلى سحبان بن زفر بن إياس الوائلي من باهلة ( . . . - ٤٥هـ / . . . - ٦٧٤م) خطيب يضرب به المثل في البيان يقال: أخطب من سحبان وأفصح من سحبان، اشتهر في الجاهلية وعاش زمناً في الإسلام وكان إذا خطب يسيل عرقاً ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ أسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع به وأقام في دمشق أيام معاوية وله شعر قليل وأخبار (الأعلام ٣/١٧٩).

دولة المشير محمد الصادق باي في سنة ١٢٧٧-١٨٦١ تقلد خطة الإفتاء ونقابة الأشراف والاحتساب على فواصل الأحباس في طرق البر العامة، وخطة الاحتساب هذه تشبه خطة مدير إدارة الأوقاف كالإشراف على الأوقاف في البلدان بواسطة النواب، كما هو الشأن بعد تأسيس إدارة الأوقاف وتنظيمها .

وعين عضواً في مجلس الباي الخاص والمجلس الأكبر للشورى (الحامي لحقوق المملكة، الدولة، السكان) قال ابن أبي الضياف: فلم يكن عند الظن في مصلحة البلاد والعباد، وربما أعان شرع الوحدة بالاستبداد لما رأى في ذلك من المصلحة والاجتهاد، وابن أبي الضياف عفيف القلم يلتمس المعاذير لمعاصريه ومعارفه وإلا فإن الإعانة على خرق القانون الدستوري وتأييد الحكم الاستبدادي المطلق ليس فيهما مراعاة المصلحة العامة .

#### تلاميذه:

من تلاميذه: الوزير محمد العزيز بو عتور، و الوزير يوسف جعيط، و شيخ الإسلام أحمد بن الخوجة، وسالم بو حاجب، ومحمد بن الخوجة شيخ الإسلام، ومحمد النجار، ومحمد بيرم الخامس وغيرهم .

#### نثره:

كان رحمه الله تعالى نائراً جميلاً النثر، فمن نثره ما خاطب به إخوانه حاثاً على طلب العلم وترك التكاسل ننقله برمته لفائدته ونصه:

«وهذا توقيع شريف، وظهر شامخ منيف، نبعت عدوبته من رسيس القريحة، وأسست أرومته على صميم النصيحة، أبرزناه مطيباً لملم بعد الاندمال كلمه، وكاد أن يتسع على الراقع خرقة وثلمه، عسى أن يكون وسيلة إلى السداد، وحسماً لمادة الفساد، أما بعد:

فلولا أن السلام من تحية الإسلام، لما كان لتحتي بساحتك مستقر ومقام، وحينئذ تسمع ما لا تجد لإنكاره من سبيل، تهدي بموجبه إن صادفك التوفيق بأوضح دليل، وليرتسم أولاً بخزانة خيالك، أني لم أركب فيما أقول مطية اعتساف، ولا جذت فيما سيقرع سمعك عن طريق إنصاف، مقدماً للعفو أمام الدليل، متجافياً عن شتم اللثام كما قيل:

إن الوفاء على الكرام فريضة  
وترى الكريم لمن يعاشر منصفاً  
واللؤم مقرون بذى الإخلاف  
وترى اللئيم بجانب الإنصاف  
وهاهو خطيب اليراع قد قام مفصلاً على منابر السطور، مترجماً عن ملك  
زمام النفس المتحجب بغرف الصدور، ضارباً بسيف البيان، هادراً بشقشقة بزل  
معد وقحطان، فلتكن له منك أذن واعية، ونفس لما يوجب تزكيتها ساعية،  
فأقول:

قد قرأنا يا أبا العرب في غير ما كتاب من كتب الآثار، متصلاً سنده بخيار  
خيار الخيار، ما رواه أبو رقية تميم بن أوس الداري أن النبي ﷺ قال: «الدين  
النصيحة» قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولأئمة المسلمين  
وعامتهم» ١. هـ. وقد قال علماء المسلمين: الدين نصح العامة وإرشادهم إلى ما  
يصلح دنياهم وأخراهم، وكف الأذى، وتعليمهم ما جهلوه، وستر عوراتهم،  
وأن يحب المرء لهم ما يحب لنفسه.. إلى غير ذلك مما لا يعزب عن علمك،  
وإن شئت الاطلاع على نزر منه فأعد نظراً في معاملتي لك فإنها على زعمي ولا  
أظن خلافه على وفق النصيحة، ومن لازمها: أن لا أحب لك أن تعاملني  
بسواها، وقد تكاثر من سوء فعالك ما ستر جميل خصالك، أما علمت أن ثمرة  
العقول الراجحة الأخلاق الصالحة، فمالي أراك نبذت تلك الصفة وراء ظهرك،  
مكذباً لحسن خبرك بقبح خبرك، تجازي الإحسان بالإساءة، وتجيب داعي  
المروءة بالإبادة، تسارع إلى ما يجب عن مثله القعود، وتتقاعد عما يريقك في  
درج الصعود، ترى أقرانك جاهدين فتسول لك نفسك أن الراحة أحق، فتميل  
إلى ما سهل أمره وتترك ما شق، أما قرع سمعك: أن الكد سلم المعاني، ومن  
لم يعان تيار البحر أيس من اللثالي، وقل لي - عافاك الله تعالى - ماذا تفعل  
إذا تجوهر تريك بعلمه، ونشر في المجالس حلية فهمه، واستقدح من قريحته  
زنداً ورياً، وأفاد من خزانة فكره أثاثاً ورياً، أتجد لنفسك من تلك الفضيحة  
ملاذاً؟ أم تقول: ياليتني مت قبل هذا؟ فشمّر أيها الإنسان عن ساعد الجد،  
واركب مطية الكد، ولا يهولنك معاناة النصب، فإن حلاوة الظفر تذهب بمرارة

التعب، ولا أرضى التواني عن فضيلة صرح بها الكتاب، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ والسلام» ١. هـ .

شعره:

لابن عاشور شعر جيد ينم عن قوة الشاعرية وهذا ما شهد به كل من ترجم

له .

فمن شعره يهني أخاه العلامة أبا عبد الله محمد بختم الأشموني على الألفية

في ١٩ رجب سنة ١٢٥٥هـ:

وشاعت له بين الأنام فضائل  
تقاعد عن إدراكهن المحاول  
بدوراً ضياهم للبرية شامل  
إذا عاقهم ليل من الجهل سادل  
فكل إلى سمت المفاخر نائل  
يروم العلى من كان فيها يحاول  
وبالجد تسبى الطيبات الحوامل  
فقامت له بالرحب تلك الشمائل  
إليه وجاءت بالكمال المحامل  
غدا وله نظم من المثل عاطل  
على حسنها قامت لدينا دلائل  
نعم هن بالمعنى المحرر حامل  
لها في قلوب العارفين منازل  
فتبدو له من خدرهن المسائل  
ويصفو لنا التوضيح منه المناهل  
لمنهجها تسري الوفود القوافل  
منّ جليل فضله متواصل:  
لآت بما لم تستطعه الأوائل

هو العلم ضاءت من سناه المحافل  
مزايا تجلت بالمحاسن والبها  
رقى لسماء القوم حتى غدوا بها  
مشارفهم تهدي السراة إلى المنى  
كرام رأوا في المجد أغرى تجارة  
ولا غرو أن سادوا البرايا فإنما  
ومن يخطب الحسنة نال وصالها  
كجد الذي لاحت منارة سعده  
إمام دعا ركب النجابة فانثنى  
هو البحر إلا أن لامع دره  
إذا قام للإقراء فاسمع جواهرأ  
لآلي عذارى صاغها عزم فكره  
معان تحاكي رقةً عاطرَ الصبا  
يصول بميدان البلاغة ذهنه  
وأنى نحا للنحو يسهل صعبه  
ويعرف بالتصريح حال مسالك  
يقول لسان الحال فيه محدثاً  
وإني وإن كنت الأخير زمانه

ومن هو بحر لم تحطه السواحل  
وكل الورى في فوزه اليوم قائل  
وساعدك الإقبال والسعد قابل  
ختام به تاج السعادة حافل  
ويدرُ الهنا في أفقنا اليوم نازل  
جزاء بإحسان وبشر يواصل  
وطالعك الأسمى منير وكامل

ومن شعره مادحاً الشيخ أبا عبد الله محمد بن سلامة في ختم الشفا سنة

١٢٦٢ أنشدها بمحضر الأمير أحمد باشا وقد ختمها بمدح الأمير المذكور:

تألق ما بين المنازل والحمى  
فهيج أشواق الفؤاد وتيما  
تعافي بها القلب الجريح من الظما  
شفيت به سمعي وإن كنت أعجما  
على البعد ما بين الترائب خيما  
فما نفع التذكار سمعاً مصمما  
أهيل ودادي عهد صدق محكما  
ما كل عهد بالوفاء متمما  
من المنبع الفياض أكرم منتمى  
له همة فوق السماء وإن سما  
وأوضح من معنى السيادة مبهما  
مآثره في غرة الدهر أنجما  
هو البدر إن ليل الجهالة أظلما  
وأحيا سبيلاً للهداية قيما  
مسالكه كان الرئيس المحكما

أمولاي من فاق الأنام بفضله  
ومن صيته قد شاع بين ذوي النهى  
تهنّ فهذا الدهر أنجز وعده  
وحان المنى لما دنا الختم بالرضا  
أقامت به الأفراح وارتحل العنا  
جزاك الذي أولاك أعظم منة  
ودمت بعزٍ للمؤمل ملجأ

كك الله من برق بدا متبسماً  
أضياء لطرفي بالعقيق معاهداً  
فدينك هل من ماء رامة رشفة  
وهل تحسن الإخبار عن عرب النقى  
هم خيموا بالرقمتين ووجدهم  
عذوليّ دعني والتصابي والنوى  
أُبرجى سلوي بعدما عاهدت يدي  
ومن شيمي حفظ العهود وصدقها  
مكارم أخلاق سقيت لبانها  
من الماجد الأسمى الإمام الذي علت  
جليل كسا ركن الجلالة مفخرأ  
هو الحبر والعلامة الفرد من غدت  
هو البحر لكن ساغ عذب زلاله  
إمام محا ليل الضلالة هديه  
إذا ثار نقع للخلاف وأشكلت



رأيت من الياقوت عقداً منظماً  
لقد أبدع النظام فيها وأحكما  
تخرس منطق الثناء وأفحما  
على فخره سعد السعود مترجماً  
وحازت به الخضراء مجدداً معظماً  
وأضحى به العرفان عضباً مقوماً  
وغنى به طير الفلاح ورتماً  
ولكن رأى ما قد رآه فأحجماً  
سرادق عزٍ ما أجلّ وأفخماً  
وإن عُدّت الأقيال كان المقدماً  
فشيد أركاناً وأوضح معلماً  
وجيَّش في قهر العداة عرمرماً  
تعرى به يوم الوقية ضيغماً  
لو انبسطت لم تبق في الأرض مجرماً  
لهيبته إلا مطيعاً مسلماً  
حري بأن يحمى حماه ويعظماً  
ملأت به الآفاق بشرى وأنعماً  
ودهر زها من نشره وتبسماً  
تسر الليالي منة وتكرماً  
ولاغرو أن كانت أعز وأعظماً  
وحسبك أن والي علاك مُيِّمماً

وإن حمت يوماً نحو ساحل درسه  
جواهر تبدو كالزواهر في الدجى  
وكم من مزايا دون معشار عدها  
ولا سيما هذا الختام الذي غدا  
ختام به كان الشفاء من الهوى  
محا غيهب الأفكار طالع نوره  
تباشرت الأرجاء منه وأشرق  
وكم رام قطب الجو تهنة له  
رأى طلعة الباشا المشير تحفها  
مليك يقاد النصر طوعاً لعزمه  
تصدى لحفظ الدين بالحزم والنهى  
وأحيا رسوم العلم بعد اندراسها  
لكل كمي جوهر الروح سيفه  
فأرهب أعداء الإله بصولة  
سرى صيته في الخافقين فلن ترى  
ومن كان في نصر الشريعة حزمه  
تهنى ملاذ العصر بالمفخر الذي  
يهنى به الإسلام والعلم والهدى  
وما هذه أولى أيادٍ منححتها  
أيادٍ يغار الغيث من لفحاتها  
كفى بك ذخراً للمريد وملجأً

#### معيشته:

كانت له أملاك ورثها من أسرته، ومن وظائفه، فعاش عيشة سيد، وهذا الثراء أعانه على إشباع نهمه من الكتب العلمية النادرة الوجود، فعندما كان يدرس

المطول في البلاغة استجلب كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني واستنسخه من بعض مكتبات إستانبول بواسطة بعض التجار لأن الكتاب غير موجود بتونس، فكان لدرسه رنة عظيمة في المحافل العلمية.

وقسم حياته بين المنزل العائلي بمدينة تونس والمصيف بسيدي أبي سعيد وبالخصوص بضيعة أريانة (على بضعة كيلو مترات من تونس)، وكان يملك بأريانة زيادةً على مسكنه عدة بساتين وديار وطاحونة القرية، وله على القرويين سلطة أبوية وهم يتمتعون بحمايته، وهو الذي حبس على المجتمع القروي بأريانة بئر بلحسن التي كانت بأملكه، وفي منزله المؤثث جيداً يستقبل فيه الطبقة العليا من المجتمع التونسي في ذلك العصر، وكان فارساً ماهراً يقوم بجولات الصيد في الغابة. وهذه الحياة الغريبة في حياة الوجهاء والقواد والحكام وحياة بعض العائلات الكبرى لعلماء الحنفية أثارت غضب الأوساط المالكية وكونت كثيراً من الأعداء.

كانت حالته في عيشه تضاد تماماً حالة شقيقه الأكبر الشيخ محمد (حمدة) الذي كان مائلاً إلى التقشف مع الرغبة في تعليم العلم ورفض الخطط الرسمية الشرعية، ومثل هذا يتطابق مع الصورة التقليدية للعالم المالكي، وتسميته قاضياً مالكياً تولد عنها حسد وأحقاد في وسط العلماء، لأن القاضي الشاب لا يستطيع التضحية من أجل المتطلبات الاجتماعية للخطة ولم يبذل أي مجهود ليظهر مسناً ومثل هذه الهيئة يناسبها ركوب البغلة، ولكن المترجم تحصل من الباي على حق ركوب جواد.

#### مؤلفاته:

- تعليقات على ما أقرأه من صحيح مسلم.
- حاشية على شرح المحلي لجمع الجوامع.
- حاشية على شرح ابن سعيد الحجري على الأشموني جمعها من خطه تلميذه شيخ الإسلام أحمد كريم.
- حاشية على شرح العصام لرسالة البيان.

- حاشية على قطر الندى لابن هشام تسمى هدية الأريب إلى أصدق حبيب (ط).

- شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح، وهو كتابنا هذا.  
- الغيث الأفريقي وهو تقايد على حاشية عبد الحكيم السالكوتي على المطول في البلاغة. لم تتم .

- تقارير على حاشية الصبان على الأشموني. لم تتم .  
- كنش في الفقه مخطوط بمكتبة سمية وحفيده<sup>(١)</sup>.

#### وفاته:

ما زال في مكانته السامية وحظوته النامية إلى أن توفي في يوم الإثنين ٢١ من ذي الحجة ١٢٨٤هـ / ١٣ نيسان ١٨٦٨هـ، وحضر جنازته الباي و جمهور غفير ودفن في تربة عائلته قرب سيدي علي الزواوي رفيق جده.

(١) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد بن مخلوف، ص ٣٩٢ رقم ١٥٦٥  
تراجم المؤلفين التونسيين لمحمد محفوظ، ٤ / ٣٠٠ رقم ٣٣٨ . عنوان الأريب عما نشأ  
بالمملكة التونسية من عالم أديب للشيخ محمد النيفر ١ / ١٢٢ .

## ٥ - شفاء القلب الجريح

نسبة الكتاب لابن عاشور:

اتفق كل من ترجم لابن عاشور نسبة هذا الشرح إليه، لكن هل هو مختصر شرح ابن مرزوق على البردة، حيث ذكر النيفر: واختصر شرح شيخ الإسلام ابن مرزوق على البردة، ولما عدد مؤلفاته لم يذكر إلا شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح، وقد قال ابن عاشور: فعمدت إلى اختصار ما يليق بالنظم من معانيه (شرح ابن مرزوق) والاختصار على ما هو أنسب للتخریجات بمبانيه. . . وفي هذا الشرح كثرة النقول عن شرح ابن مرزوق وكثرة الاعتراضات عليه فلعله سماه مختصراً من هذه الجهة فحسب، والدليل على أنه ليس له شرح أو اختصار على البردة إلا شفاء القلب أن كل من ترجم له لم يذكر من ذلك شيئاً إلا النيفر الذي أعقب ذكره بتسمية شفاء القلب فلعله قصده.

### أهمية الكتاب

تظهر أهمية الكتاب من خلال أمور:

الأول: أن المؤلف لم يكن له كتاب مطبوع-فيما أعلم- ينبئ عن شخصيته أدبياً وشارحاً وناقداً. إلا هذا الكتاب، فكان ضرورياً في الإنباء عن شخصيته العلمية، إذ أدق مترجم لشخصية الإنسان علمه وفكره.

الثاني: أن المؤلف نقل عن مصادر كثيرة لا نكاد نجد منها شيئاً أو هي نادرة على الأقل، أو ما تزال مخطوطة. . كشرح ابن مرزوق، والشامل لابن عرفة. . . إلى غير ذلك من النقول المهمة عن تلك الكنوز المفقودة أو النادرة.

الثالث: أن الكتاب ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخمل فهو كاف في موضوعه، فقد شرح المفردات، وأوضح المعنى، وذكر الدليل، وأفاض بالشواهد، وهذا غاية ما يطلبه المكتفي سوى ما يرجوه المسهب.

## منهج الكتاب

أجمل ما في منهج الكتاب أنه مُتَّبَع في جل الشرح إن لم أقل في كله، وهذا ما يقربه من مناهجنا العلمية الحديثة:

١- يبدأ بذكر المناسبة التي تربط بين الأبيات ليظهر التناسق والتناغم بين الأبيات.

٢- ثم يذكر معاني المفردات التي وردت في البيت الشعري وغالباً ما يبين معناها اللغوي ثم استعمالها المجازي ثم يبين إعرابها، وقد يبين المعنى البلاغي البارز.

٣- يذكر معنى البيت العام.

٤- يورد الأقوال الأخرى في معنى البيت ويحاول الاستدلال لقوله، والرد على المعارض، و يذكر الاحتمالات الأخرى لمعنى البيت.

٥- يشرح المسألة اللغوية أو البلاغية أو النحوية أو الشرعية التي يوحى بها البيت ويحاول بيانها بما أوتي من فصاحة الكلام واتقاد الذهن بالرغم من الاختصار الملحوظ.

٦- يذكر الدليل الشرعي على مضمون البيت، ويحاول الاستدلال له بآيات من القرآن أو أحاديث من السنة أو أقوال العلماء.

٧- يختم الشرح بذكر الشواهد التي قد استقى منها الناظم فكرة البيت أو أسلوبه، أو الشواهد التي استقت من البيت فكرته وأسلوبه، أو الشواهد التي قاربت معنى البيت أو أسلوبه.

٨- قد يستطرد أحياناً بذكر قضايا يريد منها الإفاضة أو التبرك كما في ذكره النسب الشريف، وغزوات النبي ﷺ.

## مميزات الكتاب

- يمتاز الشرح بميزات تجعله في مصافّ الشروح المتميزة للبردة ومن أهم تلك الميزات:
- ١- اشتماله على فنون من اللغة والصرف والنحو والإعراب والبلاغة والأدب هذا كله مع أسلوب عالٍ في الاستدلال والبيان.
  - ٢- مع أنه يصدق عليه أنه شرح مختصر، لكنه وافٍ كافٍ في بابه ينبئ عن قدرة صاحبه في اللغة وتمكنه في العلم.
  - ٣- بما أن البردة تذكر وقائع السيرة وحوادث التاريخ كان لا بد من دليل على هذه الوقائع وهذا ما أخذه على عاتقه فقد أتى بالأدلة على الوقائع والحوادث ونسبها إلى أصحابها وخرجها من كتبها حتى يطمئن القارئ إلى صحة ما ورد في البردة وصدق ما فيها.
  - ٤- استطراده، وإطالة نفسه في بعض المسائل اللغوية والبلاغية والنحوية.. . أبان عن شخصية علمية فذة، وفكر نافذ.
  - ٥- اختياره للشواهد وانتقاؤه للشوارد وبيان المنبع والساقية، مما دل على بصر ناقد، وعلم واسع.

## المآخذ على الكتاب

لا يكاد يخلو كتاب من مآخذ تؤخذ عليه، سوى كتاب الله تعالى، ولكن المآخذ والملاحظات لا تنقص من قدر الكتاب ولا تقلل من أهميته، بل ينظر إليها العاقل بنظرة الشاعر الذي يقول:

فمن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه  
 وشرح شفاء القلب كتاب جليل لا توهن قيمته بعض المآخذ التي أراها في  
 هذا الكتاب وهي:

- ١- مع أننا ذكرنا أن من ميزات الكتاب اختصاره، نذكر هنا أن هذا الاختصار أوقعه في إغفال شرح بعض الكلمات، أو الدلالات النحوية، أو البلاغية، أو الصرفية، وهذا مما يعذر فيه لاختصاره.

- ٢- إغفاله نسبة كثير من الشواهد الشعرية إلى أصحابها، حيث يوقع القارئ في جهل قائلها.
- ٣- انتقاداته الكثيرة لشيخ الإسلام ابن مرزوق، مما يخرج عن الاختصار الذي اعتمده في كتابه.
- ٤- استدلاله بأحاديث موضوعة أو ضعيفة، وقد بينت تلك الأحاديث في الحواشي إما بذكر أقوال العلماء المحدثين فيها، أو بالتصريح بأنني لم أجد الحديث فيما بين يدي من مراجع السنة ومصادر الحديث النبوي الشريف.
- ٥- يلاحظ القارئ الفرق بين شرح الأبيات في أول الكتاب وشرحها في آخره إذ أصبح يجمل بلا تفصيل، ويختصر اختصاراً مخللاً في بعضها مع أن القارئ بحاجة كبيرة إلى الإيضاح.
- ٦- بما أن ابن عاشور من علماء الصوفية وقد ظهر ذلك في كتابه واضحاً من خلال ذكر بعض مصطلحاتهم وقضاياهم فكان واجباً عليه إيضاحها بجلاء والاستدلال عليها بوضوح.
- ٧- ناظم البردة إنسان، يصيب ويخطئ، يحسن ويسيء، والبردة كلام بشر وليست منزهة ومعصومة، فكان لا بد من ذكر الانتقادات عليها إما بغرض الدفاع عنها، أو تصحيح ما فيها، وكان ابن عاشور يذكر ذلك لكن لم يشملها كلها، مثال ذلك أنه لم يقل شيئاً عن قوله: ومن علومك علم اللوح والقلم.

## هـ - عملي في إخراج هذا الشرح

وقع في يدي نسخة من كتاب شفاء القلب وهي للأخ الصديق الأخضر العبيدي التونسي فأعجبت بأسلوب الشارح واختصاره وشواهد فاستأذنت الصديق أن أقوم بإخراج هذا الكتاب بطباعة عصرية جديدة مع إجراء بعض التخريجات والتعليقات فأبدى إعجابه وتشجيعه جزاه الله خيراً.

وكانت تلك النسخة مطبوعة طباعة قديمة، تتألف من ١٦٤ صفحة، وفي آخر الكتاب قال طه بن محمود قطرية الدمياطي: «عني بطبعه بالمطبعة الوهبية، الفاضل الأمثل ذو السعي المشكور، نجل حضرة المؤلف المذكور، وقد بذلت في تصحيحه الوسع بما ليس عليه مزيد، وكانت عمدتي فيه نسختين بعث بهما إلينا هذا النجل الرشيد... مشاركاً لحضرة أنيسي، الشيخ محمد البليسي، وكمل طبعه لخمس بقين من جمادى الأولى سنة ١٢٩٦ هجرية» وورد في كتاب البردة ومعارضاتها أن شفاء القلب «طبع بمصر سنة ١٢٩٦ هـ [وهذه هي النسخة التي اعتمدنا عليها]، وطبع بمطبعة النهضة بتونس سنة ١٣٥١ هـ». فقمْتُ بما يلي:

- ١- قدمت له بتمهيد يضم ترجمة الشاعر والشارح، وتعريف القصيدة والشرح.
- ٢- قمت بما أستطيع من إخراج نص الكتاب على الشكل الأقرب إلى نسخة المؤلف وذلك بالاجتهاد ضمن نص الكتاب.
- ٣- خرّجت الآيات القرآنية في المتن واضعاً إياها بين معقوفين ليتبين أنها ليست من وضع الشارح، فإن كانت ثمة حاجة في ذكر الآية كاملة ذكرتها في الحاشية.
- ٤- خرجت الأحاديث النبوية الشريفة من أمهات كتب السنة المشرفة، فإن لم أجد الحديث فيها صرحت في الحاشية بعدم العثور عليه.



٥- خرجت الأبيات الشعرية، بنسبتها إلى أصحابها، وبتخريجها من دواينهم أو كتب الأدب المختلفة وهي تنوف على ٦٠٠ بيت ما بين شعر ورجز.

٦- ترجمت للأعلام الذين جاء ذكرهم في متن الكتاب أو أشير إليهم، من صحابة، أو تابعين، أو فقهاء، أو علماء، أو شعراء... وهم ينوفون على ٣٤٠ علماً.

٧- حاولت رصد المسائل النحوية أو الأدبية وذكر مراجع المسألة لمن أراد الاستفاضة فيها.

٨- أرجعت النصوص المنقولة إلى مصادرها مبيناً الجزء والصفحة.

٩- إذا ذكر مصطلح لغوي أو بلاغي أو نحوي وكانت الحاجة ماسة إلى بيانه، أوضحته باختصار.

١٠- شرحت الغريب من الكلمات بالرجوع إلى المعاجم المعتمدة ونقل ما قالوه عن هذه الكلمة.

١١- نهبت على ما وقع في الشرح من خطأ أو سهو.

هذا وليعذرني القارئ الكريم في عدم ارتسام المنهج العلمي الحديث في التعليق من خلال الإطالة والإفاضة فيها وأعتذر لنفسي بأن هذا الكتاب جمع بين فنون مختلفة وعلوم شتى، كالسيرة والفقه والحديث واللغة والعقيدة وأصول الفقه فكان لا بد من بيان هذه المسائل ليتم للكتاب ميزته تلك، ثم إن متعلم العربية المطلع على هذا الكتاب لن يأخذ نفسه بالرجوع إلى مصادر هذه العلوم ليتوسع في المسألة فأردت أن أكفيه هم الرجوع فأضع بين يديه حاشية تكفيه في هذه المسألة، وربما عدت إلى مرجع معاصر لتكون لغته أوضح وأسهل.

وإني أهيب بالقارئ الكريم أن يعينني في تدارك ما يمكن تداركه من إكمال نقص أو تصحيح سهو واضعين نصب أعيننا منهج الفلاح الذي قرره القرآن ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣] ورحم الله من أهدى إلي عيوبي.

وأسأل الله عز وجل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله مني  
على علاقته، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، وصلى الله على سيدنا  
محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

محمد عواد العواد

منبج في ٢٢/٥/٢٠٠٥م

## شفاء القلب<sup>(١)</sup> الجريح

بشرح برقة المديح

تأليف الإمام الهمام<sup>(٢)</sup>

من بلغ من الحرفاء أعلى مقام

من فاق ببراعته الأصغر والأكابر

المحقق، العلامة الشيخ

محمد بن محمد بن عاشور الطاهر

نفع الله به آمين

(١) قال ابن منظور (لسان العرب ١/٦٨٧): القلب: مضغة من الفؤاد، معلقة بالنياط، ويعبر بالقلب عن العقل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي عقل، وكان القلب أخص من الفؤاد في الاستعمال، وقال بعضهم: سمي القلب لتقلبه. هـ قال الشاعر:

وما سمي الإنسان إلا لأنسه ولا القلب إلا أنه يتقلب

(٢) الهمام: الملك العظيم الهمة، وقيل: السيد الشجاع السخي، ولا يكون ذلك في النساء (لسان العرب ١٢/٦٢١).



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هلم<sup>(١)</sup> أيها اللامع العرفاني، وخيم بقذفات تفكري أيها الساطع الإيقاني،  
 واثتيا<sup>(٢)</sup> طوعاً بأمر من حولنا جزيل الإحسان، فلقد آن لقدح الهداية أن يتعلّى<sup>(٣)</sup>،  
 وحن لغيب الضلالة أن يتجلّى، وتبلج لي من ليل المخاوف صباح الأمان.

أما إني قد تمسكت من العروة الصمدية بالحبل المتين، وسكنت من  
 الحصون القيومية بالشامخ الركين، واستمطرت فيض نوال الرحمن، فيا من  
 فصحت شوارق آلائه، فأخرست شقاشق<sup>(٤)</sup> الشاكرين، وتعاضمت بوارق نعمائه،  
 فضوّلت لها مصاقع<sup>(٥)</sup> الخطباء والمرسلين<sup>(٦)</sup>، وكبا بهم في ميدان محامده جواد

(١) هلم: تعال، قال ابن منظور: ١٥١١/١ هلم: مركبة من ها التنيه، ومن لم، أي ضم نفسك  
 إلينا، واستعملت استعمال البسيطة، يستوي فيه الواحد والجمع والتذكير والتأنيث عند  
 الحجازيين [وبها نزل القرآن الكريم ﴿هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٠]، وتميم تجربها مجرى  
 ردة، وأهل نجد يصرفونها فيقولون: هلموا وهلموا وهلمي وهلممن .

(٢) واثتيا: خطاب للواحد بلفظ خطاب الاثنين، وذلك على نية تثنية الفعل، فكأنه قال: اثت  
 اثت، وبهذا فسر قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي ألق ألق، وبه شرح قول  
 امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

أي قف قف. وقد يراد خطاب الاثنين في الجميع فابن عاشور ينادي العرفاني والإيقاني بأن يأتيا  
 طوعاً، والله ينادي اثنين من الملائكة، وأمرؤ القيس يأمر صاحبيه بالوقوف للبكاء. والله أعلم.

(٣) يتعلّى: أي يكون له الفوز والعلو على ضده وهو قدح غيب الضلالة، وهو تشبيه منه  
 بالعراك بين الهداية والضلالة بما يكون بين أقذاح الأزام في الاستقسام .

(٤) شقاشق: أصل الشقشقة لهاة البعير، ولا تكون إلا للعربي من الإبل، وسمي الخطباء  
 شقاشق، شبهوا المكثار بالبعير الكثير الهدر، وفي حديث علي: «أن كثيراً من الخطب من  
 شقاشق الشيطان»، فشبّه الذي يتفهبق في كلامه، ويسرده سرداً، لا يبالي ما قال من صدق أو  
 كذب، بالشيطان وإسقاطه ربه . (لسان العرب ١٠/١٨٥).

(٥) مصاقع: أي ألسنتهم الحداد، ويقال خطيب مصقع أي بليغ، وهو من الصقع أي رفع  
 الصوت ومتابعته ومفعل من أبنية المبالغة (لسان العرب ٨/٢٠٣) ويشك فضيلة أستاذنا محمد  
 علي حمد الله بأن وزن مفعل ومفعول المعدودين من أوزان المبالغة هما في الأصل من أوزان  
 الآلة يستعملان مع الإنسان للدلالة على المبالغة عندما يقارب الآلة في مثل ذلك التكرار.

(٦) المرسلين: أي أصحاب الرسائل الموصوفين بالبلاغة والفصاحة .

اللسان، كفى دليلاً على عجزنا قول نجيك في حضرة قدسك: «سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»<sup>(١)</sup> وكيف تحصي ثناءك فصاحة وبيان .

صلّى على أبيه درة كللت بها للأمة هامة، وأبهر مرسل اخترته من لباب تهامة<sup>(٢)</sup>، سيد الأنبياء، ومفخر بني عدنان، وعلى آله وأصحابه، وعترته الطاهرة وأحزابه، ومن اقتفى أثرهم بإحسان؛ ما لمعت بروق صوادق، وهمعت<sup>(٣)</sup> سحائب غوادق، وطلع تحت غداف الليل الأعزل والرامح<sup>(٤)</sup>، وفاز بتقديسك الطائر والسابح، وتشرف بخدمة مدائحه يراع وبنان .

هذا وإن العبيد القاصر محمد بن محمد بن عاشور الطاهر - طهر الله أعماله وأصلح بمنه أحواله- يقول:

قد تراكم عليّ من حوادث الدهر ما ذهب بالقوى، وعراني من السقم ما أورثني شديد الجوى، أبيت سمير عبرات وأرق، وأصبح رهين زفرات وقلق، أشتكي من اليوم، فإذا انقضى حننت إليه، أبكي تارة منه وآونةً عليه، ولم يزل الأمر سالكاً سبيله، لم أَلَفْ لمدافعتة علاجاً ولا حيلة، إلى أن وقع في روعي أن

(١) أخرج الإمام مسلم (كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم ٧٥١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفرائس فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه، وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: «اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

(٢) تهامة: هي الأراضي التي تسائر البحر، وسميت تهامة لشدة حرها وركود ريحها، وهو من التهم، وهو شدة الحر وركود الرياح يقال: تهم الحر إذا اشتد وقيل: سميت بذلك لتغير هوائها يقال: تهم الدهن إذا تغير ريحه (معجم البلدان ٦٣/٢).

(٣) همع: سال، وهمعت عينه إذا سالت دموعها وتهمع الرجل: بكى (اللسان ٣٧٦/٨).

(٤) غداف الليل: شدة سواده يقال: أغدف الليل ستوره إذا أرسل ستور ظلمه (اللسان ٢٦٢/٩). الأعزل: كوكب على المجرة سمي بذلك لعزله مما تشكل به السماك الرامح من شكل الرمح وقيل: لأنه لا شيء بين يديه من الكواكب كالأعزل الذي لا سلاح معه وقيل: لأنه إذا طلع لا يكون في أيامه ريح ولا حر (اللسان ٤٤٢/١١). الرامح: ثاني السماكين وسمي بذلك لأن قدامه كوكباً كأنه له رمح (اللسان ٤٥٣/٢).

أعالج دائي بالترياق المجرب الصحيح؛ ملازمة القصيدة المباركة الموسومة ببردة المديح، فصرفتُ الهمة نحو ممارستها، ونذرت شرحها إذا سلمت عند مدارستها، فكأن لم يكن ذاك الداء إلا خيال طيف، وانجلي - والحمد لله - انجلاء سحابة صيف:

وما سكنتُ والهَمُّ يوماً بموضع      كذلك لم يسكن مع النعم الغم<sup>(١)</sup>  
وكيف لا؟! وإنما لمن علائق ممدوحها عليه الصلاة والسلام، وهو الملجأ الذي لا يخيب فازع إلى بابه ولا يضام، كفى حصناً للمستجير أعتابه، وحسبه ذاك الجناب الذي ما أخفقت طلابه، ولله در منشيء القصيدة إذ يقول:

ما سامني الدهر ضيماً واستجرت به      إلا ونلت جواراً منه لم يضم  
وحين تداركت بركاتها مني الذماء<sup>(٢)</sup> الباقي، بعد ما تبين عجز المطبب والراقي، وفزت منها بنيل الأمان، ونجوت بالفريسة من فم الثعبان، وقرت لي عين طالما أرحت أرواقها، وقلّبت نحو مطلع صبح الفجر أحداقها، وجب عليّ أن أتمم ما نذرته من التدريس والشرح، فطرحت عليل الفكر ليزخرف فيما لشراحها من رياض وسرح، فإذا هم لأزهار معانيها يلتقطون، وفي بساتين أفنانها يسرحون، ولاجتناء ثمراتها من كل حدب ينسلون، مختلفة مسالكهم و﴿كُلُّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]، وكان الجامع لما في تلك الكتب من الشتات، الآتي بما لم يسبق إليه سابق ولا آت، الشرح المنسوب لخاتمة المحققين، وفريدة عقد العلماء الراسخين، البالغ النهاية في نوعي المعقول والمنقول، ومحرز الغاية في علمي الفروع والأصول، من إذا ذكرت المراتب فمرتبه تسمو وتفوق، ألا وهو المتقن شيخ الإسلام ابن مرزوق<sup>(٣)</sup>، لازال غيث

(١) البيت لابن الفارض في ديوانه ص ٧٧ طبعة دار الكتاب النفيس.

(٢) الذماء: بقية النفس وقيل: قوة القلب يقال: قد ذمي المذبوح يذمي ذماء إذا تحرك (اللسان ٢٨٩/١٤).

(٣) ابن مرزوق: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن محمد المعروف بابن مرزوق الحفيد التلمساني ولد سنة ٧٦٦هـ ارتحل إلى تونس ثم إلى فاس ثم إلى مصر وتوفي بتلمسان سنة ٨٤٢هـ. وكان عالماً حجة حافظاً متقناً، له في كل فن نصيب وافر. (تاريخ الأدب العربي د. عمر فروخ ٦/٦٣٤).

الرحمة على جدته هامياً، وصيَّب الرضوان على روحه رائحاً وغادياً، فلقد منح القصيدة من فائق فصاحته نظماً جوهرياً، وأودعها من رائق لطائفه رَوْحاً عنبرياً، وطوّق جيدها بقلادة من بلاغته، وكَلَّل هامتها بتاج من خالص صياغته، فأصبح مكتوبه محط الرحال، وغاية مطمح الآمال.

هذا وإنه - لفرط تبحره - كثيراً ما يخرج عن الغرض بشرح المسائل البلاغية، وبسط القول في بيان الخلافات النحوية، ومثل هذا - وإن شاع وذاع - مما تأباه جودة الطبع، فإن العلوم الآلية إنما تراعى في مثل هذا المقام من حيث رد الكلام إليها، لا من حيث شرح خلافاتها والاستدلال عليها، فعمدت إلى اختصار ما يليق بالنظم من معانيه، والاقتصار على ما هو أنسب التخريجات بمبانيه، راكباً- إن شاء الله- مطية الصواب، تاركاً لما هو بين من أوجه الإعراب، كما لم أذكر فيه من البيان والبديع إلا ما به اهتمام. وبالجملة لم أخرج بهذا الشرح عن مطابقة الكلام لمقتضى المقام.

وبينما الذهن يسرح في تلك الرياض، ويكرع من عذب هاتيك الحياض، تارة في مسالك معارف يفتنيتها، وآونة بين زهرات آداب يجتنيها، إذ جرى عليه القضاء، بتقليد خطة القضاء<sup>(١)</sup>، فصرفت الهمة عن ذلك الطريق، وودعت ما اجتنيته ورسمته توديع الصب الشفيق، وقابلت ما نزل بالرضا والتسليم، وفوضت أمري للعزير الحكيم، وعانيت من النوازل ما نحل مني الظاهر والباطن، وكاد أن يحرك من الجزع ما هو ساكن، لولا أن تداركتني الألفاف الخفية؛ بطلّ الدولة الصادقية، حين استوى على سرير المملكة طودها الشامخ السامي، وملكها العادل الحامي، ظل الله الشامل لعباده، وغيثه الهاطل على أرضه وبلاده، الجامع بين كمال أبيه<sup>(٢)</sup> وجدّه<sup>(٣)</sup>، وما أبرزه من المكارم حازمُ جدّه، العَلَمُ الشهير،

(١) كلف ابن عاشور بقضاء تونس عام ١٢٦٧ هـ.

(٢) والده: حسين بن محمود بن محمد الرشيد: أمير تونس ولد فيها وتخلّى له أبوه عن أمورها فحسنت سيرته ولما توفي والده استقل بالأمر سنة ١٢٣٩ كان محباً للخير وفيه حزم وشجاعة وعلم ولد سنة ١١٩٢ هـ توفي سنة ١٢٥١ هـ (الأعلام ٢/٢٥٩).

(٣) جدّه: محمود بن محمد الرشيد بن حسين أبو الثناء أمير تونس ولد فيها ووليها سنة ١٢٣٠ هـ=



مولانا المشير، محمد الصادق باشا<sup>(١)</sup>، لازالت أيامه باسمه الثغور، مواقعاً للعز والنصر والسرور، فحفني بجميل رعايته، وأدخلني حرم حمايته، ووضع عني أعباء تلك الولاية، ولحظ حظي بعين الرأفة والعناية، فراجعت ما كنت ودعته، وأخذت في إكمال ما كنت نذرته، وصادفتني الإعانة الصمدية على إتمامه، واتصل المبدأ منه بختامه، وإذا هبت عليه من الفيض الإلهي نسيمات القبول، ونجح اعتلاقه بأكرم مجتبي وأفضل رسول، لم تعدم من مطالعته ما يشنف السمع، ويهذب بنكاته وآدابه الطبع، وسميته:

شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح.

والله المسؤول أن يجعله وسيلة نافعة، وعدة لغياب الأهوال دافعة، وأن يكون لي ذمة من خير الأنام، عليه أزكى الصلاة وأتم السلام.

= بعد مقتل ابن عمه وحسنت سيرته، له الإمام بالأدب والشعر ابتلي بمرض ففوض الأمر لابنه، ولد سنة ١١٧٠هـ وتوفي سنة ١٢٣٩هـ. (الأعلام ٧/١٨٤).

(١) محمد الصادق باشا: محمد بن حسين بن محمود: باي تونس تولى سنة ١٢٧٦هـ وفي أيامه حلت بتونس كارثة الحماية الفرنسية، ولد سنة ١٢٢٩هـ توفي سنة ١٢٩٩هـ بتونس (الأعلام ٦/١٠٤).



## مقدمة

### تتشمّل على ثلاثة مباحث

### المبحث الأول

### في الشعر وفضيلته

قال ابن رشيّق القيرواني<sup>(١)</sup> في العمدة: " كان كلام العرب كله منثوراً، فاحتاجت إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعرافها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأنجاد، وسمحاتها الأجواد، لتتهز أنفسها إلى الكرم، وتدل أبناءها على حسن الشيم، فتوهموا أعرابهم جعلوها موازين للكلام، فلما تم وزنه سموه شعراً لأنهم قد شعروا به أي فطنوا" اهـ<sup>(٢)</sup>.

وأول من تكلم به - على ما في الطليعة الثانية من مقدمة تاريخ الخميس<sup>(٣)</sup> - : يعرب بن قحطان<sup>(٤)</sup> أبو اليمن.

وذلك أنه لما وصلت له الميراثية التي رثى بها آدم - عليه السلام - ابنه هابيل

(١) ابن رشيّق (٣٩٠-٤٦٣هـ) الحسن بن رشيّق القيرواني أبو علي أديب نقاد باحث كان أبوه من موالى الأزدي ولد في المسيلة بالمغرب وتعلم الصياغة ثم مال إلى الأدب وقال الشعر فرحل إلى القيروان سنة ٤٠٦هـ ومدح ملكها واشتهر فيها وحدثت فتنة فانتقل إلى جزيرة صقلية وأقام بمازر - إحدى مدنها - إلى أن توفي، من كتبه: العمدة في صناعة الشعر ونقده، وتاريخ القيروان . (الأعلام ١٩١/٢).

(٢) العمدة ٧٤/١ .

(٣) تاريخ الخميس ٦٢/١ .

(٤) يعرب بن قحطان: أحد ملوك العرب في جاهليتهم الأولى يوصف بأنه من خطبائهم وحكمائهم وشجعانهم وهو أبو قبائل اليمن كلها وبنوه العرب العاربة، قالوا: ولي إمارة صنعاء وغزا الآشوريين في العراق وبابل وغنم منها وحارب العمالقة، يقال هو أول من دعا العرب إلى الاحتفاظ بأساليب لغتهم مع أبيه وقال وهب بن منبه: هو أول من قال الشعر ووزنه (الأعلام ١٩٢/٨).

حين قتله أخوه قابيل؛ للسبب المبين في آية المائدة<sup>(١)</sup>، وكانت كلمات سريانية، علمها لابنه شيث، وأمره بحفظها لتتوارث عنه، فيرق الناس له، عربها ونظمها شعراً، وهو أول من تكلم بالعربية - كما حكاها في القاموس ممرضاً له-<sup>(٢)</sup>.

وكان وجهه ما اقتضاه الجمع بين الأوليتين: من قدم الشعر في اللغة، وكلام ابن رشيق السابق اقتضى حدوثه<sup>(٣)</sup> فيها، ويمكن الجمع بأن اشتهاه متأخر عن حدوث اللغة، وهو الذي عناه ابن رشيق، فلا ينافي مقارنة أصله للغة، وفيه ما فيه كما لا يخفى.

وقيل: أول من تكلم بالشعر آدم -عليه السلام- رثى به ابنه القتييل؛ قال صاحب الكشاف<sup>(٤)</sup>: "وهو كذب محض"<sup>(٥)</sup>. وفي تلك الطليعة<sup>(٦)</sup> عن الإمام

(١) قال ابن كثير ٤٢/٢: كان من خبرهما ما ذكره غير واحد من السلف والخلف أن الله تعالى شرع لآدم عليه السلام أن يزوج بناته من بنيه لضرورة الحال ولكن قالوا: كان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى فكان يزوج أنثى هذا البطن لذكر البطن الآخر وكانت أخت هابيل دميمة وأخت قابيل وضيئة فأراد أن يستأثر بها على أخيه فأبى آدم ذلك إلا أن يقربا قرباناً فمن تقبل منه فهي له فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل فكان من أمرهما ما قصه الله في كتابه في قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ آتٍ ءَادَمُ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَتَّقُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنَّي أُرِيدُ أَنْ نَبُوءَ بِآيَاتِي وَإِنَّكَ فُتُونٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَعَتْ لِمَنْ نَفْسُهُ قَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُوتِلَقُ بِعَصَاةٍ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿المائدة: ٢٧-٣١﴾.

(٢) قال في القاموس ١٤٦/١ (عرب): ويعرب بن قحطان: أبو اليمن، قيل: أول من تكلم بالعربية ا. ه. وقوله: ممرضاً أي ذاكراً له بصيغة تمييز وهي: قيل.

(٣) حدوثه: أي كونه مستحدثاً جديداً اخترعته العرب.

(٤) صاحب الكشاف: هو الإمام الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـ) محمود بن عمر الخوارزمي، جار الله، أبو القاسم من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب ولد في زمخشر وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله وتنقل في البلدان ثم عاد إلى الجرجانية فتوفي فيها. أشهر كتبه الكشاف، وأساس البلاغة والمفصل، كان معتزلي المذهب مجاهراً شديد الإنكار على المتصوفة. (الأعلام ١٧٨/٧).

(٥) الكشاف ٣٣٤/١.

(٦) تاريخ الخميس ٦٢/١.

الرازي<sup>(١)</sup>، أنه وافقه، وعن ابن عباس<sup>(٢)</sup> - رضي الله عنهما - أنه قال: من قال: إن آدم عليه السلام قال شعراً فقد كذب على الله ورسوله، فإن محمداً والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كلهم في النهي عن الشعر سواء، ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاء آدم وهو سرياني<sup>(٣)</sup> "أهـ. وفيه توقف فإن السبب المبين

(١) الرازي (٥٤٤-٦٠٦هـ) محمد بن عمر بن الحسن أبو عبد الله فخر الدين الرازي الإمام المفسر أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل وهو قرشي النسب أصله من طبرستان ومولده في الري رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان وتوفي في هراة أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها وكان يحسن الفارسية وله شعر بالعربية والفارسية وكان واعظاً بارعاً باللغتين . من تصانيفه مفاتيح الغيب ومعالم أصول الدين (الأعلام ٦/٣١٣).

(٢) ابن عباس (٣ق هـ ٦٨هـ) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو العباس حبر الأمة الصحابي الجليل ولد بمكة ونشأ في بدء عصر النبوة فلازم النبي ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة وشهد مع علي الجمل وصفين وكف بصره في آخر حياته فسكن الطائف وتوفي بها له في الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثاً وكان له علم واسع بالشعر والأدب وأيام العرب، ينسب له تفسير للقرآن (الأعلام ٤/٩٥).

(٣) قول ابن عباس في تاريخ الخميس ١/٦١، وذكر شعر آدم المنسوب له قال: فبكى آدم وحواء وامتنع من غشيانها وناح آدم وحواء عليه بهذه الأبيات، وهو أول من قال الشعر، والله أعلم:

فوجه الأرض مغبر قبيح  
وقل بشاشة الوجه الصبيح  
قتيلاً قد تضمنه الضريح  
بيل فواحزنى لقد فقد المليح  
هابلها وقابلها تصيح  
فقلبي عند قتلته جريح  
لعين لا يموت فنستريح

بهلك ليس بالثمن الريح  
إذا ما المرء غيب في الضريح  
فلست مخلداً بعد الذبيح

فهني في الخلد ضاق بك الفسيح  
وقلبك من أذى الدنيا مريح =

تغيرت البلاد ومن عليها  
تغير كل ذي طعم ولون  
فوا أسفى على هابيل ابني  
وقابيل أذاق الموت ها  
وجاءت شهلة ولها أنين  
لقتل ابن النبي بغير جرم  
وجاورنا عدو ليس يفنى  
وقالت حواء:

دع الشكوى فقد هلكا جميعاً  
وما يغني البكاء عن البواكي  
فبك النفس منك ودع هواها  
وقال لهما إبليس:

تنح عن البلاد وساكنيها  
وكننت بها وزوجك في رخاء

لنفي في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ الآية [يس: ٦٩] يقتضي الاختصاص  
بمحمد - عليه الصلاة والسلام - كما سيأتي، وقول ابن عباس: "وهو سرياني"  
بيان للواقع، لا يتوهم منه أنه تأكيد لنفي الشعر عن آدم عليه السلام؛ لما في  
مقدمة ديوان العبر وكتاب المبتدأ والخبر لابن خلدون<sup>(١)</sup>: "أن الشعر لا يختص  
باللسان العربي، بل هو موجود في كل لغة، وقد كان في اليونان شعراء، ذكرهم  
إقليدس<sup>(٢)</sup> في كتاب المنطق" اه<sup>(٣)</sup>.

وأول من رقق الشعر، وقصد القصائد، وغنى بالنسيب، وافتتح بالغزل:  
مهلهل بن ربيعة الوائلي<sup>(٤)</sup>؛ .....

= فما زالت مكايدي ومكري  
فلولا رحمة الجبار أضحى  
ونقل ابن الأثير في كتاب الكامل: لكن قال صاحب الكشاف: إسناده إلى آدم كذب محض  
وقال الرازي: صدق صاحب الكشاف. قالوا: زاد عليها يعرب بن قحطان:  
ومالي لا أجود بسكب دمعي  
أرى طول الحياة عليّ غمماً  
وهابيل تضمنه الضريح  
فهل أنا من حياتي مستريح  
١. هـ من تاريخ الخميس ١/ ٦١ وإنما نقلتها بطولها ليعلم بطلانها من ذاتها ومنها كما علم من  
سندها، إذ لا يمكن أن تنسب هذه الأبيات لسيدنا آدم عليه السلام.

(١) ابن خلدون (٧٣٢-٨٠٨هـ) عبد الرحمن بن محمد بن محمد أبو زيد ولي الدين الحضرمي  
الإشبيلي الفيلسوف المؤرخ العالم الاجتماعي البحاث أصله من إشبيلية ومولده ومنتوّه بتونس  
رحل إلى فاس وقرطبة وتلمسان الأندلس وتولى أعمالاً واعترضه دسائس ووشايات وعاد إلى  
تونس وتوجه إلى مصر وولي قضاء المالكية ولم يتزوّج بزّي بزّي القضاء محتفظاً بزّي بلاده وعزل  
وأعيد وتوفي فجأة في القاهرة كان فصيحاً جميل الصورة عاقلاً طامحاً للمراتب العالية اشتهر  
بكتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر (الأعلام ٣/ ٣٣٠).

(٢) إقليدس (٣٠٠ ق. م.) هو عالم الهندسة الإغريقي وله نظريات ومؤلفات كثيرة في الهندسة  
عاش مجهولاً طوال حياته ولا يعرف ميعاد مولده ولا وفاته أو مكانها، عمل مدرساً عام  
٣٠٠ ق. م في الإسكندرية من أهم مؤلفاته مبادئ الهندسة، ظل أساس الهندسة لأكثر من  
٢٠٠ عام ألفه باللغة اللاتينية تأثر به نيوتن.

(٣) مقدمة ابن خلدون ٤٢٨.

(٤) مهلهل بن ربيعة الوائلي ( . . - ١٠٠ ق. هـ) عدي بن ربيعة بن مرة من بني جشم من تغلب  
أبو ليلى المهلهل شاعر من أبطال العرب في الجاهلية من أهل نجد وهو خال امرئ القيس  
الشاعر قيل: لقب مهلهلاً لأنه أول من هلهل نسج الشعر أي رققه وكان من أصبح الناس =

خال امرئ القيس الكندي<sup>(١)</sup>، وقد ورث ذلك عنه ابن أخته .  
هذا، وقد أنكر جماعة فضيلة الشعر، جانحين نحو تفضيل النثر من الكلام  
متمسكين :

بأن المعجز من الكلام<sup>(٢)</sup> من جنس النثر .

وبأنه تعالى نزه نبيه - عليه السلام - عن الشعر بقوله - عز اسمه - : ﴿ وَمَا  
عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ [يس: ٦٩] .

وبأنه تعالى ذم الشعراء في قوله - عزت كلمته - : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾  
[الشعراء: ٢٢٤] .

وبقوله - عليه الصلاة والسلام - : «لأن يمتلى جوف أحدكم قيحاً خيراً له من  
أن يمتلى شعراً»<sup>(٣)</sup> .

وبأن ملوك العرب كانت تأنف الاشتهار بالشعر، ويعدونه دناءة، وفي قصة  
امرئ القيس الشهيرة ما يبين ذلك .

وكفاه مذمة ما قيل فيه : " إنه يرفع من قدر الوضيع الجاهل، مثل ما يضع  
من قدر الشريف الكامل"<sup>(٤)</sup> .

= وجهاً ومن أفصحهم لساناً عكف في صباه على اللهو والتشبيب بالنساء فسماه أخوه كليب زير  
النساء أي جلسهن ولما قتل جساس بن مرة كليياً ثار المهلهل فانقطع عن الشراب واللهو وآلى  
أن يثار لأخيه فكانت وقائع بكر وتغلب التي دامت أربعين سنة وكان له فيها الأعاجيب وشعره  
عالي الطبقة (الأعلام ٤/ ٢٢٠) .

(١) امرؤ القيس الكندي (١٣٠-٨٠ق هـ) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي من بني آكل  
المرار أشهر شعراء العرب يمانى الأصل مولده بنجد اشتهر بلقبه واختلف في اسمه قيل  
خندج وقيل مليكة وقيل عدي وكان أبوه ملك أسد وغطفان وأمه أخت المهلهل الشاعر فلقنه  
المهلهل الشعر فقاله وهو غلام وجعل يشب ويلهو فبلغ أباه فنهاه فلم ينته فأبعده إلى دمنون  
بحضرموت وهو في العشرين فأقام فيها خمس سنين ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه فثار لأبيه  
فطلبه الفرس فاستجار بالسموئل واستعان بالروم فأمروه على فلسطين فلما سار إليها أصابته  
قروح فمات في أنقرة (الأعلام ٢/ ١١) .

(٢) المعجز من الكلام أي القرآن الكريم .

(٣) الحديث أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر،  
رقم ٥٦٨٨، ومسلم كتاب الشعر رقم ٤١٩١ .

(٤) انظر العمدة ١/ ١٠٩ .

وقد استقدح ابن رشيقي<sup>(١)</sup> لردها من فكرته زنداً ورياً<sup>(٢)</sup>، وسلت للذب عن منقبة الشعر من بيانه عضباً مشرفياً<sup>(٣)</sup>.

وخلاصة ما له مع مزيد: أن الاستدلال بتلك الأدلة مبناه عدم التدبر في وجوه الكلام، وعند التأمل يظهر أن ما عليهم فيها أكثر مما لهم:

أما كون القرآن نثراً؛ فالسر فيه أن الله -جل ثناؤه- لما بعث نبيه -عليه السلام- حين استوت الفصاحة، واشتهرت البلاغة، جعل آية نبوته ذلك الكلام المنثور، ليكون أظهر برهاناً؛ حيث كان من نوع النثر، وقد علا الشعر، وأعجز كل ناثر وشاعر، وكان إعجازه الشعراء أشد برهاناً، ألا تراهم لما غلبوا، وتبين عجزهم، نسبوه إلى الشعر، لما في قلوبهم من هيئته وفخامته، وأنه يقع منه ما لا يلحق، كما يشهد بذلك تعليق القصائد السبع<sup>(٤)</sup> بالبيت، قصداً للتحدي -كما هو مشهور-.

(١) العمدة ٨٥/١ .

(٢) الزند الوري: وري الزند: اتقد قال الشاعر:

وجدنا زند جدهم ورياً  
وزند بني هوازن غير واري  
(اللسان ٣٨٩/١٥ وري).

(٣) العضب: هو السيف القاطع، ولسان عضب: ذليق شبه بالسيف (اللسان ١/٦١٠ عضب) مشرفي: سيوف منسوبة إلى المشارف وهي قرى من أرض اليمن وبها يمتدح قال الشاعر:  
فلا توعدني إنني إن تلاقيني  
معي مشرفي في مضاربه قضم  
(اللسان ٩/١٧٤، ١٢/٤٨٨).

(٤) المعلقات: هي أشهر قصائد الجاهليين وأعظمها شأناً وأعلاها منزلة في أدبهم وتاريخهم بإجماع الباحثين والنقاد القدامى وبلغ من أهميتها واعتداد القوم بها تمييزهم إياها واختيارها من سائر الشعر وأنها سميت لذلك بالمذهبات لأنها كتبت -كما ذكر السيوطي- في القباطي بماء الذهب وعلقت على الكعبة، ويردف: فلذلك يقال مذهبة فلا بد إذا كانت أجود شعره لكن النحاس أنكر تعليقها على أستار الكعبة وذهب إلى أنها علقت في خزائن الملوك ويفهم من كلام لابن الأنباري أنه: يرى النحاس أن حماد الراوية هو الذي جمعها وحض الناس عليها بعد أن رأى زهد الناس بالشعر وقال لهم هذه هي المشهورات فسميت القصائد المشهورة وقال ابن خلدون: انتهى العرب إلى المناغاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت أبيهم إبراهيم كما فعل امرؤ القيس وغيره وهناك تفسيرات تذهب إلى أنها سميت كذلك لأنها من الأغلاق أي النفاثس أو لأنها شبيهة بعقود الدر التي تعلق في =



وقصة الوليد بن المغيرة<sup>(١)</sup> شاهدة بذلك أيضاً: في النوع الرابع والستين من الإتيان<sup>(٢)</sup> للجلال السيوطي<sup>(٣)</sup>: "أخرج الحاكم<sup>(٤)</sup> عن ابن عباس قال: جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن: فكأنه رقى له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه، فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا،

= أجياد الحسان ويذكر الزيات: على أن تعليق الصحائف الخطيرة على الكعبة كان سنة في الجاهلية بقي أثرها في الإسلام من ذلك تعليق قريش الصحيفة التي أكدوا فيها مقاطعة بني هاشم والمطلب لحمايتهم رسول الله ﷺ حين أجمع على الدعوة، وتعليق الرشيد لعهدته بالخلافة من بعده إلى ولديه الأمين والمأمون فلم لا يكون الأمر كذلك في أمر القصاص مع ما علم من تأثير الشعر بينهم ومكانة الشعراء منهم على أن لهذا الأمر نظائره في أدب الإغريق فإن القصيدة التي قالها بندار زعيم الشعر الغنائي يمدح دياجوراس قد كتبها بالذهب على جدران معبد أثينا في لمنوس . أما عن عددها فمنهم شدد على أنها سبع (السبع الطوال) وهي معلقات امرئ القيس وطرفة بن العبد وزهير ولييد وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وعنترة . وفريق ثان اعتبرها ثمانية أضاف إليهم النابغة . وفريق ثالث جعلهم عشرة حيث أضاف أعشى قيس وعبيد بن الأبرص . (مقدمة تحقيق شرح المعلقات العشر المذهبات للتبريزي لمحققه: د. عمر الطباع).

(١) الوليد بن المغيرة (٩٥ ق هـ - ١هـ) أبو عبد شمس من قضاة العرب في الجاهلية ومن زعماء قريش ومن زنادقتها يقال له العدل لأنه كان عدل قريش كلها وكانت قريش تكسو البيت جميعها والوليد يكسوه وحده وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية وضرب ابنه عليها وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم فعاداه وقاوم دعوته، هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر ودفن في الحجون وهو والد سيف الله خالد بن الوليد (الأعلام ٨/١٢٢).

(٢) الإتيان ١١٦/٢ . وهي في الشفا ص ٣٢٤ .

(٣) السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ) عبد الرحمن بن أبي بكر الخضير السيوطي جلال الدين إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو ٦٠٠ مصنف نشأ في القاهرة يتيماً ولما بلغ ٤٠ سنة اعتزل الناس فألف أكثر كتبه، من كتبه: الإتيان والأشباه والنظائر وتدريب الراوي . (الأعلام ٣/٣٠١).

(٤) الحاكم (٣٢١-٤٠٥هـ) محمد بن عبد الله الطمهاني النيسابوري الشهير بالحاكم ويعرف بابن البيع أبو عبد الله من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه مولده ووفاته في نيسابور ورحل إلى العراق سنة ٣٤١ هـ وحج وجال في بلاد خراسان وأخذ عن نحو ألفي شيخ وولي قضاء نيسابور سنة ٣٥٩ ثم قضاء جرجان فامتنع صنف كتباً كثيرة منها المستدرک على الصحيحين (الأعلام ٦/٢٢٧).

قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك كاره له، قال: وماذا أقول؟! فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، فقال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر<sup>(١)</sup> يَأْتِرُهُ عَنْ غَيْرِهِ أَنْتَهَى<sup>(٢)</sup>.

وفي الشفاء<sup>(٣)</sup> وغيره: أن الذي قرأ عليه ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الآية [النحل: ٩٠].

وذلك أن النثر في متعارفهم: ما بين مسجع<sup>(٤)</sup> ملتزم فيه قافية واحدة، ومرسل غير مبني عليها، والقرآن الحكيم خارج عن الوصفين؛ ليس مرسلًا مطلقاً، ولا مسجعاً؛ كما قال ابن خلدون: "هو كلام مفصل، تنتهي آياته إلى مقاطع، يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها، من غير التزام حرف، ولا قافية، وهو معنى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا نَفَسَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣] الآية اهـ<sup>(٥)</sup>.

(١) وقد ذكر الله ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ذَرَفِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۝١٢ وَبَيْنَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِيدًا ۝١٦ سَاءَ هُفُوعًا صَعُودًا ۝١٧ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۝٢٤ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصَلِّيهِ سَفَرًا﴾ [المدثر: ١١-٢٦] انظر سبل الهدى والرشاد ٢/٤٧٣.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٢/٥٥٠ رقم ٣٨٧٠.

(٣) الشفا ٣٢١.

(٤) السجع: توافق الفاصلتين في الحرف الأخير وأفضله ما تساوت فقره كحديث البخاري (كتاب الزكاة باب قول الله ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ رقم ١٣٥١، ومسلم (كتاب الزكاة باب في المنفق والممسك رقم ١٦٧٨) «اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعط ممسكاً تلفلاً» (البلاغة الواضحة ٣٠٠) وما كان على شكله في القرآن الكريم يقال له: الفاصلة، على أنه في القرآن لم يدعُ مجرد اللفظ وتناسق الشكل بل وتناسب المعنى.

(٥) مقدمة ابن خلدون ص ٤١٧.

ولما نسبوه إلى الشعر رد عليهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمَهُ الشِّعْرَ﴾ [يس: ٦٩].

وأما قوله ﴿وَمَا يَبْغِي لَهُ عَيْشٌ﴾ فمعناه - كما في الكشاف -: "ما يصح له، ولا ينطلب لو طلبه، أي جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له، ولم يسهل، كما جعلناه أمياً، لا يهتدي للخط<sup>(١)</sup>، لتكون الحجة أثبت، والشبهة أدهض"<sup>(٢)</sup>.

وعن الخليل<sup>(٣)</sup>: كان الشعر أحب إلى رسول الله ﷺ من كثير من الكلام، ولكن كان لا يتأتى له ١. هـ.

(١) قال ابن حجر في تخريج أحاديث الرافعي: عدّ فقهاء الشافعية أن مما حرم الله عليه - ﷺ - الخط والشعر وإنما يتجه التحريم إن قلنا: إنه كان لا يحسنهما واستدل بالآية المذكورة: ﴿وَمَا كُنْتَ تَسْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأْتَابَ الْمُطَّلُونَ﴾ (١٨) وبحديث: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا تحسب» والأصح أنه كان لا يحسنهما لكن يميز بين جيد الشعر وورديته وادعى بعضهم أنه ﷺ صار يعلم الكتابة بعد أن كان لا يعلمها لقوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ فكان عدم معرفته سبب الإعجاز فلما نزل القرآن واشتهر الإسلام وظهرت المعجزة وأمن الارتياب عرف حينئذ الكتابة وقد روى ابن أبي شيبة وغيره: ما مات رسول الله ﷺ حتى كتب وروى ابن ماجه عن أنس قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوباً: الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر» أجيب باحتمال إقدار الله على ذلك من غير تقدم كتابة وفي حديث سهل أنه ﷺ لما أمر معاوية أن يكتب للأقرع بن حابس وعيينة بن حصن قال عيينة: أتراني أذهب إلى قومي بصحيفة كصفيحة المثلث؟ فأخذ رسول الله ﷺ الصحيفة فنظر فيها فقال: «قد كتب لك بما أمر» ومن الحجة ما أخرجه البخاري في صلح الحديبية: أخذ الكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب: «هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله»، يقال: إن معرفته من غير تقدم تعليم معجزة (شرح الزرقاني على المواهب اللدنية).

(٢) الكشاف: ٢٩٢/٣.

(٣) الخليل (١٠٠-١٧٠هـ) الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي الحميري أبو عبد الرحمن من أئمة اللغة والأدب وواضع علم العروض أخذه من الموسيقى وكان عارفاً بها وهو أستاذ سيبويه النحوي ولد ومات في البصرة وعاش فقيراً صابراً وكان أشعث الرأس شاحب اللون متمزق الثياب لا يعرفه الناس، له كتب منها العين والعروض، فكر في ابتكار طريقة في الحساب تسهله على العامة فدخل المسجد وهو يعمل فكره فصدم سارية وهو غافل فكانت سبب موته (الأعلام ٢/٣١٤).

وأما آية الشعراء؛ فإن مذمتها خاصة بالشعراء المشركين<sup>(١)</sup> الذين مسوا النبي ﷺ بالأذى.

أما شعراء الإسلام، فهم محط الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

قال في الكشاف<sup>(٢)</sup>: استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن، وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر، وإذا قالوا شعراً قالوه توحيداً وموعظة ومدحاً للنبي ﷺ وأدباً حسناً، وكان هجاءهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم، قال الله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ [النساء: ١٤٨].

وقيل: المراد شعراء النبي ﷺ الذين ينتصرون له، ويجيبون المشركين عنه. كحسان بن ثابت<sup>(٣)</sup>، وكعب بن مالك<sup>(٤)</sup>، وعبد الله بن رواحة<sup>(٥)</sup>،

(١) من شعراء المشركين: من قريش: عبد الله بن الزبير وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع ابن عبد مناف وأبو عزة الجمحي ومن ثقيف أمية بن أبي الصلت (الكشاف ١٣١/٣).

(٢) الكشاف ١٣١/٣.

(٣) حسان بن ثابت (..-٥٥٤هـ) الخزرجي الأنصاري أبو الوليد الصحابي شاعر النبي ﷺ وأحد المخضرمين عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام وكان من سكان المدينة واشتهرت مدائحه في الغسانيين وملوك الحيرة قبل الإسلام وعمي قبل وفاته، لم يشهد مع النبي ﷺ مشهداً لعله أصابته وكانت له ناصية يسدلها بين عينيه وكان يضرب بلسانه روثه أنفه من طوله كان شديد الهجاء فحل الشعر توفي في المدينة (الأعلام ١٧٥/٢).

(٤) كعب بن مالك (..-٥٥٠هـ) الأنصاري السلمي الخزرجي صحابي من أكابر الشعراء من أهل المدينة اشتهر في الجاهلية وكان في الإسلام من شعراء النبي ﷺ وشهد أكثر الوقائع ثم كان من أصحاب عثمان رضي الله عنه وأنجده يوم الثورة وحرص الأنصار على نصرته ولما قتل عثمان قعد عن نصره علي رضي الله عنه فلم يشهد حروبه وعمي في آخر عمره وعاش سبعاً وسبعين سنة له ٨٠ حديثاً (الأعلام ٢٢٨/٥).

(٥) عبد الله بن رواحة (..-٥٨هـ) الأنصاري الخزرجي أبو محمد صحابي يعد من الأمراء الشعراء الراجزين كان يكتب في الجاهلية وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار وكان أحد النقباء الاثني عشر وشهد بدرأ وأحدأ والخندق والحديبية واستخلفه النبي ﷺ على المدينة في إحدى غزواته وصحبه في عمرة القضاء وكان أحد الأمراء الثلاثة في مؤتة فاستشهد فيها (الأعلام ٨٦/٤).

وكعب بن زهير<sup>(١)</sup> - رضي الله عنهم - فقد قال فيهم - عليه السلام - : «هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل»<sup>(٢)</sup>.

وقال لحسان: «اهجهم؛ فوالله لهجاؤك أشد عليهم من وقع السهام في غبش»<sup>(٣)</sup> الظلام اهجهم ومعك جبريل روح القدس»<sup>(٤)</sup>.

وأما حديث: «لأن يمتلىء» إلخ فإنما هو فيمن غلب الشعر على قلبه، وملك نفسه حتى شغله عن إقامة الفروض وذكر الله، كما يُشعر بذلك لفظ الامتلاء، والشعر وغيره في ذلك سواء. وكيف يُؤخذ الحديث على عمومته؟! وهؤلاء الخلفاء الراشدون قد نطقوا بالشعر، وتبعهم على ذلك من الصحابة<sup>(٥)</sup> والتابعين والفقهاء المشهورين الجم الغفير؟!

فمن شعر الصديق<sup>(٦)</sup> رضي الله عنه - فيما رواه ابن إسحق<sup>(٧)</sup> وغيره - قوله:

(١) كعب بن زهير (٠٠٠-٢٦هـ) المازني أبو المضرب شاعر عالي الطبقة من أهل نجد كان ممن اشتهر في الجاهلية ولما ظهر الإسلام هجا النبي ﷺ شبيب بنساء المسلمين فأهدر دمه فاستأمن النبي ﷺ وأنشده قصيدته فغفا عنه وخلع عليه بردته وكان من أعرق الناس في الشعر فأبوه وأخوه وابنه وحفيده شعراء (الأعلام ٥/٢٦٦).

(٢) روى الإمام مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان، رقم ٤٥٤٥ عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال «اهجوا قريشاً فإنه أشد عليها من رشق بالنبل» .

(٣) غبش الليل: شدة ظلمته وقيل بقية الليل (اللسان ٦/٣٢٢).

(٤) أخرج الإمام أحمد رقم ١٧٨٩٨ عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ لحسان: «اهج المشركين فإن روح القدس معك» .

(٥) وقصة ابن عباس رضي الله عنه مع الأزرقى التي ذكرها السيوطي في الإتيان لاتكاد تخفى .

(٦) الصديق (٥١ق هـ-١٣هـ) عيد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي أبو بكر أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن بالرسول ﷺ من الرجال وأحد أعظم العرب ولد بمكة ونشأ سيداً وغنياً وعالماً بأسابها حرم على نفسه الخمر في الجاهلية وشهد حروب الإسلام وبذل الأموال وبويع بالخلافة سنة ١١هـ كان حليماً خطيباً مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر، له ١٤٢ حديثاً (الأعلام ١٠٢/١).

(٧) ابن إسحق (٠٠٠-١٥١هـ) محمد بن إسحق بن يسار المظلي بالولاء المدني: من أقدم مؤرخي العرب من أهل المدينة له: السيرة النبوية هذبها ابن هشام، كان قديراً ومن حفاظ الحديث زار الإسكندرية سنة ١١٩هـ وسكن بغداد ومات فيها ودفن بمقبرة الخيزران أم الرشيد (الأعلام ٦/٢٨).

- أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث  
تري من لؤي فرقة لا يصددها  
رسول أتاهم صادق فتكذبوا  
وهي قصيدة طويلة<sup>(٢)</sup> .
- ومن شعر الفاروق<sup>(٣)</sup> رضي الله عنه :
- توعدني كعب ثلاثاً يعدها  
وما بي خوف الموت إنني لميت
- أرقت وأمر في العشيرة حادث<sup>(١)</sup>  
عن الكفر تذكير ولا بعث باعث  
عليه وقالوا لست فينا بماكث
- ولا شك أن القول ما قال لي كعب<sup>(٤)</sup>  
ولكن خوف الذنب يتبعه الذنب<sup>(٥)</sup>

- (١) البطاح : جمع البطحاء وهي مسيل فيه دفاق الحصى ، وسمي أبطح لأن الماء ينبطح فيه أي يذهب يمينا وشمالاً (اللسان ٢/٤١٢) . الدمائث : مكان دمث : لين الموطىء، ورجل دمث : وطيء الخلق، والدمث السهول من الأرض ، وأرض دمثة لينة سهلة رخوة (اللسان ٢/١٤٩) .
- (٢) الأبيات في سيرة ابن هشام ٥٩٢/٢ .
- (٣) الفاروق عمر بن الخطاب (٤٠ق هـ-٢٣هـ) القرشي العدوي أبو حفص ثاني الخلفاء الراشدين وأول من لقب بأمر المؤمنين الصحابي الجليل الشجاع الحازم صاحب الفتوحات كان في الجاهلية بطلاً وله السفارة، أسلم قبل الهجرة بخمس سنوات وشهد الوقائع، بويع بالخلافة سنة ١٣هـ أول من أرخ بالتاريخ الهجري وأول من وضع الدواوين، له ٥٣٧ حديثاً، قتله أبو لؤلؤة فيروز الفارسي غيلة بخنجر في صلاة الصبح وعاش بعد الطعنة ثلاث ليال (الأعلام ٥/٤٦) .
- (٤) كعب ( . . . -٣٢هـ) كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحق تابعي كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن وأسلم في زمن أبي بكر وقدم المدينة في عهد عمر فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة وأخذ هو الكتاب والسنة عن الصحابة وخرج إلى الشام وسكن حمص وتوفي فيها عن مائة وأربع سنين (الأعلام ٥/٢٢٨) .
- (٥) البيتان في العمدة ٩٦/١ . وقصة الأبيات (كما في كتاب أخبار عمر ص ٣٩٦) أن عمر رضي الله عنه دعا أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وكانت تحته فوجدها تبكي فقال: ما يبكيك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين إن هذا اليهودي يقول: إنك على باب من أبواب جهنم فقال عمر: ما شاء الله والله إنني لأرجو أن يكون ربي خلقني سعيداً ثم أرسل إلى كعب فدعاه فلما جاءه قال: يا أمير المؤمنين لا تعجل علي فوالذي نفسي بيده لا ينسلخ ذو الحجة حتى تدخل الجنة فقال عمر: أي شيء هذا مرة في الجنة ومرة في النار؟ فقال: يا أمير المؤمنين والذي نفسي بيده إنا لنجدك في كتاب الله (التوراة) على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقفوا فيها فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة ثم جاءه فقال: يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام قال: وما يدريك قال أجده في كتاب الله (التوراة) =

ومن شعر ذي النورين<sup>(١)</sup> رضي الله عنه قوله :

غنى النفس يغني النفس حتى يكفها      وإن عضها حتى يضر بها الفقر  
وما عسرة فاصبر لها إن لقيتها      بكائنة إلا ويتبعها يسر<sup>(٢)</sup>  
ومن شعر علي<sup>(٣)</sup> - رضي الله عنه وكرم الله وجهه - قوله يوم صفين<sup>(٤)</sup> :

= قال عمر : الله ! إنك لتجد عمر ابن الخطاب في التوراة قال : اللهم لا ولكن أجد صفتك  
وجليتك بأنه قد فني أجلك وعمر لا يحس وجعاً ولا ألماً فلما كان من الغد جاءه كعب فقال :  
يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان ثم جاءه من بعد الغد فقال : ذهب يومان وبقي يوم وليلة  
هي لك إلى صبحها فلما كان الصبح خرج إلى الصلاة فظعن . نقله عن ابن سعد ١/ ٢٤٠ ، ثم  
قال المؤلفان : وإذا كان صحيحاً ما يرويه ابن سعد والطبري كان كعب شريكاً في الجريمة  
وكانت مؤامرة وما زعمه من أنه يجد ذلك في التوراة زعم باطل لأن التوراة الموجودة اليوم هي  
التي كانت عند كعب وليس فيها - ولا يمكن أن يكون فيها - تاريخ موت عمر وتعيين اليوم  
الذي يموت فيه .

(١) ذو النورين عثمان بن عفان (٤٧ ق هـ - ٣٥ هـ) من قريش أمير المؤمنين ثالث الخلفاء الراشدين  
وأحد العشرة المبشرين بالجنة ولد بمكة وأسلم بعد البعثة بقليل وكان غنياً شريفاً في الجاهلية  
جهز جيش العسرة صارت إليه الخلافة بعد وفاة عمر سنة ٢٣ هـ روى ١٤٦ حديثاً، نقم الناس  
عليه لاختصاصه أقاربه من بني أمية بالولايات فامتنع عن عزلهم فحاصروه أربعين يوماً فقتلوه  
صبيحة عيد الأضحى وهو يقرأ القرآن (الأعلام ٤/ ٢١٠).

(٢) الأبيات في العمدة ١/ ٩٧ .

(٣) علي بن أبي طالب (٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ) الهاشمي القرشي أبو الحسن أمير المؤمنين رابع الخلفاء  
الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة وابن عم النبي ﷺ وصهره وأحد الشجعان الأبطال  
والخطباء العلماء وأول الناس إسلاماً بعد خديجة ولد بمكة ولي الخلافة بعد عثمان سنة ٣٥ هـ  
وتوقى الفتنة فقاتلوه وكانت وقعة الجمل سنة ٣٦ هـ ثم صفين سنة ٣٧ هـ ثم أقام علي بالكوفة  
إلى أن قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي غيلة في مؤامرة ١٧ رمضان واختلف في مكان  
قبره، له ٥٨٦ حديثاً (الأعلام ٤/ ٢٩٥).

(٤) صفين : معركة وقعت في غرة صفر ٣٧ هـ وصفين قرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب  
الغربي بين الرقة وبالس، كانت بين علي ومعاوية قيل : كان علي في مائة وعشرين ألفاً،  
ومعاوية في تسعين ألفاً وكان عدد الضحايا سبعين ألفاً من الطرفين، منهم من أصحاب علي  
خمس وعشرون ألفاً ومن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً وقتل مع علي خمسة وعشرون  
صاحبياً بدرياً وكانت مدة المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام وكانت الوقائع تسعين وقعة  
(التاريخ الإسلامي د. شوقي ص ٢٥٦، معجم البلدان ٣/ ٤١٤).

لمن راية سوداء يخفق ظلها إذا قلت قدمها حصين تقدماً<sup>(١)</sup>  
 فيوردها في الصف حتى تردها حياض المنايا تقطر الموت والدماء<sup>(٢)</sup>  
 فهذا وأمثاله مما جرى من أئمة الهدى الذين حث على اتباعهم صاحبهم  
 -عليه الصلاة والسلام-<sup>(٣)</sup> مما ينادي بالعويل على أرباب تلك الأقاويل،  
 ويستوجب تأويلاً للمروي عن الشافعي<sup>(٤)</sup> رضي الله عنه من قوله:  
 ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد<sup>(٥)</sup>  
 فإن المراد: صرف الهمة إليه حتى يغلب على القلب -كما تقدم- بدليل  
 الجواب.

أما أخذه أدباً وفكاهة فلا حرج فيه وإلا فأين مقام العلماء من مرتبة  
 الخلفاء؟!

(١) حصين: في ديوان علي: حنين -بالضاد المعجمة- هو الحنين بن المنذر أبو ساسان كان  
 معه راية قومه يوم صفين وعاش بعد ذلك دهرًا طويلاً . ديوان علي ص ١٧٠ .  
 (٢) الأبيات في ديوان علي ص ١٧٠ برواية:

لنا الراية الحمراء يخفق ظلها إذا قيل: قدمها حنين تقدماً

(٣) إشارة إلى حديث النبي ﷺ: «فعلَيْكُمْ بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها  
 بالنواجذ» . أخرجه الترمذي رقم ٢٦٠٠ كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتنب  
 البدع، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أبو داود في سننه رقم ٣٩٩١  
 كتاب السنة، باب في لزوم السنة .

(٤) الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ) محمد بن إدريس القرشي المطلبي أبو عبد الله أحد الأئمة الأربعة  
 ولد بغزة وحمل منها إلى مكة وهو ابن ستين وزار بغداد وقصد مصر سنة ١٩٩ فتوفي بها  
 وكان أشعر الناس وأدبهم وأعرفهم بالفقه والقراءات له تصانيف كثيرة أشهرها الأم والرسالة  
 (الأعلام ٢٦/٦).

(٥) البيت في ديوان الشافعي ص ٥٦ وبعده:

وأشجع في الوغى من كل ليث وآل مهلب وبني يزيد

ولبيد (٠٠٠-٤١هـ) هو لبيد بن ربيعة أبو عقيل العامري أحد الفرسان الأشراف في الجاهلية من  
 أهل عالية نجد أدرك الإسلام ووفد على النبي ﷺ ويعد من الصحابة ومن المؤلفات قلوبهم وترك  
 الشعر في الإسلام فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً وسكن الكوفة وعاش عمراً طويلاً وهو  
 أحد أصحاب المعلقات وكان كريماً (الأعلام ٥/٢٤٠).



وقد روي عنه من الشعر ما هو مشهور<sup>(١)</sup> ومما ينسب إليه كما في شرح  
بديعية ابن حجة وغيره قوله:

خذوا بدمي هذا الغزال فإنه  
ولا تقتلوه إنني أنا عبده  
رمانى بسهمي مقلتيه على عمد<sup>(٢)</sup>  
وفي مذهبي لا يقتل الحر بالعبد<sup>(٣)</sup>

(١) من مشهور شعره (وهي في ديوانه ص ١٢٦):

عفوا تعف نساؤكم في المحرم  
إن الزنى دين فإن أقرضته  
يا هاتكأ حرم الرجال وقاطعأ  
لو كنت حرأ من سلالة ماجد  
من يزن يُزن به ولو بجداره  
ومنه (في ديوانه ١٣٤):

إذا رمت أن تحيا سليماً من الأذى  
فلا ينطقن منك اللسان بسوءة  
وعينك إن أبدت إليك معايبأ  
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى  
وانظر ديوانه فهو حافل بكل حكمة رائعة .

(٢) ليس في ديوان الشافعي إلا البيت الأول ص ٥٣، وقد نسب البيتان إلى وجيه الدولة  
الحمداني، ونسب إلى الشاعر العشاري. والعشاري (١١٥٠ - ١١٩٥ هـ / ١٧٣٧ -  
١٧٨٠م): حسين بن علي بن حسن بن محمد بن فارس العشاري البغدادي الشافعي نجم  
الدين أبو عبد الله . يعود أصله إلى العشارة وهي بلدة تقع على ضفة نهر الخابور وكانت  
تابعة في العهد العثماني إلى لواء دير الزور، ولد وتعلم ببغداد، له: (حاشية على شرح  
الحضرمية لابن حجر الهيتمي)، (حاشية على جمع الجوامع في أصول الفقه)، (رسالة في  
مباحث الإمامة)، (ديوان الشعر). انظر معجم المؤلفين ٢٨/٤، الأعلام ٢٤٨/٢ .

أما وجيه الدولة الحمداني (٥٠٠ - ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ - ١٠٠٠ م) فهو ذو القرنين بن حمدان بن  
ناصر الدولة التغلبي، أبو المطاع، وجيه الدولة . أمير، شاعر، من أهل دمشق، ولي إمرتها  
سنة ٤٠١ هـ، وعزل فرحل إلى مصر فولاه الظاهر العبيدي الإسكندرية وأعمالها سنة ٤١٤ فأقام  
بها عاماً وعاد إلى دمشق، فاستقر فيها أميراً إلى سنة ٤١٩ هـ . وتوفي بمصر . له (ديوان شعر).

(٣) اختلف الفقهاء في قتل الحر بالعبد انطلاقاً من اختلافهم في شرط التكافؤ في الحرية،  
فالجدهور ومنهم الشافعية اشترطوه فلا يقتل حر بعبد، ولم يشترطه الحنفية بل اكتفوا  
بالتساوي في الإنسانية . انظر الخلاف والأدلة في: الفقه الإسلامي وأدلته ٢٦٩/٦ .

وأما تأنف ملوك العرب من الاشتهار به؛ فمن حيث أن سوقتهم<sup>(١)</sup> اتخذوه مكسبة وتجارة، وذلك مما تأباه أنفة الملك، على أنك إذا تتبعت غالب الأغراض الجاهلية تجدها متنافية مع صولة الملك إن كنت ذا نباهة.

وقصة امرئ القيس شاهدة لنا؛ فإن أباه ما فعل معه ما فعل إلا لما أداه إليه الشعر من الغي والضلالة والاشتغال بالخمير والزنا عن الملك والرياسة.

وكيف ينسب إلى عربي التأنف من الشعر وفي ديوان العبر<sup>(٢)</sup>: أن الشعر كان ديوان العرب فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم، وكان رؤساء العرب متنافسين فيه، وكانوا يقفون بسوق عكاظ<sup>(٣)</sup> لإنشاده، وعرض كل واحد ديباجته على فحول الشعراء<sup>(٤)</sup> وأهل النظر، حتى انتهوا في تعليق أشعارهم إلى المباهاة بأركان بيت الله الحرام؛ موضع حجهم، ومقام أبيهم إبراهيم - عليه السلام - ١٠ هـ.

(١) السوقة (كما في اللسان ١٠/١٧٠) بمنزلة الرعية التي تسوسها الملوك، سموا سوقة لأن الملوك يسوقونهم فينساقون لهم، يقال للواحد سوقة، [قال] الجوهري: السوقة: خلاف الملك وكثير من الناس يظنون أن السوقة أهل الأسواق، السوقة من الناس: من لم يكن ذا سلطان وقيل أوساطهم.

(٢) مقدمة ديوان العبر (مقدمة ابن خلدون) ٤١٩.

(٣) عكاظ: سوق من أسواق العرب في الجاهلية وكانت قبائل العرب تجتمع بعكاظ في كل سنة ويتفاخرون فيها ويحضرها شعراؤهم ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقون، وسمي عكاظاً لأن العرب كانت تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضاً بالفخار أي يدعك، ويقال من تعكظ القوم إذا تحبسوا ينظرون في أمورهم، قال الأصمعي: عكاظ: نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة وبين مكة ثلاث ليال وبه مكان الأثداء به كان يقام السوق وعكاظ أعظمها حيث كان العرب تقيم به شهر شوال ثم تنتقل إلى سوق مجنة فتقيم به عشرين يوماً من ذي القعدة ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز فتقيم به إلى أيام الحج (معجم البلدان ٤/١٤٢، أسواق العرب لسعيد الأفغاني).

(٤) ومن ذلك ما ذكره أبو فرج الأصفهاني في الأغاني (٣٨٣/٩) قال أخبرنا إبراهيم بن أيوب الصائغ عن ابن قتيبة أن نابغة بني ذبيان كان تضرب له قبة من آدم بسوق عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء فدخل إليه حسان ابن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشده شعره وأنشدته الخنساء قولها: قذى بعينك أم بالعين عوار حتى انتهت إلى قولها:

وإن صخرأ لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

وإن صخرأ لمولانا وسيدنا وإن صخرأ إذا نشتو لنحار

فقال: لولا أن أبا بصير أنشدني قبلك لقلت إنك أشعر الناس، أنت والله أشعر من كل ذات =

وفي باب احتماء القبائل بشعرائها من كتاب العمدة: "كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها"<sup>(١)</sup>، وصنعت الأطمعة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهير، كما يصنعن في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان؛ لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة لذكورهم، وكانوا لا يهنون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ، أو فرس ينتج" اهـ<sup>(٢)</sup>.

وأما ما قيل فيه<sup>(٣)</sup>؛ فليس معناه ما توهموه من المثلية، وإنما هو بيان لما له من المنقبة؛ وذلك أن الشعر لجلالته عند أربابه يرفع من قدر الخامل إذا مدح به، مثل ما يضع من قدر الشريف إذا اتخذته مكسبة، فقد رفع قدر المَحَلَّق<sup>(٤)</sup> من

= مائة قالت: والله ومن كل ذي خصيتين فقال: حسان أنا والله أشعر منك ومنها قال: حيث تقول ماذا؟ قال: حيث أقول:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحي ولدنا بني العنقاء وابني محرق  
وأسيافنا يقطرون من نجدة دما فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما

فقال: إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك، وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن ولدك، وفي رواية أخرى: فقال له إنك قلت: الجفنات فقللت العدد ولو قلت: الجفان لكان أكثر، وقلت: يلمعن في الضحي ولو قلت: يبرقن بالدجي لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً وقلت: يقطرون من نجدة دما فدللت على قلة القتل ولو قلت: يجربن لكان أكثر لانصباب الدم وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك فقام حسان منكسراً منقطعاً.

(١) في الأصل: بهناتها وصوابه ما أثبتناه اعتماداً على العمدة ١٥٣/١.

(٢) العمدة ١٥٣/١، ومما أملاه علينا فضيلة أستاذنا الدكتور عز الدين بدوي النجار - حفظه الله تعالى -

إن القوافي والمساعي لم تزل هو لؤلؤ نثر فإن ألفته من أجل ذلك كانت العرب الألى وتهون عندهم العلا إلا علا  
مثل النظام إذا أصاب فريدا بالنظم صار قلائداً وعقودا يدعون هذا سؤدداً مجدودا جعلت له مِرَر القريض قيودا

(٣) أي قولهم: إنه يرفع من قدر الوضيع الجاهل مثل ما يضع من قدر الشريف الكامل.

(٤) المَحَلَّق: قيل إن اسمه عبد العزى بن حنتم وإنه لقب بالمحلق لأن فرسه عضته في خده فتركت به أثراً على شكل الحلقة وكان من بني كلاب مثنائاً مملقاً (اللسان ١٠/٦٤ حلق). وقصته - كما في العمدة -: أن الأعشى قدم مكة وتسامع الناس به وكان للمحلق امرأة عاقلة وقيل بل أم فقالت: إن الأعشى قدم وهو رجل مفوه مجدود (محظوظ) الشعر ما مدح أحداً إلا رفعه ولا هجا أحداً إلا وضعه وأنت رجل - كما علمت - فقير خامل الذكر ذو بنات =

حضيض الثرى إلى أوج الذرى، حين مدحه الأعشى<sup>(١)</sup> بعكاظ بقصيدته التي يقول فيها:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار باليفاع تحرق<sup>(٢)</sup>  
تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلّق<sup>(٣)</sup>  
رضياعي لبان ثدي أم تحالفا بأسحم داج عوض لا نتفرق<sup>(٤)</sup>  
ترى الجود يجري ظاهراً فوق وجهه كما زان متن الهندواني رونق<sup>(٥)</sup>

= وعندنا لفحة (ناقة) نعيش بها فلو سبقت الناس إليه فدعوته إلى الضيافة ونحرت له واحتلت لك فيما نشترى به شراباً يتعاطاه لرجوت لك حسن العاقبة فسبق إليه المحلق وأنزله ونحر له ووجد المرأة قد خبزت خبزاً وأخرجت نحياً فيه سمن وجاءت بوطب لبن فلما أكل الأعشى وأصحابه وكان في عصابة قيسية قدم له الشراب واشتوى له من كبد الناقة وأطعمه من أطايبها فلما جرى فيه الشراب وأخذت منه الكأس سأله عن حاله وعياله فعرف البؤس في كلامه وذكر البنات فقال الأعشى: كفيت أمرهن فأصبح بعكاظ ينشد قصيدته:

أرقت وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي معشوق  
ورأى المحلق اجتماع الناس فوقف يستمع وهو لا يدري أين يريد الأعشى إلى أن سمعه يقول:  
نفى الذم عن آل المحلق جفنة كجابية السيح العراقي تفهق  
فما أتم القصيدة إلا والناس ينسلون للمحلّق يهتئونه والأشراف من كل قبيلة يتسابقون إليه جرياً  
يخطبون بناته لمكان شعر الأعشى فيهم ولم تمس واحدة منهن إلا في عصمة رجل أفضل من  
أبيها ألف ضعف (العمدة ١/١٢٣، الأعلام ٥/٢٩١).

(١) الأعشى (..-٧هـ) ميمون بن قيس الوائلي أبو بصير المعروف بأعشى قيس والأعشى الكبير من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات وكان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس غزير الشعر وكان يغني بشعره فسمي صناجة العرب عاش عمراً طويلاً وأدرك الإسلام ولم يسلم ولقب الأعشى لضعف بصره وعمي في أواخر عمره، ومولده ووفاته في قرية منفوحة باليمامة وبها قبره (الأعلام ٧/٣٤١).

(٢) اليفاع: الأرض المرتفعة العالية، وإنما يوحد الكريم النار على التلال والجبال ليعرف مكانه وليراه الناس من بعيد فيقصدون ضيافته .

(٣) مقرورين: من أصابهم القر وهو البرد. يصطليانها: يستدفئان بها.

(٤) أسحم داج: أسود مظلم يحتمل أن يكون المقصود هنا الليل أو يكون هو حلمة الثدي الذي رضعاً منه. عوض: ظرف مبني على الضم مثل قط أي أبد الدهر.

(٥) الهندواني: السيف المنسوب إلى الهند، رونق السيف: بريقه. والأبيات في ديوان الأعشى

ووضع قدر النابغة الذبياني<sup>(١)</sup> - وهو أشرف بني ذبيان - بامتداحه النعمان بن المنذر<sup>(٢)</sup> وتكسبه به .

وكفاه فضيلة قوله - عليه الصلاة والسلام - : «إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة»<sup>(٣)</sup> .

وأنه - عليه السلام - بنى لحسان منبراً في المسجد، ينشد عليه الشعر<sup>(٤)</sup> .

وأنه كان يرتاح إليه، ويجازي عليه .

وناهيك بواقعة كعب بن زهير<sup>(٥)</sup> الشهيرة .

فلقد نال فيها بقصيدته المباركة<sup>(٦)</sup> ما نال .

(١) النابغة الذبياني ( . . . - ١٨ ق هـ ) زياد بن معاوية الذبياني الغطفاني المضري أبو أمانة شاعر جاهلي من الطبقة الأولى من أهل الحجاز كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ وتعرض عليه أشعار الشعراء وهو أحد الأشراف في الجاهلية وكان حظياً عند النعمان بن المنذر حتى شُبه بزوجه فغضب ففر النابغة وغاب زمناً ثم رضي النعمان فعاد إليه وعاش عمراً طويلاً (الأعلام ٣/ ٥٥) .

(٢) النعمان بن المنذر: هو النعمان الثالث بن المنذر الرابع اللخمي أبو قابوس من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية كان أحمر قصيراً ملك الحيرة سنة ٥٩٢ م وكانت تابعة للفرس فأقره عليها كان أول أمره عابد وثن ثم تحول إلى النصرانية واستمر ملكاً حتى نقم عليه كسرى أبرويز فعزله ونفاه إلى خانقين فسجن فيها إلى أن مات .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في الشعر، رقم ٤٣٥٨ .

(٤) الحديث أخرجه الترمذي رقم ٢٧٧٣، كتاب الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب .

(٥) ذكر ابن هشام في السيرة ٤/ ٥٠١: لما قدم رسول الله ﷺ منصرفه من الطائف كتب بُجَيْر إلى أخيه كعب يخبره أن رسول الله ﷺ قتل رجالاً كانوا يهجونه فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله ﷺ فإنه لا يقتل أحداً جاء تائباً وإن لم تفعل فانح إلى نجاتك من الأرض فلما بلغه ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان في حضره من عدوه فقالوا هو مقتول فلما لم يجد بدأ قال قصيدة يمدح فيها الرسول ﷺ فنزل المدينة على رجل يعرفه فلما صلى الصبح قام إلى النبي ﷺ فوضع يده في يده وهو لا يعرفه فقال: يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمنك تائباً مسلماً فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به قال: نعم قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير وأنشده قصيدته .

(٦) مطلعها (وهي في ديوانه ص ٨٤):

بانث سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

وقد سعد به حسان بن ثابت؛ روي أنه لما أنشد قصيدته التي رد بها على أبي سفيان<sup>(١)</sup> وانتهى إلى قوله:

هجوت محمداً فأجبت عنه      وعند الله في ذلك الجزاء  
قال له - عليه الصلاة والسلام - : «جزاؤك الجنة يا حسان». فلما انتهى إلى قوله:

فإن أبي ووالده وعرضي      لعرض محمد منكم وقاء<sup>(٢)</sup>  
قال له : «وقاك الله من النار»<sup>(٣)</sup>.

وروي أن النابغة الجعدي<sup>(٤)</sup> قال: أتيت النبي ﷺ فأنشدته قصيدة انتهت فيها إلى قولي:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى      يتلو كتاباً واضح الحق نيرا  
بلغنا السما مجداً وجوداً وسؤدداً      وأنا لنبغي فوق ذلك مظهراً<sup>(٥)</sup>  
فقال لي - عليه الصلاة والسلام - : «إلى أين يا أبا ليلى؟» فقلت: إلى الجنة  
بك يا رسول الله فقال: «إلى الجنة إن شاء الله» فلما أتيت إلى قولي:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له      بوادر تحمي صفوه أن يكدرها  
ولا خير في جهل إذا لم يكن له      حلیم إذا ما أورد الأمر أصدرا<sup>(٦)</sup>

(١) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب: ابن عم النبي ﷺ وكان أخاه من الرضاعة وقيل: اسمه المغيرة وقيل غير ذلك وكان من الشعراء المطبوعين وكان له سبق في هجاء الرسول ﷺ ثم أسلم فحسن إسلامه وتوفي سنة عشرين (أسد الغابة ٤/ ٤٧٠ رقم ٥٩٦٧).

(٢) الأبيات في ديوان حسان ١٨/١ .

(٣) ورد الحديث في العمدة ١٣٢/١، ولم أجده في كتب الحديث النبوي الشريف .

(٤) النابغة الجعدي (... - نحو ٥٥٠هـ) قيس بن عبد الله الجعدي العامري أبو ليلى شاعر مفلق صحابي من المعمرين اشتهر في الجاهليين وسمي النابغة لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله وكان ممن هجر الأوثان فنهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام وقد على النبي ﷺ فأسلم وأدرك صفين فشهدها مع علي رضي الله عنه ثم سكن الكوفة فسيره معاوية إلى أصبهان مع أحد ولاتها فمات فيها وقد كف بصره وجاوز المائة (الأعلام ٥/ ٢٠٧).

(٥) الأبيات في ديوانه ص ٧٣ برواية:

بلغنا السماء مجدنا وسناؤه      وإنما لنرجو فوق ذلك مظهراً

(٦) البيتان في ديوان النابغة الجعدي ص ٧٣ .

قال النبي ﷺ: «صدقت، وأحسن، لا فض الله فاك»، فقضيت عمري أحسن الناس ثغراً، وعمرت عمراً طويلاً، وكنت كلما سقط لي سن نبت مكانه آخره<sup>(١)</sup>.

ومن هذا المجرى ما وقع للناظم وغيره ممن غرس أصول شعره في رياض مدائحه - عليه الصلاة والسلام -<sup>(٢)</sup> ولنكف عنان اليراع عن الجولان في هذا الميدان؛ فلقد كفى ما جرى في المطلوب، والله أعلم .

(١) انظر القصة في العمدة ١/١٣٢ .

(٢) انظر معجم أعلام شعراء المدح النبوي فقد ضم عدداً كبيراً من أسمائهم وبعض أشعارهم .

## المبحث الثاني في ذكر شيء من أغراض الشعر على وجه إجمالي

اعلم أن صنوف الشعر الكثيرة التداول تسعة:

أحدها: النسيب، وهو والتشبيب والتغزل بمعنى واحد عند القدماء، وعليه اقتصر في العمدة<sup>(١)</sup>، وفي نزهة الأبصار في رقائق العلوم والأشعار: أن المتأخرين على تقسيم النسيب إلى: تشبيب وتغزل وغرام: فالأول: يرجع إلى محاسن الذات .

والثاني: يرجع إلى أحوال المحب، وما يشكوه ويقاسيه من أهوال الهوى كالسهر والرقيب والهجر والوشاة، وما يرتاح إليه من الوصال والطيف وهبوب الصبا والوقوف بالديار .

والثالث: يرجع إلى ما يهيج الأشواق، ويثير الغرام، كتذكار العهود والمنازل والاجتماع والمواعيد وحنين الإبل ونحو ذلك .

وقد جمع الناظم في نسيبه بين القسمين الأخيرين كما ترى .  
وللنسيب طريقتان:

بدوية وحضرية؛ ومبنى كلُّ على ما يلائم طبع صاحبه:

فالأولى: تنبنى على ذكر نحو الرحيل والانتقال وتوقع البين والإشفاق منه وذكر الطلول والرسوم والتشوق لحنين الإبل وهبوب النسيم ولمع البروق وذكر الرياحين البرية من أقحوان وعرار<sup>(٢)</sup> وغيرهما .

(١) العمدة ٧٥٢/١ .

(٢) الأقحوان: من نبات الربيع مفروض الورق، دقيق العيدان، له نور أبيض كأنه ثغر جارية حديثة السن قال الأزهري: الأقحوان هو القراص عند العرب وهو البابونج عند الفرس (اللسان ١٧١/١٥).

العرار: بهار البر وهو نبت طيب الريح واحدها عرارة، قال الشاعر:

تمتع من شميم عرار نجد      فما بعد العشية من عرار

(اللسان ٥٦٠/٤).



والثانية: تنبني على ذكر نحو الصدود والهجران والواشين والرقباء وذكر الرياحين البستانية وغير ذلك مما يناسب رقة الحاضرة، وشرط قبول كل أن يكون رقيق الألفاظ، حلوها، قريب المعاني، يطرب الحزين، ويلين ما قسا من القلوب، ويرتاح إليه سامعه، قال الأصمعي<sup>(١)</sup>: أغزل بيت قالته العرب قول امرئ القيس<sup>(٢)</sup>:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي      بسهميك في أعشار قلب مقتل<sup>(٣)</sup>  
وقال الحاتمي<sup>(٤)</sup>: أغزل ما قالته العرب قول أبي صخر<sup>(٥)</sup>:

فيا حبها زدني جوى كل ليلة      ويا سلوة الأيام موعدك الحشر<sup>(٦)</sup>  
ثانيها: المديح؛ وشرط قبوله ألا يكون نسياً، لما فيه من الإشعار بالنقيصة، وأن يراعى فيه مقتضى الطباع من إطناب وإيجاز<sup>(٧)</sup>، كان أبو عبادة البحرني<sup>(٨)</sup> إذا

(١) الأصمعي (١٢٢-٢١٦هـ) عبد الملك بن قريب الباهلي أبو سعيد راوية العرب وأحد أئمة اللغة والشعر والبلدان نسبتة إلى جدته أصمع مولده ووفاته في البصرة كان كثير التطواف في البوادي كان الرشيد يسميه شيطان الشعر له تصانيف كثيرة منها الإبل والأضداد (الأعلام ١٦٢/٤).

(٢) قول الأصمعي في العمدة ٧٥٩/٢ .

(٣) والبيت في ديوان امرئ القيس ص ١٣ .

(٤) الحاتمي ( . . . - ٣٨٨هـ) محمد بن الحسن البغدادي أبو علي أديب كاتب شاعر لغوي أدرك ابن دريد وأخذ عنه، من آثاره حلية المحاضرة في صناعة الشعر (معجم المؤلفين ٩/٢٢٢).

(٥) أبو صخر الهذلي ( . . . - ٨٠هـ) عبد الله بن سلمة من بني هذيل شاعر من الفصحاء كان في العصر الأموي موالياً لبني مروان، متعصباً لهم، وله في عبد الملك وأخيه عبد العزيز مدائح، وكان قد حبسه عبد الله بن الزبير عاماً وأطلقه بشفاعة رجال من قريش (الأعلام ٩١/٤).

(٦) البيت في شرح أشعار الهذليين ٩٥٨/٢ .

(٧) الإطناب: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة كإيضاح بعد إبهام وذكر خاص بعد عام والتكرار . والإيجاز: جمع المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل مع الإبانة والإفصاح وهو إما:

إيجاز قصر: ويكون بتضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف كقول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ .

إيجاز حذف: ويكون بحذف كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعين المحذوف كقوله تعالى: ﴿وَسَكَلِ الْقَرْيَةَ﴾ أي أسأل أهل القرية (البلاغة الواضحة ٢٦١).

(٨) البحرني: (٢٠٦-٢٨٤هـ) الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي أبو عبادة شاعر كبير يقال لشعره =

مدح الخليفة قتل الأبيات لما في طباع الملك من السامة والضجر، وإذا مدح الكتاب عمل طاقته، وبلغ مراده. وجماع الأمر: مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ومن شروطه: ألا يتجاوز حد الممدوح جداً، وأن لا ينقصه شيئاً مما يستحقه، ومن هنا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين - كأبي تمام<sup>(١)</sup> والبحتري - مدح النبي - عليه الصلاة والسلام - وكان أصعب ما يحاولونه؛ إذ كل علو في حقه تقصير.

ولله در ابن الفارض<sup>(٢)</sup> إذ يقول:

وعلى تفنن واصفيه بمدحه  
وروي: أنه رئي في المنام، فقليل له: لِمَ لَمْ تصرح بمدح النبي ﷺ؟ فقال:  
أرى كل مدح في النبي مقصراً  
إذا الله أثنى بالذي هو أهله  
وقول الناظم في همزته:

إن من معجزاتك العجز عن  
كيف يستوعب الكلام سجايا  
وصفك إذ لا يحده الإحصاء  
ك وهل تنزح البحار الركاء<sup>(٤)</sup>

= سلاسل الذهب وهو أحد شعراء عصره الثلاث المتنبئ أبو تمام البحتري، ولد بمنبج رحل إلى العراق ثم عاد إلى الشام توفي بمنبج (الأعلام ٨/ ١٢١).

(١) أبو تمام: (١٨٨-٢٣١هـ) حميد بن أوس الطائي الأديب أحد أمراء البيان ولد في جاسم من قرى حوران رحل إلى مصر استقدمه المعتصم إلى بغداد قدمه على شعراء وقته ثم ولي بريد الموصل فلم يتم له سنتين حتى توفي، فيه تمتمة يسيرة، في شعره قوة وجزالة، له تصانيف (الأعلام ٢/ ١٦٥).

(٢) ابن الفارض: (٥٧٦-٦٣٢هـ) عمر بن علي الحموي الأصلي المصري المولد والدار والوفاة أبو حفص وأبو القاسم شرف الدين أشعر المتصوفين يلقب بسلطان العاشقين نشأ في مصر في بيت علم وورع واشتغل بالفقه وأخذ الحديث عن ابن عساكر ثم تزهد وتجرد واعتزل وعاد إلى مصر بعد ١٥ سنة فكان الناس يزورونه فيهم الأمراء كان شيخاً جواداً جميلاً (الأعلام ٥/ ٥٥).

(٣) ديوان ابن الفارض ص ١٥٤ .

(٤) أبيات البوصيري في ديوانه ٢٨ .

ومن سلك طريق المدح كالناظم فالغرض الأصلي له التشبث بأذياله،  
والمقيل تحت ظلاله، والتقرب إليه بما في المقدور؛ فإن الكريم يقبل من  
المتقرب إليه ما دق وجل<sup>(١)</sup>، على أنه إذا تعذر مدحه بالتفصيل، لا يتعذر  
بالإجمال؛ كما قال الناظم رحمه الله:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم      واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم  
وقال بعده:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر      وأنه خير خلق الله كلهم  
**ثالثها:** الافتخار؛ وهو من المديح إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه. قال  
دعبل<sup>(٢)</sup>: أفخر الشعر قول كعب بن مالك:

وببئر بدر إذ يرد وجوههم      جبريل تحت لوائهم ومحمد<sup>(٣)</sup>  
وقال ابن رشيق<sup>(٤)</sup>: أفخر بيت صنعه محدث قول بشار<sup>(٥)</sup>:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية      هتكنا حجاب الشمس أو تقطر الدما

(١) جلّ: عظم، والجلل: العظيم، والصغير الهين، وهو من الأضداد في كلام العرب، ويقال  
لل كبير والصغير: جلل: قال امرؤ القيس:

بقتل بني أسد ربهم      ألا كل شيء سواه جلل  
قال الحارث بن ولة (اللسان ١١/١١٨):

قومي هم قتلوا أميم أخي      فلئن عفوت لأعفون جلالاً  
ولئن سطوت لأوهنن عظمي

(٢) دعبل: (١٤٨-٢٤٦هـ) دعبل بن علي الخزاعي أبو علي شاعر هجاء أصله من الكوفة أقام  
ببغداد له أخبار وشعره جيد وكان صديق البحثري وصنف كتاباً في طبقات الشعراء كان بذيء  
اللسان مولعاً باللهو والحط من أقدار الناس وهجا الخلفاء كالمعتصم والرشيد طال عمره  
وتوفي في بلدة تدعى الطيب بين واسط وخوزستان (الأعلام ٢/٣٣٩).

(٣) ديوان كعب بن مالك ص ١٦٠ .

(٤) القول في العمدة ٢/٧٩٩ .

(٥) بشار (٩٥-١٦٧هـ) بشار بن برد العقيلي بالولاء أبو معاذ أشهر المولدين على الإطلاق أصله  
من طخارستان ونسبته إلى امرأة عقيلية قيل: إنها أعتقت من الرق وكان ضريباً نشأ في البصرة  
وقدم بغداد أدرك الدولتين الأموية والعباسية شعره كثير من الطبقة الأولى واتهم بالزندقة  
فضرب بالسياط حتى مات ودفن في البصرة (الأعلام ٢/٥٢).

إذا ما أعرنا سيداً من قبيلة ذرى منبر صلى علينا وسلماً<sup>(١)</sup>  
 رابعها: الرثاء، وشرطه: أن يكون ظاهر التفجع، بين الحسرة، مخلوطاً  
 بالتلهف والأسف والاستعظام إذا كان الميت رئيساً.

خامسها: الاقتضاء؛ وشرطه: التلطف ليجب العطف والإجابة، قال في  
 العمدة: ومن جیده قول أمية بن أبي الصلت<sup>(٢)</sup> لعبد الله بن جدعان<sup>(٣)</sup>:

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء  
 وعلمك بالحقوق وأنت فرع لك الحسب المهذب والسناء  
 خليل لا يغيره صباح عن الخلق الجليل ولا مساء<sup>(٤)</sup>  
 وله طرق كثيرة، نتعرض لبعضها- إن شاء الله- عند الكلام على آخر النظم.

سادسها: العتاب؛ وهو حياة المودة، وشاهد الوفاء، وداعية الإلفة، وقيد  
 الصحة، وشرطه: التقليل؛ فإذا كثر خشن جانبه، وثقل صاحبه<sup>(٥)</sup>، والناس فيه  
 على اختلاف؛ فمنهم مازج له بالاستعطف والاستئلاف، ومنهم مُدخل فيه  
 الاحتجاج والانتصاف، والأول أبقى للمودة، ومن جیده قول بعضهم:

(١) الأبيات في ديوان بشار ١٦٣/٤ .

(٢) أمية بن أبي الصلت: (٥٥-...) (الثقفي شاعر جاهلي حكيم قديم من أهل الطائف قدم دمشق قبل الإسلام كان مطلعاً على الكتب القديمة يلبس المسوح تعبداً وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية رحل إلى البحرين أقام ثماني سنوات ظهر في أثنائها الإسلام عاد إلى الطائف فسأل عن خبر محمد ﷺ فقيل يزعم أنه نبي فخرج إليه فسمع منه قرآناً فلما سئل قال: أشهد أنه على الحق فقيل له هل تتبعه؟ فقال حتى أنظر فلما كان يوم بدر قتل ابن خاله فامتنع إلى أن مات (الأعلام ٢٣/٢).

(٣) عبد الله بن جدعان: التميمي القرشي أحد الأجداد المشهورين في الجاهلية أدرك النبي ﷺ قبل النبوة وكانت له جفنة يأكل منها الطعام القائم والراكب مدحه أمية وهو أحد حكام العرب في الجاهلية (الأعلام ٧٦/٤).

(٤) الأبيات من ديوان أمية، تحقيق فضيلة أستاذنا الدكتور عبد الحفيظ السطلي ص ٣٣٣ .

(٥) فقال الشاعر في النوع الأول:

إذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقي العتاب

وقال المتلمس (ديوانه ٢٧٢) في النوع الثاني:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

وكننت أظن أن جبال رضوى      تزول وأن ودك لا يزول  
ولكن القلوب لها انقلاب      وحالات ابن آدم تستحيل  
سابعها: الوعيد والإنذار، قال في العمدة: " كان العقلاء وذوو الحزم من الشعراء يتوعدون بالهجاء، ويحذرون، ولا يمشون القول إلا ضرورة حيث لا يحسن السكوت. ومن الوعيد قول جرير<sup>(١)</sup> يخاطب بني حذيفة:

أبني حذيفة حلموا سفهاءكم      إني أخاف عليكم أن أغضبا<sup>(٢)</sup>  
ثامنها: الهجاء؛ وأشدّه: ما كان بتفضيل، وهو المسمى بالإقداع<sup>(٣)</sup> الذي ورد فيه قوله - عليه الصلاة والسلام - : «من قال في الإسلام هجاء مقدعاً فلسانه هدر»<sup>(٤)</sup>.

وجميع الشعراء يرون قصر الهجاء أجود، وترك الفحش فيه أصوب إلا جريراً، فإنه أوصى بنيه بتطويل الهجاء، وقصر المديح.

تاسعها: الاعتذار، وطريقه: أن يذهب الشاعر مذهباً لطيفاً تاركاً الاحتجاج

(١) جرير (٢٨-١١٠هـ) جرير بن عطية الخطفي الطلبي من تميم أشعر أهل عصره ولد ومات في اليمامة عاش عمره كله يناضل شعراء زمانه ويساجلهم وكان هجاء مرأ فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل وكان عفيفاً وهو من أغزل الناس شعراً وقد جمعت نقائضه مع الفرزدق . (الأعلام ١١٩/٢).

(٢) البيت في ديوانه ١٠٩/١ .

(٣) قال ابن منظور: ٢٦٢/٢: القذع: الخنى والفحش، قذعه يقذعه قذعاً وأقذع له إقداعاً: رماه بالفحش وأساء القول فيه قال الأزهري: لم أسمع قذعت بغير ألف لغير الليث وأقذع القول أساءه وفي الحديث: «من قال في الإسلام شعراً مقدعاً فلسانه هدر» وفي الحديث: «من روى هجاء مقدعاً فهو أحد الشاتمين» الهجاء المقذع: الذي فيه فحش وقذف وسب يقبح نشره أي أن إثمه كإثم قائله الأول وأقذع له أفحش في شتمه قيل: هو بالدال غير معجمة وكذلك قال الأزهري وقال: صوابهما بالدال المهملة قال أبو عمرو: قذعته عن الأمر إذا كففته وأقذعته إذا شتمته قال: وهذا هو الصحيح قال الأزهري: وقرأت في نوادر الأعراب تقذع له بالشر، وتقذع بالدال والبدال وتقذع وإذا استعد له بالشر، وفي حديث الحسن أنه سئل عن الرجل يعطي غيره الزكاة أيخبره بها؟ فقال: يريد أن يقذعه به أي يسمعه ما يشق عليه فسماه قذعاً وأجراه مجرى يشتمه ويؤذيه .

(٤) لم أجد الحديث فيما بين يدي من المراجع .

وإقامة الدليل داخلاً تحت عفو المعتذر إليه حتى يأخذ بقلبه، ويستوجب رضاه، وأن لا يعترف بما لم يؤده إلى تكذيب المعتذر إليه، ومن جیده قول محمد الأصبهاني<sup>(١)</sup>:

العذر يلحقه التحريف والكذب      وليس في غير ما يرضيك لي أرب  
وقد أسأت وبالنعما التي سلفت      إلا مننت بعفو ما له سبب  
واعلم أن افتتاح المديح بالنسب أمر جرى عليه عمل المتقدمين من الشعراء  
والمتأخرين تحريكاً لنشاط السامع لترتاح نفسه به، ويقبل على ما بعده من  
المديح، ومن هنا شبهه مالك بن المرحل<sup>(٢)</sup> بنقر العود قبل الإنشاد تهييجاً  
للنفس؛ لتهيئاً لتلقي الإنشاد فقال:

ضل المحبون إلا شاعراً غزلاً      يطارد المدح بالتشبيب أطوارا  
كناقر العود وشى فيه توشية      وبعد ذلك غنى فيه أشعارا  
وقد سلك هاته الطريقة شعراء النبي ﷺ فافتتحوا مدائحهم بالتشبيب،  
وأشدوها بين يديه - عليه السلام - دون نكير منه، من ذلك قول كعب بن زهير:  
بانث سعاد فقلبي اليوم متبول      متيم إثرها لم يفد مكبول<sup>(٣)</sup>  
وقول حسان بن ثابت يوم بدر:  
عرفت ديار زينب بالكثيب      كخط الوحي في الورق القشيب<sup>(٤)</sup>

(١) محمد الأصبهاني: (٦١٦-٦٨٨هـ) محمد بن محمود السلماني أبو عبد الله شمس الدين قاض من فقهاء الشافعية بأصبهان ولد وتعلم بها وكان والده نائب السلطنة ولما استولى العدو عليها رحل إلى بغداد ثم إلى الروم ودخل الشام بعد سنة ٦٥٠هـ فولي قضاء منبج ثم توجه إلى مصر وولي قضاء طوس فقضاء الكرك فاستقر آخر أمره في القاهرة مدرساً وتوفي بها له كتب منها شرح المحصول (الأعلام ٨٧/٧).

(٢) مالك بن المرحل (٦٠٤-٦٩٩هـ) مالك بن عبد الرحمن أبو الحكم أديب من الشعراء من أهل مالطة ولد بها سكن سبتة وولي القضاء بجهات غرناطة وغيرها نزل جده الخامس في وادي الحجارة بمدينة الفرج عاش هو بين سبتة وفأس توفي بفأس كان من الكتاب غلب عليه الشعر حتى نعت بشاعر المغرب (الأعلام ٥/٢٦٣).

(٣) ديوان كعب بن زهير ص ٨٤ .

(٤) ديوان حسان ٨٢/١ .

وعلى ذلك جرى الناظم - رحمه الله - ومن البين أن التشبيب غير مصروف للممدوح، فلا يدخل ذلك الصنيع تحت ما أنكره الأمير<sup>(١)</sup>؛ من استعمال ما يقال للمعشوق في المقام المحمدي؛ مما يأنف أحدنا أن يخاطب به قال: "وما وقع لعارف من ذلك كابن الفارض وإنما ساغ من حيث استيلاء الوجد على قلبه وخروجه عن التمييز فلا يقتدي به مميز" اهـ.

نعم! تأدب المشافهة بالخطاب يقضي بالتحشم في النسب واجتناب الفحش كذكر محاسن المُرْد والنساء.

ولذا قال ابن حجة في شرح بديعته: ينبغي أن يكون نسب المديح النبوي بذكر الأماكن والمياه العربية التي كثر ذكرها في الكلام العربي كسلع ورامة والعُذيب وبارق<sup>(٢)</sup> فيتم بذلك براعة الاستهلال<sup>(٣)</sup>، ومن جيده براعة البردة.

(١) الأمير (١١٥٤-١٢٣٢هـ) محمد بن محمد المالكي شمس الدين فقيه نحوي أصله من المغرب ولد في ناحية سنو من أعمال منفلوط مصر تعلم بالأزهر وتوفي في القاهرة من تصانيفه الكثيرة: الإكليل في شرح مختصر خليل، حاشية على مغني اللبيب لابن هشام (معجم المؤلفين ١١/١٨٣).

(٢) سلع: موضع بقرب المدينة قيل جبل بالمدينة قال تأبط شراً:  
 إن بالشَّعب الذي دون سلع لقتيلاً دمه لا يُطَلّ  
 (معجم البلدان ٨/١٦١ سلع).

وقال الحموي: جبل بسوق المدينة (معجم البلدان ٣/٢٣٦).  
 رامة: منزل بينه وبين الرمادة ليلة وبينه وبين البصرة اثنا عشر مرحلة (معجم البلدان ٣/١٨).  
 العذيب: ماء بين القادسية والمغيثة (معجم البلدان ٤/٩٢).  
 بارق: جبل باليمامة (معجم البلدان ١/٣٢٠).

(٣) براعة الاستهلال: وهي المقدمة والمدخل الذي يمهد فيه التكلم للأفكار التي يعرضها والمسائل التي سيعالجها خلال كلماته ويتوخى بها جلب انتباه السامعين إلى ما سيلقيه إليهم من تلك الأفكار والمعاني (انظر خصائص الخطبة والخطيب ص ٥٦).

## المبحث الثالث في التعريف بالناظم وبيان سبب إنشاده هذا النظم الشريف وذكر شيء من عجائب خواجه

قال ابن حجر الهيتمي<sup>(١)</sup> - في شرح الهمزية للناظم - : هو الشيخ الإمام العارف الكامل الهمام المتقن المحقق البليغ الأديب المدقق، إمام الشعراء، وأشعر العلماء، وبلغ الفصحاء، وأفصح الحكماء، شرف الدين، أبو عبد الله، محمد بن سعيد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجي، كان أحد أبويه من بوضير الصعيد، والآخر من دلاص، فركبت النسبة منهما فقيل الدلاصيري، ثم اشتهر بالبوصيري، ولد سنة أربع وتسعين وستمائة، وتوفي سنة إحدى وثمانين وسبعمائة على ما صوبه العسقلاني<sup>(٢)</sup>.

وسبب نظم هذه القصيدة: أنه أصابه فالج أعيا الأطباء، ففكر في أعمال قصيدة يتشفع بها إليه ﷺ، ويتوسل به إلى ربه، فلما تم إنشادها رآه - عليه السلام - في المنام ماسحاً بيده الكريمة عليه، فعوفي لوقته، ثم لما خرج من بيته، لقيه رجل صالح، فطلب منه سماعها، فتعجب منه إذ لم يخبر بها أحداً فقال: سمعتها البارحة تُنشد بين يديه ﷺ، وهو يتمايل كتمايل القضيب، فأعطاه

(١) ابن حجر الهيتمي: هو أحمد بن محمد بن محمد بن محمد . . ابن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري الشافعي شهاب الدين أبو العباس فقيه مشارك في أنواع من العلوم ولد بمصر توفي بمكة من مؤلفاته تحفة المحتاج (معجم المؤلفين ١٥٢/٢)، ومقدمة قواطع الإسلام لابن حجر بتحقيقنا).

(٢) العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢) أحمد بن علي أبو الفضل شهاب الدين بن حجر من أئمة العلم والتاريخ أصله من عسقلان بفلسطين مولده ووفاته بالقاهرة ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث ورحل إلى اليمن الأهواز وغيرهما لسماع الشيوخ فعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه فأصبح شيخ الإسلام في عصره وكان فصيح اللسان راوياً للشعر صبيح الوجه ولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل له تصانيف كثيرة منها لسان الميزان (الأعلام ١/١٧٨).



إياها، وقيل: إنه اشتد به رمد بعد نظمها فرأى النبي ﷺ في النوم، فقرأ عليه شيئاً منها، ففتل في عينيه، فبرأ لوقته اه كلام ابن حجر .  
ومن عجائب بركتها: ما حكاه ابن فضل الله<sup>(١)</sup> في كتابه مسالك الأبصار: أنه حكى له غير واحد ممن يثق به: أن رجلاً من كتاب مصر كان مغرمًا بها، مُشيعاً لمنافعها، وكان له رفيق نصراني، فهزأ به، فرمد ابن لذلك الرجل، وأتاه به غلام، والنصراني إلى جنبه فقال الرجل للغلام: اذهب به إلى الكحال، ودعه يطببه، فقال له النصراني: لا حاجة بك إلى الكحال، ألم تزعم أن في البردة شفاء؟ قال: نعم والله لا أطببه بغيرها، فوضعها على عيني الصبي، فما مضى له يومان إلا وقد زال ذلك الرمد بتمامه، فقال النصراني: لا ظلمة بعد عيان، وأسلم وحسن إسلامه ا.هـ. وفي شرح الأنطاكي: أن بعض الشيوخ كان يوصي تلامذته بتلاوتها، ويقول: إنها من أعظم الوسائل إلى الله، وإنه فاز بها من الرجال من فاز، وإن تلاوتها تؤمن الخائف، وتزيل الهموم، وتفرج الكروب، وإن المكان الذي تتلى فيه تنزل فيه الرحمة والبركة، وكان يقول: إذا لم تتيسر تلاوتها بأسرها كفت هاته الأبيات؛ وهي من قوله:

واستفرغ الدمع . . . البيت

إلى قوله:

وكيف تدعو إلى الدنيا . . . البيت اه

قال بعض تلامذته: وقد رأيت من بركتها الأمر العجيب، وكل ذلك قليل في بركة ممدوحها - عليه الصلاة والسلام - كيف وإنه الوسيلة العظمى، والملاذ الأحمى، فلا جرّم أن للمتمسك بجنبه الرفيع الفوز بمطلوبه، وللمتوسل به إلى ربه الإسعاف بمرغوبه، وقد قال - عليه الصلاة والسلام - : «توسلوا بجاهي؛ فإن جاهي عند الله عظيم»<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن فضل الله العمري (٧٠٠-٧٤٩) أحمد بن يحيى القرشي العدوي العمري شهاب الدين مؤرخ حجة في معرفة الممالك والمسالك والبلدان إمام في الترسل والإنشاء عارف بأخبار رجال عصره غزير المعرفة بالتاريخ وخاصة المغول مولده ووفاته ومنشؤه في دمشق أجل آثاره مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (الأعلام ١/٢٦٨).

(٢) لم أجد الحديث فيما بين يدي من المراجع

وأما التوسل بعلاقته: فأول من سنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عام الرمادة<sup>(١)</sup>؛ فإنه لما اشتد بهم الأمر، ولم ينجح الاستسقاء، خرج بالعباس<sup>(٢)</sup> عم النبي ﷺ ومسك أطواقه، وقال: «اللهم إنا كنا نستسقي بنبيك فتسقيننا، وهانحن نستسقي بعمّ نبيك، فاسقنا» فما رجعوا إلا وقد أمطرت السماء بمثل أفواه القرب<sup>(٣)</sup>.

وفي ذلك يقول عباس بن عتبة<sup>(٤)</sup>:

بِعَمِّي سَقَى اللّهُ البِلَادَ وَأَهْلَهُ      عَشِيَّةً يَسْتَسْقِي بِشَيْبَتِهِ عُمَرَ  
تَوَجَّهَ بِالْعَبَّاسِ فِي الجَدْبِ رَاغِباً      إِلَيْهِ فَمَا إِنْ رَاحَ حَتَّى أَتَى المَطَرَ  
وَمِنَّا رَسولُ اللّهِ فِينَا تُرَاثُهُ      فَمَا بَعْدَ هَذَا لِلمُفَاخِرِ مُفْتَخِرُ

وقد حان وقت الشروع في شرح القصيدة، فأقول مستعيناً بالله:

قال الناظم - رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين - :

(١) عام الرمادة: في سنة ١٨هـ حصل في المدينة والحجاز قحط عظيم دام تسعة أشهر فسميت هذه السنة عام الرمادة لأن الريح كانت تسفي تراباً كالرماد أو لأن الأرض صارت سوداء مثل الرماد أو لأنه هلكت فيه الناس والأموال والرمادة في اللغة: الهلكة واشتداد الجوع في ذلك العام حتى جعلت الوحش تأوي إلى الأنس وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبورها وإنه لمقفر حتى كان الناس يستفون الرمة ويحفرون نفق اليرابيع ويخرجون ما فيها (أخبار عمر ص ١٠٨).

(٢) العباس (٥١ق هـ-٣٢هـ) العباس بن عبد المطلب أبو الفضل من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام وجد الخلفاء العباسيين عم الرسول ﷺ وكان محسناً لقومه شديد الرأي مولعاً بإعتاق العبيد وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام أسلم قبل الهجرة (الأعلام ٢٦٢/٣).

(٣) الخبر رواه البخاري كتاب الجمعة باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا رقم ٩٥٤ .

(٤) نسبت للأخضر اللهبي (... - ٩٥ هـ / ... - ٧١٣ م) الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، من قريش. شاعر من فصحاء بني هاشم، كان معاصراً للفرزدق والأحوص، وله معهما أخبار. ومدح عبد الملك بن مروان، وهو أول هاشمي مدح أموياً بعد ما كان بينهما، فأكرمه. وكان شديد السمرة، جاءته من جدته وكانت حبشية. ويقال له (الأخضر) لذلك واللهبي نسبة إلى أبي لهب. في شعره رقة وهو دون الطبقة الأولى من معاصريه. توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك .

- [١] أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانِ بِيْذِي سَلَمٍ مَرَّجَتْ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ  
تقرر عند علماء البيان أنه إذا بولغ في قيام صفة بمحلها، انتزع منه موصوف  
بها دلالة بالاثنية على بلوغها الحد، ويسمونها التجريد، كما تراه في قوله عز  
اسمه: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ [فصلت: ٢٨]، وله أنواع: منها مخاطبة الإنسان  
نفسه - كما في التلخيص<sup>(١)</sup> - ومنه قول أبي الطيب المتنبي<sup>(٢)</sup>:  
لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال<sup>(٣)</sup>  
ومنه بيت القصيد؛ فإن الناظم جرد من ذاته الطريحة في معركة الهوى ذاتاً  
أخرى، مبالغة في صفة الحب وتجرع غصصه وكثرة البكاء، وخاطبها خطاب  
مستفهم عن سببه مرتكباً مطية الشك، التي هي من ملح الشعر، وطُرف الكلام،  
ناسجاً كلامه بذيнок الأمرين على منوال قول علقمة بن عبدة<sup>(٤)</sup>:  
هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم<sup>(٥)</sup>  
ومن جيد التشكيك قول أبي الطيب:  
أريقك أم ماء الغمامة أم خمر بفيّ برود وهو في كبدي جمر<sup>(٦)</sup>

(١) التلخيص ٣٣٤ .

(٢) المتنبي (٣٠٣-٣٥٤) أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي أبو الطيب الشاعر الحكيم وأحد  
مفاخر الأدب العربي له الأمثال السائرة والحكم البالغة ويعدّه البعض أشعر الإسلاميين ولد  
بالكوفة في محلة كندة ونشأ بالشام وتنقل في البادية طالباً الأدب قال الشعر صبيّاً وتنبأ في  
بادية السماوة فتبعه كثيرون وقبل أن يستفحل أمره خرج إلى لؤلؤ نائب الإخشيد فأسره وسجنه  
حتى تاب ورجع ووفد على سيف الدولة فمدحه وحظي عنده ثم زار بلاداً وفي طريقه إلى  
الكوفة عرض له فاتك بن أبي الجهل ابن أخت ضبة بن يزيد الذي هجاه المتنبي فاقتتلا فقتل  
بالنعمانية (الأعلام ١/١١٥).

(٣) شرح ديوان المتنبي ٢/٣٦٥ .

(٤) علقمة بن عبدة (ت نحو ٢٠٠ق هـ) من بني تميم شاعر جاهلي من الطبقة الأولى كان معاصراً  
لامرئ القيس وله معه مساجلات وأسر الحارث بن أبي شمر الغساني أخاً له اسمه شأس  
فشفع به علقمة ومدح الحارث بأبيات فأطلقه (الأعلام ٤/٢٤٧).

(٥) البيت في ديوان علقمة ص ٥٠ .

(٦) في ديوانه ٢/٢٢٦ .

ومن فوائد التجريد في مثل بيت الناظم: الدلالة على كتمان الحب، وحفظ سر أحبابه، بحيث لم يطلع عليه غير نفسه، وذلك شأن الحب، وقد بالغ في إخفائه ابن الفارض - قدس سره - حتى ادعى إخفائه عنه فقال:

أخفيت حبكم فأخفاني أسى      حتى لعمري كدت عني أختفي  
وكتمته عني فلو أبديته      لوجدته أحلى من اللطف الخفي<sup>(١)</sup>

ومنها: الإشارة إلى أنه غير مظهر الأسى والجزع، متكلف لإظهار التجلد والصبر، بحيث لم يُطَّلَع أحداً على بكائه، وذلك شأن أرباب النفوس الكريمة، لا يظهر منهم إلا التصبر، وإذا رجعوا إلى أنفسهم حكّموا الحب في مهجهم، وأظهروا ما كان خفياً من أثر سطوته. ولله در أبي فراس الحمداني<sup>(٢)</sup> إذ يقول:

أراك أباي الدمع شيمتك الصبر      أما للهوى نهى عليك ولا أمر  
بلى أنا مشتاق وعندى لوعة      ولكن مثلي لا يذاع له سر  
إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى      وأذلت دمعاً من خلائقه الكبر<sup>(٣)</sup>  
وعلى ذلك جاء قولي في طالع قصيدة:

لك الله راع أيها القمر العالي      وإن كنت قد أهملت مدمعي الغالي  
وبما بيّنا يجمع بين قول أبي فراس ذلك، وقوله في قصيدة أخرى:

فلا وأبي العشاق ما أنا عاشق      إذا هي لم تلعب بصبري الملاعب<sup>(٤)</sup>

وإذ قد علمت أن خطاب النفس من التجريد المنبني على الإثنية، علمت أن لا التفات إلى دعوى الالتفات<sup>(٥)</sup> في البيت بناء عليه، وأنه لا تنافي بينه وبين

(١) في ديوانه ص ١٥٢ .

(٢) أبو فراس الحمداني (٣٢٠-٣٥٧هـ) الحارث بن سعيد الحمداني العدوي التغلبي أديب شاعر فارس جواد ولد بمنبج وأسرته الروم جريحاً فبقي بالقسطنطينية أعواماً ثم فداه سيف الدولة منهم بأموال وأعطاه أموالاً كثيرة وخيلاً ومماليك وكانت له منبج ثم تملك حمص ثم قتل بناحية تدمر (معجم المؤلفين ١٧٥/٣).

(٣) في ديوان أبي فراس ص ١٤٢ .

(٤) في ديوان أبي فراس ص ٤٢ .

(٥) في خزنة الأدب ١/ ١٣٤: الالتفات: فسر قدامة الالتفات بأن قال: هو أن يكون المتكلم =

خطاب النفس - كما قيل - . والتذكر: تفعل من الذكر القلبي، المقابل للنسيان .  
والصيغة: إما بالمعنى الأصلي، وإما للدلالة على المعالجة؛ للإشارة إلى أنه أمر  
تأباه حقيقة الحب؛ لأن موجه الشوق إلى المحبوب، وهو حجاب عنه، ولولاه  
لما غاب عن قلب المحب، وما زالت صورته من نظره، وهي الدرجة التامة فيه،  
كما قال أبو الطيب:

ما الخل إلا من أود بقلبه وأرى بطرف لا يرى بسوائه<sup>(١)</sup>

= أخذاً في معنى فيعترضه إما شك فيه أو ظن أن راداً يرده عليه أو سائلاً يسأله عن سببه فيلتفت  
إليه بعد فراغه منه فإما أن يجلي الشك أو يؤكد أو يذكر سببه كقول الرماح بن ميادة:  
فلا صرمة يبدو وفي اليأس راحة ولا وصله يصفو لنا فنكارمه  
فكان الشاعر توهم أن قائلاً يقول له: وما تصنع بصرمه؟ فقال: لأن في اليأس راحة وأما ابن  
المعز فقال: الالتفات انصراف المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة ومثاله في الكتاب قوله تعالى  
بعد الإخبار بأن الحمد لله رب العالمين: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وكقوله تعالى:  
﴿إِنْ أَرَادَ الْتَبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وكقوله تعالى ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ  
قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ﴾ ومثال ذلك من الشعر قول جرير:

متى كان الخيام بذني طلوح سقيت الغيث أيتها الخيام  
وانصرف المتكلم عن الخطاب إلى الأخبار وهو عكس الأول كقوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي  
أَفْئَاكٍ وَجِرَّانٍ بِهَيْمٍ يَبْرِجُ طَيْبَةً﴾ أو انصراف المتكلم عن الأخبار إلى التكلم كقوله تعالى: ﴿والله  
الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت﴾ أو انصراف المتكلم عن التكلم إلى  
الأخبار وهو كقوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ وقد  
جمع امرؤ القيس الالتفات الثلاث في ثلاثة أبيات متواليات وهي قوله:

تطاول ليلىك بالأثمد ونام الخلي ولم ترقد  
وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الأرمد  
وذلك من نبي جاءني وخبرته عن أبي الأسود  
فخاطب في البيت الأول وانصرف عن الخطاب إلى الإخبار في البيت الثاني وانصرف عن  
الإخبار إلى التكلم في البيت الثالث على الترتيب . ومن أغرب ما وقع لي في هذا النوع  
اللطيف أنني صرحت باسم الالتفات عند وقوعه بقولي من قصيدة قلت فيها:

والله إن لم ألقهم من بعد ذا فعلى زماني لم أزل متعتبا  
وقد التفت إليك يا دهري بطول تعتبي ويحق لي أن أعتبا  
قررت لي طول الشتات وظيفة وجعلت دمعي في الخدود مرتبا

(١) في ديوان المتنبي ١/ ١٣٠ .

وقال غيره:

ولا معنى لشكوى الشوق يوماً  
إلى من لا يزول من العيان  
وبهذا يعلم أنه لم يُجد الخليل بن أحمد - فيما ينسب إليه<sup>(١)</sup> -:  
إن كنت لست معي فالذكر منك معي  
يراك قلبي وإن غيبت عن بصري  
العين تبصر من تهوى وتفقدته  
وناظر القلب لا يخلو من النظر  
أو إلى غلبة الغيبة على قلبه لكونه مكبولاً بالأسى والهوان، غارقاً في بحار  
الوجد، هائماً في فلاة الهوى، وهو الملائم لقوله بعد:

.....  
وما لقلبك إن قلت: استفق بهم  
وهذا المراد مما شاع في كلام الشعراء من سلب الحبيب للقلب، وبقاء  
المحب خالياً منه، مبالغة في استيلاء سلطان المحبة عليه، كما قال ابن الفارض:  
أخذتم فؤادي وهو بعضي فما الذي  
يضركم لو كان عندكم الكل؟<sup>(٢)</sup>  
وعليه قول بعضهم:

قد كنت أجزى بالصدود ومثله  
لو أن قلبي بات بين ضلوعي  
وقال قيس بن الملوح مجنون العامرية<sup>(٣)</sup>:

(١) نسب البيتان إلى ابن منير الطرابلسي وإلى القاضي الفاضل، أما ابن منير الطرابلسي (٤٧٣-٥٤٨ هـ / ١٠٨٠ - ١١٥٣ م) فهو أحمد بن منير بن أحمد أبو الحسين مهذب الدين شاعر مشهور من أهل طرابلس الشام، ولد بها وسكن دمشق ومدح السلطان الملك العادل محمود زنكي بأبلغ قصائده. وكان هجاءً مرّاً حبيسه صاحب دمشق على الهجاء وهمم بقطع لسانه ثم اكتفى بنفسه منها. فرحل إلى حلب وتوفي بها. له (ديوان شعر - ط). معجم المؤلفين ١٨٤/٢. أما القاضي الفاضل (٥٢٩ - ٥٩٦ هـ / ١١٣٥ - ١٢٠٠ م) فهو عبد الرحيم بن علي بن محمد بن الحسن اللخمي. أديب وشاعر وكاتب ولد في عسقلان وقدم القاهرة في الخامسة عشرة من عمره في أيام الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله وعمل كاتباً في دواوين الدولة ولما ولي صلاح الدين أمر مصر فوض إليه الوزارة وديوان الإنشاء وأصبح لسانه إلى الخلفاء والملوك والمسجل لحوادث الدولة وأحداث تلك الحقبة من الزمان ولما مات السلطان سنة ٥٨٩ هـ أثر اعتزال السياسة إلى أن مات في السابع من ربيع الآخر سنة ٥٩٦ هـ. له رسائل ديوانية في شؤون الدولة، ورسائل إخوانية في الشوق والشكر، وديوان في الشعر، وله مجموعات شعرية في كتب متفرقة من كتب التراث. معجم المؤلفين ٢٠٨/٥.

(٢) في ديوان ابن الفارض ص ١٣٥.

(٣) مجنون العامرية (٦٨-... هـ) قيس بن الملوح العامري شاعر غزل من التميميين من أهل =

يقولون: لو عذبت قلبك لارعوى      فقلت: وهل للعاشقين قلوب<sup>(١)</sup>  
وهو كثير جداً في كلامهم .

وجيران: جمع جار، وهو من قربت داره من دارك، وحد بعضهم الجوار  
بأربعين داراً من كل ناحية<sup>(٢)</sup>، ويجمع على جيرة أيضاً.  
وعليه قول ابن عبد العزيز الكاتب<sup>(٣)</sup>:

يا جيرة السفح كم قلب بكم تعبا      لم يقض من حبكم نحباً ولا أربا  
وذو سلم: موضع بين مكة والمدينة<sup>(٤)</sup>. والمزج: خلط شيئين فأكثر؛ بحيث  
لا يمكن التمييز بعده، كخلط الخمر بالماء، ومن ثم يسمى: قتلاً لها، كما قال  
حسان رضي الله عنه:

إن التي ناولتني فرددتها      قتلت قتلت فهاتها لم تقتل  
كلتاهما حلب العصير فعاطني      بزجاجة أرخاهما للمفصل<sup>(٥)</sup>  
ويعجبني قول أبي قلاقس:

لا تقتلاها بالمزاج      غداة أشربها شفاها

= نجد لم يكن مجنوناً وإنما لقب بذلك لهيامه في حب ليلي بنت سعد قيل في قصته: نشأ معها  
إلى أن كبرت فحجبت عنه فهم على وجهه ينشد الأشعار ويأنس بالوحوش فيرى حيناً في الشام  
وحياناً في نجد وحياناً في الحجاز إلى أن وجد ملقى بين أحجار وهو ميت فحمل إلى أهله  
(الأعلام ٢٠٨/٥).

(١) في ديوان المجنون ص ٨٥ لكن برواية: عزيت .

(٢) روى الطبراني عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله إنني  
نزلت في محلة بني فلان وإن أشدهم لي أذى أقربهم لي جواراً فبعث رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر  
وعلياً يأتون المسجد فيقومون على بابه فيصيحون: «ألا إن أربعين داراً جار ولا يدخل الجنة من  
خاف جاره بوائقه» (الترغيب والترهيب رقم ٣٧٥٧، ٣/٣٢٨، مجمع الزوائد ٨/١٦٩ وقال:  
فيه يوسف بن السفر وهو متروك).

(٣) ابن عبد العزيز الكاتب (١٢٠٢-١٢٠٢هـ) حمودة بن محمد بن عبد العزيز التونسي أبو محمد من  
وزراء الدولة الحسينية وكتابها وعلمائها، من آثاره تاريخ، وديوان شعر ورسالة في القبلة (معجم  
المؤلفين ٤/٨٢).

(٤) ذو سلم: واد ينحدر على الذنائب وهي قرية دون زبيد من أرض اليمن (معجم البلدان ٨/٣).

(٥) في ديوان حسان ١/٧٥ .

ما في المروءة أنها تحيي النفوس وتقتلها والدمع: ماء مالح يخرج من العين بسبب مضاعفة الحرارة الغريزية بالحرارة الغريبة التي تحدث بانفعال النفس عند مصادمة حزن أو فرح، فتصعد تلك الحرارة المتضاعفة إلى الدماغ، فتسيل رطوباته المائية، فإذا نفدت خرج الدم؛ لأنه أقرب إليها من غيره، ثم تلك الحرارة مع الحزن أشد تأثيراً في الدمع منها مع الفرح؛ لأنها في الأول تصعد على صوب واحد، لانقباض النفس بخلافها في الثاني، فإن النفس تنبسط بالملائم فتتبدد الحرارة في جميع الجسد، فيضعف فعلها في الدماغ. ولذلك يكون بكاء الفرح بارداً، وكان من الكناية عنه قرور العين - كما هو معلوم - (١).

والقطة: شحمة العين التي فيها السواد والبياض، وسوادها: الحدقة، وما فيه كصورة المقابل: الإنسان والناظر.

والدم: أحد الأخلاط الأربعة، ومحلّه: الكبد، وينفذ من عروقها إلى الجسد.

وقد علمت - بما بيناه - أن مزج الدمع بالدم كناية عن كثرة البكاء، وفي معناه يقول بعضهم:

بكيّت دماً حتى بقيت بلا دم      بكاء فتى فرد على سكن فرد  
أبكي الذي أهواه بالدمع وحده      لقد جل قدر الدمع فيه إذاً عندي (٢)

(١) ومنه قوله تعالى على لسان امرأة فرعون: ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ﴾ [القصص: ٩]. ومن جيد ما يفسر به أيضاً قرور العين وبرودتها ما ذكره أستاذنا الدكتور عبد الفتاح محمد من تأثير البيئة على الشعر والأدب والألفاظ: من أن مناخ العرب كان حاراً فكانوا يرتاحون للبرد ونحوه فيقولون مثلاً: مما يثلج صدري. وأما ما جاءنا من الترجمة كلفظ سلام حار فهو يوحي إلى بيئة باردة فيرتاحون للحرارة.

(٢) البينان لخالد الكاتب ( . . . - ٢٦٢ هـ / . . . - ٨٧٦ م) خالد بن يزيد البغدادي أبو الهيثم. شاعر غزل، من الكتاب، أصله من خراسان، ومولده بها، عاش وتوفي في بغداد، كان أحد كتاب الجيش في أيام المعتصم العباسي. وكان يهاجي أبا تمام، وغلبت عليه السوداء، وعاش عمراً طويلاً حتى دق عظمه ورق جلده. شعره رقيق أكثره غزل. معجم المؤلفين ٩٨/٤ .



هذا إذا كان موجب المزج ما ذكرناه، وعليه يكون قوله: من مقلة دفعاً لتوهم أن يكون مجراه غيرها، إذ لم يعهد جريان الدم منها، ويحتمل أن يكون المزج بعد انفصال الدمع من محله، وجريانه من المقلة، بسبب حر الجراح الحاصلة فيها بكثرة سيلان الدمع الشديد الحرارة أو بكثرة السهاد والأرق كما يأتي له فيكون محوكاً على منوال قول الفارضي:

كلم السهاد جفونه فتبادرت  
عبراته ممزوجة بدماء<sup>(١)</sup>  
وعليه فمن مقلة حال من دم.

وحاصل معنى البيت: الاستفهام عن كون ذكر الأعبة النازلين بذوي سلم سبباً لكثرة البكاء لصلوحيته لذلك، أما تراه يمثل منازل الحبيب، ويثير الشوق، وما خمد من لهيب، فتحن النفس إلى عهود متقدمة، ويضاعف تحسرها على ما فات من زفرتها المتركمة.

ولله در الفارضي إذ يقول:

واهاً على ذاك الزمان وطيبه  
حيث الحمى وطني وسكان الغضى  
أيام كنت من اللغوب مراحا  
سكني ووردي الماء فيه مباحاً<sup>(٢)</sup>  
وأول من ذكر البكاء لذكر الأعبة والمنازل امرؤ القيس إذ قال في معلقته:  
قفنا نبك من ذكرى حبيب ومنزل  
بسقط اللوى بين الدخول فحومل<sup>(٣)</sup>  
وقد تناولته أيدي الشعراء بعده؛ فمنه ما حكاها الجاحظ<sup>(٤)</sup> في المحاسن والأضداد لبعضهم:

إذا ما ذكرت الثغر فاضت مدامعي  
وأضحى فؤادي نهبة للهماهم

(١) البيت في ديوان ابن الفارض ٢٦ .

(٢) البيت في ديوان ابن الفارض ١٢٧ .

(٣) ديوان امرئ القيس ص ٨ .

(٤) الجاحظ (١٦٣-٢٥٥هـ) عمرو بن بحر الكناني بالولاء الليثي أبو عثمان كبير أئمة الأدب ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، مولده ووفاته في البصرة فلج في آخر حياته وكان مشوه الخلقة مات والكتاب على صدره قتله مجلدات من الكتب وقعت عليه، له تصانيف كثيرة منها الحيوان والبخلاء (الأعلام ٧٤/٥).

حننت إلى أرض بها اخضر شاربي وألطف قوم بالفتى أهل أرضه  
 وحلت بها عني عقود التمام وأرعاهم للمرء حق التقادم  
 ومنه منتزعاً من بيت الناظم قول قتيل الشوق البرعي<sup>(١)</sup>:  
 أمن تذكر أهل البان والبان أم من تبدل جيران بجيران  
 جعلت دمعك وقفاً في محاجرهم يفيض في الخد هتاناً بهتان  
 ولما اشتهر أمره في باب الحب حتى صار مبتدلاً أخذ المتأخرون في  
 التصرف فيه بما يخرجه إلى الغرابة؛ فمنهم من نحا في ذلك منحى المزج بالدم  
 كالناظم، ومنهم من ارتقى إلى درجة فناء الدمع بحيث لم يبق إلا الدم الخالص،  
 كما قال المرتضى<sup>(٢)</sup>:

نظرت بطرف لا يعنف في الهوى وعين متى ما استمطرت أمطرت دما  
 وعليه قولي:

أرق يزيد وحر وجد متلف وتدفق من مقلة سكابة  
 وتوقد بين الحشا لا ينطفي تبكي الدماء من الدموع الذرف  
 ومنهم من سلك طريق الإشارة الخفية إلى الكثرة فاستملح لخفائه، كقول  
 القائل:

يا ظاعنين وفي الأحشاء جمر غضى لاماء دمعي يطفئها ولا النيل  
 فأشار بالعطف إلى ما يقتضيه المناسبة بين النيل ودمعه، وقريب منه قولي:  
 عذراً لها في تجافئها فلو وصلت غارت عيون مغانيها من البلبل  
 فإن فيه ادعاء أن ماء عيون المغاني من الدمع، فلو وصلت وانكف الدمع  
 لغارت العيون.

(١) البرعي (.. - ٨٠٣هـ) عبد الرحيم بن أحمد الهاجري اليماني صوفي شاعر، من آثاره ديوان شعر أكثره في المدائح النبوية (معجم المؤلفين ٢٠٢/٥).

(٢) المرتضى (٣٥٥-٤٣٦هـ) علي بن الحسين الشريف المرتضى أبو القاسم علم الهدى متكلم فقيه مفسر أصولي أديب نحوي لغوي شاعر ولي نقابة الطالبيين وتوفي ببغداد من تصانيفه الكثيرة غرر الفرائد وديوان شعر (معجم المؤلفين ٨١/٧).

هذا وحديث براعتي المطلع والاستهلال شهير، لا يعزب عن علمك فلا نطيل بذكره.

[٢] أم هبَّت الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاطِمَةٍ وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلْمَاءِ مِنْ إِضْمٍ

عطف على قوله: تذكر بتقدير حرف مصدري؛ أي أن هبت الريح وأن أومض البرق، وقد يستغنى عن التقدير بناء على إرادة مجرد الحدث من لفظ الفعل فيلحق بالمصادر- كما هو مقرر في العربية- واعتبار التأويل في المعطوف عليه بأن يعتبر منحللاً إلى أن والفعل، ويكون العطف على الفعل -كما قيل- غير تام كما لا يخفى- على أنك إن كنت نسبة للمعاني لم ترض إلا بالعطف على المعنى وهو ما تدل عليه الصيغة من الاختيار .

والمعنى: أمّن ذكرِك باختيارك أم ذكرك بهبوب الريح ولمع البرق مزجت . الخ وهذا وجه آخر لاختيار صيغة التفعّل فيما تقدم . وذلك أن هبوب الريح ولمع البرق من نواحي الأحيّة إنما يوجبان البكاء؛ من حيث إنهما يثيران الذكر؛ وينبهان القلب من غفلته؛ أما هما في ذاتهما بلا نظر لما يترتب عليهما من ذلك فلا يظهر لهما وجه في البكاء، وسيتضح ذلك بالشواهد وعلى كل تقدير فأم متصلة، والحمل على الانفصال مفسد للمعنى - كما هو بيّن للمتأمل - .

والهبوب: ثوران الريح - كما في القاموس-<sup>(١)</sup> والريح: عند الحكماء: تموج الهواء بسبب اندفاع السحاب إذا ثقل من أعلى إلى أسفل، واندفاعه من جانب إلى آخر، وقد يكون لانبساط الهواء أي ازدياد قواه، واندفاعه من جهة إلى جهة - كما هو مبسوط في الكتب الحكمية-<sup>(٢)</sup> .

وعند السّيّتين: أنها خلق من أعظم مخلوقات الله - كما في حديث الصدقة -: «مسكنها تحت الأرض الثانية، عليها خزنة من الملائكة»<sup>(٣)</sup> . روي أنه لما

(١) القاموس ١٨٣ (هب). .

(٢) أي العلوم الطبيعية أو علوم الطبيعة كما أفاد بذلك أستاذنا الدكتور مازن المبارك .

(٣) الحديث في مسند الحارث زوائد الهيثمي ٨٤٦/٢ رقم ٨٩٦ باب عجائب المخلوقات، وأخرجه الديلمي في الفردوس ٢٨١/٢ رقم ٣٣٠١ .

أراد الله إهلاك عادٍ أمر الخازن أن يرسل إليهم مقدار الخاتم، ولو أرسل عليهم بمقدار منخر الثور لهلك كل من في الأرض جميعاً<sup>(١)</sup>.

### وأصول الرياح أربعة:

أحدها: الصبا: قال الزمخشري -في ربيع الأبرار-: وهي موصوفة بالطيب والروح لانخفاضها عن برد الشمال وارتفاعها عن حر الجنوب اهـ ومهبها -كما في القاموس<sup>(٢)</sup>-: من مطلع الشريا إلى بنات نعش. وقد ربت على بقية الأقسام؛ إذ اختصت بسيرها بالربع في قلوب أعدائه ﷺ مسيرة شهر؛ كما ورد في حديث: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالربع مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم، وأوتيت جوامع الكلم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة<sup>(٣)</sup>» وفي حديث آخر: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور»<sup>(٤)</sup>، ومما اختصت به أنها سارت إلى يعقوب بريح يوسف -عليهما السلام- قبل أن يأتيه البشير<sup>(٥)</sup>.

ذكر ابن خلكان<sup>(٦)</sup> في ترجمة أبي نصر محمد الأرغواني<sup>(٧)</sup>: .....

(١) روى الديلمي في الفردوس ٢/٢٨١ رقم ٣٣٠١ عن ابن عمر رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «الريح في سجن في الأرض الثانية فلما أراد أن يهلك عاداً قال الخزان: أي رب أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور فقال الجبار: إذن تكفأ الأرض ومن عليها ولكن أرسل عليهم قدر الخاتم». وقال ابن كثير في قصص الأنبياء ١٠١ روى ابن حاتم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما فتح الله على عاد من الريح إلا مثل موضع الخاتم فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم بين السماء والأرض».

(٢) القاموس ١٦٧٩ (صبو).

(٣) الحديث أخرجه البخاري رقم ٤١٩، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً».

(٤) الحديث أخرجه البخاري رقم ٩٧٧، كتاب الجمعة، باب قول النبي ﷺ: «نصرت بالصبا» ومسلم رقم ١٤٩٨، كتاب صلاة الاستسقاء، باب في ريح الصبا والدبور.

(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَأَحِذُ رِيحَ يُونُسَ لَوْلَا أَن تَفِدَّوْنَ﴾ [يوسف: ٩٤].

(٦) ابن خلكان (٦٠٨-٦٨١هـ) أحمد بن محمد البرمكي الإربلي أبو العباس المؤرخ الحجة والأديب الماهر ولد في إربل وانتقل إلى مصر فأقام فيها مدة وتولى نيابة قضائها وسافر إلى دمشق فولاه الملك الظاهر قضاء الشام وعزل بعد عشر سنين فعاد إلى مصر فأقام سبع =

"أنها استأذنت ربها في ذلك، فأذن لها، فلذا يستريح كل محزون بها"<sup>(١)</sup>.  
ولقد أجادت أعرابية نجدية تزوجها تهامي، فلما أصابها حر تهامة، قالت:  
ما فعلت ريح كانت تأتينا ونحن بنجد؟ فقيل لها: يمنعها جبلا نعمان فأنشدت:  
أيا جبلي نعمان بالله خليا      نسيم الصبا يخلص إلي نسيمها  
أجد بردها أو تشف مني حرارة      على كبد لم يبق إلا صميمها  
فإن الصبا ريح إذا ما تنفست      على نفس محزون تجلت همومها<sup>(٢)</sup>  
وقال ابن نباتة<sup>(٣)</sup> وتلطف ما شاء:  
يداوي أسى العشاق من نحو أرضكم      نسيم صبا أضحى عليه قبول  
بروحي من ذاك النسيم إذا سرى      طيب يداوي الناس وهو عليل<sup>(٤)</sup>  
ولها تأثير في تنعم الأبدان، وإثارة الحنين إلى الأوطان .

= سنين ورد إلى قضاء الشام ثم عزل عنه بعد مدة وولي التدريس في مدارس دمشق وتوفي فيها  
دفن في سفح قاسيون من كتبه: وفيات الأعيان من أشهر كتب التراجم (الأعلام ١/ ٢٢٠).  
(٧) محمد الأرغياني: (٤٥٤-٥٢٨) محمد بن عبد الله أبو نصر فقيه شافعي من أهل أرغيان في  
نيسابور انتقل إلى نيسابور انتقل إلى نيسابور وتوفي بها تتلمذ لإمام الحرمين وصنف الفتاوى  
وتعرف بفتاوى الأرغياني (الأعلام ٦/ ٢٢٩).

(١) وفيات الأعيان: ٢٢١/٤ .

(٢) نسبت الأبيات لمجنون ليلي في ديوانه ٢١٥، ولضرار الفقعي، وللأعرابية التي ذكرها ابن  
عاشور واسمها أسماء المرية روى القالي في أماليه أن أسماء المرية هي صاحبة عامر بن  
الطفيل، وقال البكري: أسماء فزارية أمها مريّة، ولها شعر في كتاب شعر قبيلة ذبيان في  
الجاهلية .

(٣) ابن نباتة (٦٨٦-٧٦٨هـ) محمد بن محمد الجذامي المصري أبو بكر جمال الدين شاعر عصره  
وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب أصله من ميفارقين ومولده ووفاته في القاهرة سكن  
الشام سنة ٧١٥هـ، وولي نظارة القمامة بالقدس أيام زيارة النصارى لها فكان يتوجه فيباشر  
ذلك ويعود رجع إلى القاهرة سنة ٧٦١ فكان بها صاحب سر السلطان الناصر حسن (الأعلام  
٣٨/٧).

(٤) ديوان ابن نباتة المصري ص ٤٢٢ .

ويقابلها الدبور، وهو الأصل الثاني .

ثالثها: الشمال ، ومهبها: من مطلع الشمس إلى مسقط النسر الطائر .

ويقابلها: الجنوب ، وهو الأصل الرابع؛ من مطلع سهيل إلى مطلع الشريا،

وللريح أقسام آخر متفرعة عن هذه الأصول .

قالوا: والريح إذا أفرد كان للشر، وإذا جمع كان للخير، إلا لقرينة . وعليه

استعمال القرآن<sup>(١)</sup>، ولذا كان - عليه الصلاة والسلام- إذا رأى ريحاً قال: «اللهم

(١) القرآن الكريم استعمل الريح مفردة للخير وللشر، ولم يستعمل الرياح إلا للخير فلقد ذكرت مادة الريح ٢٩ مرة وهذه مواضعها:

مفردة:

١- ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرَثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَنَّهُمْ﴾ [آل عمران: ١١٧]،

٢- ﴿وَجَرَيْنَ يَمِينِهِمْ رِيحٍ طَبِيبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢]، ٣- ﴿وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس

٢٢]، ٤- ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٩٤]، ٥- ﴿أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي

يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]، ٦- ﴿فَبُرِّسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقُكُمْ﴾ [الإسراء: ٦]،

٧- ﴿وَلِيُسَلِّمَنَّ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١]، ٨- ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَجِيقٍ﴾ [الحج

٣١]، ٩- ﴿وَلِيُسَلِّمَنَّ الرِّيحَ عُدُوهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢]، ١٠- ﴿فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ يَجْرِي

بِأَمْرِهِ مُنَافَةً﴾ [ص: ٣٦]، ١١- ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلَنَّ رَوَاكِدٌ﴾ [الشورى: ٣٣]، ١٢- ﴿بَلْ هُوَ

مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: ٢٤]، ١٣- ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾

[الذاريات: ٤١]، ١٤- ﴿وَلَمَّا عَادَ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَلَيْهِمْ﴾ [الحاقة: ٦]، ١٥- ﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا

رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًا﴾ [الروم: ٥١]، ١٦- ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾

[الذاريات: ٤١]، ١٧- ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [فصلت: ١٦]، ١٨- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ رِيحًا

صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحِيسٌ مُّسَمَّرٍ﴾ [القمر: ١٩]، ١٩- ﴿وَتَذَهَبُ رِيحًا﴾ [الأنفال: ٤٦] .

مجموعة:

٢٠- ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، ٢١- ﴿يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا﴾ [الأعراف: ٥٧]،

٢٢- ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢]، ٢٣- ﴿فَأَصْبَحَ هَسِيمًا تَذَرُهُ الرِّيحُ﴾ [الكهف: ٤٥]،

٢٤- ﴿يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا﴾ [الفرقان: ٤٨]، ٢٥- ﴿وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بِيَدِي رَحْمَتِي﴾

[النحل: ٦٣]، ٢٦- ﴿أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الروم: ٤٦]، ٢٧- ﴿يُرْسِلُ الرِّيحَ فُتَيْرًا سَمَابًا﴾

[الروم: ٤٨]، ٢٨- ﴿أَرْسَلَ الرِّيحَ فُتَيْرًا سَمَابًا﴾ [فاطر: ٩]، ٢٩- ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ﴾

[الجاثية: ٥] .

اجعلها رياحاً لا رياحاً»<sup>(١)</sup>. قالوا: ولذا أفردتها الناظم؛ لأنها هيجت أحزانه، وفيه نظر. وتلقاء كاظمة: ناحيتها، وهي موضع بقرب المدينة المشرفة. قاله ابن مرزوق. وفي معجم ما استعجم<sup>(٢)</sup> لأبي عبيدة<sup>(٣)</sup>: كاظمة اسم ماء، قال الأصمعي: تخرج من البصرة فتسير إلى كاظمة ثلاثاً، وهي طريق المنكدر لمن أراد مكة من المنكدر ثم تسير إلى النعمان ثلاثاً، وهو جبل أحمر ينقاد ثلاث ليال، وليس له ارتفاع. ثم قال: وقال يعقوب<sup>(٤)</sup>: وماء كاظمة: ملح<sup>(٥)</sup> صلب، يصلح عليه الحديد، ولذلك قال البيهقي<sup>(٦)</sup>:

(١) في كتاب الأذكار للنووي ص ٢٠٤: روى الإمام الشافعي في كتابه الأم بإسناده عن ابن عباس قال: ما هبت الريح إلا جثا النبي ﷺ على ركبته وقال: «اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها رياحاً»، قال ابن عباس في كتاب الله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [فصلت: ١٦] ﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١] وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر ٢٢] وقال ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الروم ٤٦].

(٢) معجم ما استعجم: ٤/ ١١١٠.

(٣) أبو عبيدة (١١٠-٢٠٩) معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري النحوي من أئمة العلم بالأدب واللغة مولده ووفاته في البصرة استقدمه الرشيد إلى بغداد سنة ١٨٨ فقرأ عليه أشياء من كتبه كان إياضياً شعوبياً من حفاظ الحديث قال ابن قتيبة: كان يبغض العرب لما مات لم يحضر جنازته أحد لشدة نقده معاصريه مع سعة علمه ربما أخطأ في وزن بيت وإذا قرأ القرآن نظراً أخطأ، له نحو ٢٠٠ مؤلف منها نقائص جرير والفرزدق (الأعلام ٧/ ٢٧٢).

(٤) يعقوب بن إسحق بن السكيت (١٨٦-٢٤٤هـ) أبو يوسف إمام في اللغة والأدب أصله من خوزستان (بين البصرة وفارس) تعلم ببغداد واتصل بالمتوكل فعهد إليه بتأديب أولاده وجعله في عداد ندمائه ثم قتله لسبب مجهول قيل سأله عن ابنه: أهما أحب إليه أم الحسن والحسين؟ فقال: والله إن قنبراً خادماً علي خير منك ومن ابنك فأمر الأتراك فداسوا بطنه أو سلوا لسانه وحمل إلى داره فمات ببغداد من كتبه إصلاح المنطق (الأعلام ٨/ ١٩٠).

(٥) الملح: خلاف العذب من الماء والجمع ملححة وملاح وأملاح ومِلْحٌ وقد يقال: أمواه مِلْحٌ ولا يقال مالح إلا في لغة رديئة (اللسان ٢/ ٥٩٩).

(٦) البيهقي (١٣٤-...) خدّاش بن بشر أبو زيد التميمي خطيب شاعر من أهل البصرة قال الجاحظ: أخطب بني تميم إذا أخذ القناة وكانت بينه وبين جرير مهاجاة دامت نحو أربعين سنة ولم يتهاج شاعران من العرب في الجاهلية ولا في إسلام بمثل ما تهاجيا به توفي بالبصرة (الأعلام ٢/ ٣٠٢).

فأرسل مهراً كاظمياً كأنه ذنوب عراق قحمته التراتر<sup>(١)</sup>  
 أي الشدة. وكاظمة: من مياه بني شيان .  
 روى الطبراني<sup>(٢)</sup> عن أبي عمرو الشيباني<sup>(٣)</sup> أنه قال: أذكر أنني سمعت  
 برسول الله ﷺ وأنا أرعى إبلاً لأهلي بكاظمة<sup>(٤)</sup>.  
 وإيماض البرق: لمعانه الخفي، ويقال: ومض ثلاثياً، فإن اعترض في  
 نواحي الغيم فهو الخفق، فإن استطال في وسط السماء ولم يعترض يمينا ولا  
 شمالاً فهو العقيقة.  
 والبرق عند أهل السنة: سوط ملك يسوق السحاب إلى الجهات التي  
 يريدتها الله سبحانه، والرعد: صوته، روى الترمذي<sup>(٥)</sup>: عن ابن عباس  
 -رضي الله عنهما- قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا  
 عن الرعد، فقال: «ملك من الملائكة موكل بالسحاب، معه مخاريق من النار،  
 يسوق بها السحاب حيث شاء الله» فقالوا: ما هذا الصوت الذي نسمع؟ فقال:  
 «زجرة السحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمره» قالوا: صدقت<sup>(٦)</sup>.

(١) التراتر: الشدائد والأمور العظام (اللسان ٤/٩١).

(٢) الطبراني: (٢٠٦-٣٦٠هـ) سليمان بن أحمد اللخمي الشامي أبو القاسم من كبار المحدثين أصله من طبرية بالشام وإليها نسبه ولد بعكا ورحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة توفي بأصبهان له ثلاثة معاجم في الحديث الكبير والأوسط والصغير (الأعلام ٣/١٢١).

(٣) أبو عمرو الشيباني (ت ٢٠٥هـ) إسحق بن مرار الكوفي أصله من رمادة الكوفة ونزل بغداد فكان واسع العلم باللغة والشعر ثقة في الحديث كثير السماع وكان يؤدب ولد هارون الرشيد من تصانيفه النوادر الكبير (معجم المؤلفين ٢/٢٣٨).

(٤) معجم الطبراني الكبير رقم ٥٥٣٢، ٦٧/٦.

(٥) الترمذي (٢٠٩-٢٧٩هـ) محمد بن عيسى بن سورة السلمى البواغي أبو عيسى من أئمة علماء الحديث وحفاظه من أهل ترمذ (على نهر جيحون) تتلمذ للبخاري وشاركه في بعض شيوخه وقام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز وعمي في آخر عمره وكان يضرب به المثل في الحفظ مات بترمذ من تصانيفه الجامع الصحيح المعروف باسم سنن الترمذي (الأعلام ٦/٣٢٢).

(٦) الحديث أخرجه الترمذي رقم ٣٠٤٢، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الرعد، وأخرجه أحمد رقم ٢٣٥٣.



وعند الحكماء: دخان يتصاعد مع البخار، فإذا ارتفع فوق السحاب أو نزل تحته مزقه تمزيقاً عنيفاً فيحصل منه صوت هائل هو الرعد، ويشتعل ذلك الدخان، بسبب الحركة العنيفة المقتضية للحرارة، فإن لطف وانطفأ بسرعة فهو البرق، وإن غلظ ولم ينطفئ حتى وصل إلى الأرض فهو الصاعقة - كذا في الهداية - .

والظلماء: الظلمة، وهي ذهاب النور، ويقال: ليلة ظلماء: أي شديدة الظلمة - كما في القاموس<sup>(١)</sup> - وهو أولى بالإرادة في البيت .

وإضم - كعنب - : الوادي الذي فيه المدينة. وفي معجم ما استعجم: إضم - بكسر أوله وفتح ثانيه-: واد دون المدينة<sup>(٢)</sup>. قاله الطوسي<sup>(٣)</sup>، وقال أبو عمرو الشيباني وابن الأعرابي<sup>(٤)</sup>: إضم: جبل لأشجع وجهينة. وقيل: واد لهم. قال النابغة:

بانث سعاد فأمسى حبلها انجذما واحتلت الشرع فالأجزاء من إضما<sup>(٥)</sup>  
وقال الزبير<sup>(٦)</sup>: أقطع المهدي<sup>(٧)</sup> المغيرة بن جنيب بن ثابت بن عبد الله بن

(١) القاموس ١٤٦٤ (ظلم).

(٢) معجم ما استعجم ١/١٦٥ .

(٣) الطوسي: أحمد بن إبراهيم الطوسي الكاتب النديم أبو عبد الله لغوي أستاذ ثعلب وكان خصيصاً بالمتوكل العباسي من مصنفاته كتاب في أسماء الجبال والمياه والأودية وكان حياً قبل سنة ٢٩١هـ (معجم المؤلفين ٢/١٣٤).

(٤) ابن الأعرابي (١٥٠-٢٣٠هـ) محمد بن زياد أبو عبد الله راوية نسبة علامة باللغة من أهل الكوفة كان أحول كان يجيب من غير كتاب وقد أملى على الناس ما يحمل على أجمال ولم ير أحد في علم الشعر أغزر منه وهو ربيب المفضل الضبي مات بسامراء له تصانيف كثيرة (الأعلام ٦/١٣١).

(٥) ديوان النابغة ١٠٥ .

(٦) الزبير بن بكار (١٧٢-٢٥٦هـ) القرشي الأسدي المكي من أحفاد الزبير بن العوام أبو عبد الله عالم بالأنساب وأخبار العرب راوية ولد في المدينة وولي قضاء مكة فتوفي فيها له تصانيف منها أخبار العرب وكان مؤدباً للموفق بن المتوكل العباسي في صغره (الأعلام ٣/٤٢).

(٧) المهدي (٢٢٧-٢٩٦هـ) أبو عبد الله المنصور ولد بأيديج كان جواداً ممدحاً مليح الشكل محبباً إلى الرعية حسن الاعتقاد تتبع الزنادقة وأفى منهم خلقاً كثيراً وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدن (تاريخ الخلفاء ٢٥٨).

الزبير عيناً بإضم يقال لها: عين النبق، ولما أجليت جرهم من مكة خرج بهم رئيسهم الحرث بن مضاض الأظفر الجرهمي إلى إضم من أرض جهينة فجاءهم سيل فذهب بهم. وفي ذلك يقول أمية:

وجرهم دمنوا تهامة في الدهر فسالت بجمعهم إضم<sup>(١)</sup>

ومعنى البيت - على ما اخترناه في العطف - هل كان سبب الذكر الموجب للبكاء هبوب الرياح ولمع البروق في الليلة الظلماء من منازل الأحبة فذكرك أولئك الجيران، وإنما خص الليلة الظلماء بذلك؛ لأن البرق أشد ظهوراً بها وأقوى فعلاً في النفس لشدة الوحشة فيها.

فإن قلت: قدمت أن من خواص الصبا استراحة المحزون بها فكيف تكون موجبة للتذكر الموجب للبكاء؟

قلت: لم يخص الناظم التذكر بالصبا، ولو فعله لم تحصل المنافاة؛ لأن الحزن - كما في الربيع<sup>(٢)</sup> عن ابن عباس - سببه وقوع الأمر على خلاف المحبة. وغير خفي أن الشوق والحنين والبكاء الناشئ عنهما محبوب للمحب يتلذذ به. قال حسام الدين في ذخيرة السلاطين: قال بعضهم: المحبة تقتضي اللذة بالبلاء، ومن لم يلتذ بالعذاب لم يعرف المحبة انتهى.

ولله در سلطان العاشقين<sup>(٣)</sup> إذ يقول:

وتعذيبكم عذب لدي وجوركم  
وقال أيضاً:

يالائمي في حب مَنْ مِنْ أَجَلِهِ  
هلا نَهَاكَ نُهَاكَ عن لوم امرئ  
قد جد بي وجددي وعز عزائي  
لم يلف غير منعّم بشقاء<sup>(٥)</sup>

(١) ديوان أمية ٤٦٧ ورواها في المتن: أبأؤنا دمنوا، وأشار إلى رواية الكتاب في حاشيته.

ودمنوا من الدمن: وهي آثار الناس.

(٢) أي كتاب ربيع الأبرار للزمخشري.

(٣) سلطان العاشقين: هو ابن الفارض.

(٤) في ديوان ابن الفارض ١٣٥.

(٥) في ديوان ابن الفارض ١١٩.

هذا ومما قيل في الحنين لهبوب الرياح قول الفارضي :

نَعَمْ لِلصبا قلبي صبا لأحبتني  
سرت فأسرت للفضؤادغدية  
تذكرني العهد القديم لأنها  
وقوله أيضاً:

أرج النسيم سرى من الزوراء  
أهدى لنا أرواح نجد عرفه  
وما أحسن قول عبد الله بن الدمينه<sup>(٤)</sup> ، وينسب لمجنون العامرية :

ألا يا صبا نجد متى سرت من نجد  
ألا حبذا نجد وطيب ترابها  
وقلت في تشبيب تهنئة بختم صحيح البخاري<sup>(٦)</sup> :

أحن وأصبو كلما هب من نجد  
نسيم برياه يفوق شذا الند

(١) ديوان ابن الفارض ٣٣ . سرت : أي سرت الصبا في الليل . فأَسْرَتْ : أي أودعت سرّاً .

عُدِّيَّة : تصغير غدوة أي سحرّاً . والعذيب : اسم ماء وموضع . فَسَّرَتْ : من السرور .

(٢) في ديوان ابن الفارض ١٠٨ .

(٣) في ديوان ابن الفارض ٢٤ .

(٤) عبد الله بن الدمينه ( . . . - ١٣٠هـ ) عبد الله بن عبد الله من بني عامر بن تيم الله من خثعم أبو السري والدمينة أمه شاعر بدوي من أرق الغزل والنسيب والفخر من شعراء العصر الأموي اغتاله مصعب بن عمرو السلولي وهو عائد من الحج كان العباس بن الأحنف يطرب لشعره ويترنح (الأعلام ١٠٢/٤) .

(٥) البيتان في ديوان ابن الدمينه ص ٨٥ ، وفي ديوان مجنون ليلى ص ١١٢ .

(٦) البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله حبر الإسلام والحافظ لحديث رسول الله ﷺ صاحب الجامع الصحيح ولد في بخارى ونشأ يتيماً وقام برحلة طويلة سنة ٢١٠هـ في طلب الحديث فزار خراسان والعراق ومصر والشام وسمع من نحو ألف شيخ وجمع نحو ستة مائة ألف حديثاً اختار منها صحيحه وهو أول من وضع في الإسلام كتاباً على هذا النحو وأقام ببخارى فتعصب عليه جماعة ورموه بالتهم فأخرج إلى خرتيل ومات بها (الأعلام ٣٤/٦) .

يمثل لي تلك الأباطح والربا  
 فهاج لي الشوق الأثيل ولم أكن  
 وقد نحت الناظم صدر البيت من قول النابغة الذبياني في غير مقصده:  
 هلا سألت بني ذبيان ما حسبي  
 وهبت الريح من تلقاء ذي أرك  
 ينبيك ذو علمهم عني وجاهلهم  
 ومما قيل في الحنين للبروق قول شيخ المعرة<sup>(٢)</sup>:  
 طربن لضوء البارق المتعالي  
 تمننت قويقاً والصراة حيالها  
 فيا برق ليس الكرخ داري وإنما  
 فهل فيك من ماء المعرة شربة  
 وبغداد وهناً ما لهن ومالي  
 تراب لها من أينق وجمال  
 رماني إليه الدهر منذ ليالي  
 تغيث بها ظمآن ليس بسالي<sup>(٣)</sup>  
 ومن السحر في ذلك قول شيخنا أبي عبد الله محمد الخضار:  
 أن شمت برقاً بين رامة فالحرا  
 أرقت أسي أم أنت ذو كبد حرا  
 ومن اللطيف في ذلك مع ملاقة بيت الناظم قول حفصة الركونية<sup>(٤)</sup>؛ إحدى  
 شاعرات الأندلس:

(١) في ديوان النابغة ١٠٦ .

(٢) شيخ المعرة: أبو العلاء المعري (٣٦٣-٤٤٩هـ) احمد بن عبد الله التنوخي شاعر فيلسوف ولد ومات في معرة النعمان، كان نحيف الجسم أصيب بالجذري وعمي في الرابعة من عمره وقال الشعر وهو ابن ١١ سنة ورحل إلى بغداد سنة ٣٩٨ فأقام بها سنة وسبعة أشهر وهو من أهل بيت علم كبير في بلده ولما مات وقف على قبره ٨٤ شاعراً يرثونه وكان إذا أراد التأليف أملى على كاتبه علي بن عبد الله بن أبي هاشم وكان يحرم إيلام الحيوان ولم يأكل لحماً ٤٥ سنة وكان يلبس خشن الثياب (الأعلام/١/١٥٧).

(٣) الأبيات في ديوان سقط الزند ص ٢٨٢ .

(٤) حفصة الركونية ( . . . ٨٥٦هـ) حفصة بنت الحاج الأندلسية: شاعرة انفردت في عصرها بالتفوق في الأدب والظرف الحسن وسرعة الخاطر بالشعر وهي من أهل غرناطة ووفاتها في مراكش نعتها ابن بشكوال بأستاذة وقتها وكانت تعلم النساء في دار المنصور ولها معه أخبار (الأعلام ٢/٢٦٤).

سلوا البارق الخفناق والليل ساكن  
 لعمرى لقد أهدى لقلبي خفقه  
 ومن العجيب في هذا المعنى ما نقله شيخ الإسلام ابن مرزوق عن صاحب  
 كتاب نظم الفريد في منتخب الأدب التليد، عن الفضل بن محمد الضبي<sup>(١)</sup> قال:  
 لما قدم بغاة بني نمير أسرى، كنت أذهب إليهم لأسمع منهم، فأتيتهم يوماً، وهم  
 في عقب مطر، فإذا بفتى حسن الوجه، قد نهكه المرض، وهو ينشد:  
 ألا يا سنا برق على قلل الحمى  
 لمعت ابتداء الصبح والقوم هجع  
 فهل من معيرٍ طرفٍ عين خلية  
 رمى قلبه البرق الهلالي رمية  
 لهنك من برق علي كريم<sup>(٢)</sup>  
 فهيجت أسقاماً وأنت سليم  
 فإنسان عين العامري كلیم<sup>(٣)</sup>  
 بذكر الحمى وهنا فبات يهيم  
 فقلت له: يا هذا إنك لفي شغل عن هذا، فقال: صدقت ولكن أنظفني البرق  
 فما كان ساعة<sup>(٤)</sup> حتى دفناه.

[٣] فما لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ: اكْفُفَا هَمَّتَا وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ: اسْتَفِقْ يَهُم  
 أنبأت الفاء عن مقدر استغني عن ذكره باقتضاء الكلام السابق إياه، وذلك  
 شأن البلاغة تنزل الموهوم المقتضى منزلة الواقع فتبادر بذكر ما يترتب عليه،  
 ومقام استفهام المحب عن أمر يفضح سره مظنة إنكاره محافظة على الكتمان

(١) المفضل الضبي: ( . . . - ١٦٨هـ) المفضل بن محمد أبو العباس راوية علامة بالشعر  
 والأدب وأيام العرب من أهل الكوفة وهو أوثق رواها يقال: إنه خرج على المنصور العباسي  
 فظفر به وعفا عنه ولزم المهدي وصنف له كتابه المفضليات وسماه الاختيارات (الأعلام  
 ٢٨٠/٧).

(٢) لهنك: أي إنك قال ابن منظور ٣١/١٣: ومن العرب من يبدل همزتها هاء مع اللام كما  
 أبدلوها في هرقت فتقول: لهنك لرجل صدق، قال سيبويه: وليس كل العرب تتكلم بها  
 (والبيت في لسان العرب ٣١/١٣).

(٣) إنسان العين: المثل الذي يرى في السواد، وإنسان العين ناظرها (اللسان ١٣/٦).

(٤) الساعة: جزء من أجزاء الجديدين [الليل والنهار] والوقت الحاضر جمعها ساعات وساع  
 (القاموس (سوع) ٩٤٤).

الذي هو إكسير المودة، فالتقدير: إن لم يكن لك حب وشوق يهيجه التذكار، فما لعينيك... إلخ، ولذا تسمى هذه الفاء الفصيحة لإفصاحها وإنباتها بذلك المقدر، وقد يصرح به زيادة في الإفصاح، كما قال أبو الطيب:

إن كنت تسأل شكاً في معارفها فمن بلاك بتسهيده وتعذيب<sup>(١)</sup>  
والكف عن الشيء: الحبس عنه، حذف متعلقه في البيت؛ لوضوح الدلالة عليه: أي عن البكاء. وهمت العين: صبّت دمعها على اللحيين - كذا عن ابن السيد - وقيل: الهميان: السيلان. وعليه فالإسناد مجازي<sup>(٢)</sup>، والقلب: العضو المعروف، وهو شكل صنوبري غشاؤه الفؤاد، فهما متغايران، خلافاً للجوهري<sup>(٣)</sup>. نعم قد يطلق عليه لفظ الفؤاد والصدر مجازاً بين العلاقة، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] وكما في قول الأخطل<sup>(٤)</sup>:

(١) ديوان المتنبي ٢٨٨/١ .

(٢) الإسناد المجازي ويسمى المجاز المرسل: هو كلمة استعملت في معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي وعلاقاتها إما السببية مثل: بنى الأمير المدينة، أو المسيبية مثل: أنزل الله من السماء رزقاً، أو الجزئية مثل: أرسل الملك عيوناً في صفوف أعدائه، الكلية مثل: ﴿وجعلوا أصابعهم في آذانهم﴾ أي أناملهم، أو اعتبار ما كان مثل: ﴿وَوَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾، أو باعتبار ما يكون: ﴿لَنَنخِذَنَّهُ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ أو الحالية ﴿في رحمة الله هم فيها خالدون﴾ أو المحلية: ﴿فَلْيَبْغُوا نَادِيَهُمْ﴾ [البلاغة الواضحة ١١٨]، وعلاقته هنا المحلية لأن العين لا تهمني بل يهمني ما فيها وهو الدمع .

(٣) الجوهري ( . . . - ٣٩٣هـ ) إسماعيل بن حماد أبو نصر أول من حاول الطيران ومات في سبيله، لغوي من الأئمة دخل العراق صغيراً وسافر إلى الحجاز فطاف بالبادية وعاد إلى خراسان ثم أقام في نيسابور ووضع جناحين من خشب وربطهما بحبل وصعد إلى سطح داره ونادى في الناس: لقد صنعت ما لم أسبق إليه وسأطير الساعة فازدحم أهل نيسابور ينظرون إليه فتأبط الجناحين ونهض بهما فخانته فسقط على الأرض قتيلاً أشهر كتبه الصحاح (الأعلام ٣١٣/١) والجوهري يرى ترادف القلب والفؤاد، قال في الصحاح ٢٠٤/١ (قلب): القلب: الفؤاد. وقال فيه ٥١٧/٢ (فأد): الفؤاد: القلب.

(٤) الأخطل: (١٩-٩٠هـ) غياث بن غوث من بني تغلب أبو مالك شاعر مصقول الألفاظ حسن الديباجة اشتهر في عهد بني أمية وأكثر من مدح ملوكهم وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم مع جرير والفرزدق نشأ على المسيحية في أطراف الحيرة واتصل بالأمويين فكان شاعرهم وتهاجى مع جرير والفرزدق فتناقل الرواة شعره وكان معجباً بأدبه كثير العناية بشعره ينظم القصيدة ويسقط ثلثيها ثم يظهر باقيها (الأعلام ١٢٣/٥).

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً<sup>(١)</sup>  
 كما أطلق القلب على العقل مجازاً لتلك العلاقة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ  
 فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].  
 والقلب متبوع الجسد صلاحاً وفساداً كما ورد في الحديث: «ألا وإن في  
 الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي  
 القلب»<sup>(٢)</sup>. ومن ثم قيل: إن القلب كالملك، والجسد والأعضاء كالرعية، فكما  
 أن صلاح الرعية وفسادها بصلاح الملك وفساده، كذا صلاح الجسد وفساده  
 بصلاح القلب وفساده. وهام يهيم: بمعنى تحير، ومنه الهيام: لشبه الجنون من  
 العشق.

واعلم أن القول يحتمل الحقيقة بناء على ما هو الشائع من خطاب القلب  
 والعين؛ تجاهلاً وتولهاً كما في قوله:  
 أيا أيها القلب الذي قاده الهوى أفق لا أقر الله عينك من قلب<sup>(٣)</sup>  
 وقوله:

تمتعتما يا مقلتي بنظرة فأوردتما قلبي أمر الموارد  
 أعيناي كفا عن فؤادي فإنه من البغي سعي اثنين في قتل واحد<sup>(٤)</sup>  
 ويحتمل -وهو الأظهر- التمثيل؛ بأن شبه حاله عند إرادة الكف عن البكاء،  
 وتيقظ القلب من غفلة الهوى بحال الأمر لهما بذلك، واستعمل اللفظ الدال على  
 الثاني في الأول.

والمعنى: إن لم تكن ذا حب فأني سبب قضى بعدم تمكّنك من الكف عن

(١) نسبت للأخطل في شذور الذهب ص ٥٣، وقال الشيخ محي الدين عبد الحميد: والبيتان  
 للأخطل كما قال المؤلف، وقد ذكر قوم أنهما لا يوجدان في ديوان شعره، وقد بحث ديوان  
 شعر الأخطل فلم أجدهما فيه ووجدتهما في زياداته نقلاً عن مثل هذا الكتاب (شعر الأخطل  
 ص ٥٠٨ بيروت) ..

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه رقم ٣٩٧٤، كتاب الفتن، باب الوقوف عند الشبهات، وأخرجه  
 أحمد رقم ١٧٦٤٩ .

(٣) البيت لقيس بن ذريح في ديوانه ٢٨ .

(٤) البيتان لناصح الدين الأرجاني .

الدمع، وإفاقة القلب وبانعكاس إرادتك من قلبك وجوارك، وما ذاك إلا لذي سطوة وسلطان، وما هو إلا الحب؛ فإنه غالب كل غالب. حكى عن المظفر بن يحيى أنه قال: عُدل محب، فقال: ليس الهوى إلى الرأي فيملكه، ولا إلى العقل فيدبره، بل قدرته أغلب، وجانبه أعز من نفوذ حيلة حازم فيه ولطف محتال اهـ وإلى هذا يشير ذو المذلتين<sup>(١)</sup> في قوله:

كم ليلة بتها والنجم يشهد لي صريع شوق إذا غالبته غلباً<sup>(٢)</sup>  
 وخص ظهور سلطانه بالعين والقلب؛ لأن أثره التام بهما. كما قال أعرابي في وصف الحب: داء تدوى به النفوس الصراح، وتسيل منه الأرواح، وهو سقم مكتتم، وجمر مضطرم، فالقلوب به منضجة، والعيون به ساكية، اهـ ووصف آخر محباً، فقال: كان يستر عيناً قد أدت ما فيها، ويحنو على كبد قد أعيت مداويها اهـ. ولذا جعل البكاء والسقم الناشئ عن تفكر القلب من علاماته، كما قيل:

علامة ذل الهوى فاعلمن على العاشقين الضنى والبكا  
 وفي ذلك سر لطيف؛ فإن سبب الحب في الغالب النظر، ومنه ينساق حسن المنظور إليه إلى القلب، فيشتغل بالتفكر في لطف شمائله إلى أن يسطو الحب على القوى، ويذكو حر الصباية والجوى، ولقد أحسن من قال:  
 وأنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظر  
 رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر<sup>(٣)</sup>  
 فجعل الهميان والهيام عقوبة لهما على ما تسببا فيه، وقد صرح بذلك بعض في البكاء فقال:

(١) ذو المذلتين: هو ابن سهل (٦٠٥-٦٤٩هـ) إبراهيم بن سهل الإشبيلي أبو إسحاق شاعر غزل من الكتاب كان يهودياً وأسلم فتلقى الأدب وقال الشعر فأجاده أصله من إشبيلية وسكن سبتة بالمغرب الأقصى وكان مع ابن خلاص (والي سبتة) في زورق فانقلب بهما فغرقا (الأعلام ٤٢/١).

(٢) ديوان ابن سهل ٥٨ .

(٣) البيت الثاني لابن نباة المصري .



لأعذبن العين غير مفكر  
ولأهجرن من الرقاد لذيله  
سفكت دمي فلاسفحن دموعها  
وسلك بعضهم مسلماً آخر فقال:

والله ياطرفي الجاني على بدني  
هذا، ولا يخفى لطف الطباق<sup>(٢)</sup> في البيت بين اكففا وهمتا، واستفق ويهم،  
ومن أعذبه قول الفارضي رضي الله عنه:

فهم هم صدوا دنوا، ودوا جفوا غدروا وفوا، هجروا رثوا لزنائي<sup>(٣)</sup>  
وفي البيت نوع من أنواع المذهب الكلامي<sup>(٤)</sup>، وهو إفحام السائل بذلك  
السؤال؛ حيث لا يجد منه مخلصاً إلا الإقرار بالحب.

(١) إشارة إلى حديث النبي ﷺ: «من قال لأخيه: يا كافر فقال له: أنت الكافر فقد باء بالكفر أحدهما والبادي أظلم» (مسند الربيع رقم ٦٥، ٤٥/١).

(٢) الطباق هو: الجمع بين الشيء وضده في الكلام كقوله تعالى: ﴿وَتَحَسَّبُ لَهُمْ آيَاتُنَا وَأَنَّهُمْ رُؤُودٌ﴾ [الكهف: ١٨] (البلاغة الواضحة ٣٠٨).

(٣) ديوان ابن الفارض ٢٨.

(٤) في الإيضاح في علوم البلاغة ص ٢٠٨: المذهب الكلامي: هو أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق أهل الكلام كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أي والإعادة أهون عليه من البدء والمطلوب، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَقْلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ أي القمر أقل وربى ليس بأقل فالقمر ليس بربي، وقوله تعالى: ﴿فَلَقِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ أي أنتم تعذبون والبنون لا يعذبون فليستم بينين له ومنه قول النابغة يعتمر إلى النعمان:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة  
لئن كنت قد بلغت عني خيانة  
ولكنني كنت امرأ لي جانب  
ملوك وإخوان إذا ما مدحتهم  
كفعلك في قوم أراك اصطفتهم

يقول: أنت أحسنت إلى قوم فمدحوك وأنا أحسن إلى قوم فمدحتهم فكما أن مدح أولئك لا يعد ذنباً فكذلك مدحي لمن أحسن إلي لا يعد ذنباً.

ومن جيد هذا النوع ما يحكى أن أبا دلف<sup>(١)</sup> قصده شاعر تميمي، فقال له:  
ممن أنت؟ قال: من تميم، فقال أبو دلف:

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا      ولوسلكت طرق المكارم ضلت<sup>(٢)</sup>  
فقال التميمي: نعم بتلك الهداية جئت إليك، فأفحمه<sup>(٣)</sup>.

[٤] أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ      مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمٍ

لما كان الغرض من البيت السابق إفحام المسؤول ليرتدع عن إنكاره، يبين له في هذا البيت أنه لا يتأتى لذي صباية مثله الإنكار؛ مع هميان الدمع؛ وهيام القلب؛ إذ لا يستتر ما أنكره بين منسجم من الدمع، ومضطرم من القلب. وفيه

(١) أبو دلف العجلي (.. - ٢٢٦هـ) القاسم بن عيسى من بني عجل بن لجيم أمير الكرخ وسيد قومه وأحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء قلده الرشيد العباسي أعمال الجبل ثم كان من قادة جيش المأمون وأخبار أدبه وشجاعته كثيرة وللشعراء فيه أماديح (الأعلام ٥/١٧٩).

(٢) البيت لأبي دلف العجلي.

(٣) ومن جيد البديهة والارتجال ما حكاه في العمدة ١/١٧٦: قال الصيني (محمد بن علي) الشاعر لبعض الأعراب وقد أنشد عبد الله بن طاهر بحضرته شعراً فقال له الأعرابي: ممن الرجل قال: من العجم فقال: ما للعجم وللشعر، أظن عربياً نزا على أمك، قال: فمن لم يقل منكم الشعر معشر العرب فإنما نزا على أمه أعجمي فسكت الأعرابي. واجتاز الفرزدق بنسوة وهو على بغلة فهمزها فحبقت (ضرتت) فتضاحكن منها وكان عريضاً فقال: ما يضحككن وما حملتني أنثى قط إلا وفعلت مثل هذا؟ قالت إحداهن: فما صنعت التي حملتك تسعة أشهر؟ فانصرف خجلاً. ومر به رجل فيه لين فقال له: من أين أقبلت عمتنا؟ فقال: نفاها الأغر ابن عبد العزيز فكان الفرزدق صب عليه الماء لأنه عرض له بقول جرير فيه حين نفاه عمر بن عبد العزيز من المدينة:

نفاك الأغر ابن عبد العزيز      وحقك تنفى من المسجد

وكان الفرزدق مرة ينشد والكميت صبي فأجاد الاستماع إليه فقال له: يا بني أسرك أني أبوك قال: أما أبي فلا أرى به بدلاً ولكن يسرني أنك أمي فأفحمه حتى غص بريقه. ومر يوماً بمضرس الفقعسي وهو غلام حديث السن ينشد الناس شعره فحسده على ما سمعه منه فقال له بعد كلام طويل فيه تعريض وتصريح: أدخلت أمك البصرة وفهم عنه مضرس ما أراد فقال: كلا ولكن أبي ورجع إلى إنشاده فاستحيا الفرزدق. وإنما أراد الفرزدق أنها إن دخلت البصرة فقد وقعت عليها فأنت ابني فقال الخبيث: بل أبي وقع على أمك.

إشارة إلى تقريره على ذلك الإنكار كما سيصرح به في قوله: فكيف تنكر حباً. .  
 إلخ - والصب: فَعَلَ - بكسر العين-: من الصبابة؛ وهي رقة الهوى -كما في  
 القاموس<sup>(١)</sup> - والمنكتم: المستتر. والانسجام: السيلان. والاضطراب: الالتهاب.  
 وأما الحب فهو في اللغة: صفاء المودة، وبمعناه صفاء الحال بين الحبيب  
 وحببيه، وأما عند الحكماء فقال بقراط<sup>(٢)</sup>: هو امتزاج النفس بالنفس، كالماء  
 بمثله، والنفس ألطف من الماء، وأرق مسلكاً، فلذا لا يزيله مر الليلي، دق عن  
 الأوهام مسلكه، وخفي عن الأبصار موضعه، وحاتت العقول دون كيفية تمكنه،  
 غير أن ابتداء حركته، وعظم سلطانه من القلب، ثم يعم الأعضاء، فتبدو رعدة  
 الأطراف، وصفرة الألوان<sup>(٣)</sup>، ولجلجة الكلام، وضعف الرأي، وثقل اللسان،  
 حتى ينسب صاحبه إلى النقص اه فإن اشتد ذلك كان عشقاً، غير أنه في الغالب  
 مقرون بالشهوة. وفي معارج النور<sup>(٤)</sup> للشيخ لطف الله<sup>(٥)</sup>: المحبة فينا: هيجان

(١) القاموس ١٣٣ (صبب) .

(٢) بقراط (٤٦٠ ق م - ٣٧٧ ق م) طبيب يوناني يعرف بأبي الطب درس بأثينا فصل الطب عن  
 الخرافات وأقامه على أساس علمي وليس في مجموع رسائل بقراط إلا القليل مما تأكد نسبه  
 إليه مثل كتاب الحكم الأبقراطية والأموال والأماكن .

(٣) قال أبو مدين التلمساني:

أتيت لقاضي العشق قلت: أحبتي  
 وعندي شهود بالصبابة والأسى  
 سهادي ونوحي واكتسابي ولوعتي  
 ومن عجب أنني أحزن إليهم  
 وتبكيهم عيني وهم في سوادها  
 وإن طالبوني في حقوق هواهم  
 وإن تركوني في سجون جفاهم

(٤) معارج النور في أسماء الله الحسنی للشيخ لطف الله بن محمد (إيضاح المكنون  
 ٥٠٣/٤).

(٥) الشيخ لطف الله بن محمد (...-١٢٠٢هـ) الأرضرومي فقيه حنفي من أهل أرضروم في  
 تركيا توفي بحلب له كتب منها راموز التحرير والتفسير (الأعلام ٥/٢٤٢).

طبيعي يحصل من استحسان أمر عياناً أو سماعاً. وأشار بالثاني إلى ما صرح به أبو مدين<sup>(١)</sup> في قوله:

وكم من محب قد أحب وما رأى وعشق الفتى بالسمع مرتبة أخرى<sup>(٢)</sup>  
ولذا كانت مرتبة الزاهدين في الدنيا المتشوقين إلى الآخرة من أعلى  
المراتب؛ كما قال الجنيد<sup>(٣)</sup>.

وقال كثير من الطبيعيين: العشق: طمع يتولد في القلب، وكلما قوي ازداد صاحبه في التماذي في الفكر والهيمن وضيق الصدر، فإذا فسد الفكر أدى إلى الجنون، فربما قتل العاشق نفسه، أو مات غمماً وحزناً أو تنفس الصعداء، فتخفى روحه في تامور قلبه، وينضم القلب فلا يفرج، حتى يموت.

(١) أبو مدين التلمساني (٥٩٤-...) شعيب بن الحسن الأندلسي صوفي من مشاهيرهم أصله من الأندلس أقام بفاس كثر أتباعه حتى خافه السلطان يعقوب المنصور وتوفي بتلمسان وقد قارب الثمانين أو تجاوزها له مفاتيح الغيب لإزالة الريب (الأعلام ٣/١٦٦).

(٢) ومثله قول بشار:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا  
(الأغاني ٣/١٥٩). وقول ابن الشحنة الموصلي:

وإني امرؤ أحببتكم لمكارم وقول القاضي الأرجاني (في الإيضاح في علوم البلاغة ١/٣٧٣):  
لم يبكني إلا حديث فراقكم لما أسر به إلي مودعي  
هو ذلك الدر الذي أودعتم في مسمعي ألقيته من مدمعي  
وقول جار الله:

وقائلة: ما هذه الدرر التي تساقطها عينك سمطين سمطين  
فقلت: هي الدار التي قد حشا به أبو مضر أذني تساقط من عيني  
وفي المستطرف ٢٦٧: قال آخر:

تبسم الثغر عن أوصافكم فغدا من طيب ذكركم نشراً فأحيانا  
فمن هناك عشقناكم ولم نركم والأذن تعشق قبل العين أحيانا

(٣) الجنيد (٢٩٧هـ-...) الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز أبو القاسم صوفي من العلماء بالدين، مولده ونشأته ووفاته ببغداد أصله من نهاوند وكان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد وهو إمام الدنيا في زمانه ويعد شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة ولكونه مصنواً عن العقائد الذميمة (الأعلام ٢/١٤١).

ثم الحب له أقسام: أعلاها قدراً حب الله ورسوله، وعلامته: فعل المأمورات، واجتناب المنهيات، واتباع السنة كما هو مبين في كتب الأحاديث<sup>(١)</sup>.

وهذا حب العامة من المؤمنين، لحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»<sup>(٢)</sup>. وفي حديث آخر: «ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر، كما يكره أن يقذف في النار»<sup>(٣)</sup>. وحب الخاصة: مشروح في كتب القوم؛ ومثاله ما قيل: مواطأة القلب بمرادات الرب، وقال بعض العارفين: الحب: أوله يحبهم، وآخره يحبونه<sup>(٤)</sup>، وبينهما مهج تذوب، وأرواح تطير إلى المحبوب. وأعلى من ذلك حب خواص الخواص، المشار إليه بقول بعضهم: الحب: فناء المحب في بقاء المحبوب، ومعناه: ألا يشاهد في الوجود سوى الذات العلية، وهو مقام الفناء عندهم، قال الشيخ لطف الله في المعارج: هو مرتبة للنفس يتلاشى لديها وجود سائر الكائنات، فتختلف عنها آثار الحواس الظاهرة والباطنة، وتقول تارة والقائل هو الحق على لسان العبد: إذا ما أزال الستر لم تر غيره وأخرى وليس معي في الملك شيء ولم يكن، قلت لو اصله: هل كنت في يقظة وكامل شعور؟ قال:

(١) قال تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] وروى ابن جرير عن الحسن قال: قال قوم على عهد رسول الله ﷺ: يا محمد إنا نحب ربنا فأنزل الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ قال: فجعل اتباع محمد ﷺ علماً لحبه وعذاب من خالفه (صعود الأقوال ١٦٥). وقال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه  
لو كان حبك صادقاً لأطعته  
هذا لعمري في القياس بديع  
إن المحب لمن يحب يطيع

(٢) الحديث أخرجه البخاري رقم ١٥، كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان، ومسلم رقم ٦٠، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان.

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد رقم ١٣٤٤٩.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿سَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

نعم، ولكنني لم أحس من جواهر العالم وأعراضه شيئاً، بل ونفسي التي بين جنبيّ وقال آخر: كنت في مراقبة، والليل مقمر، فإذا بتجلّ محق نوره، وخر له المحسوس من الجهات الست، والكل يصرخ: هو هو، قلت: كيف ذلك فتخرس اه. ومن ثمت ترى واصليه يجري على ألسنتهم ما يقضى بسببه عليهم بالقتل - كما في قضية الحلاج<sup>(١)</sup> الشهيرة-. وإذا وقفت على تائية ابن الفارض<sup>(٢)</sup> - قدس سره - رأيت من ذلك العجب العجائب .

القسم الثاني من أقسام الحب: حب العبد، لا لغرض وانتفاع، بل لله؛ وعلامته: ألا يزيد بالبر، ولا ينقص بالجفاء. نقله<sup>(٣)</sup> الشهاب الخفاجي<sup>(٤)</sup> عن ابن معاد، وهو ممدوح شرعاً؛ لحديث: «سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله تعالى، ورجل تعلق قلبه بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه، ورجل دعت امرأه ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»<sup>(٥)</sup>.

(١) الحلاج ( . . . - ٣٠٩هـ) الحسين بن منصور أبو مغيث فيلسوف يعد تارة من المتعبدين والزهاد وتارة في زمرة الملحدين أصله من بيضاء فارس ونشأ بواسط العراق وانتقل إلى البصرة وحج ودخل بغداد وعاد إلى تستر فظهر أمره سنة ٢٩٩ فأتبع بعض الناس طريقته في التوحيد والإيمان ثم كان يتنقل في البلدان وينشر طريقته سراً وكان يظهر مذهب الشيعة للملوك والصوفية للعامة وكثرت الوشايات به إلى المقتدر فأمر بالقبض عليه فسجن وعذب وضرب وهو صابر لا يتأوه ولا يستغيث وقطعت أطرافه ثم حز رأسه ثم احرق وألقي رماد جثته في دجلة (الأعلام ٢/٢٦٠).

(٢) مطلعها في ديوانه ص ٤٦:

سقتني حميا الحب راحة مقلتي وكأسي مُحَيًّا مِنْ عَنِ الحسَن جَلِيَّتِ

(٣) حاشية الشهاب ٣/ ٣٤٥ .

(٤) الشهاب الخفاجي (٩٧٩-١٠٦٩هـ) أحمد بن محمد المصري الحنفي شهاب أبو العباس لغوي أديب مشارك ولد بمصر وتوفي فيها، من مؤلفاته نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض، شفاء الغليل (معجم المؤلفين ٢/١٣٨).

(٥) الحديث أخرجه البخاري رقم ٦٢٠ كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد .

القسم الثالث: العشق مع التعفف وكف النفس، وهو ممدوح أيضاً لما روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «من عشق، فعف، فكنتم، فمات فهو شهيداً»<sup>(١)</sup>.

القسم الرابع: المذموم شرعاً وعقلاً، وهو الحب مع اتباع الهوى الموجب للنقص والدناءة. واعلم أن مراتب الحب كثيرة: الأولى: الهوى، والثانية: العلاقة، وهي الحب اللازم، والثالثة: الكلف، وهو شدة الحب، والرابعة: العشق، والخامسة: اللوعة واللاعج وهو: إحراق الحب للقلب مع لذة يجدها المحب، والسادسة: الشغف وهو: أن يبلغ الحب شغف<sup>(٢)</sup> القلب أي جلده،

(١) قال العجلوني في كشف الخفايا/٢٦٣ رقم ٢٥٣٨: رواه الخطيب عن ابن عباس مرفوعاً ورواه جعفر السراج في مصارع العشاق، وابن المرزبان، وهو مما أنكره يحيى بن معين وبجير على سويد حتى إن الحاكم قال في تاريخه: يقال: إن يحيى لما ذكر هذا الحديث قال: لو كان لي فرس ورمح لغزوت سويداً قال في المقاصد: لكنه لم ينفرد به، وقد رواه الزبير بن بكار عن مجاهد مرفوعاً بسند صحيح، وذكره ابن حزم في معرض الاحتجاج فقال: فإن أهلك هوى أهلك شهيداً وإن تمنن بقيت قرير العين روى هذا لنا قوم ثقات نأوا بالصدق عن كذب ومين وذكر نحوه منظوماً الباجي وأبو القاسم القشيري وغيرهما ومنه قول ابن الربيع: تعفف إذا ما تخل بالخل عالماً بكون إلهي ناظراً وشهيداً ففي خبر المختار من عف كاتماً هواه إذا ما مات مات شهيداً وقال في الدرر: له طرف عن ابن عباس وأخرجه الحاكم في تاريخ نيسابور والخطيب في تاريخ بغداد وابن عساكر في تاريخ دمشق والديلمي بلاسند عن أبي سعيد رفعه «العشق من غير ريبة كفارة للذنوب» وقد عقد شيخنا الشيخ عبد الغني حديث الديلمي فقال:

يا من يحب حبيبه	اترك جميع العيوب
واقدم بنفس منيية	واشرب بألطف كوب
ولا تخف شر ريبة	من جاهل محجوب
روى الثقات غريبة	لليلمي المرغوب
من ذي المعاني نسيبة	فردوسه المطلوب
قد قال من بث طيبه	طه شفا للقلوب
العشق من غير ريبة	كفارة للذنوب

(٢) الشَّغْفُ: غلاف القلب، وهو جلدة دونه كالحجاب وسُوَيْدَاؤُهُ . وقال الزجاج: في قوله تعالى: ﴿شَغَفَهَا حُبًّا﴾ ثلاثة أقوال: قيل: الشَّغْفُ غلاف القلب، وقيل: هو حبة القلب وهو سُوَيْدَاءُ القلب، وقيل: هو داء يكون في الجوف (اللسان ٩/١٧٩ شغف).

والسابعة: الجوى؛ وهو الهوى الكامن، والثامنة: التتيم وهو: أن يستعبد الحب صاحبه؛ ومنه تيم الله: أي عبد الله، والتاسعة: التبل وهو: فناء المحب بالهوى، والعاشرة: التوله وهو: ذهاب العقل، والأخيرة: الهيام وهو: تمام الحيرة، وانعدام العقل والحواس، فيلحق صاحبه بالمجانين<sup>(١)</sup>. وما أطف ما قال بعضهم: حرفا الحب: حتف وبلاء. وقد أنذر الفارضي حيث يقول:

هو الحب فاسلم بالحشاما الهوى سهل      فما اختاره مضنى به وله عقل  
وعش خالياً فالحب راحته عنا      فأوله سقم وآخره قتل<sup>(٢)</sup>  
هذا ومما قيل في معنى بيت الناظم، قول أحمد بن يحيى<sup>(٣)</sup>:

الحب أغلب للفضاد بقهره      من أن يرى للستر فيه نصيب  
وإذا بدا سر الحبيب فإنه      لم يبد إلا والفتى مغلوب  
إني لأبغض عاشقاً متستراً      لم تتهمه أعين وقلوب  
ومنه قول ليلي العامرية<sup>(٤)</sup>:

وأسرار الملاحظ أين تخفى      وما في القلب تظهره العيون<sup>(٥)</sup>

(١) وهناك تقسيم آخر في تنوير القلوب ص ٤٦٦ قال: المحبة: ميل الطبع إلى الشيء لكونه لذيذاً عند المحب، فإن تأكد ذلك الميل وقوي سمي غراماً لأنه يلزم القلب كلزوم الغريم، فإذا قوي سمي عشقاً أي إفراطاً في المحبة، فإذا قوي سمي شغفاً لأنه يصل إلى شغاف القلب من داخله، فإذا قوي سمي تتيماً أي تعبداً لأنه يصير المحب عبداً للمحبيب فيكون ذلك المحب متيماً مأموراً ومغرمًا مأسوراً لا يقر له قرار ولا يفرق بين النفع والضار .

(٢) ديوان ابن الفارض ١٦٨ .

(٣) أحمد بن يحيى (٧٢٥-٧٧٦هـ) التلمساني أبو العباس شهاب الدين ابن أبي حجلة عالم بالأدب شاعر سكن دمشق وولي مشيخة الصوفية بصهرنج بمنجك بالقاهرة ومات فيها بالطاعون كان يكثر من الحط على أهل الوحدة وخصوصاً ابن الفارض له أكثر من ثمانين مصنفاً (الأعلام ١/٢٦٩).

(٤) ليلي العامرية: ( . . . - نحو ٦٨هـ) ليلي بنت مهدي بن سعد أم مالك صاحبة المجنون قيس وكانت مغرمة بأحاديث الناس والأشعار ثم أكرهت على الزواج من آخر (الأعلام ٥/٢٤٩).

(٥) البيت في الأغاني ١٦/٢ برواية:

كلنا مظهر للناس بغضاً      وكل عند صاحبه مكين  
وأسرار الملاحظ ليس تخفى      إذا نطقت بما تخفي العيون



ومنه قول علي بن الجهم<sup>(١)</sup> في رائيته المشهورة:

بما بيننا من حرمة هل رأيتما      أرق من الشكوى وأقسى من الهجر  
وأفضح من عين المحب لسره      ولاسيما إن أطلقت عبرة تجري<sup>(٢)</sup>  
وما أطف قول ابن سهل في هذا المعنى:

خضعت وأمرك الأمر المطاع      وذاع السر وانكشف القناع  
وهل يخفى لذي وجد حديث      أتخفى النار يحملها اليفاع<sup>(٣)</sup>  
وبما أشرنا إليه صدرَ التقرير يُعلم أن لا التفات في البيت - كما قيل - بناء  
على أن المراد بالصب خصوص المخاطب، وبنوا عليه الالتفات في خطاب البيت  
بعده:

[٥] لولا الهوى لم تُرقْ دَمْعاً عَلَى طَلَلٍ      ولا أَرِقْتَ لِذِكْرِ الْبَانَ وَالْعَلَمِ

احتجاج على المخاطب المفروض إنكاره، بدليل انسجام الدمع الذي تقدم  
أنه فاضح لسر الهوى وبالأرق للذكر على طريقة البرهان الاقتراني كقوله:

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته      لما رأيت عليها عقد منتطق  
وحاصله: الاستدال بإرارة الدمع وبالأرق لذكر البان والعلم على كونه ذا

(١) علي بن الجهم ( . . . - ٢٤٩هـ ) أبو الحسن من بني سامة من لؤي بن غالب شاعر رقيق  
الشعر أديب من أهل بغداد كان معاصراً لأبي تمام وخص بالمتوكل العباسي ثم غضب عليه  
فنفاه إلى خراسان فأقام مدة ثم انتقل إلى حلب ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو فاعترضه  
فرسان من بني كلب فقاتلهم وجرح ومات من جراحه (الأعلام ٤/٢٦٩).

(٢) في ديوان علي بن الجهم ص ١٤٥ من قصيدته الرائية التي مطلعها:

عيون المها بين الرصافة والجسر      جبلن الهوى من حيث أدري ولا أدري

(٣) وفي معناه قول الشاعر:

أخفي الهوى ومدامعي تبديه      وأميته وصبابتي تحييه  
ومعذبي حلوا الشمائل أهيف      قد جمعت كل المحاسن فيه  
فكأنه في الحسن صورة يوسف      وكأنني في الحزن مثل أبيه  
يا محرقاً بالنار قلب محبه      مهلاً فإن دمامعي تطفيه  
أحرق بها جسدي وكل جوارحي      واشفق على قلبي لأنك فيه  
إن أنكر العشاق فيك صبابتي      فأنا الهوى وابن الهوى وأبيه

هوى . وبهذا يعلم أن ليس الغرض إخبار المخاطب بمضمون البيت حتى يقال إنه من باب قصد اللازم<sup>(١)</sup>، أو من تنزيل العالم منزلة الجاهل - كما قيل - فإنه خروج عن مقام الاستدلال والمحااجة - كما لا يخفى - . والهوى : أول مراتب الحب - كما تقدم - يقال هَوِيَّ - بكسر العين - يهوى هَوًى ، وأما هَوَى - بالفتح - هويأ فمعناه : سقط ، قال شيخ الإسلام<sup>(٢)</sup> : سمعت الإمام محب الدين ابن الإمام جمال الدين بن عبد الله بن هشام<sup>(٣)</sup> يقول : اتقوا المكسور؛ فإنه يؤدي إلى المفتوح<sup>(٤)</sup> .

والإراقة : الصب . والطلل : الشاخص من آثار الديار ، وما لا شخص له من آثارها كملعب الصبيان يقال له : الرسم ، وأراد به الناظم : ما بقي من آثار الجسم الذي نهكه الضنى والأسف ؛ على طريقة الاستعارة التصريحية ؛ للمشابهة البيئية ، فيكون مشيراً إلى غلبة السقم على جسمه ، توطئة لما يذكره في البيت بعده ، ومثله كثير في كلام الشعراء ؛ ومن أبلغ ما قيل فيه قول أبي الطيب :

أبلى الهوى أسفاً يوم النوى بدني      وفرق الهجر بين الجفن والوسن  
روح تردد في مثل الخلال إذا      أطارت الريح عنه الثوب لم يبين<sup>(٥)</sup>  
كفى بجسمي نحولاً أنني رجل      لولا مخاطبتي إياك لم ترني<sup>(٦)</sup>

(١) أغراض الخبر هي إما إعلام المخاطب أمراً يجهله ويسمى فائدة الخبر، وإما إعلام المخاطب بأن المتكلم عالم بالخبر ويسمى لازم الفائدة (البلاغة الواضحة ١٦٥).

(٢) شيخ الإسلام: ابن مرزوق وقد تقدمت ترجمته .

(٣) محب الدين: محمد بن محمد بن عبد الرحمن وهو ابن حفيد ابن هشام متوفى سنة ٩٠٧م . انظر الضوء اللامع ٩٢/٩ .

وأما ابن هشام (٧٠٨-٧٦١هـ) عبد الله بن يوسف أبو محمد جمال الدين بن هشام من أئمة العربية مولده ووفاته بمصر له مصنفات منها: مغني اللبيب وشذور الذهب وأوضح المسالك (الأعلام ٤/١٤٧).

(٤) قال الشاعر :

جمع الهوى مع الهوى في أضلعي      فتكاملت في مهجتي ناران  
فقصرت بالممدود عن نيل المنى      ودرجت بالمقصور في أكفان

(٥) الخلال : ما حل به الثوب والجمع الأخلة (اللسان : ١١/٢١٤) وهي الإبرة .

(٦) ديوان المتنبي ٤/٣١٧ .

وهو مع ما فيه من المبالغة أعذب منه صنيع المصنف وأرق؛ فإن جسم المحب لما كان منزلاً للحبيب معنى كان حكمه حكم المنازل الحسية، فناسب أن يكون ظللاً عند بلاه كما تكون المنازل الحسية، وما أعذب ما اعتذر به بعض المحبين عن عدم النحول في قوله:

وقائلة: ما بال جسمك لا يرى سقيماً وأجسام المحبين تسقم

فقلت لها: قلبي بحبك لم يبح لجسمي فجسمي بالهوى لم يعلم

هذا وحملُ الشراح الظلل في البيت على ظلل ديار الأحبة، وصرف على إلى معنى التعليل، وتقدير المضاف أي لأجل ذكر ديار الأحبة خروج عن مذاق الكلام وما تقتضيه صياغة النظام، مع ما فيه من المناقضة لما بني عليه صدر كلام المصنف كما لا يخفى عليك إن كنت ذا تيقظ. وأرق - من باب فرح - : من الأرق وهو - كما في القاموس<sup>(١)</sup> - : السهر بالليل، فما قيل: إن في البيت إيجاز الحذف؛ والتقدير: أرقت ليلتك، فحذف المتعلق، وقد لا يعلق أرقت بمفعول، وهو أولى ليعم السهر أوقاته، ويفيد أنه لا ينام ليلاً ولا نهاراً، فضولاً من الكلام، وإن وقع من شيخ الإسلام، وعلى منواله قوله في: دمعاً وظلل حذف أيضاً، والتقدير: دمعاً من عينيك على ظلل لأحبابك ا.هـ. والبان: شجر يسمو ويطول في الاستواء، ليس لعوده صلابة. والعلم: مطلق جبل، وقيل: الطويل.

ومعنى البيت: أنك لو لم تكن ذا هوى لما أرقت دمعاً على جسمك البالي، ولما مزقت بالأرق دياج الليالي، لكنك أرقت وأرقت، فأنبأت عن وجد متقدم، وهوى متراكم، وإنما كان الأرق ناشئاً عن الذكر؛ لأنه يوجب - كما تقدم - مضاعفة الحرارة، فتفنى رطوبات الدماغ الناشئة عن صعود أبخرة المعدة إليه؛ وذلك أن سبب النوم جمود تلك الرطوبات بالدماغ؛ والسبب فيه كثرة الطعام والشراب، فتشتغل الحرارة بهضمها، ويضعف ما يصل منها إلى الدماغ، فتجمد الرطوبات، فيحصل النوم والسبات<sup>(٢)</sup>. ومن أعذب ما قيل في الجمع بين الأرق والبكاء قول ابن الفارض:

(١) القاموس ١١١٦ (أرق).

(٢) علق أستاذنا الدكتور مازن بقوله: هذا شرح مادي علمي يفسد جمال الشعر!!

فسهدي حي في جفوني مخلد ونومي بها ميّت ودمعي له غسل<sup>(١)</sup>  
 وحديث الأرق كثير في كلام الشعراء، وتصرفوا فيه تصرفات كثيرة،  
 واشتكوا من طول الليل ووقوف النجوم - كما هو شهير<sup>(٢)</sup> - ومن أعذب ما قيل  
 في ذلك قول بعضهم:

لما رأيت النجم ساه طرفه والقطب قد ألقى عليه سباتا<sup>(٣)</sup>  
 وبنات نعش في الحداد سواهر أيقنت أن صباحهم قد ماتا  
 وفي معناه قول ابن الفارض:

ونومي مفقود وصبحي لك البقا وسهدي موجود وسقمي نامي<sup>(٤)</sup>  
 وما أطف قول بعضهم مظهراً للتجلد مخاطباً ليل:

يا ليل ظل أو لا تطل لا بد لي أن أسهرك  
 لو بات عندي قمري ما بت أرعى قمرك<sup>(٥)</sup>

هذا وقد سلك الناظم بالبيت طريقة عربية بدوية فحسن له عطف العلم على  
 البان، لاجتماعهما في خيال سكان الخيام، وإن لم يكونا كذلك عند أرباب  
 الحاضرة، ومن المعجز في ذلك قوله عز اسمه: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآبِلِ كَيْفَ  
 خُلِقَتْ ﴿٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ  
 سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

قال إمام صناعة الأدب، أبو يعقوب يوسف السكاكي<sup>(٦)</sup>، في مفتاح العلوم:  
 «إذا علم أن الكلام في الآية مسوق لأهل الوبر، ظهرت حلاوة التنزيل، وذلك أن

(١) ديوان ابن الفارض ١٣٥ .

(٢) ومنه قول امرئ القيس (في ديوانه ١٨ طبعة دار المعارف):

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

(٣) البيتان لناصح الدين الأرجاني .

(٤) ديوان ابن الفارض ١٦٣ .

(٥) البيتان لابن زيدون .

(٦) السكاكي (٥٥٥-٦٢٦) يوسف بن أبي بكر بن محمد الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب سراج  
 الدين عالم العربية والأدب مولده ووفاته بخوارزم من كتبه مفتاح العلوم (الأعلام ١/ ٢٢٢).

الصور الأربعة متقارنة في خيالهم، وذلك أن مطعمهم ومشربهم وملبسهم من المواشي، فكانت عنايتهم مصروفة لا محالة إلى أكثرها نفعاً؛ وهي الإبل، ثم إذا كان انتفاعهم بها لا يتحصل إلا بأن ترعى وتشرب كان جل مرمى غرضهم نزول المطر، وأهم مسارح النظر عندهم السماء، ثم إذا كانوا مضطرين إلى مأوى يأويهم، وإلى حصن يتحصنون به، ولا مأوى ولا حصن إلا الجبال:

لنا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل<sup>(١)</sup>  
فما ظنك بانبعاث خاطرهم إليها، ثم إذا تعذر طول مكثهم في منزل ومن لأصحاب مواش بذلك كان عقد الهمة عندهم بالتنقل من أرض إلى أرض من عزم الأمور<sup>(٢)</sup>.

[٦] ولا أعارتك لَوْنِي عَبْرَةَ وَضْنِي ذِكْرِي الْخِيَامِ وَذِكْرِي سَاكِنِي الْخِيَمِ  
أعارتك: أعطتك على وجه العارية، وهو واوي العين، ومن ثم وهموا الجوهري؛ إذ قال<sup>(٣)</sup>: إن العارية منسوبة إلى العار، لأن طلبها عار وعيب اهـ<sup>(٤)</sup>  
فإن العار يائي العين - كما في القاموس<sup>(٥)</sup> - وإنما وجه التسويه هو أن العارية متداولة بين المعير والمعار، والتداول: التعاور. ولوني: تثنية لون، وهو أحد الكيفيات المحسوسة<sup>(٦)</sup>؛ قال الإمام الرازي: اللون بأنواعه متصور تصوراً أولياً فلا يعرف بحد ولا رسم، واختلف في أصل الألوان؛ فليل: البياض والسواد، وقيل: والصفرة والحمرة والخضرة والبقية تحصل بالتركيب منها. وعليه فما في البيت من الأصول؛ لأن لون العبرة الحمرة من حيث المزج بالدم - كما تقدم -، ولون الضنى الصفرة. والعبرة: سيلان الدمع، وتطلق على الدمعة السائلة أخذاً

(١) البيت للسموئل في ديوانه ٥٥ .

(٢) مفتاح العلوم ٣٦٦ .

(٣) في الأصل: قالوا والصواب ما أثبتناه .

(٤) كلام الجوهري في الصحاح (عور) ٧٦١/٢: والعارية - بالتشديد - كأنها منسوبة إلى العار لأن طلبها عار وعيب وأنشد:

إنما أنفسنا عارية والعواري قصارى أن ترد

(٥) القاموس ٥٧٤ (عبر).

(٦) الكيفيات المحسوسة: اللون والطعم والرائحة .

من العبور بمعنى المجاوزة؛ لمجاوزة الدمع العين إلى الخد. والظني: المرض، والصفرة ناشئة عنه، وبهذا تعلم أن الإضافة ليست على نسق واحد<sup>(١)</sup>. والخيام: جمع خيمة؛ وهي بيت تبنيه العرب من العيدان، ويجمع على خيمات وخيم، وعن أبي منصور<sup>(٢)</sup>: «أن الخيمة خباء من صوف»<sup>(٣)</sup>. ونقل شيخ الإسلام عن بعض مشايخه: أن خيام العرب: محل إقامتهم، ومنه خيم بالمكان: إذا أقام به اهـ.

ومعنى البيت: لولا الهوى لم تُعرك ذكر الخيام وساكنيها حمرة الدمع، وصفرة الظني، ومن البين أنه لا حقيقة للإعارة في المقام؛ فإما أن يقال: شبه إثارة الذكرى لمزج الدمع بالدم وللظني وصفرتة بالإعارة؛ بجامع أن كلاً يوجب حصول الشيء لا على وجه الاستقرار فتكون في الفعل تبعية، أو يقال: شبه الهيئة المنتزعة من إثارة الذكرى لهما بالهيئة المنتزعة من إعارة المعير للشيء، واستعمل اللفظ الموضوع للثاني في الأول على طريقة التمثيل. والغرض من الاستعارة: التنبية على عدم أصالة اللونين فيه، فيتم بهما الاستدلال، وعلى شدة تأثير الذكرى فيهما حتى كأنهما من أملاكها، وعلى أن حمرة الدمع وصفرة الظني مما يتزين بهما المحب كما هو الشأن في المستعار. وفي رواية عن المصنف: ثوبي عبرة... إلخ وعليها فالإضافة إضافة مشبه إلى مشبه به بجامع الاشتمال.

ومثله كثير في الشعر، قال ابن سهل:

(١) أي قوله: (لوني عبرة وظني) لأن العبارة لونها الأحمر، والظني لا لون له لكن ينشأ عنه الاصفرار.

(٢) أبو منصور الثعالبي (٣٥٠-٤٢٩هـ) عبد الملك بن محمد من أئمة اللغة والأدب من أهل نيسابور كان فراء يخطط جلود الثعالب فنسب إلى صناعته واشتغل بالأدب والتاريخ فصنف الكتب الكثيرة الممتعة من كتبه فقه اللغة وأسرار العربية (الأعلام ٤/١٦٣).

(٣) قال أبو منصور: خباء من صوف، بجاد من وبر، فسطاق من شعر، سراق من كرسف (قطن)، قشع من جلود يابسة، طراف من آدم، حظيرة من شذب (قطعة شجر)، أفنة من حجر، قبة من لبن، سترة من مدر. فقه اللغة ٢٦٣.

وإني لثوب السقم أجدر لابس  
وقال أيضاً:  
وجدت بثوب التبر فوق مورس  
وقال القاضي الأرجاني<sup>(٢)</sup>:  
غالطني من كست جسمي ضنى  
ثم قالت: أنت عندي في الهوى  
وما أطف قول ابن العفيف<sup>(٣)</sup>:  
سهر الجفون يلذ للمشتاق  
فاختر سهادك في الكرى عوض الكرى  
وبما قررناه يعلم أن ليس في إسناد الإعارة مجاز عقلي، ولا في لوني عبرة  
وضنى مكنية - كما ظنه شيخ الإسلام -.

هذا وفي الجمع بين ذكرى الخيام وذكرى الساكنين وإعادة المضاف مع الثاني  
إيماء إلى أن لذات ديار الأحبة نصيباً من الحب، لأنها مطالع شمس المودة؛ قال  
المناوي<sup>(٤)</sup> في شرح الجامع الصغير: «علامة صدق المحبة أن يحب كل ما ينسب  
إلى المحبوب»<sup>(٥)</sup> اهـ، وقد خرج المصنف بذلك عن طريق من يقول:

(١) ديوان ابن سهل ١٠٦ .

(٢) الأرجاني (٤٦٠-٥٤٤هـ) أحمد بن محمد بن الحسين ناصح الدين أبو بكر فقيه شاعر تولى  
القضاء بتستر وتوفي بها من آثاره ديوان شعر كبير والأرجاني نسبة إلى أرجان من كور الأهواز  
من بلاد خوزستان (معجم المؤلفين ٩٤/٢).

(٣) ابن العفيف (٦٦١-٦٨٨هـ) محمد بن سليمان التلمساني المعروف بالشاب الظريف وبابن  
العفيف شمس الدين أبو عبد الله شاعر ولد بالقاهرة وتوفي بها من آثاره ديوان شعر ومقامات  
العشاق (معجم المؤلفين ٥٣/١٠).

(٤) المناوي (٩٥٢-١٠٣١هـ) محمد عبد الرؤوف الحدادي المناوي القاهري زيد الدين من كبار  
العلماء بالدين والفنون انزوى للبحث والتصنيف وكان قليل الطعام كثير السهر فمرض  
وضعفت أطرافه فجعل ولده محمد يستملي منه تأليفه له نحو ثمانين مصنفاً منها فيض القدير  
وشرح الشمائل (الأعلام ٦/٢٠٤).

(٥) فيض القدير ٣/٣٧٠ شرح حديث: «حب قريش إيمان وبغضهم كفر».

أمر على الديار ديار ليلي  
وما حب الديار شغفن قلبي  
وتقلد مذهب أبي فراس إذ يقول:  
علي بربع العامرية وقفه  
ومن مذهبي حب الديار وأهلها  
وهو منتزع من قول البحري:  
فسقى الغضا والساكنيه وإن هم  
[٧] فكيف تُنكرُ حباً بعد ما شهدت  
كيف: استفهام تعجبي. والإنكار: ضد الاعتراف، ويستعمل ثلاثياً<sup>(٤)</sup>، كقول  
الأعشى:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت  
من الحوادث إلا الشيب والصلعا<sup>(٥)</sup>  
وشهدت: بمعنى أخبرت، من شهد عند القاضي: إذا أخبر بما يعتقد في حق  
المشهود له وعليه. وعدول: جمع عدل، وأصله المصدر: ضد الجور، وقد  
كثر استعماله في الشاهد المرضي المقنع في الشهادة، إما بملاحظة مضاف أي ذو  
عدل، أو مبالغة في الاتصاف حتى جعل عين الوصف؛ كما قيل في قوله:  
فإنما هي إقبال وإدبار<sup>(٦)</sup> .....

وعليهما يلتزم إفراده - كما هو شأن المصادر-، وإما باعتبار التأويل باسم  
الفاعل، فيصح فيه التثنية والجمع والإفراد، وعلى ذلك قولهم: عدل وعدول

(١) الأبيات في ديوان مجنون ليلي ص ١٧٠ .

(٢) ديوان أبي فراس ص ٤٢ .

(٣) البيت للبحري في ديوانه .

(٤) أي: يستعمل نكر كما يستعمل أنكر .

(٥) ديوان الأعشى ٢٢٠ من قصيدته التي مطلعها:

بانة سعاد فأمسى حبلها انقطعا  
واحتلت الغمر فالجدين فالفرعا

(٦) البيت للخنساء في ديوانها ٥٣ :

فَرتُّعُ ما رَتَّعتُ حتَّى إذا أدَّكرتُ  
فإنَّما هي إقبالٌ وإدبارُ



-كما في شيخ الإسلام-. والسقم: المرض، وهو في البيت بفتحتين، ويضم أوله ويسكن ثانيه، قال صاحب العدة: وكثيراً ما تتعاقب الصيغتان كالبخل والبخل والعرب والعرب والعجم والعجم. وكلمة ما مصدرية صلتها الفعل بعدها -كما قاله ابن القصار-، وقول شيخ الإسلام: إنه بعيد؛ لذكر العائد في صلتها فهي اسمية موصولة أو موصوفة، غفلة بينة، فإن ضمير به يرجع إلى الحب المشهود به المتقدم- كما هو بين- وفي قوله: شهدت استعارة تبعية تشبيهاً للدلالة البيّنة بالشهادة. وإضافة العدول إلى الدمع والسقم على طريق قوله:

والريح تعبت بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء<sup>(١)</sup>  
وفيه ترشيح للاستعارة<sup>(٢)</sup>.

والمعنى: كيف يتأتى لك إنكار الحب وقد قام بأعبائه شاهدان لا ترد شهادتهما في شرعة الهوى هما الدمع والسقم، ومما قيل في معناه قوله:

وعندي شهود للصبابة والأسى يزكون دعواي إذا جئت أدعي  
سقامي وتسهيدي وشوقي وأنتي ووجدني وأشجاني وحزني وأدمعي  
وفي الجمع بين الإنكار والشهادة والعدول مراعاة النظير؛ ومن غيرها قوله:

أصح وأقوى ما سمعناه في الندى من الخبر المأثور منذ قديم  
أحاديث ترويتها السيول عن الحيا عن البحر عن كف الأمير تميم<sup>(٣)</sup>

وقد ذكرني معنى البيتين ما انتزع منهما بعض أهل فاس على عهد السلطان مولاي محمد<sup>(٤)</sup> وذلك أنه اجتمع في مجلس السلطان فأنشد بعض الحاضرين قول الشاعر:

(١) البيت لابن خفاجة رقم القصيدة ٢٩٠ ص ٣٥٦. والإضافة الوصفية هي: إضافة الشيء إلى صفته، فقوله عدول الدمع أي الدمع العدل، ولجين الماء: أي الماء مثل اللجين (الفضة).

(٢) الترشيح في الاستعارة: أن يذكر مع الاستعارة ما يلائم المشبه به، وقسيمها الاستعارة المجردة وهي ما يذكر معها ملائم المشبه (البلاغة الواضحة ٩٨).

(٣) البيتان لابن رشيق في ديوانه ١٧٠.

(٤) السلطان محمد الصادق باشا تقدمت ترجمته.

سألت الندى: هل أنت حر؟ فقال: لا  
ولكنني عبد ليحيى بن خالد<sup>(١)</sup>  
فقلت: شراء؟ قال: لا بل وراثة  
توارثني عن والد بعد والد<sup>(٢)</sup>  
فقال السلطان: إن ذلك لغاية في باب، فقال ذلك البعض: لو شئت لقلت  
أحسن منه وأنشد:

ولما رأيت الجود في البحر فاشيا  
ومن جوده الدر التنظيم المنضد  
فقلت: ومن في الناس علمك الندى؟  
فقال: أمير المؤمنين محمد  
فتعجب السلطان والحاضرون؛ لارتجاله؛ وجودة مقاله، وأعطاه السلطان  
جائزة عظيمة. ومن جيد مراعاة النظر قول ابن الفارض رحمه الله:

بانكساري بذلتي بخضوعي  
بافتقاري بفاقتي بغناكا<sup>(٣)</sup>  
ومنها - على طريق الشاهد الأول - قول أحمد الخطابي<sup>(٤)</sup>:

روت لي أحاديث الغرام صبابتي  
عن الدمع عن طرفي القريح عن الجوى  
بإسنادها عن بانه العلم الفرد  
عن الشوق عن قلبي الجريح عن الوجد

(١) يحيى بن خالد (١٢٠-١٩٠هـ) أبو الفضل الوزير السريّ الجواد سيد بني برمك وأفضلهم وهو مؤدب الرشيد ومعلمه ومربيه رضع الرشيد من زوجته مع ابنها الفضل فكان يدعوها يا أبي وأمره المهدي سنة ١٦٣ وقد بلغ الرشيد ١٤ سنة أن يلازمه ويكون كاتباً له ولما ولي هارون الخلافة دفع خاتمه إلى يحيى وقلده أمره فبدأ يعلو شأنه واشتهر بالود وحسن السياسة واستمر إلى أن نكب الرشيد البرامكة فقبض عليه وسجنه في الرقة إلى أن مات فقال الرشيد: مات أعقل الناس وأكملهم (الأعلام ١٤٤).

(٢) قال عبد اللطيف الصيرفي:

سَأَلْتُ النَّدَى هَلْ أَنْتَ؟ فَقال: لا  
لِيِ المِئْتَةُ الكُبْرَى عَلَى الناسِ كُلِّهِمْ  
تَظُنُّ بِأَتِي غَيْرُ حُرٍّ وَمَاجِدٍ  
فَقُلْتُ شِراءَ قال: لا بل وِراثَةً  
وَلَكِنِّي عَبْدٌ لِيَحْيَى بنِ خالِدٍ  
فَمَا أَنَا إِلَّا عَبْدُهُ وَابْنُ عَبْدِهِ  
عَنِ الجودِ عَنِ جَدِّهِمْ عَنِ مَحامِدِ  
تَوَارَثَني عَنِ وَالِدِ بَعْدَ وَالِدِ

(٣) ديوان ابن الفارض ١٥٨ .

(٤) أحمد الخطابي (توفي في حدود سنة ٩٠١هـ) أحمد بن عثمان السمرقندي الشافعي المشهور بمنلا زاده شهاب الدين عالم فقيه مقرئ من تصانيفه شرح هداية الحكمة وشرح الشمسية (معجم المؤلفين ١/٣١٠).

[٨] وَأَثَبَتِ الْوَجْدُ خَطِيئَةَ عَبْرَةٍ وَضَنَى مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَدَيْكَ وَالْعَنَمَ

الوجد: الحزن. وخطيئ: تثنية خط؛ وهو معروف. والبهار: ورد أصفر؛ وفي مفردات الفاسي، نقلاً عن الصقلي<sup>(١)</sup>: أنه النرجس البستاني. والعنم: شجرة حجازية، لها ثمرة حمراء، تشبه البنان المخضوب - كذا في القاموس<sup>(٢)</sup> - . والمراد بالخطين: الأثر الناشئ عن كل من العبرة والضنى، فأثر الأول جراحات الخد بكثرة جريان الدمع عليه، وأثر الثاني صفرته.

ومعنى البيت: أن الحزن أثبت ذنك الخطين على الخد تمييزاً لشهادة الدمع والسقم، كما يفعل الحاكم بوثائق الشهادة دلالة على قبولها وثبوت الحق بها. وقد أجاد في ذلك كل الإجادة، وناسب بين البيتين غاية المناسبة. هذا، ومن أعذب ما قيل في الخط على الخد قول ابن سهل:

رشأ يهيم بحسن منظره الرشا يروي ويرعى في المدامع والحشا  
قلم الجمال بصحن خده قد وشى احكم على أهل الغرام بما تشا  
وقد الملاح وأنت فيهم والي

[٩] نَعَمَ سَرَى طَيْفٌ مَنْ أَهْوَى فَأَرْقَنِي وَالْحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَاتِ بِالْأَلَمِ

جواب من المسؤول بالإقرار والاعتراف بالهوى بعد انكشاف حاله بالأدلة المتقدمة، ورجع في الجواب إلى التكلم؛ لبيان كون المسؤول هو المتكلم في المعنى؛ ولأنه لا يتأتى الإقرار مع الخطاب، وليس الكلام من الاستئناف البياني جواباً لسؤال تقديره: ما قال لك المسؤول؟ والتقدير قال: نعم - كما زعم شيخ الإسلام - فإن المقام لإنشاء السؤال والجواب للحكايتهما كما لا يخفى. وكلمة نعم: حرف أفاد التصديق فيما ادعاه السائل من كون المسؤول ذا هوى، وهو محصول كلامه السابق؛ وعليه فقوله: سرى استئناف يبين به سبب أرقه، وما يتبعه من البكاء والضنى حتى انكشفت حاله. وقد يجعل تصديقاً لدعوى أنه أرق؛

(١) الصقلي ( . . . - ٧٢٧هـ) محمد بن محمد بن محمد فخر الدين فقيه شافعي ولي قضاء دمياط وله تأليف في فروع الشافعية (الأعلام ٣٣/٧).

(٢) القاموس ١٤٧٣ (عنم).

فيكون تصريحاً بما دلت عليه كلمة نعم لزيادة الإيضاح ودفعاً لتوهم كون الجواب منوطاً بالاستفهام، على حد قول ابن الفارض:

يقولون لي: صفها فأنت بوصفها خبير أجل عندي بأوصافها علم<sup>(١)</sup>  
 فإن المناسب أن تكون كلمة أجل تصديقاً للخبر، وصرح به بعدها؛ دفعاً  
 لتوهم كونها عدة للأمر، ولذا اختارها على نعم لغلبتها في التصديق حتى قال  
 الزمخشري وابن مالك<sup>(٢)</sup> وغيرهما: إنها لا تكون إلا له. وقد يُخَرَّج على التوزيع  
 فتكون عدةً وقوله: عندي.. إلخ تصديق، إلا أن المقام لا يناسب الوعد - كما  
 هو بين- والأظهر أن تكون نعم في النظم لمجرد التأكيد -نقله شيخ الإسلام عن  
 بعض- وأكثر ما يكون ذلك إذا افتتح بها الكلام فمقصود المحب: شرح حاله  
 على سبيل الإجمال بقوله: سرى، وبه يحصل جواب ضمنى مقنع للسائل فيما  
 أراده، وسرى وأسرى: بمعنى سار ليلاً، فحدّثه خاص بالليل إلا أنه مطلق فيه  
 كما هو شأن الحدث الفعلي، فإذا قصد الإخبار بذلك المطلق استغنى بالفعل،  
 وإذا أريد التقييد بالعدة أو الوصف احتيج إلى التصريح بالليل محلي بما يفيد  
 المراد، وعلى ذلك جاء قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء:  
 ١] الآية، فإن المراد بيان الوحدة من الليل المدلولة للتنوين، وأما توجيه صاحب  
 الكشف والقاضي<sup>(٣)</sup>: بأنه صرّح به للدلالة بالتنوين على البعضية أي في بعض  
 من الليل فغير تام؛ إذ لا يدل تنكير الاسم على إرادة بعض منه -كما لا يخفى-  
 والطيّف: الخيال في النوم. ويعترض: بمعنى ينقص، من قولهم: اعترض فلان

(١) ابن الفارض ١٤٢ .

(٢) ابن مالك (٦٠٠-٦٧٢هـ) محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبالي أبو عبد الله جمال الدين أحد الأئمة في علوم العربية ولد في جيان (بالأندلس) وانتقل إلى دمشق فتوفي بها، أشهر كتبه الألفية (الأعلام ٦/٢٣٣).

(٣) القاضي البيضاوي: الإمام القاضي أبو الفتح عبد الله بن محمد الفارسي ثم البغدادي الحنفي صالح متواضع متحرر في قضائه الخير مثبت، توفي سنة ٥٣٧هـ. سير أعلام النبلاء، ١٨٢/٢٠. وكلامه في تفسير البيضاوي ٣/٤٢٩: قال "وليلاً نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتكثيره على تقليل مدة الإسراء ولذلك قرئ: ﴿مِنَ اللَّيْلِ﴾ أي بعضه".

وكلام الزمخشري في الكشف ٢/٣٥٠ .

عرضي: إذا وقع فيه وأنقصه - كما في الأساس<sup>(١)</sup> - أو بمعنى يمنع من الاعتراض بمعنى المنع - كما في القاموس<sup>(٢)</sup> - واللذة والألم: من الكيفيات الوجدانية، وفي الإشارات للشيخ<sup>(٣)</sup> تعريفهما: فاللذة: إدراك ونيل لوصول ما هو كمال وخير عند المدرك، من حيث إنه كمال وخير. والألم: إدراك ونيل لوصول ما هو آفة وشر عند المدرك، من حيث إنه آفة وشر. اهـ. وجمع بين الإدراك والنيل؛ لأن مجرد الإدراك الذي هو حصول مثالي لا يوجب لذة ولا ألماً، ونيله من غير إدراك وصوله لا يحصل به شيء منهما.

ومعنى البيت: أنه سرى طيف من هويته فأيقظني فرحاً به، فتبين أنه أمر خيالي، وثار الحزن والتفكير، وحصل الأرق، وكذا عادة الحب ينقص اللذة بالألم ويمنعها، وقد منع لذة الوصال الخيالي، واستبدلها بالأرق<sup>(٤)</sup> والحزن، وقد أتى بقوله: والحب... إلخ جارياً مجرى المثل متضمناً لكون الحب ذلك ديدنه، فيتسلى به المحب بعض تسلل، قال ابن حجة: ضرب المثل نوع لطيف من البديع، منه قول النابغة:

ولست بمستبق أخاً لاتلمه  
ومنه قول بشار في معناه:

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى  
ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه<sup>(٦)</sup>

(١) أساس البلاغة ٢٩٨ .

(٢) القاموس ٨٣٤ (عرض).

(٣) الشيخ ابن سينا (٣٧٠-٤٢٨هـ) الحسين بن عبد الله أبو علي الملك الفيلسوف الرئيس صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعات والإلهيات أصله من بلخ ومولده في بخارى ونشأ وتعلم بها وطاف البلاد وتقلد وزارة همذان وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته (الأعلام ٢/٢٤١). واسم كتابه الإشارات والتنبيهات في المنطق والحكمة (كشف الظنون ١/٩٤).

(٤) كثيراً ما يقع ابن عاشور في خطأ استعمال باء الاستبدال فالأولى أن يقول: واستبدل بها . أفادني بهذا فضيلة أستاذنا الدكتور مازن المبارك.

(٥) ديوان النابغة ص ٤٧ طبعة دار صعب .

(٦) ديوان بشار ١/٣٠٩ .

وأكثر الشعراء ضرباً للمثل أبو الطيب، فمن جيد أمثاله قوله:

والهجر أقتل لي مما أراقبه أنا الغريق فما خوفي من البلبل<sup>(١)</sup>  
ومن أمثاله الحكمية قوله:

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم  
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم<sup>(٢)</sup>  
هذا، وحديث الطيف شهير في كلام الشعراء، من ذلك في معنى كلام الناظم  
قول بشار:

لم يطل ليلي ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيف ألم<sup>(٣)</sup>  
ومن أعذب ما قيل فيه قول بعضهم:  
عابت طيف الذي أهوى وقلت له:  
فقال: آنست ناراً من جوانحك  
فقلت: نار الجوى معنى وليس لها  
فقال: نسبتنا في الأمر واحدة  
ولما قطع المسؤول لججاج السائل بإقراره، وأظهر ما كان يكتم من أسرارهِ،  
وكشف عن وجه حبه القناع، وأقر الخصم وارتفع النزاع:

أشاعوا أنني عبد لموسى نعم صدقوا عليّ بما أشاعوا  
وقد سكت الوشاة اليوم عني أقر الخصم فارتفع النزاع<sup>(٤)</sup>  
وكان احتجاجه في السؤال ينبئ عن كونه لائماً فخاطبه بذلك العنوان على  
الطريقة السابقة من التجريد فقال:

[١٠] يا لائمي في الهوى العذريّ معذرةً منّي إليك ولو أنّصفتَ لم تلمّ  
اللائم: العاذل، وبمعناها: اللاحي. والعذري: نسبة إلى بني عذرة؛ قبيلة

(١) ديوان المتنبي ٣/٢٠٠ .

(٢) ديوان المتنبي ٤/٢٤٥ .

(٣) ديوان بشار ٤/١٦٦ .

(٤) البيتان لابن سهل الأندلسي ٢١٧ .

من العرب، تُنسب إلى عذرة بن سعد بن هذيم بن زيد بن كعب بن سود بن أسلم بن الحرث بن قضاة. وكان لهذه القبيلة في الحب شأن عظيم، وشهرة طبقت الآفاق، وتهالك خارج عن المعتاد في أوان الصبا وزمن الشبيبة، أفضى بهم إلى سكنى القبور، واختصوا بهذا الأمر، وصار شعاراً لهم، حتى قال بعض شعرائهم:

إذا خلص العذري من ميته الهوى فذاك ورب العاشقين دخيل  
ومن هذا القبيل: جميل<sup>(١)</sup> صاحب بثينة. ومن قوله فيما يناسب بيت الناظم ما رواه الأصمعي:

لا خير في الحب وقفاً لا تحركه عوارض اليأس أو يرتاعه الطمع  
لو كان لي صبرها أو عندها جزعي لكنت أملك ما آتي وما أدع  
إذا دعا باسمها داع ليحزنني كادت له شعبة من مهجتي تقع  
لأحمل اللوم فيها والغرام بها ما حمل الله نفساً فوق ما تسع<sup>(٢)</sup>  
وعروة بن حزام صاحب عفرأ<sup>(٣)</sup>، وخبرهما مشهور في الدواوين<sup>(٤)</sup>.

- (١) جميل (.. - ٢٨هـ) جميل بن عبد الله العذري القضاعي أبو عمرو شاعر من عشاق العرب افتتن ببثينة من فتيات قومه فتناقل الناس أخبارهما، شعره يذوب رقة، أقل ما فيه المدح قصد مصر وافداً على عبد العزيز بن مروان فأكرمه وأمر له بمنازل (الأعلام ٢/١٣٨).
- (٢) ديوان جميل ص ١١٩.
- (٣) عروة بن حزام (.. - نحو ٣٠هـ) الضني من بني عندة شاعر من ميمية العرب كان يحب ابنة عمه عفرأ نشأ معه في بيت واحد لأن أباه خلفه صغيراً فكفله عمه ولما خطبها طلبت أمها مهراً لا قدرة له عليه فرحل إلى عمِّ له باليمن وعاد فإذا هي قد تزوجت بأموي فلحق بها فأكرمه زوجها فودعها وانصرف فضنى حباً فمات قبل بلوغ دياره ودفن في وادي القرى (الأعلام ٤/٢٢٦).
- (٤) من ذلك قوله (في ديوانه ٥١):

ألا خبراني أيها الرجلان  
وكيف يلذ النوم أم كيف طعمه  
أصلي فأبكي في الصلاة لذكرها  
تمنيت من وجدي بعفرأ أنني  
عن النوم إن الشوق عنه عداني  
صفا لي النوم لي إن كنتما تصفاني  
لي الويل مما يكتب الملكان  
إزار لها تحت القميص يمان  
بعيران نرعى القفر مؤتلفان  
تمنيت من وجدي بعفرأ أننا

ومعذرة: مصدر ميمي منصوب بما تقديره: أعذرك معذرة. والإنصاف: العدل.

ومعنى البيت: أيها اللائم في الهوى الذي لا يمكن زواله وانفصاله، إنني أعذرك عذراً مني إليك بجهلك حقيقة الهوى، وعدم مكابدتك الشوق والجوى، ومع ذلك لو ارتكبت طريقة الإنصاف والعدل لم تلم، فإن من غلب عليه الشوق والهيام، وصارت حاله بين انسجام واضطراب لا يخاطب بالملام، كما قال أبو مدين رضي الله عنه:

فلا تلم السكران في حال سكره      فقد رفع التكليف في سكرنا عنا  
وفي وصف الهوى بكونه عذرياً الممكنى به عن عدم زواله - كما بيتاً - إيماء  
إلى وجه عدم الإنصاف في اللوم؛ لأنه إذا علم أن الحب لا يزول فلا معنى للوم  
فيه كما قال قيس بن الملوح مجنون العامرية:

يلومون قيساً بعدما شفه الهوى      فتى دنفاً أمسى من الصبر خالياً<sup>(١)</sup>  
وفي معنى قوله: معذرة مني إليك.. على ما بيناه قول ابن الفارض:

قل للغذول أطلت لومي طامعا      إن الملام عن الهوى مستوقفي<sup>(٢)</sup>  
دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى      فإذا عشقت فبعد ذلك عنف  
وفي قوله: لو أنصفت.. إلخ: إشارة إلى أن لومه فضول من حيث اشتغاله  
ببلية غيره، وما لا يعود عليه منه ضرر، فإن ضرر المحب على نفسه، كما قال  
بعض المشايخ التونسية مضمناً:

قالوا: بكاؤك ضررنا فأجبتهم:      الدمع دمعي والعيون عيوني  
وما أظف ما احتج به ابن الفارض في قوله:

وقال: اسل عنها لائمي وهو مغرم      بلومي فيها قلت: فاسل ملامي<sup>(٣)</sup>

(١) ديوان المجنون ص ٣٠٦:

وبات يراعي النجم حيران باكيا  
فتى دنفاً أمسى من الصبر عاريا

يلومون قيساً بعدما شفه الهوى  
فيا عجباً ممن يلوم على الهوى

(٢) ديوان ابن الفارض ١٥٢ .

(٣) ديوان ابن الفارض ١٦٤ .



وقد أخذه أبو عبد الله الورغي فقال:

إن أبت نفسك من نصحي لها  
وإذا لم تذق المعنى فلا  
هذا، واللوم من لوازم الحب غالباً، وسببه في الغالب: دَخَلُ في قلب  
اللائم؛ إما من جهة المحب، وإما من جهة المحبوب، كما قال أبو الطيب:

عواذل ذات الخال في حواسد  
وإن ضجيع الخود مني لماجد<sup>(١)</sup>  
وقد يكون لمجرد الرأفة بالمحب إلا أنه ملحق بالأول في الكراهة عنده؛ لما  
فيه من معارضة الصباية ومضاعفتها، كما قال علي بن العباس الرومي<sup>(٢)</sup>:

لا تكثرنّ ملامة العشاق  
فكفاهم بالوجد والأشواق  
إن البلاء يطاق غير مضاعف  
فإذا تضاعف كان غير مطاق  
لا تطفئنّ جوى بلوم إنه  
كالريح تغري النار بالإحراق<sup>(٣)</sup>  
وقد يُستعذب، لما يتضمنه من ذكر الحبيب فترتاح إليه نفس المحب، وعليه  
جاء قول ابن الفارض رحمه الله:

أدر ذكر من أهوى ولو بملامي  
ليشهد قلبي من أحب وإن نأى  
ومنه قول بعضهم:

أجد الملامة في هواك لذيدة  
حباً لذكرك فليلمني اللوم<sup>(٥)</sup>

(١) ديوان المتنبي ٣/ ٣٩٠ .

(٢) ابن الرومي (٢٢١-٢٨٣هـ) علي بن العباس أبو الحسن شاعر كبير من طبقة المتنبي ولد ونشأ ببغداد ومات فيها مسموماً (الأعلام ٤/ ٢٩٧).

(٣) في ديوان ابن الرومي ص ١٦٦٢ وهي في مدح إبراهيم بن أحمد المادرائي .

(٤) ديوان ابن الفارض ١٦٢ .

(٥) البيت لأبي الشيص الخزاعي (١٣٠ - ١٩٦ هـ / ٧٤٧ - ٨١١ م) محمد بن علي بن عبد الله بن رزين بن سليمان بن تميم الخزاعي . شاعر مطبوع، سريع الخاطر رقيق الألفاظ . من أهل الكوفة غلبه على الشهرة معاصراه صريع الغواني وأبو النواس . وانقطع إلى أمير الرقة عقبة بن جعفر الخزاعي فأغناه عقبة عن سواه . ولقبه أبو الشيص ويقال للنخلة إذا لم يكن =

وعليه قول أمين الدين<sup>(١)</sup>:

مستفهماً منه بغير ملال  
من بين شوك ملامة العذال

أصغي إلى قول العذول بجملتي  
لتلقطي زهرات ورد حديثكم  
ولله در النميري<sup>(٢)</sup> إذ يقول:

وشفائي سؤالهم عن حالي  
لخلق إلا بخمس خصال  
وعتاب وهجرة وتغالي  
وهو مأخوذ من قول العباس بن الأحنف<sup>(٣)</sup> مع زيادة:

راحتي في مقالة العذال  
لا يطيب الهوى ولا يحسن الحب  
بسماع الأذى وعذل نصيح

تروّع بالهجران فيه وبالعتب  
فأين حلاوات الرسائل والكتب<sup>(٤)</sup>

وأحسن أيام الهوى يومك الذي  
إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا

عَنِ الْوُشَاةِ وَلَا دَائِي بِمُنْحَسِمِ

[١١] عَدَتِكَ حَالِي لَا سِرِّي بِمُسْتَتِرِ

عدتك: جاوزتك، وهو كناية عن عدم الإصابة . والحال: ما عليه الإنسان

= لها نوى وذلك رديء مذموم . وهو ابن عم دعبل الخزاعي، عمي في آخر عمره قتله خادم لعقبة في الرقة . معجم المؤلفين ٢٣/١١

(١) أمين الدين الحلبي (٥٧٠-٦٤٣هـ) عبد المحسن بن حمود التنوخي أبو الفضل أديب من الشعراء مولده في حلب كان كاتباً ووزيراً لعز الدين بن أيك صاحب صرخد وتوفي بدمشق له مفتاح الأفراح في امتداد الرياح (الأعلام ٤/١٥١).

(٢) النميري (٥٠١-٥٨٨هـ) نصر بن منصور أبو المرهف شاعر مشهور من أولاد أمراء العرب ولد بالرافقة (على الفرات) ونشأ في الشام وقال الشعر وهو مراهق وأصابه الجذري وله ١٤ سنة فضعف بصره فذهب إلى بغداد لمداواة عينيه فأيسه الأطباء من ذلك فاشتغل بالقرآن فحفظه وتفقه وقرأ العربية وأصابه ألم ففقد بصره وتوفي ببغداد في شعره جزالة وكان زاهداً ورعاً (الأعلام ٨/٢٩).

(٣) العباس بن الأحنف ( . . . -١٩٢هـ) الحنفي اليمامي أبو الفضل شاعر غزل رقيق قال فيه البحري: أغزل الناس أصله من اليمامة وكان أهله في البصرة وبها مات أبوه ونشأ هو ببغداد وتوفي بها وقيل بالبصرة، خالف الشعراء في طريقتهم فلم يمدح ولم يهج بل تغزل فقط له ديوان شعر (الأعلام ٣/٢٢٩).

(٤) ديوان العباس بن الأحنف ص ٦٢ .

من خير وشر. **والسر:** ما يكتتم كالسريرة، وجمع الأول: أسرار، والثاني: سرائر. **ومستتر:** مغطى، من سترت الشيء: غطيته. **والوشاة:** جمع واش؛ وهو النمام الذي ينقل الحديث للإفساد بين الناس، سمي بذلك لأنه يشي كلامه أي يزينه ليقبل منه. وأصل **الداء:** المرض، وقد كثر استعماله في البلية مطلقاً، والحمل عليه هنا أولى. **والمنحسم:** المنقطع، من الحسم بمعنى القطع، ومنه: الحسام للسيف القاطع.

**ومعنى البيت:** إن حالي بينة لمن الشأن المبالغة في الإخفاء عنه، وهو الواشي؛ فإنه لاستراقه السمع ليدخل به بين المحب وحببيه، يكون أهم غرض المحب التحفظ من إطلاعه على ظاهر حاله، فإذا بلغ بي الأمر إلى أن اطلع الوشاة على خفيات أسراري، فقد اتسع الخرق على الراقع<sup>(١)</sup>، ولم يبق لسُلطان صبابتي مدافع، وتبين أن هواي لا ينحسم داؤه، ولا ينجح لطيبه دواؤه، كما هو شأن الهوى العذري، فلم يكن لومي حينئذ من الإنصاف.

وبهذا تبين أن الغرض من قوله: **لا سري**... إلخ بيان الشرطية في البيت قبله. وأما قوله: **عدتك حالي:** فهو دعاء للائم، قدمه على الإخبار توطئة واستفتاحاً للكلام، على ما هي طريقة الملاطفة في الخطاب، كقولهم:

(١) في اللسان: ٥ / ١١٥: قال أبو عامر جد العباس بن مرداس:

لا نسب اليوم ولا خلة  
اتسع الفتق على الراقع  
لا صلح بيني فاعلموه  
ولا بينكم ما حملت عاتقي

قال ابن بري: سبب هذا الشعر أن النعمان بن المنذر بعث جيشاً إلى بني سليم لشيء كان وجد عليهم من أجله وكان مقدم الجيش عمرو بن فرتنا فمر الجيش على غطفان فاستجاشوهم على بني سليم فهزمت بنو سليم جيش النعمان وأسروا عمرو بن فرتنا فأرسلت غطفان إلى بني سليم وقالوا: نشدكم بالرحم التي بيننا إلا ما أطلقتكم عمرو بن فرتنا فقال أبو عامر هذه الأبيات أي لا نسب بيننا وبينكم ولا خلة أي ولا صداقة بعدما أعنتم جيش النعمان ولم تراعوا حرمة النسب بيننا وبينكم وقد تفاقم الأمر بيننا فلا يرجى صلاحه فهو كالفتق الواسع في الثوب يتعب من يروم رتقه، وقطع همزة اتسع ضرورة، وحسن له ذلك كونه في أول النصف الثاني لأنه بمنزلة ما يتبدأ به، ويروى البيت الأول: اتسع الخرق على الراقع قال: فمن رواه على هذا فهو لأنس بن العباس، وليس لأبي عامر جد العباس.

أصلحك الله إنه كان من الأمر كذا، ومن المعجز في تلك الطريقة قوله عز اسمه: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] فالمراد بقوله: عفا الله عنك: التلطف في الخطاب تظميماً لنفسه - عليه الصلاة والسلام - قبل، فقوله: أذنت لهم المقصود منه: نهاية ذمهم، وأنهم ليسوا أهلاً للرافة والرحمة والبناء على ظواهرهم، كما يقول الحبيب لحبيبه وقد فعل الخير مع من ليس أهلاً محسناً به الظن: يهديك الله لم فعلت ما فعلت بفلان وليس أهلاً له؟. ومن كان ذا فطرة سليمة علم أن مثل ذلك شهادة للمخاطب بالرافة وحسن الظن، وعلى المظنون به بسوء الصنيع وشناعة الحال، ومن لم تصل به الهداية إلى مثل هذا قال في الآية ما قال، وتشدق بعبارات توجب له النكال، أعوذ بالله من الزيغ والضلال<sup>(١)</sup>، وفي ذلك الدعاء إيماء إلى أنه على شفا جرف من الوقوع، لأن الغالب أن من غير بشيء وقع فيه<sup>(٢)</sup>، كما قال أبو الطيب:

وعذلت أهل الحب حتى ذقته      فعجبت كيف يموت من لا يعشق  
فعدرتهم وعرفت ذنبي أنني      غيرتهم فلقيت منه ما لقوا<sup>(٣)</sup>  
ومن ذلك قول محمد الفراء الضرير النحوي:

(١) إشارة إلى من قال بخطأ النبي ﷺ وهو الزمخشري حيث قال في الكشاف ٤٨/٣: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ كناية عن الجناية لأن العفو را، دف لها ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت ﴿لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ بيان لما كنى عنه، بالعفو ومعناه ما لك أذنت لهم في العفو عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعلمهم وهلا استأنيت بالإذن ﴿حَقَّ بَيِّنٌ لَكَ﴾ من صدق في عذره ممن كذب فيه، وقيل: شيئان فعلهما رسول الله ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين وأخذه من الأسرى فعاتبه الله تعالى .

(٢) روى الترمذي (كتاب صفة القيامة والرقائق والورع رقم ٢٤٣٠) أنه ﷺ قال: «لا تظهر السمات لأخيك فيرحمه الله ويبتليك» وقال: حسن غريب . روى الترمذي (كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا رأى مبتلى رقم ٣٣٥٣) عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى صاحب بلاء فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير من خلقه تفضيلاً إلا وفي من ذلك البلاء كائناً ما كان ما عاش» وقال: حديث غريب ثم قال: وروي عن أبي جعفر: يقول ذلك في نفسه ولا يسمع صاحب البلاء، وأخرجه ابن ماجه (كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا نظر إلى أهل البلاء رقم ٣٨٨٢).

(٣) ديوان المتنبى ٧٤/٣ .

قيل لي قد تبدلا فاسل عنه كما سلا  
لك سمع وناظر وفؤاد فققلت: لا  
قيل: غالٍ وصاله قلت: لما غلا حلا  
أيها العاذل الذي بعذابي توكللا  
عد صحيحاً مسلماً لا تعير فتبتلى  
وما أطف ما قالت عليّة بنت المهدي<sup>(١)</sup>:

ياعاذلي قد كنت قبلك عاذلاً حتى ابتليت فصرت صباً ذاهلاً  
الحب أول ما يكون لجاجة فإذا تمكن صار شغلاً شاغلاً<sup>(٢)</sup>  
ثم إن الدعاء يحتمل الخير بناء على مقتضى لومه من الكراهة للحب،  
ويحتمل الشر بناء على ما يراه المحب من التلذذ بالهوى فهو على حد قوله:  
خاط لي عمرو قباء ليت عينيه سواء<sup>(٣)</sup>

واعلم أن قوله: لا سري بمستتر مأخوذ من قولهم في المثل: «ما يوم حليلة  
بسر» يضرب للأمر الظاهر، وهي حليلة بنت الحارث بن أبي شمر، كان أبوها  
وجه جيشاً إلى المنذر بن ماء السماء فأخرجت لهم طيباً في مركن، وطيبتهم به،  
فنسب اليوم إليها<sup>(٤)</sup> قال المبرد<sup>(٥)</sup>: هو أشهر أيام العرب، ارتفع في هذا اليوم من

(١) عليّة بنت المهدي بن المنصور (١٦٠-٢١٠هـ/٧٧٧-٨٢٥هـ) من بني العباس أخت الرشيد  
أديبة شاعرة تحسن الغناء من أجمل النساء وأظرفهن وأعقلهن وأعفهن أكثر أيام طهرها  
مشغولة بالصلاة ودرس القرآن وكان الرشيد يكرمها ويجلسها على سريرته فتأبى تزوجها  
موسى بن عيسى العباسي، في شعرها إبداع وصنعة مولدها ووفاتها ببغداد (الأعلام ٥/٣٥).

(٢) ديوان عليّة بنت المهدي ص ٤٧ وبعدهما:

أرضى فيغضب قاتلي فتعجبوا يرضى القتييل ولا يرضي القاتلا

(٣) والبيت في الإيضاح للقزويني ص ٢١٣ قال: " التوجيه: هو إيراد الكلام محتملاً لوجهين  
كقول من قال لأعور يسمى عمراً فذكره ١. هـ فهو يحتمل أن يكون مراده أن تكون كلا عينيه  
عوراً وأن تكون كلاهما صحيحة سليمة فاحتمل الوجهين .

(٤) في جمهرة الأمثال ٢/ ٢٣٣: يضرب مثلاً لكل أمر متعالم مشهور، وفي مجمع الأمثال  
٢/ ٢٧٢: حليلة هي حليلة بنت الحارث بن أبي شمر وكان أبوها وجه جيشاً إلى المنذر بن  
ماء السماء فأخرجت لهم طيباً فطيبتهم وذكر عبد الرحمن بن الفضل عن أبيه قال: لما =

العجاج ما ستر عين الشمس حتى ظهرت الكواكب<sup>(١)</sup>، وإليه يشير النابغة في قوله  
يصف سيوفاً:

تخيرن من أزمان عهد حليمة إلى اليوم قد جربن كل التجارب<sup>(٢)</sup>

= غزا المنذر بن ماء السماء غزاته التي قتل فيها وكان الحارث بن جبلة الأكبر ملك غسان يخاف  
وكان في جيش المنذر رجل من بني حنيفة يقال له شمر بن عمرو وكانت أمه من غسان فخرج  
يتوصل بجيش المنذر يريد أن يلحق بالحارث فقال أذاك ما لا تطيق فلما رأى ذلك الحارث  
ندب من أصحابه مائة رجل اختارهم رجلاً رجلاً فقال انطلقوا إلى عسكر المنذر فأخبروه أنا  
ندين له ونعطيته حاجته فإذا رأيتم منه غرة فاحملوا عليه ثم أمر ابنته حليمة فأخرجت لهم مركباً  
فيه خلوق فقال: خلتهم فخرجت إليهم وهي من أجمل ما يكون من النساء فجعلت تخلقهم  
حتى مر عليها فتى منهم يقال له لبيد بن عمرو فذهبت لتخلقه فلما دنت منه قبلها فلطمته وبكت  
وأنت أباه فأخبرته الخبر فقال لها: ويلك اسكتي عنه فهو أرجاهم عندي ذكاء فؤاد ومضى  
القوم ومعهم شمر بن عمرو الحنفي حتى أتوا المنذر فقالوا له: أتيناك من عند صاحبنا وهو يدين  
لك ويعطيك حاجتك فتباشر أهل عسكر المنذر بذلك وغفلوا بعض غفلة فحملوا على المنذر  
فقتلوه فقبل ليس يوم حليمة بسر فذهبت مثلاً قال أبو الهيثم: يقال إن العرب تسمي بلقيس  
حليمة .

(٥) المبرد (٢١٠-٢٨٦هـ) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الشمالي الأزدي أبو العباس إمام العربية  
ببغداد في زمانه وأحد أئمة الأدب والأخبار مولده بالبصرة ووفاته ببغداد من كتبه الكامل  
(الأعلام ٧/١٤٤).

(١) الكامل للمبرد ٨٣٤/٢ .

(٢) ديوان النابغة ص ٦٠ وقال شارحه: يوم حليمة: قال الأثرم: قال أبو عمرو: وحليمة من  
غسان وذلك أن الملك كان في الضجاعم فأتى رجل منهم رجلاً من غسان يقال له جذع  
فسأله الخراج فأعطاه ديناراً فقال هات آخر وشدد عليه فاستأجله فلم يفعل فلما ضيق عليه  
دخل جذع في منزله فالتحف على سيفه ثم خرج فضرب به الضجعمي فقتله فقال القائل: خذ  
من جذع ما أعطاك ووثبت غسان ورأسوا عليهم رجلاً ثم أوقفوا بالضجاعم فغلبتهم حسان  
وأخذت الملك منهم أما حليمة فهي ابنة الغساني الذي رؤس عليهم أخرج ابنة له يقال لها  
حليمة وكانت من أجمل النساء فأعطاه طيباً وأمرها أن تطيب كل من مر بها من جنده فجعلا  
يمرون بها وتطيبهم فمر بها شاب فلما طيبته تناولها وقبلها فصاحت وشكت ذلك إلى أبيها  
فقال لها: اسكتي فما في القوم أجلد منه إذ فعل مثل هذا بك واجترأ عليك فيما أن يبلي غداً  
بلاء حسناً فأنت امرأته وإما أن يقتل فذلك أشد عليه مما تريد به من العقوبة فأبلى الفتى ثم  
رجع فزوجه ابنته حليمة .

[١٢] مَحَضْتَنِي النَّصْحَ لِكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْعُدَالِ فِي صَمَمٍ

محض الشيء وأمحضه: أخلصه، ومنه المحض: اللبن الخالص الذي لاماء فيه، والنصح: كالنصيحة، ضد الغش، مصدر نصح، وتعديته باللام أفصح<sup>(١)</sup>، ولست أسمع: كناية عن عدم القبول. والصمم: سد في الأذن، ومنه صمام: لما تسد به، يقال: صممتها: بمعنى سددها وأصممتها: جعلت لها صماماً، قال الخليل: وسمي رجب بالأصم؛ لأنه لا يسمع فيه صوت مستغيث، ولا حركة قتال، ولا قعقة سلاح؛ لأنه من الأشهر الحرم<sup>(٢)</sup>.

والمعنى: أخلصت لي نصحك أيها العادل، لكنني لا أسمع؛ لأنني محب، وكل محب في صمم عن العذار:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي<sup>(٣)</sup>  
ولا يخفى أن جعل عدله نصحاً غير حقيقي - كما يشير إليه في البيت بعده - وفي البيت زيادة بيان لعدم إنصافه، وذلك أن النصح لا يكون عدلاً إلا إذا كان مظنة للقبول، وإلا كان هذراً من الكلام.

فإن قلت: عدم سماعه تبين بعد العذل، فلا يكون من عدم الإنصاف. قلت: جوابه قوله: إن المحب... إلخ المسوق جواباً لسؤال مقدر عن السبب الخاص، لأنه لما نفى عن نفسه السماع كان مظنة لأن يقال: هل المحب أصم عن سماع العذل؟ فقال: إن المحب... إلخ على حد قول بشار:

بكرأ صاحبني قبل الهجير إن ذاك النجاح في التبكير<sup>(٤)</sup>

والمعنى: أنا محب، وكل محب شأنه ذلك، وأتى بالقضية العامة جنوحاً إلى تقوية الحكم، وكونه ضابطة كلية، وبه يعلم أن لا التفات فيه - كما زعموا - وقد

(١) وبه ورد أفصح الكلام وهو القرآن الكريم في قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٨].

(٢) العين ٩٢/٧.

(٣) البيت لعمر بن معدى كرب في ديوانه ١١٣.

(٤) ديوان بشار ٢٠٣/٣.

تلفظ في قوله: إن المحب... إلخ حيث جعل الصمم كالحصن، يحتله المحب للسلامة من العذال، وقد تقدم توجيه تحصن المحب عن العذل، ولله در أبي الطيب إذ يقول:

القلب أعلم يا عذول بدائه      وأحق منك بجفنه وبمائه  
فومن أحب لأعصينك في الهوى      قسماً به وبحسنه وبهائه  
أحبه وأحب فيه ملامة      إن الملامة فيه من أعدائه<sup>(١)</sup>

[١٣] إني اتهمتُ نصيحَ الشَّيبِ في عَدْلِي      والشَّيبُ أبعدُ في نُصحِ عَن التُّهَمِ

انتقل من حديث التشبيب إلى ذكر شيء من المواعظ مقتصراً على أصلها، وهو قهر النفس الأمانة على أكمل أوجه الانتقال، حيث كان بأسرع ما يكون مرتبطاً لاحقه بسابقه أتم الارتباط، مشيراً فيه إلى اتهامه العاذل بالطريق الأولى. والاتهام: الارتباب؛ وأصله من الوهم. ونصيح الشيب: بمعنى ناصح<sup>(٢)</sup> هو الشيب، وهو بياض الشعر. والمشيب: الدخول في حد الشيب. قاله الأصمعي والعذل - بالتحريك - : اسم من العذل - بإسكان الذال - . ومن التهم: يتعلق بأبعد من حيث أصل المادة .

والمعنى: إني استربت الشيب في نصحه، والحال أنه بعيد من الاتهام، فكيف حال من هو أهل للاتهام من العذال؛ فإن لهم أغراضاً بيّنة تحملهم على العذل. ومعنى اتهامه يتوقف على بيان نصحه؛ فنقول: إنه إذا حل المشيب أمر لسان حاله بالإقلاع عن الملاهي واتباع أحوال الشيبية، ومقتضى حرارة الفتوة، لبعده التناسب وعدم الملائمة كما قال الكمي<sup>(٣)</sup>:

(١) ديوان المتنبى ١٢٩/١ .

(٢) نصيح: فعيل بمعنى فاعل والإضافة وصفية من باب إضافة الصفة إلى الموصوف أي الشيب الناصح.

(٣) الكمي بن زيد الأسدي (٦٠-١٢٦هـ) أبو المستهل شاعر الهاشميين من أهل الكوفة اشتهر في العصر الأموي وكان عالماً بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها ثقة في علمه منحاذاً إلى بني هاشم كثير المدح لهم متعصباً للمضرية على القحطانية وهو من أصحاب الملحقات أشعر شعره الهاشميات (الأعلام ٥/٢٣٣).



طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب  
وقال أبو دلف:  
نظرت إلي بطرف من لم يعدل  
لما رأته وضح المشيب بلمتي  
فجعلت أطلب وصلها بتلطف  
وعليه قول بعضهم:  
ولى الشباب وكنت تسكن ظله  
ونهى المشيب عن الصبا لو أنه  
ولذلك ورد في الحديث الشريف: «خير شبابكم من تشبه كهولكم، وشر كهولكم من تشبه بشبابكم»<sup>(٤)</sup>. وأذن بضعف القوى، وقرب المنية، والارتحال الموجب لاشتغال النفس اليقظي، وبالتزود من التقوى والأعمال الصالحة والندم على الفئات، وإن شئت يقيناً في ذلك فانظر ما يحكيه -علت كلمته- عن زكرياء عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤]، وما أطف قول يحيى بن خالد البرمكي:  
الشيبي إحدى الموتين تقدمت  
أولاهما وتأخرت أخراهما

(١) ديوان الكميث ١٨٣/٢ .

(٢) ديوان أبي دلف .

(٣) البيت لابن عبد ربه الأندلسي (٢٤٦ - ٣٢٨ هـ / ٨٦٠ - ٩٣٩ م) أحمد بن محمد بن عبد ربه أبو عمر . الأديب الإمام صاحب العقد الفريد، من أهل قرطبة . كان جده الأعلى سالم مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية . وكان ابن عبد ربه شاعراً مذكوراً فغلب عليه الاشتغال في أخبار الأدب وجمعها . له شعر كثير، منه ما سماه الممحصات، وهي قصائد ومقاطع في المواعظ والزهد، نقض بها كل ما قاله في صباه من الغزل والنسيب . وكانت له في عصره شهرة واسعة وهو أحد الذين أثروا بأديبهم بعد الفقر . أما كتابه (العقد الفريد - ط) فمن أشهر كتب الأدب سماه العقد وأضف النساخ المتأخرون لفظ الفريد . وقد طبع من ديوانه خمس قصائد وأصيب بالفالج قبل وفاته بأيام . معجم المؤلفين ١١٥/٢ .

(٤) قال الهيثمي: رواه أبو يعلى والطبراني وفيه من لم أعرفهم . مجمع الزوائد ٢٧٠/١٠ .

واتهامه مغالطة وادعاء أنه حصل قبل إبانة لعله بدنية أو توالي كدرات، كما قال تيم بن خزيمة:

قالت: تغيرت قلت: الدهر غيرني      والههم شيبني ما شبت من كبر  
وقد أكثر الشعراء من مغالطته، وارتكاب مطايا التوجيه الشعري، قال الكاتب العماني:

وقالوا: أفق من سكرة اللهو والصبأ      فقد لاح شيب في دجاك عجيب  
فقلت: أخلائي دعوني ولذتي      فإن الكرى عند الصباح يطيب  
وقال غيره في معناه:

وقائلة: خل الهوى لرجاله      فإن الهوى بعد المشيب جنون  
فقلت لها: إن الهوى فيه راحة      أذ الكرى عند الصباح يكون  
وما ألطف قول بعضهم:

نظرت إلى رأسي فقالت: ما له      قد ضم فوديه قناع أدكن  
يا هذه لولا النجوم وحسنها      لم تألف الليل البهيم الأعين  
فتضحكت عجباً وقالت: يا فتى      نقصان عقلك في قياسك بين  
الليل يحسن بالنجوم وإنما      ليل الشباب بلا نجوم أحسن  
واعلم أن الشيب نور المؤمن يوم القيامة؛ لحديث: «من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

وعن أنس<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى:

(١) الحديث أخرجه الترمذي رقم ١٥٥٨ كتاب فضائل الجهاد في سبيل الله، باب ما جاء في فضل من شاب شيبة في سبيل الله وقال الترمذي: حديث حسن، وورد بلفظ في سبيل الله رقم ١٥٥٩ وقال: حديث حسن صحيح غريب. وأخرجه النسائي رقم ٣٠٩٣ كتاب الجهاد، باب ثواب من رمى بسهم في سبيل الله.

(٢) أنس بن مالك (١٠ق هـ - ٩٣هـ) النجاري الخزرجي الأنصاري أبو ثمامة أو أبو حمزة صاحب رسول الله ﷺ وخادمه روى عنه ٢٢٨٦ حديثاً مولده بالمدينة وأسلم صغيراً وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض ثم رحل إلى دمشق ومنها إلى البصرة فمات فيها وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة (الأعلام ٢/٢٤).

«وعزتي وجلالي وفاقة خلقي إليّ، إني لأستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الإسلام أن أعذبهما»، ثم بكى ﷺ فقليل له: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: «أبكي ممن يستحي الله منه، وهو لا يستحي من الله»<sup>(١)</sup>.

وعن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إن من حق إجلال الله إكرام ثلاث: ذو الشيبة المؤمن، وذو السلطان المقسط، وحامل القرآن غير الجافي فيه ولا الفالي»<sup>(٢)</sup>.

[١٤] فَإِنَّ أَمَارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظْتُ مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ  
الفاء: لتفصيل السابق، والحمل على التعليل بأباه جزالة المعنى. والأمانة: فعالة من الأمر، والمراد بها: النفس من حيث ميلها للشهوات واتباع الهوى، وأصله أن النفس التي هي حقيقة المشار إليه بقولك: أنا لطيفة ربانية روحانية، لها تعلق بالقلب، وهي المسماة بالروح الروحاني: على رأي تنقسم باعتبار أحوالها إلى أقسام ثلاثة: أعلاها المطمئنة المخاطبة في قوله - عز اسمه - ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجَىٰ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً [الفجر: ٢٧-٢٨]، وحالتها: أن تسكن

(١) قال العجلوني (في كشف الخفاء ١/٢٤٤ رقم ٧٤٢) في الكلام عن حديث «إن الله يستحي أن يعذب شيبة شاب في الإسلام»: هكذا ذكره السيوطي في الدرر الفاخرة ورواه السيوطي في الجامع الكبير عن ابن النجار بسند ضعيف بلفظين آخرين: أحدهما: «إن الله ليستحي من عبده وأمته يشيبان في الإسلام يعذبهما» ثانيهما: «أن الله عز وجل يستحي من ذي الشيبة إذا كان مسدداً كروماً للسنة أن يسأله فلا يعطيه» انتهى وذكر الغزالي في الدرر الفاخرة لذلك حكاية قال فيها روي عن يحيى بن أكرم القاضي أنه رثي في المنام فقليل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه الكريمتين ثم قال: يا شيخ السوء فعلت كذا وفعلت كذا وفعلت وفعلت فقلت: يا رب ما بهذا حدثت عنك فقال: بم حدثت عني يا يحيى؟ فقلت: حدثني معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة عن نبيك ﷺ عن جبريل عليه السلام عنك يا ذا الجلال والإكرام أنك قلت: إني أستحي أن أعذب ذا شيبة شاب في الإسلام فقال: يا يحيى صدقت وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عروة وصدقت عائشة وصدق جبريل وصدقت فاذهب فقد غفرت لك .

(٢) أخرجه أبو داود عن أبي موسى الأشعري (رقم ٤٢٠٣ كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم).

تحت الأمر، وثبت لها العصمة من المعاصي<sup>(١)</sup> بسبقية السعادة من الله تعالى .  
وتليها اللوامة المقسم بها في قوله جل ثناؤه: ﴿لَا أُقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ وَلَا أُقِيمُ  
بِالنَّفْسِ الْوَلَامَةِ﴾ [القيامة: ١-٢]، وحالتها: أن لا يتم لها السكون، وأن تكون مانعة  
للشهوات راجعة على نفسها بالملام إذا وقعت في مخالفة بسابق القضاء<sup>(٢)</sup>،  
وأدنى الأقسام: الأمانة<sup>(٣)</sup>، وحالتها: أن تدعن لأمر الشهوات، ولا تميل إلى  
طريق رشاد، ويكون غالب أمرها الانبعاث إلى السوء، وهو اسم جامع لجميع  
القبائح. والاتعاظ: مطاوعة الوعظ، وهو النصيح وتذكير العواقب. وقد قيل:  
«السعيد من وعظ بغيره، والشقي من اتعظ به غيره»<sup>(٤)</sup>. والجهل: ضد العلم، وقد  
يطلق على المعاصي - كما هنا - لكونها تنشأ عنه، قال الفخر في تفسير قوله  
تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾ [النساء: ١٧] الآية:  
إن المعصية لا تصدر من العالم؛ لأن الداعي لفعالها اقتضى ترجيحها، فإن كان

(١) العصمة لا تكون إلا لنبي فإن كانت النفس المطمئنة هي نفس الأنبياء فقط فلا إشكال، ولكن  
إن لم تختص بهم فكلامه عام يحتاج إلى تفصيل وهو أن النفس المطمئنة إن كانت نفس نبي  
فهي معصومة وإن كانت لغيره من صالح أو تقي أو ولي فهي محفوظة، إذ العصمة للأنبياء  
والحفظ للأولياء، ودليل عصمة الأنبياء كونهم مأمورين بالتبليغ، وكوننا مأمورين بالاعتداء،  
فإن لم يعصموا من المعاصي كنا مأمورين بالمعاصي . ودليل الحفظ قول النبي ﷺ (الذي  
أخرجه البخاري كتاب الرقاق باب التواضع رقم ٦٠٢١) «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب  
وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل  
حتى أحبه فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها  
ورجله التي يمشي بها» .

(٢) قال ابن عباس ومجاهد والحسن: اللوامة هي نفس المؤمن الذي لا تراه إلا يلوم نفسه يقول:  
ما أردت بكذا فلا تراه إلا وهو يعاتب نفسه وقال مجاهد: هي التي تلوم على ما فات وتندم  
فتلوم نفسها على الشر لم فعلته وعلى الخير لم لا تستكثر منه (تفسير القرطبي ١٩/٩٠).

(٣) قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، انظر كتاب الفراغ لفضيلة أستاذنا  
الدكتور محمد ياسر محمد الحسين ص ٩٨ .

(٤) أخرج مسلم (في كتاب القدر، باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه رقم ٤٧٨٣) عن ابن  
مسعود قال: «الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره» . وفي سنن ابن ماجه أن  
ابن مسعود رفعه إلى النبي ﷺ (رقم ٤٥ باب اجتناب البدع والجدل).

المكلف حينئذ عالماً بأنها معصية، وأن تركها أرجح من فعلها، وتعمد فعلها فهو جاهل؛ لتقديمه المرجوح على الراجح، فلا بد أن يكون ذلك بداعٍ اقتضى عنده ترجيح المرجوح، وترجيح المرجوح جهل اه<sup>(١)</sup>.

وفي تفسير الأبي<sup>(٢)</sup> عن شيخه الإمام ابن عرفة<sup>(٣)</sup> رضي الله عنه: أنه بحث فيه بأنه يلزم عليه اجتماع النقيضين؛ لأن علمه اقتضى أن الترك راجح، والداعي اقتضى أن الفعل راجح فيجتمع النقيضان اه. ولا يخفى أن اختلاف الجهة يدفع التناقض، وأن الجهل بتقديم مقتضى الداعي على مقتضى العلم. وفي تفسير القاضي: أن ارتكاب المعصية سفه وتجاهل، ولذا قيل: من عصى الله فهو جاهل حتى يفرغ من جهالته اه<sup>(٤)</sup>. والجار متعلق باتعظت، على تضمين معنى التنبه والتهيؤ. وبندير: يتعلق به، وبأوه: للسببية أو الاستعانة<sup>(٥)</sup>، وهو من الإنذار بمعنى التخويف. والهرم - بالتحريك -: كبر السن.

**والمعنى:** إن نفسي الأمانة لم تتنبه من جهلها وغفلتها وانهماكها في اتباع الشهوات بالشيب وكبر السن، وهما نذيران يخوفان من حيث إيذانهما بقرب الموت المفوت للتوبة والأعمال الصالحة، وبفوات الرفق من الحفظة، والدخول تحت ربة ضبط الأمر وتحقيقه. في ربيع الأبرار: عن عبادة بن الصامت<sup>(٦)</sup>

(١) تفسير الرازي ١٠ / ٤ .

(٢) الأبي (٨٢٨هـ) محمد بن خليفة بن عمر التونسي المشهور بالأبي أبو عبد الله محدث حافظ فقيه مفسر ناظم ولي قضاء الجزيرة من تصانيفه تفسير القرآن في ثمانى مجلدات وشرح المدونة (معجم المؤلفين ٢٨٧/٩).

(٣) ابن عرفة: (٧١٦-٨٠٣هـ) محمد بن محمد الورغمي التونسي المالكي أبو عبد الله مقرئ فقيه أصولي بياني منطقي متكلم فرضي حاسب خطيب ولد بتونس وتولى إمامة الجامع الأعظم وتوفي بها من تأليفه المبسوط (معجم المؤلفين ٢٨٥/١١).

(٤) تفسير البيضاوي ٢ / ١٦٠ .

(٥) ويجوز أن يكون المعنى على أن (من) للتعليل أي لم ينفعها واعظ الشيب بسبب جهلها.

(٦) عبادة بن الصامت: (٣٨هـ-٤٣هـ) الأنصاري الخزرجي أبو الوليد صحابي من الموصوفين بالورع شهد العقبة وكان أحد النقباء وبدراً وسائر المشاهد وحضر فتح مصر وهو أول من ولي القضاء بفلسطين مات بالرملة وروى ١٨١ حديثاً (الأعلام ٣/٢٥٨).

مرفوعاً: «يؤمر الحافظان أن ارفقا بعبيدي في حداثة سنه، فإذا بلغ الأربعين قال: احفظا وحققا»<sup>(١)</sup> اهـ. وقد قرّر كلام الناظم على وجه من التعسف بمكان، فراجع شيخ الإسلام إن شئت الاطلاع عليه.

هذا، والهزم هو أرذل العمر، المعلوم حاله من قوله عز اسمه: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ [يس: ٦٨]، ولذا كان من دعائه - عليه الصلاة والسلام - : «اللهم إني أعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر»<sup>(٢)</sup>. وقال عبد الرحمن بن الصديق<sup>(٣)</sup> - رضي الله عنهما - : من تمنى طول العمر فليوطن نفسه على المصائب أقلها فقد الأحبة والقرابة، ولقد أحسن ليبد بن الأعصم:

المراء يأمل أن يعيش      وطول عيشه قد يضره  
تفنى بشاشته ويبقى      بعد حلو العيش مره<sup>(٤)</sup>

ولذا كان من كرامة هذه الأمة - على نبيها أفضل الصلاة والسلام - قصر أعمارها بالنسبة إلى الأمم السالفة؛ قال حذيفة<sup>(٥)</sup>: قالوا: يا رسول الله ما أعمار أمتك؟ قال: «مصارعهم ما بين الخمسين والستين» قالوا: يا رسول الله فأبناء

(١) لم أجد الخبر فيما بين يدي من المراجع .

(٢) أخرجه البخاري رقم ٢٦١٠، كتاب الجهاد والسير، باب ما يتعوذ من الجن، وأنه كان يتعوذ منهن دبر الصلاة .

(٣) عبد الرحمن بن الصديق ( . . . . ٥٣هـ ) عبد الرحمن بن عبد الله أبي بكر الصديق صحابي ابن صحابي كان من أشجع قريش وأرماهم بسهم حضر اليمامة وشهد غزو إفريقية وحضر الجمل مع عائشة ودخل مصر وكان شاعراً مات بمكة قبل أن تتم البيعة ليزيد له في كتب الحديث ٨ أحاديث (الأعلام ٣/٣١١).

(٤) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص ١٦٨، طبعة دار صعب، ولم أجد شعراً للبيد بن الأعصم ولعله وهم من المؤلف أو الناسخ .

(٥) حذيفة: ( . . . . ٣٦هـ ) حذيفة بن اليمان (واسم اليمان حسل) العبسي أبو عبد الله صحابي من الولاة الشجعان الفاتحين كان صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين لم يعلمهم أحداً غيره ولاه عمر على المدائن وهاجم نهاوند سنة ٢٢هـ فصالحه صاحبها على مال يؤديه كل سنة وكان عفيفاً استدعاه عمر فلما رآه على الحال التي خرج بها عانقه ثم أعاده إلى المدائن فتوفي فيها له ٢٢٥ حديثاً (الأعلام ٢/١٧١).

السبعين قال: «قل من بلغها من أمتي، فرحم الله أبناء السبعين، ورحم الله أبناء الثمانين»<sup>(١)</sup>.

وروى أبو هريرة<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أعمار أمتي في أعمار من مضى إلا كما بين العصر إلى مغرب الشمس»<sup>(٣)</sup> قلت: وبه يفسر ما رواه البخاري: «إنما زمانكم فيمن سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا بها إلى الظهر ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به إلى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أوتينا القرآن فعملنا به إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين فقال أهل الكتاب: أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراطاً قيراطاً، ونحن أكثر عملاً منهم، فقال الله - سبحانه -: هل ظلمتم من أجركم شيئاً؟ قالوا: لا، فقال: ذلك فضلي أوتيته من أشاء»<sup>(٤)</sup> ١.هـ. فالمقصود من الحديث: الدلالة على قصر أعمار أمته بالنسبة إلى من قبلهم وأن عملهم في ذلك العمر يترتب عليه ضعف ثواب عمل من قبلهم، وليس المقصود تقدير زمن بقاء ملته - عليه السلام - بالنسبة إلى زمن بقاء الملل السالفة - كما ذكره شهاب الدين في اليواقيت - .

(١) روى الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك» قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب (رقم ٣٤٧٣ كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ، ورواه ابن ماجه (كتاب الزهد باب الأمل والأجل رقم ٤٢٢٦).

(٢) أبو هريرة (٢١ ق هـ - ٥٩ هـ) عبد الرحمن بن صخر الدوسي صحابي كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له نشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية وقدم المدينة ورسول الله ﷺ بخير وأسلم سنة ٧ هـ ولزم صحبة النبي ﷺ فروى عنه ٥٣٧٤ حديثاً ولي إمرة المدينة مدة ولما صارت الخلافة إلى عمر استعمله على البحرين ثم رآه لين العريكة مشغولاً بالعبادة عزله وأراده بعد زمن على العمل فأبى وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها (الأعلام ٣/ ٣٠٨).

(٣) أخرج الإمام أحمد رقم ٥٦٩٥ عن ابن عمر قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ والشمس على قُعَيْقَعَانَ بعد العصر فقال: «ما أعماركم في أعمار من مضى إلا كما بقي من النهار فيما مضى منه» .

(٤) الحديث أخرجه البخاري رقم ٥٢٤، كتاب مواقيت الصلاة، باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب .

واعلم أن من العقل عدم الرضا عن النفس، واتهامها في جميع الأحوال، ومخالفتها في جميع مطالبها، وأن لا ينظر إليها نظر استحسان وكمال، كما فعل الناظم اقتداءً برابع الكرماء<sup>(١)</sup> المحكي عنه في قوله - عزت كلمته -: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣].

[١٥] ولا أعدت من الفعل الجميل قرى ضيف ألم برأسي غير مُحْتَشِمِ

عطف على سابقه. وأعدت: هيأت. والقرى - بالكسر -: الضيافة التي تصنع للضيف، وهو يقال للواحد والجمع، وقد يجمع على أضياف وضيوف وضيوفان، وهي ضيف وضيافة - كذا في القاموس<sup>(٢)</sup> -، وفي الأساس<sup>(٣)</sup>: ضاف إليه وعنه: مال، وضافت الشمس وضيفت وتضيفت: مالت إلى الغروب. وألم: نزل. ومحتشم: اسم فاعل من الاحتشام، في القاموس<sup>(٤)</sup>: الحشمة - بالكسر -: الحياء والانقباض، احتشم منه، وعنه، وحشمه، واحتشمه: أخجله اهـ.

والمعنى: أن نفسه للؤمها لم تهيء ضيافة الشيب النازل بالرأس ضيفاً، من أفعال البر والأعمال الصالحة. ووصف الضيف بعدم الاحتشام: كناية عربية عن كرمه؛ لأن موجب احتشام الضيف عدم الاختلاط بالمضيف، وظنه إدخال الكلفة عليه، والكريم لا يرى من نفسه ذلك - كما هو بين -، ولذا قيل: لا يأبى الكرامة إلا لئيم، وفي ذلك زيادة بيان للؤم نفسه فإن عدم الاعتناء بالضيف الكريم أدل عليه، وقد جاء الحث على إكرام الضيف في قوله - عليه الصلاة والسلام -: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»<sup>(٥)</sup>، ومن تسمية الشيب ضيفاً قول بعضهم:

(١) إشارة إلى حديث النبي ﷺ في البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾ رقم ٣١٣٨: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام».

(٢) القاموس ١٠٧٣ (ضيف).

(٣) الأساس ٢٧٣ (ضيف).

(٤) القاموس ١٤١٤ (حشم).

(٥) الحديث أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ =



أناخ الشيب ضيفاً لم أرده ولكن لا أطيق له مردا  
 رداء للردى فيه دليل تردى من به يوماً تردى<sup>(١)</sup>  
 وسبيله سبيل الاستعارة المصراحة. والقرى والإمام وعدم الاحتشام في بيت  
 الناظم: ترشيح، ومن أبلغ ما قيل في اللؤم مع الأضياف قوله:  
 مات الكرام وولوا وانقضوا ومضوا ومات من بعدهم تلك الكرامات  
 وخلفوني في قوم ذوي بخل لو أبصروا طيف ضيف في الكرى ماتوا  
 هذا، والمصراع الثاني أصله لأبي الطيب في مطلع قصيدة وهو:  
 ضيف ألم برأسي غير محتشم والسيف أحسن فعلاً منه باللمم  
 ابعده بعدت بياضاً لا بياض له لأنت أسود في عيني من الظلم<sup>(٢)</sup>  
 نظمه المصنف في سلك بيته على ما هي طريقة التضمين الشعري، غير أنه  
 غير إعرابه، ولا ضمير فيه، قال الخطيب<sup>(٣)</sup>: التضمين: أن يضمن الشعر شيئاً من  
 شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً كقول الحريري<sup>(٤)</sup>:

= جاره رقم ٥٥٥٩، ومسلم كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت، رقم ٦٧.

(١) البيت للمصنف بن عباد (٣٢٦ - ٣٨٥ هـ / ٩٣٨ - ٩٩٥ م) إسماعيل بن عباد بن العباس أبو القاسم الطالقاني. وزير غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وتديباً وجوداً رأي. استوزره مؤيد الدولة ابن بويه الديلمي ثم أخوه فخر الدولة. ولقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة من صباه. فكان يدعو به بذلك. كما لقب بـ (كافي الكفاة). ولد في الطالقان (من أعمال قزوين) وإليها نسبته، وتوفي بالري ونقل إلى أصبهان فدفن فيها. له تصانيف جليلة، وشعر فيه رقة وعذوبة، وتواقيعه آية الإبداع في الإنشاء له معرفة وإمام بال تفسير والحديث واللغة والتاريخ. له: (المحيط - خ) سبع مجلدات في اللغة، و(الكشف عن مساوي شعر المتنبي - ط). معجم المؤلفين ٢/ ٢٧٤.

(٢) ديوان المتنبي ٤/ ١٥٠.

(٣) الخطيب القزويني (٦٦٦-٧٣٩هـ) محمد بن عبد الرحمن أبو المعالي جلال الدين المعروف بخطيب دمشق من أحفاد أبي دلف العجلي قاض من أدباء الفقهاء أصله من قزوين ومولده بالموصل ولي القضاء في ناحية بالروم ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤هـ فقضاء القضاء بمصر سنة ٧٢٧هـ ثم ولاة القضاء بها فاستمر إلى أن توفي، من كتبه: تلخيص المفتاح (الأعلام ٦/ ١٩٢).

(٤) الحريري (٤٤٦-٥١٦هـ) القاسم بن علي أبو محمد البصري الأديب الكبير صاحب =

على أني سأنشد يوم بيعي أضاعوني وأي فتى أضاعوا  
وأحسنه ما زاد على الأصل بنكتة كالتورية والتشبيه في قوله:  
إذا الوهم أبدى لي لماها وثرها تذكرت ما بين العذيب وبارق  
يذكرني من قدها ومدامعي مجر عوالينا ومجرى السوابق<sup>(١)</sup>  
ولا يضر التغيير اليسير، وربما سمي تضمين البيت بما زاد: استعانة،  
وتضمين المصراع بما دونه إيداعاً ورفواً اه<sup>(٢)</sup>.  
ومن شواهد مطابقتاً لمقتضى المقام ما أنشده ابن رشيق<sup>(٣)</sup> لمحمود بن  
الحسين كشاجم<sup>(٤)</sup>:

يا خاضب الشيب والأيام تظهره هذا شباب لعمر الله مصنوع  
أذكرتني قول ذي لب وتجربة في مثله لك تأديب وتوريع  
إن الجديد إذا ما زيد في خلق تبين الناس أن الثوب مرقوع<sup>(٥)</sup>  
[١٦] لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أَوْقَرُهُ كَتَمْتُ سِرّاً بَدَأَ لِي مِنْهُ بِالْكَتْمِ  
أوقره: أعظمه، من التوقير بمعنى التعظيم.

ومنه: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ٦٣]، أي لا تخافون لله عظمة. قاله

= المقامات الحريية كان دميم الصورة غزير العلم مولده بالمشان (بالبصرة) ووفاته بالبصرة (الأعلام ٥/١٧٧).

(١) ضمن فيه بيت المتنبي في شرح ديوانه ٣/٦٠ طبعة البرقوقي:

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق

(٢) الإيضاح ٢٣٤ .

(٣) العمدة ٢/٧٠٢ .

(٤) كشاجم ( . . . - ٣٦٠هـ) محمود بن الحسين أبو الفتح الرملي شاعر متفنن أديب من كتاب الإنشاء من أهل الرملة بفلسطين فارسي الأصل تنقل بين الفرس ودمشق وحلب وبغداد وزار مصر أكثر من مرة واستقر بحلب فكان من شعراء أبي هيجاء (والد سيف الدولة) ثم ابنه له ديوان شعر (الأعلام ٧/١٦٨) ولعل اللقب يشير إلى ما يمتاز به: فالكاف من كاتب والشين من شاعر والألف من أديب والنجم من جواد أو من الجدل والميم من المنجم أو من المنطق (مقدمة ديوانه ص ٩).

(٥) ديوان كشاجم ص ٢٦٢ .

الأخفش<sup>(١)</sup>. والكتّم - بالتحريك - والكتمان - بالضم - : نبت يخلط بالحناء، ويخضب به الشعر، فيبقى لونه، وأصله إذا طبخ كان منه مداداً للكتابة - كذا في القاموس<sup>(٢)</sup> - .

والمعنى: لو كنت أعلم أنني لا أعظم الشيب لأخفيت أول ما بدا منه وهو سره لخفائه بالخضاب، حتى لا يظهر غير موقر. وقد أخذ توقيره مما روي: أن أول من رأى الشيب إبراهيم - عليه السلام - فقال: ما هذا يا رب؟ فقال: وقار يا إبراهيم فقال: يا رب زدني وقاراً، فأصبح وقد عمّه الشيب<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام: قد اختلف العلماء في الخضاب؛ فقليل: هو أفضل من تركه، وقيل: تركه أفضل، وقيل: إن كان الغرض منه إظهار بقاء الشباب إرهاباً للعدو فهو أفضل، وإلا فالترك أفضل، ومذهب مالك<sup>(٤)</sup>: كراهته، وفي الإكمال للقاضي عياض<sup>(٥)</sup> عن بعضهم: أن حكمه تابع للعوائد؛ فمن كان في بلد عادة أهله الصبغ فهو أولى، ومن كان في بلد عادة أهله عدمه كان الترك أولى؛ لأن

(١) الأخفش الأوسط ( . . . ٢١٥هـ ) سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء البلخي ثم البصري أبو الحسن نحوي عالم باللغة والأدب من أهل بلخ سكن البصرة وأخذ العربية عن سيبويه وصنف كتباً منها تفسير معاني القرآن (الأعلام ١٠٢/٣).

(٢) القاموس ١٤٨٨ (كتّم).

(٣) الخبر في سبيل الهدى والرشاد ٣٦٥/١ وتاريخ الخميس ١٢٧/١ وقال العجلوني: ٢٦٦/١: في حديث «أول من جزع من الشيب إبراهيم حين رآه في عارضه فقال: يا رب ما هذه المشوهة التي شوّهت بخليلك؟ فأوحى الله إليه: هذا سربال الوقار ونور الإسلام» . . . قال ابن حجر المكي نقلاً عن السيوطي: كذب موضوع .

(٤) مالك بن أنس (٩٣-١٧٩هـ) الأصبحي الحميري الإمام أبو عبد الله إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنسب المالكية مولده ووفاته في المدينة كان صلباً في دينه بعيداً عن الأمراء والملوك وشي به إلى جعفر عم المنصور العباسي فضربه سياطاً أنخلعت لها كتفه . صنف الموطأ (الأعلام ٢٥٧/٥).

(٥) القاضي عياض (٤٧٦-٥٤٤هـ) عياض بن موسى اليحصبي السبتي أبو الفضل عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم ولي قضاء سبتة ومولده فيها ثم قضاء غرناطة وتوفي بمراكش مسموماً قيل سمه يهودي، من تصانيفه الشفا، وترتيب المدارك (الأعلام ٩٩/٥).

الخروج عن العادة مكروه، وقيل: من كانت شيبته نقية فالترك أولى، ومن كانت شيبته تستبشع فالصبغ له أولى أ.هـ<sup>(١)</sup>.

وفي معنى البيت قول بعضهم:

شبت والشيب فناء والفتى  
فتراميت إلى صوب الصبا  
وفي معناه قول الشيخ ابن عصفور<sup>(٢)</sup>:

لما تدنست بالتفريط في كبري  
رأيت أن خضاب الشيب أجدر بي  
وقال ابن الرومي في عدم إنجاح صناعة الخضاب:

يا أيها الرجل المسود شيبه  
أقصر فلو سودت كل حمامة  
هبك استعرت من الشيبية حسنها  
وما ألطف ما قال بعضهم:

قالت: أراك خضبت الشيب قلت لها:  
فاستضحكت ثم قالت من تعجبها:

سترته عنك يا سمعي ويا بصري  
تكاثر الغش حتى صار في الشعر<sup>(٥)</sup>

(١) الاختضاب هو استعمال الخضاب وهو كل ما يغير به لون الشيء من حناء وكتم وغيره، ويستحب الاختضاب بالحناء والكتم للأمر بتغيير الشيب. أما الاختضاب بالسواد فاختلفوا فالمالكية والحنابلة والحنفية عدا أبي يوسف يقولون بالكراهة في غير الحرب ومذهب أبي يوسف جوازه ولو في غير الحرب والشافعية على تحريمه لغير مجاهد (الموسوعة الفقهية ٢/٢٧٩).

(٢) ابن عصفور (٥٩٧-٦٦٣هـ) علي بن مؤمن الحضرمي الإشبيلي أبو الحسن فقيه نحوي صرفي لغوي مؤرخ شاعر توفي بتونس من تصانيفه الممتع في التصريف (معجم المؤلفين ٧/٢٥١).

(٣) الراح: الخمر (مختار الصحاح ٢٣٠ روح). اللعس: لون الشفة إذا كانت تضرب إلى السواد قليلاً وذلك يُستملح يقال شفة لعساء ونسوة لعس (مختار الصحاح لعس ٥٢٧).

(٤) ديوان ابن الرومي ٢٤٧٣.

(٥) البيت لابن طباطبا الرسي (٢٨١ - ٣٤٥ هـ / ٨٩٤ - ٩٥٦ م) أحمد بن محمد بن إسماعيل بن القاسم بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الحسن بن الرسي الطالبي، أبو القاسم بن طباطبا. نقيب الطالبيين بمصر، وأحد الشعراء المترققين في الزهد والغزل، مولده ووفاته في مصر. وفي يتيمة الدهر نماذج من شعره. معجم المؤلفين ٦١/٢.

[١٧] مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الْخَيْلِ بِاللُّجْمِ

الرد: الصرف. والجِمَاح - بالكسر<sup>(١)</sup> - مصدر جمع الفرس - كَمَنَعَ - جَمَحاً وجماحاً وجموحاً: اعترز فارسه وغلبه، فهو فرس جموح - كذا في القاموس -<sup>(٢)</sup>.

وفي الأساس: من المجاز: جمحت المرأة إلى أهلها: ذهبت إليهم من غير إذن بعلمها، وفلان جموح وجامح: راكب لهواه قال الشاعر:

خلعت عذارى جامحاً ما يردني عن البيض أمثال الدمى زجر زاجر

﴿لَوْلَوْأَنَّ إِلَيْهِ وَهَمَّ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة: ٥٧] أي يجرون اهـ<sup>(٣)</sup>. والغواية:

الضلالة. والخيل: اسم جمع، واحده: فرس من غير لفظه، وقيل: جمع واحده خائل كَرَبَ وراكب. واللجم: جمع لجام، فارسي معرب.

والمعنى: أنه يطلب على وجه التضرع والاستعطاف من يتكفل له برد نفسه من غوايتها براد قوي، كما يرد جماح الخيل باللجم. والأظهر أن يكون الطلب استبعادياً؛ فإنها لما لم ترعو بالشيب وقرينه المؤذنين بقرب الرحيل استبعد أن يحصل على متكفل له بردها، وهذه الكلمة شائعة في الاستبعاد، وتتبع كلام الشعراء شاهد له، ومن أعذبه قول بعضهم:

من لي بسلمي وفي أجفان مقلتها للحرب بيض حداد قط ما صفحت<sup>(٤)</sup>

(١) قال فضيلة أستاذنا علي حمد الله: إذا قرأنا جِمَاحَ بفتح الجيم وبناء الهاء على الكسر تصح كلمة جِمَاح عندئذ صفة ذم لنفسه الجامحة. الصفة تنوب عن الموصوف كثيراً فنستغني عن التكلف القبيح في تقدير كلمة نفس التي أعدنا إليها الهاء في غوايتها فإن قيل: فَعَالٍ خاص بالنداء ولا نداء هنا قلنا: نقيسه على بيت الحطيئة... إلى بيت قعيدته لكاع وليس فيه نداء والحطيئة قديم يحتج به شعراً ونرجح أن هذا مراد البوصيري فضلاً عن الجناس في جِمَاح وجمَاح. (البردة إعراباً ٣٠).

(٢) القاموس ٢٧٦ (جمع).

(٣) الأساس ٦٣ (جمع).

(٤) البيت لكمال الدين ابن النبيه في ديوانه ص ١٦٦. وابن النبيه: (٥٦٠ - ٦١٩ هـ / ١١٦٤ -

١٢٢٢ م) علي بن محمد بن الحسن بن يوسف أبو الحسن كمال الدين. شاعر من مشي من أهل مصر، مدح الأيوبيين وتولى ديوان الإنشاء للملك الأشرف موسى ورحل إلى نصيبين فسكنها وتوفي بها. له (ديوان شعر - ط) صغير انتقاه من مجموع شعره. معجم المؤلفين ١٩١ / ٧.

وقوله: من غوايتها بيان لجماع تشبيهاً لها به بجامع الاعتزاز بكلِّ وغلبته، وبذلك البيان خرج الجماع عن طريق الاستعارة إلى التشبيه، كما خرج به الخيط الأبيض والخيط الأسود عنها إليه في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] أي: ومن ظلام الليل، ثم الغرض من ذلك الاستبعاد: الإيماء إلى صعوبة الأمر وشدة مقاساة الأهوال في رد النفس عن غوايتها، ومن ثم سمي جهاداً بل أعظم الجهاد، كما قال - عليه الصلاة والسلام - : «أفضل الجهاد جهاد نفسك وهواك»<sup>(١)</sup>.

وكان الصحابة - رضوان الله عليهم - إذا رجعوا من قتال العدو قالوا: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر<sup>(٢)</sup>.

ومن ثم رتب عليه الثواب الجزيل في قوله - عز اسمه - : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

وأجل ذلك كله احتقارها، ولذا كان جل أمر الأكابر قهرها وإهانتها، وإذا عرض لهم أمر هو مظنة الرضا عنها بادروا إلى كسر سورته بنقيضه، روي أن عروة بن الزبير<sup>(٣)</sup> رضي الله عنه قال:

(١) في البخاري (رقم ١٤٢٣ كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور) قوله ﷺ: «لكن أفضل الجهاد الحج المبرور» وفي أبي داود (٣٧٨١ كتاب الملاحم باب الأمر والنهي: «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أو أمير جائر» ولم أجد لفظ الحديث الذي أورده، وإنما في جامع العلوم والحكم ١/١٩٦: وكذلك جهاد العدو الباطن وهو جهاد النفس والهوى فإن جهادهما من أعظم الجهاد، كما قال النبي ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه في الله» وقال ابن عمر لمن سأله عن الجهاد قال: ابدأ بنفسك فجاهدها.

(٢) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم ٤٩٨ بعد أن ذكر قول إبراهيم بن أبي علقمة لقوم جاؤوا من الغزو قال: قد جئتم من الجهاد الأصغر فما فعلتم في الجهاد الأكبر قالوا: وما هو؟ قال: جهاد القلب قال: ويروى هذا مرفوعاً عن حديث جابر بسند ضعيف وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس محققا جامع العلوم والحكم ص ٤٨٩: رواه البيهقي في الزهد والخطيب في تاريخه وفي سنده ضعيف ومتهم وضعفه البيهقي والعراقي وقال الحافظ ابن حجر في تسديد القوس فيما نقله عنه العجلوني في كشف الخفا: هو مشهور على الألسنة وهو من كلام إبراهيم بن أبي عيلة.

(٣) عروة بن الزبير (٢٢-٩٣هـ) الأسدي القرشي أبو عبد الله أحد الفقهاء السبعة بالمدينة كان =

رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى عاتقه قربة ماء فقلت: يا أمير المؤمنين لا ينبغي لك هذا فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين دخل نفسي شيء، فأحببت أن أكسرهما، ومضى بالقربة إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها في إنائها اهـ<sup>(١)</sup>.

ولقد أحسن أبو العتاهية<sup>(٢)</sup> حيث يقول:

أشد الجهاد جهاد الهوى      وما كرم المرء إلا التقى  
وأخلاق ذي الفضل معروفة      ببذل الجميل وكف الأذى<sup>(٣)</sup>

[١٨] فلا تَرْمُ بالمعاصي كَسَرَ شَهْوَتِهَا      إِنَّ الطَّعَامَ يُقْوِي شَهْوَةَ النَّهْمِ  
لما كان الغرض من ذكر هذا النزر من التصوف تنبيه الغافل ووعظ السامع ارتكاباً لنصيحة الأمة الواجبة بقوله-عليه الصلاة والسلام-: «الدين النصيحة» قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم»<sup>(٤)</sup>.

استفتح ذلك بتذكير نفسه وذمها خروجاً من مذمة قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَتَكُنَّ أَفْلاً تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

= عالماً بالدين صالحاً كريماً ولم يدخل في شيء من الفتن وانتقل إلى البصرة ثم إلى مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين وعاد إلى المدينة فتوفي بها (الأعلام ٤/٢٢٦).

(١) في حياة عمر ص ٣٤٤: خرج عمر في سواد الليل فرآه طلحة فذهب عمر فدخل بيتاً ثم دخل بيتاً آخر فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة فقال: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى فقال طلحة لنفسه: ثكلتك أمك طلحة أفعثرات عمر تتبع؟ .

(٢) أبو العتاهية (١٣٠-٢١١هـ) إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي بالولاء أبو إسحاق الشاعر المكثّر سريع الخاطر في شعره إبداع كان ينظم مائة بيت أو خمسين بيتاً في اليوم يعد من مقدمي المولدين من طبقة بشار وأبي نواس كان يجيد القول في الزهد والمديح ولد في عين التمر (قرب الكوفة) ونشأ في الكوفة وسكن بغداد ثم اتصل بالخلفاء فعلت مكانته توفي ببغداد (الأعلام ١/٣٢١).

(٣) ديوان أبي العتاهية ص ٧ .

(٤) الحديث أخرجه مسلم (رقم ٨٢ كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة).

وجه خطابه هنا لكل من يصلح للخطاب تعميماً للموعظة - كما هو شائع في الكلام - وكم له من شاهد في التنزيل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠] .

ونكتة الخطاب: الاعتناء بشأن الأمر والتحريض على القبول، فإن للمشاهدة مدخلاً في تأثير مقاصد الكلام لا ينكر، والفاء تحتمل أن تكون الفصيحة؛ أي إذا تبين لك أن النفس أمارة، وأنها مائلة إلى الشهوات فلا ترم إلخ، لا يقال: إن الذي تبين حال نفسه فلا يظهر اللزوم لأنا نقول: لكل إنسان نفس أمارة إلا المعصوم، وتحتمل العطف والدلالة على التراخي الرتبي - كما علمت - . وترم: مضارع رام الشيء روماً، إذا طلبه. والمعاصي: جمع معصية من العصيان ضد الطاعة، وهو فعل محرم أو ترك واجب. والكسر: مصدر كسرت الرجل عما يريد كسراً: صرفته عنه - كذا في شيخ الإسلام - ولم يذكره صاحب القاموس والأساس، والمعروف: أنه تفريق أجزاء الشيء الصلب يقال: كسرته وكسرته فانكسر وتكسر، ولا يخفى لطف استعارته هنا. والشهوة: ميل النفس. والنهم - بالكسر - : اسم فاعل من النهَم - بالتحريك - في القاموس<sup>(١)</sup>: النَّهْم - محرقة - والنهامة - كسحابة - : إفراط الشهوة في الطعام وأن لا تمتلئ عين الآكل ولا يشبع، نهم - كفرح - فهو نهم ونهيم ونهوم اه. ومن الأخير حديث: «منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال»<sup>(٢)</sup>. وليس من نهم بكذا فهو منهوم: ولع به لعدم ملاءمته للشبع، ولا يخفى أن الألفاظ الثلاثة بمعنى اسم الفاعل، وإن كان ثالثها على صيغة المفعول. وسبب النهم عند الأطباء: استيلاء الحرارة الغريزية في المعدة على ما يقع فيها.

والمعنى: لا تطلب صرف النفس عن شهوتها بارتكاب المعاصي ظناً منك أنها إذا قضت وطرها منها صدت عنها وملتها، فيكون صرف عنانها إلى المعاصي

(١) القاموس ١٥٠٤ (نهم).

(٢) أخرجه الدارمي على أنه قول ابن عباس (رقم ٣٨٨، باب في فضل العلم والعالم) وذكر الحسن بلفظ: منهومان لا يشبعان: منهوم في العلم لا يشبع منه ومنهوم في الدنيا لا يشبع منها .



راداً لها بلين ورفق، ثم ضرب لذلك مثلاً وهو النهم فإنه إذا أكل من الطعام تقوت شهوته، وربما كانت ساكنة قبل، فكذا حال النفس إذا أخذت في المعاصي قويت شهوتها، وصعب إقلاعها عنها، لإلفها بها، ولأن بعض الشر يقود إلى بعض، ولذا نهي عن الوقوع في مشتبهات الأمور، كما ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: «إن الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع في الشبهات وقع في المحرمات، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في [الجسد]»<sup>(١)</sup> مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»<sup>(٢)</sup>.

وبما قررناه ظهر قياس المصنف، واتضح دليله، واندفع عند التأمل ما قيل عليه: من أن دليله غير ظاهر، فإن النهم إنما تقوى شهوته إلى الطعام إذا لم يشبع منه، أما إذا شبع فقد أخذ حاجته منه. هـ وكذا ما قال بعضهم: إن الدليل أخص من المدعي، لأن قوله: لا ترم... إلخ يدل على أن الشهوة لا تنكسر بل تتضاعف، وعلى أنه إذا لم يتماد كفت نفسه، كما شهد له الدليل الثاني، والأول لا يدل عليه اهـ وقد تبين لك مما بيناه: أن ليس غرض الناظم النهي عن ارتكاب المعاصي بل النهي عن سياسة النفس بها، فلا يتجه قول شيخ الإسلام وإتيانه بالنهي دون أن يقول: أقلع عن المعاصي ليفيد من أول الأمر أنها مطلوبة الانتفاء بحيث لا يصح أن يتلبس بها، وأورد أن النهي عن إتيانها على وجه خاص، والنهي عن الخاص ليس نهياً عن العام، وأجاب بما ينافي صدر تقريره كما يعلم بمراجعته.

هذا، وفي معنى البيت ما قيل:

مسررتها تفنى ويبقى لك الوزر  
إلى مثله فالسيل أوله قطر

خف الله واحذر من عواقب شهوة  
ولا تحقرن ذنباً صغيراً تضيفه

(١) في الأصل (القلب) والصحيح ما أثبتناه.

(٢) الحديث تقدم تخريجه.

[١٩] والنَّفْسُ كَالطُّفْلِ، إِنْ تُهْمِلُهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمُهُ يَنْفَطِمَ  
تمثيل ثانٍ لحالة النفس يتقرر به أمر ذلك النهي، والطفل: المولود فإذا فُطِمَ  
فهو فطيم، وجمعه أطفال، وقد يقال الطفل للجمع، وعليه قوله تعالى: ﴿أَوِ  
الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ [النور: ٣١]. وإهماله: تركه  
ونفسه، ومنه الهَمَلُ - بالتحريك -: وهي الإبل بلا راع ومنه قول الطغرائي<sup>(١)</sup>:

قد رشحوك لأمر إن فطنت له فاربأ لنفسك أن ترعى مع الهمل  
وعليه المثل: «اختلط المرعي بالهمل»<sup>(٢)</sup> وشب يشب - بكسر الشين -: إذا  
كبر. والرضاع: مصدر رضع، في القاموس<sup>(٣)</sup>: رضع أمه - كسمع وضرب -  
رضعاً ويحرك، ورضاعاً ورضاعة ويكسران، ورضعاً ككتف: فهو راضع  
والجمع: كركع ورضع ككتف والجمع كعنق: امتص ثديها اه وتفظمه: تفصله  
عن الرضاع. وينفطم: مطاوعه.

والمعنى: أن النفس إذا تركتها وشهواتها تبادت عليها وألفتها، وإذا صرفتها  
عنها انصرفت، كما هي حالة الطفل، وفيه شهادة لتضاعف شهوتها بالمعاصي  
وعدم انكسارها، وإيماء إلى جبلها على حب الشهوات؛ حيث كانت لها كالرضاع  
للطفل الذي به قوامه، وإلى أنها في طوع صاحبها وتحت رعيه، بحيث لا تميز  
لها بين النافع والضار، وأصل هذا المعنى لأبي دلف في قوله:

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع<sup>(٤)</sup>  
وتصرف فيه الناظم بالتشبيه فعذب وزاده حسناً بإجمال وجه الشبه ثم  
تفصيله، ومن المعجز في هذا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَمَرَابٍ يَقِيعَةٍ

(١) الطغرائي: (٤٥٣-٥١٣هـ) الحسين بن علي الأصبهاني الليثي مؤيد الدين العميد فخر الكتاب  
أبو إسماعيل أديب نائر شاعر خبير بصناعة الكيمياء ولد بأصبهان وولي ديوان الإنشاء والوزارة  
وقتل، من آثاره لامية العجم (معجم المؤلفين ٣٦/٤).

(٢) قال في جمهرة الأمثال ١١٠/١ يضرب مثلاً في اختلاط الأمر على القوم حتى لا يعرفوا  
وجهه، والهمل: المهملة التي لا راعي معها.

(٣) القاموس ٩٣٢ (رضع).

(٤) البيت لأبي دلف في ديوانه.

يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَوْثًا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴿ [النور: ٣٩] . وعليه قول بعضهم:

الصبر كالصبر مر في مذاقته  
وليس منه قول ابن المعتز<sup>(١)</sup>:

والليل كالحلة السوداء لاح به  
كما يعلم بالتأمل .

هذا، وقد تفنن الناظم فيما أراده من التمثيل فأتى به في هذا البيت ظاهراً مصرحاً بالتشبيه، وأتى به في البيت قبله على صورة الدليل رامزاً إلى التشبيه على حد قوله:

فإن تفق الأنام وأنت منهم  
وعليه قول شيخ المعرة:

فإن كنت تبغي العيش فابغ توسطاً  
توقى البدور النقص وهي أهلة

[٢٠] فاصرف هواها وحاذر أن تؤلّيه  
تفريع على ما تقدم . والصرف: الدفع . والهوى: بمعناه المصدري-وقد

تقدم- . ولا يصح جعله بمعنى المفعول كقوله:

هواي مع الركب اليمانيين مصعد  
جنيب وجثماني بمكة موثق

لأن الغالب والوالي الأول دون الثاني -كما لا يخفى- وحاذر: من الحذر

(١) ابن المعتز: (٢٤٧-٢٩٦هـ) عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي أبو العباس الشاعر المبدع خليفة يوم وليلة ولد في بغداد وأولع بالأدب فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم له مصنفات منها البديع . آلت الخلافة في أيامه إلى المقتدر فاستصغره القواد فخلعوه وأقبلوا إلى ابن المعتز فلقنوه المرتضي بالله وبإيعوه بالخلافة فأقام يوماً وليلة ووثب عليه غلمان المقتدر فخلعوه وعاد المقتدر وقبض عليه وسلم إلى خادم له اسمه مؤنس فخنقه وللشعراء فيه مرث كثيرة (الأعلام ٤/١١٨) .

(٢) ديوان ابن المعتز ص ١٣٥ .

(٣) البيت للمتنبي في شرح ديوانه لليازجي ٢/٢٥ .

(٤) البيت للمعري في سقط الزند ٢٣٢ .

وهو الخوف والتحرز، والصيغة للمبالغة؛ إذ أصلها أن تكون من أكثر من واحد. وأن توليه: بتقدير من، وهو مضارع من التولية، وهي جعل الشيء والياً وأميراً، وفي رواية: أن توأليه من الموالاتة بمعنى المتابعة، وعليهما: ما تولى أو توألى وما بمعنى: أي تولية أو موالاتة<sup>(١)</sup>. ويصم - بضم أوله - من أصمى إذا قتل، تقول العرب: أصميت الصيد: بمعنى رميته فمات بمرأى، وعليه الحديث: «كل ما أصميت، ودع ما أنميت»<sup>(٢)</sup> أي ما رميت من الصيد فمات بمرأى منك، لا ما رميت فمات غائباً. ويصم - بفتح أوله -: من الوصم وهو العيب، يقال: وصمه إذا عابه، ومنه: ما في فلان وصمة: أي عيب وعار .

والمعنى: ادفع هوى النفس عنها، وتحرز من أن تجعله أميراً عليها تتصرف على طاعته، وتمثل أوامره؛ فإن الهوى ملك سوء، إذا تولى قتل بسرعة، أو أحدث العيب والعار، وذلك فساد لأمر الرعية، فبالحري أن لا يولى. ومن الأمثال: «من استرعى الذئب فقد ظلم»<sup>(٣)</sup>.

(١) في حاشية الأصل: قوله: وما بمعنى . . إلخ كذا بالأصول التي بأيدينا ولعل صوابه كما في شرح الشيخ خالد وحاشية الباجوري: ما شرطية بمعنى إن وتولى فعل الشرط ويصم جوابه . هـ

(٢) الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٧/١٢، رقم ١٢٣٧٠ بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنه أن عبداً أسود جاء النبي ﷺ فقال: يمر بي ابن السبيل وأنا في ماشية لسيدي فأسقي من ألبانها بغير إذنه قال: لا قال: فإني أرمي فأصمي وأنمي قال: «كل ما أصميت ودع ما أنميت» .

(٣) في مجمع الأمثال ٢ / ٣٠٢: من استرعى الذئب ظلم: أي ظلم الغنم ويجوز أن يراد ظلم الذئب حيث كلفه ما ليس في طبعه، يضرب لمن يولي غير الأمين، قالوا: إن أول من قال ذلك أكثم بن صيفي، وذلك أن عامر بن عبيد بن وهيب تزوج صعبة بنت صيفي أخت أكثم فولدت له بنين: ذئباً وكلباً وسبعاً فتزوج كلب امرأة من بني أسد ثم من بني حبيب وأغار على الأقياس، وهم قيس بن نوفل وقيس بن وهبان وقيس بن جابر فأخذ أموالهم وأغار بنو أسد على بني كلب وهم بنو أختهم فأخذوهم بالأقياس فوفد كلب بن عامر على خاله أكثم فقال: ادفع إلى الأقياس أموالهم حتى أفتدي بها بني من بني أسد فأراد أكثم أن يفعل ذلك فقال أبوه صيفي: يا بني لا تفعل فإن الكلب إنسان زهيد إن دفعت إليه أموالهم أسكها وإن دفعت إليه الأقياس أخذ منهم الفداء ولكن تجعل الأموال على يد الذئب فإنه أمثل إخوته وأنبههم وتدفع الأقياس إلى الكلب فإذا أطلقهم فأمر الذئب أن يدفع إليهم أموالهم فجعل أكثم الأموال =

أو تحرز من متابعة النفس إياه، واصرفه عنها من أول الأمر؛ لأن متابعتها تحدث أحد الأمرين، كما هو شأن قرين السوء<sup>(١)</sup>.

ثم المراد: التكنية عن عدم طاعته واتباعه كما هو شأن الأمر والمتابع أي الذي تكررت تبعيته فلا مزية لإحدى الروائيتين على الأخرى باعتبار المقصود، وبالنظر إلى تمام التحذير ببيان صولة الهوى المزية للأولى، واعلم أن الأمرين يحتملان الحقيقة فيراد بالأول: قتل الحدود، كرجم الزاني المحصن ونحوه، ويراد بالثاني: وقوع الناس في عرضه وسقوطه من أعين الناس ورميه بالمراذل والدنائس. وبالجملة أنه تطلق فيه مقيدات الألسن ويصير غرضاً لكل سهم من القبائح. روي أن هشام بن عبد الملك<sup>(٢)</sup> لم يقل بيتاً من الشعر إلا قوله: إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقال ولما سمعه أبو عمرو<sup>(٣)</sup> قال: لو قال: إلى كل ما فيه عليك مقال لكان أبلغ

= على يد الذئب والأقياس على يد الكلب فخدع الكلب أخاه الذئب فأخذ منه أموالهم ثم قال لهم: إن شئتم جززت نواصيكم وخليت سبيلكم وذهبت بأموالكم وخليتم سبيل أولادي وذهبت بأموالهم وبلغ ذلك أكثر فقال: من استرعى الذئب ظلم وأطمع الكلب في الفداء فطول على الأقياس فأتاه أكثر فقال: إنك لفي أموال بني أسد وأهلك في الهوان ثم قال: نعيم كلب في هوان أهله فأرسلها مثلاً.

(١) إشارة إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك، رقم ١٩٥٩): «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكبير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك إنما تشتريه أو تجد ريحه وكبير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة».

(٢) هشام بن عبد الملك (٧١-١٢٥هـ) من ملوك الدولة الأموية ولد في دمشق وبويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥هـ وأخرج عليه زيد بن علي بن الحسين سنة ١٢٠هـ فوجه إليه من قتله وقتل جمعه ونشبت في أيامه حروب هائلة مع خاقان الترك انتهت بفوزه فاجتمع في خزائنه من المال ما لم يجتمع في خزنة أحد وبني الرصافة في الرقة وكان يسكنها في الصيف وتوفي فيها وكان حسن السياسة يقظاً يباشر الأعمال بنفسه (الأعلام/٨٦).

(٣) أبو عمرو بن العلاء (٧٠-١٥٤هـ) زيان بن عمار التميمي المازني البصري أبو عمرو ويلقب أبوه بالعلاء من أئمة اللغة والأدب وأحد القراء السبعة ولد بمكة ونشأ بالبصرة ومات بالكوفة وكان أعلم الناس بالأدب والعربية والقرآن والشعر وكانت عامة أخباره عن أعراب أدركوا الجاهلية (الأعلام/٣/٤١).

وأحسن . ومن ثم نهى عن الوقوف بباب التهم<sup>(١)</sup> فإنه مظنة للقول والأخذ في العرض ، وإذا وقعا فلا مرد لهما كما قيل :  
قد قيل ما قيل إن صدقاً وإن كذباً فما اعتذارك من قول إذا قيلاً<sup>(٢)</sup>

(١) أخرج البخاري (كتاب الاعتكاف، باب زيارة الزوجة زوجها في اعتكافه، رقم ١٨٩٧) ومسلم (كتاب السلام، باب استحباب أنه من رئي خالياً بامرأة وكانت زوجته رقم ٤٠٤١) عن علي بن الحسين كان النبي ﷺ في المسجد وعنده أزواجه فرحن فقال لصفية بنت حيي: لا تعجلي حتى أنصرف معك وكان بيتها في دار أسامة فخرج النبي ﷺ معها فلقيه رجلان من الأنصار فنظرا إلى النبي ﷺ ثم أجازا وقال لهما النبي ﷺ: تعاليا إنها صفية بنت حيي قالا: سبحان الله يا رسول الله قال: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم وإني خشيت أن يلقي في أنفسكما شيئاً» .

(٢) البيت في العمدة ١/١٢٨: وقصة البيت أن الربيع بن زياد كان من ندماء النعمان بن المنذر وكان فحاشاً عياباً بذنباً سباباً لا يسلم أحد منه ممن يفد على النعمان فرُمي بلبيد وهو غلام مراهق فنافسوه وقد وضع الطعام بين يدي النعمان وتقدم الربيع وحده ليأكل معه على عادته فقام لبيد مرتجلاً:

يازُبُّ هيجاً هي خير من دعه  
نحن بني أم البنين الأربعة  
ونحن خير عامر بن صعصعة  
المطعمون الجفنة المدعدة  
والضاريون الهام تحت الخيضة  
مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه

فقال النعمان: ولم؟ فقال:

إن استه من برص ملمعه

فقال النعمان: وما علينا من ذلك؟ فقال:

وإنه يولج فيها أصبعه  
يولجها حتى يوارى أشجعه  
كأنما يطلب شيئاً أودعه

فرفع النعمان يده عن الطعام وقال: ما تقول يا ربيع فقال له: أبيت اللعن كذب الغلام فقال لبيد: مره فليجبه (يخزني وينكس قولي) فقال النعمان: جبه يا ربيع فقال: والله لما تسومني أنت من الخسف (الذل) أشد عليّ مما عضهني (كذب عليّ) به الغلام فحجبه بعد ذلك وسقطت منزلته وأراد الاعتذار فقال النعمان:

قد قيل ما قيل إن صدقاً وإن كذباً فما اعتذارك من قول إذا قيلاً

وإما أن يكون المراد بذلك التكنية عن نوعي الهلاك الأكبر والأصغر، وهذا أولى ليعم هلاك الدنيا والآخرة، فيراد بالأول: شدة العذاب أو الخلود في النار -نسأل الله السلامة منهما- فإنه شاع التعبير عن الأمر العظيم: بالموت الأحمر<sup>(١)</sup>. ودليل أن الهوى يؤدي إلى ذلك ما في الحديث: «أن العبد إذا عصى نكت في قلبه نكتة سوداء، ثم لا يزال يزداد الأمر إن توالى حتى يعم السواد قلبه، وذلك هو الران قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففون: ١٤-١٥]»<sup>(٢)</sup> ويراد بالثاني: ما هو دونه.

هذا ومن مستملح ما يحكى في طاعة الهوى وعصيانه: ما روي عن إبراهيم الخواص<sup>(٣)</sup> رضي الله عنه قال: رأيت رماناً فاشتهيته فأخذت منه، فوجدته حامضاً فتركته، ورأيت رجلاً مطروحاً وعليه الزنابير، فقلت: السلام عليك فقال: عليك السلام يا إبراهيم قلت: كيف عرفتنى؟ فقال: من عرف الله لا يخفى عليه شيء فقلت: لك حال مع الله فلو سألته صرف عنك الزنابير فقال: وأنت لك حال معه فلو سألته صرف عنك شهوة الرمان فإن لذع الرمان في الآخرة ولذع الزنابير في الدنيا.

قال شيخ الإسلام: ومصدقه: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾

(١) قال الجرجاني في تعريفاته رقم ١٥٢٠: الموت باصطلاح أهل الحق: قمع هوى النفس فمن مات عن هواه فقد حبي بهداه، والموت الأبيض: الجوع لأنه ينور الباطن ويبيض وجه القلب فمن ماتت بطنته حبيته فطنته، والموت الأحمر: مخالفة النفس، والموت الأخضر: لبس المرقع من الخرق الملقاة التي لا قيمة لها لاخضرار عيشه بالفنائة، والموت الأسود: هو احتمال أذى الخلق وهو الفناء في الله لشهود الأذى منه برؤية فناء الأفعال في فعل محبوبه.

(٢) أخرج الترمذي (كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ويل للمطففين، رقم ٣٢٥٧) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي ذكر الله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففون: ١٥]» وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) إبراهيم الخواص: ( . . . - ٢٩١هـ) إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل أبو إسحاق أحد شيوخ الصوفية بسر من رأى له كتب مصنفه (معجم المؤلفين ٤/١).

[التكاثر: ٨] . ورثي رجل في الهواء فقيل له : بم نلت هذا؟ فقال : تركت الهوى فسخر لي الهواء . والأخبار في هذا المعنى كثيرة .

[٢١] وَرَاعِيهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ وَإِنَّ هِيَ اسْتَحَلَّتِ الْمَرْعَى فَلَا تُسَمِّ عَطْفَ عَلَى اصْرَفٍ . وَرَاعِيهَا : بِمَعْنَى لِحَظْهَا وَانظُرْ إِلَى مَا تَصِيرُ إِلَيْهِ . وَالْأَعْمَالُ : جَمْعُ عَمَلٍ بِمَعْنَى الْفِعْلِ ، فِي الْأَمْنِيَةِ لِشَهَابِ الدِّينِ الْقُرَافِيِّ<sup>(١)</sup> : قِيلَ : مَعْنَى عَمَلٍ : فَعَلَ فِعْلاً لَهُ شَرَفٌ وَظُهُورٌ ، وَلِذَلِكَ تَعَلَّقَ بِهِ لَمَعٌ إِذَا اشْتَدَّ ظُهُورُهُ لِلْحَسَنِ ، وَلِذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ [الفيل: ١] ، ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ [الفجر: ٦] وَلَمْ يَقُلْ : عَمَلٌ ؛ لِأَنَّهُ أَثْرٌ فِيهِ عِقَابٌ وَاسْتِهْضَامٌ لَا شَرَفٌ وَتَعْظِيمٌ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا ﴾ [يس: ٧١] ، وَأَكْثَرُ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ ذِكْرِ أَعْمَالِ الْخَيْرِ بِلَفْظِ عَمَلٍ قَالَ تَعَالَى : ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٣١] ، ﴿ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [الزمر: ٧٤] ، ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ<sup>٢</sup> ﴾ [الجاثية: ١٥] .

ومن ثم جاء في الحديث : «إنما الأعمال بالنيات»<sup>(٢)</sup> دون الأفعال اهـ .

وسائمة : من السوم وهو الرعي ، يقال : سامت الماشية والإبل وغيرها تسوم سوماً : رعت فهي سائمة . واستحلت : استفعلت من الحلاوة ، والسين والتاء للحسبان ، والفعل تفسير لمقدر رافع للضمير على المذهب البصري المختار ، والمرعى : كالرعي - بكسر الراء - : اسم لما يرعى . وتسم : مضارع أَسَمْتُ الناقة ونحوها : إذا أخرجتها إلى الرعي ، قال تعالى : ﴿ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ [النحل: ١٠] .

والمعنى : لاحظ النفس في حال تقلبها في الأعمال الصالحة وانتقالها من

(١) القرافي ( . . . - ٦٨٤هـ ) أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن أبو العباس شهاب الدين الصنهاجي من علماء المالكية نسبته إلى صنهاجة البربرية وإلى القرافة في مصر ، وهو مصري الوفاة والمنشأ ، له مصنفات في الفقه والأصول منها أنوار البروق في أنواع الفروق (الأعلام ١/٩٥) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري (رقم ١ ، كتاب بدء الوحي) ومسلم (كتاب الإمارة ، باب قوله : «إنما الأعمال بالنيات» وأنه يدخل فيه الغزو وغيره ، رقم ٣٥٣٠) .



عمل إلى عمل، وإن عذب لها عمل، والتذت به فاصرفها عنه إلى عمل آخر عليها فيه كلفة ومشقة، فإنها لا تترتاض إلا بالمشاق، وقد استعار لتقلبها في الأعمال معنى الرعي أخذاً من الحديث الشريف، وهو قوله -عليه الصلاة والسلام-: «إن الحلال بين...»<sup>(١)</sup> الحديث.

هذا إجمال ما في البيت، وأما تفصيله فينبغي أن نقدم له مقدمتين: أولاهما: ما ذكره الإمام أبو إسحق الشاطبي<sup>(٢)</sup> -في المسألة الأولى من النوع الرابع من كتاب المقاصد من الموافقات-.

وهو «أن المقصد الشرعي من وضع الشريعة: إخراج المكلف من داعية هواه، حتى يكون عبداً لله اختياراً كما كان عبداً اضطراراً، وينبني على ذلك قواعد:

منها: أن كل عمل كان المتبع فيه الهوى بإطلاق من غير التفات إلى الأمر أو النهي أو التخيير فهو باطل بإطلاق؛ لأنه لا بد للعمل من حامل عليه وداع إليه، فإذا لم يكن لتلبية الشارع في ذلك مدخل، فليس إلا مقتضى الهوى والشهوة، وما كان كذلك كان خلاف الحق فيكون باطلاً؛ إذ ما بعد الحق إلا الضلال<sup>(٣)</sup>، وكل عمل كان المتبع فيه بإطلاق الأمر أو النهي أو التخيير فهو صحيح وحق؛ لأنه قد أتى به من طريقه الموضوع له، ووافق فيه صاحبه قصد الشارع فكان

(١) الحديث رواه البخاري (رقم ٥٠، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه) عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرمى حول الحمى يوشك أن يواقعها، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد كله ألا وهي القلب»، وأخرج نحوه مسلم (كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم ٢٩٩٦).

(٢) الشاطبي: ( . . . ٧٩٠هـ) إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي أبو إسحق محدث فقيه أصولي مفسر من مؤلفاته الموافقات في أصول الأحكام، الاعتصام (معجم المؤلفين ١/١١٨).

(٣) قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢].

صواباً، وإن امتزج في العمل الأمران فالحكم للغالب والسابق، وعلامة غلبة تلبية الشارع أو الهوى: أن العامل إن كف عند نهى الشارع فالغالب والسابق الشرع، وإن لم يكف عند ورود النهي فالغالب الهوى والشهوة.

ومنها: أن اتباع الهوى طريق إلى المذموم، وإن جاء في ضمن المحمود لأنه إذا تبين أنه مضاد بوضعه لوضع الشريعة، فحيثما زاحم مقتضاها في العمل كان مخوفاً؛ لأنه إذا أُتبع واعتيد ربما أحدث للنفس أنساً به حتى يسري معها في أعمالها، ولا سيما وهو مخلوق منها ملصق بها، فقد يكون مسبوقاً بالامتثال الشرعي فيصير سابقاً له، وإذا صار سابقاً له صار العمل الامتثالي تابعاً له وفي حكمه فبسرعة ما يصير صاحبه إلى المخالفة، ودليل التجربة حاكم هنا.

ومنها: أن اتباع الهوى في الأحكام الشرعية مظنة لأن يحتال بها على أغراضه فتصير كآلة المعدة لاقتناص أغراضه وهو نهاية الذم<sup>(١)</sup>.

المقدمة الثانية: ما ذكره شهاب الدين - في الثامن والخمسين من فروقه - : «أن الفعل السالم عن المفسدة إذا كان وسيلة إليها مُنع، وذلك معنى سد الذرائع، وهو على الجملة مجمع عليه، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] وإن اختلفوا في بعض صورها بناء على قرب التوسل وعدم تحققه، كما أجمعوا على عدم اعتبار ما فيه عدم القرب كزراعة العنب<sup>(٢)</sup>.

إذا تمهد هذا فنقول: إن الأعمال في كلام المصنف تشمل الطاعة؛ واجبها ومندوبها والمباحات، أما إذا قلنا: بأن العمل كالفعل فالأمر بين، وأما إذا قلنا باختصاصه بما له شرف فهو في الواجب والمندوب بين وكذا في المباح من حيث كونه مأذوناً فيه من الله - كما سيتبين لك - فإذا أخذت النفس في فعل الواجب من العبادات من حيث امتثال الأمر والدخول تحت ربة الاستخدام والتكليف، متحملة لمشاق العبادة وإظهاراً لحق العبودية، فتلك الدرجة العليا التي لا يخشى منها ضرر.

(١) الموافقات ٢/ ١٦٨ .

(٢) الفروق ٥٨ .

وإن استحلته متلذذة به فلا يخلو الحال: من أن يكون تلذذها من حيث هواها وهو القسم الباطل، أو من حيث التعود فهو وإن كان منحطاً عن الدرجة الأولى مقبول في الجملة، لكنه يخشى منه داعية الهوى، فتصرف عن تلك الجهة في الفعل إلى الجهة الأولى سداً لذريعة الفساد، وإن أخذت في المندوبات فكذلك إلا أن الأمر فيها بين فإنها بالاستحلاء تصرف من فعل إلى فعل لعدم التعيين فيها، وللتعيين في الواجب امتنع هذا الطريق وتعين صرف الهمة والنية لا غير، وإن أخذت في المباحات التي هي لمحض حظ العبد؛ فإن تلقته من حيث إذن الله فيها وكونها هدية منه لعبده صارت مجردة من الحظ فألحقت بما لا حظ فيه، وسلوك تلك الطريقة فيها غير مخوف، وإن تناولت المباح من حيث حبه والشهوة النفسانية ردت عنه خوف اتباع الهوى في غيره، وإن لم يكن فيه مفسدة من حيث إن إذن الشارع فيه لحظ المكلف لا غير.

واعلم أن الاستحلاء المذموم هو ما كان باعثاً على المناولة.

أما إذا لم يكن الباعث عليها وإنما حصلت المناولة امتثالاً للأمر أو قبولاً للإذن فلا ذم فيه.

وبهذا يجاب عما قيل على ذم السعي إلى الحظ في أنه جاء عن سيد المرسلين ﷺ أنه «كان يحب الطيب والنساء»<sup>(١)</sup>. و«الحلوى.....»

(١) أخرج أحمد (رقم ١١٨٤٥) عن أنس أن النبي ﷺ قال: «حب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعل قرّة عيني في الصلاة» ورواه النسائي (رقم ٣٨٧٩، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء)، وقال السيوطي ٦١/٧ في شرح الحديث: قال بعضهم في هذا قولان: أحدهما أنه زيادة في الابتلاء والتكليف حتى يلهو بما حبب إليه من النساء عما كلف من أداء الرسالة فيكون ذلك أكثر لمشاقة وأعظم لأجره والثاني لتكون خلواته مع ما يشاهدها من نسائه فيزول عنه ما يرميه به المشركون من أنه ساحر أو شاعر فيكون تحبيبهن إليه على وجه اللطف به وعلى القول الأول على وجه الابتلاء وعلى القولين فهو له فضيلة وقال التستري في شرح الأربعين: من في هذا الحديث بمعنى في لأن هذه من الدين لا من الدنيا وإن كانت فيها، والإضافة في رواية دنياكم للإيدان بأن لا علاقة له بها، وفي هذا الحديث إشارة إلى وفائه ﷺ بأصلي الدين وهما التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله، وهما كمال قوته النظرية والعملية فإن كمال الأولى بمعرفة الله والتعظيم دليل عليها لأنه لا يتحقق بدونها والصلاة =

لكونها مناجاة الله تعالى على ما قال ﷺ المصلي يناجي ربه نتيجة التعظيم على ما يلوح من أركانها ووظائفها، وكمال الثانية في الشفقة وحسن المعاملة مع الخلق، وأولى الخلق بالشفقة بالنسبة إلى كل واحد من الناس نفسه وبدنه، كما قال ﷺ «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول» والطيب أخص الذات بالنفس ومباشرة النساء ألد الأشياء بالنسبة إلى البدن مع ما يتضمن من حفظ الصحة وبقاء النسل المستمر لنظام الوجود ثم أن معاملة النساء أصعب من معاملة الرجال لأنهن أرق ديناً وأضعف عقلاً وأضيق خلقاً كما قال ﷺ: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحدان» فهو -عليه الصلاة والسلام- أحسن معاملتهن بحيث عوتب بقوله تعالى: ﴿تَبَغَّى مَرْصَاتٍ آزْوَاجًا﴾ وكان صدور ذلك منه طبعاً لا تكلفاً كما يفعل الرجل ما يحبه من الأفعال فإذا كانت معاملته معهن هذا فما ظنك بمعاملته مع الرجال الذين هم أكمل عقلاً وأمثلة ديناً وأحسن خلقاً وقوله: وجعلت قرة عيني في الصلاة إشارة إلى أن كمال القوة النظرية أهم عنده وأشرف في نفس الأمر، وأما تأخيره فللتدرج التعليمي من الأدنى إلى الأعلى، وقدم الطيب على النساء لتقدم حظ النفس على حظ البدن في الشرف، وقال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: الأنبياء زيدوا في النكاح لفضل نبوتهم، وذلك أن النور إذا امتلاء منه الصدر ففاض في العروق التذت النفس والعروق فأثار الشهوة وقواها، وروى عن سعيد بن المسيب أن النبيين -عليهم الصلاة والسلام- يفضلون بالجماع على الناس، وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أعطيت قوة أربعين رجلاً في البطش والنكاح وأعطى المؤمن قوة عشرة» فهو بالنبوة والمؤمن بإيمانه والكافر له شهوة الطبيعة فقط، قال: وأما الطيب فإنه يزكي الفؤاد، وأصل الطيب إنما خرج من الجنة تزود آدم منها بورقة تستر بها فتركت عليه، وروى أحمد والترمذي من حديث أبي أيوب قال: قال رسول الله ﷺ «أربع من سنن المرسلين: التعطر والحياء والنكاح والسواك» وقال الشيخ تقي الدين السبكي: السر في إباحة نكاح أكثر من أربع لرسول الله ﷺ أن الله تعالى أراد نقل بواطن الشريعة وظواهرها وما يستحيا من ذكره وما لا يستحيا منه وكان رسول الله ﷺ أشد الناس حياء فجعل الله تعالى له نسوة ينقلن من الشرع ما يرينه من أفعاله ويسمعنه من أقواله التي قد يستحي من الإفصاح بها بحضرة الرجال ليتكامل نقل الشريعة وكثر عدد النساء ليكثر الناقلون لهذا النوع ومنهن عرف مسائل الغسل والحيض والعدة ونحوها قال ولم يكن ذلك لشهوة منه في النكاح ولا كان يحب الوطء للذة البشرية معاذ الله، وإنما حُبب إليه النساء لنقلهن عنه ما يستحي هو من الإمعان في التلفظ به فأحبهن لما فيه من الإعانة على نقل الشريعة في هذه الأبواب وأيضاً فقد نقلن ما لم يتقله غيرهن مما رأينه في منامه وحاله خلوته من الآيات البيئات على نبوته ومن جده واجتهاده في العبادة ومن أمور يشهد كل ذي لب أنها لا تكون إلا لنبي وما كان يشاهدها غيرهن فحصل بذلك خير عظيم . وقال الموفق عبد اللطيف البغدادي: لما كانت الصلاة جامعة لفضائل الدنيا والآخرة خصها بزيادة صفة وقدم الطيب لإصلاحه النفس وثنى بالنساء لإمطاة أذى النفس بهن وثلت بالصلاة لأنها تحصل حينئذ صافية عن الشوائب خالصة عن الشواغل» .

والعسل»<sup>(١)</sup> وكان «يعجبه الذراع»<sup>(٢)</sup> و«يُسْتَعَذَّبُ لَهُ الْمَاءُ»<sup>(٣)</sup> فَإِنْ ذَلِكَ لَا يَقْضِي بِأَنْ تَنَاوَلَهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لِتِلْكَ الْأَشْيَاءِ مِنْ حَيْثُ مَحَبَّتِهِ لَهَا، بَلْ نَقُولُ: إِنَّهُ يَحِبُّهَا وَلَا يَتَنَاوَلُهَا إِلَّا مِنْ حَيْثُ قَبُولِ الْإِذْنِ وَامْتِثَالِ النَّدْبِ، وَعَلَى قِيَاسِ ذَلِكَ مَا جَاءَ عَنِ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ الْمُقْتَدِينَ بِهِ ﷺ. قَالَ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(٤)</sup>.

هَذَا مَا انْقَدَحَ لِي فِي بَيَانِ مَرَادِ النَّازِمِ، وَدُونِكَ مَا فِي شَيْخِ الْإِسْلَامِ وَغَيْرِهِ مِنَ الشُّرُوحِ وَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَا يَحْلُو وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[٢٢] كَمْ حَسَّنَتْ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ  
تعليل في المعنى للنهي عن تركها سائمة إذا استحلّت المرعى. وكم: خبرية في موضع النصب على الظرفية بحسنت محذوفة التمييز أي كم زمن، أو على المفعولية المطلقة أي كم تحسين. وقول شيخ الإسلام: إنها مفعول لحسنت ولذة تمييزها غفلة عن وجوب جر تمييزها بالإضافة. وحسنت: من التحسين بمعنى التزيين. والمرء: الرجل. وقاتلة: صفة للذة. وللمرء: متعلق به أو بحسنت، والفصل للضرورة أو من حيث: يتعلق بقاتلة على معنى الابتداء. والسّم - بضم السين وفتحها - : القاتل. والدسم: الودك<sup>(٥)</sup>.

والمعنى: أن النفس شأنها المكر والخديعة، فتبرز الأمر المهلك بصورة

(١) أخرج البخاري (رقم ٥٠١١، كتاب الأطعمة، باب الحلواء والعسل): عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل.

(٢) أخرج البخاري (رقم ٣٠٩٢، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها رقم ٢٨٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة وقال «أنا سيد القوم يوم القيامة . . .».

(٣) الحديث رواه أبو داود عن عائشة أن النبي ﷺ كان يُسْتَعَذَّبُ لَهُ الْمَاءُ مِنْ بِيوتِ السَّقِيَا (أي يجاء له بالماء العذب وهو الطيب الذي لا ملوحة فيه لأن مياه المدينة كانت مالحة وبيوت السقيا عين بينها وبين المدينة يومان) (سنن أبي داود رقم ٣٢٤٦، كتاب الأشربة، باب في إيكاء الآنية).

(٤) الموافقات ١/١١٨.

(٥) الودك: هو دسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه ودجاجة وديك أي ذات ودك ودسم (اللسان ٢٠٩/١ ودك).

المحسن، فيغتر بظاهر الزينة، ويفعل الفعل ولا يلتفت إلى ما فيه من اللذة، فيسرع له الهلاك الدنيوي والأخروي، من حيث جهله بوضع المكر في ذلك المزين، كوضع السم في الدسم، بحيث لا يظهر له فيه أثر، فالمعنى على التشبيه، وإن كان ذلك شأنها وجب رعيها وعدم إهمالها وصرافها عما تشتهيه من الأعمال مخافة دسائسها الدقيقة، وبما قررناه علم أن القتل على طبق ما سبق. ومساق هذا البيت: التعليل للنهي السابق - كما قدما - فيجب أن يراد باللذة هو العمل المستحلى، ومعنى تحسينه: تزيينه بكونه عبادة الموجب عدم النفرة عنه ظاهراً فيغتر الجاهل بذلك ويتمادى على الفعل مع أن ما في ضمنه من الهوى وسيلة إلى الهلاك - كما تقدم - وأما حملة على لذة المعصية الموجبة للعقوبة فبعيد من حيث عدم الملاءمة للسابق واللاحق؛ أما الأول فظاهر، وأما الثاني فلعدم ملاءمة التشبيه - كما لا يخفى -.

ومأخذ ذلك المعنى الذي قصده الناظم على ما بينا مع بعض الألفاظ: ما حكاه القشيري<sup>(١)</sup> عن الواسطي<sup>(٢)</sup> أنه قال: إياكم واستحلاء الطاعات، فإنها سموم قاتلة اه<sup>(٣)</sup> ومن الدسائس الخفية التي تدسها النفس في صورة الطاعة: أن تأمر صاحبها بالارتقاء إلى مقام أعلى من مقامه الذي أراده الله فيه؛ كما قال الشيخ ابن عطاء الله<sup>(٤)</sup> في الحكم: إرادتك التجريد مع إقامة الله تعالى لك في

(١) القشيري: (٣٧٦-٤٦٥هـ) عبد الكريم بن هوازن النيسابوري الشافعي أو القاسم زين الإسلام صوفي مفسر فقيه أصولي محدث متكلم واعظ أديب ناظر ناظم تعانى الفروسية والعمل بالسلاح حتى برع في ذلك ثم تعلم الكتابة والعربية ثم سمع الحديث توفي في نيسابور من تصانيفه: الرسالة القشيرية (معجم المؤلفين ٦/٦).

(٢) الواسطي (٦٩٧-٧٥٠هـ) علي بن إبراهيم بن علي الواسطي يعرف بابن الثردة من عقلاء المجانين كان واعظاً يقول الشعر أصله من واسط نشأ ببغداد وسكن دمشق فجلس للوعظ ثم اختلط ووضع في المارستان وكان ينظم الشعر الجيد في حال اختلاله وتوفي في المارستان (الأعلام ٤/٢٥١).

(٣) الرسالة القشيرية ص ٣١٠.

(٤) ابن عطاء الله الاسكندري (٧٠٩-٧٠٩هـ) أحمد بن محمد بن عبد الكريم أبو الفضل تاج الدين متصوف شاذلي من العلماء كان من أشد خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية له تصانيف منها الحكم العطائية (الأعلام ١/٢٢٢).

الأسباب من الشهوة الخفية، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله لك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية<sup>(١)</sup> .ا.هـ. فإن التجريد عن الأسباب والتوجه إلى العبادة مرتبة عليّة في ذاته إلا أنه لما تعلقت الإرادة الأزلية في حق ذوي الأسباب بالتسبب كانت إرادة التجريد مع ذلك شهوة خفية معارضة للإرادة .

في شرح ابن زكري<sup>(٢)</sup> على النصيحة الزرقية: سئل العارف ابن العربي<sup>(٣)</sup>:  
أيجوز للرجل أن يدخل بيتاً ويطين عليه بابه ويبتظر رزقه من عند الله فقال: إن كان مثل أبي حمزة الخراساني<sup>(٤)</sup> فنعم، وإلا فيحرم عليه فقال السائل: وما حال أبي حمزة؟ قال: كان ماشياً ذات ليلة في برية فإذا به وقع في حفرة فحاول الخروج فلم يستطع فإذا بحي بقربه، فأراد أن يستغيث بهم، فإذا بوارد على قلبه

(١) قال الشرنوبى في شرح الحكم العطائية ص ٦٦: يعني أن عزمك أيها المريد على التجرد أي التخلص من الأسباب التي أقامك الله فيها كطلب الرزق الحلال والاشتغال بالعلم الظاهر من الشهوة الخفية أما كونها من الشهوة فلعدم وقوفك مع مراد مولاك، وأما كونها خفية فلكونك لم تقصد بذلك حظ نفسك في العاجل بل التقرب بالتجرد لمن خلقتك وسواك فقد زينت لك النفس بالدسيسة الخفية الخروج من الأسباب التي أقامك فيها العزيز الوهاب وكذلك إرادتك الأسباب الشاغلة عن الله الكريم مع إقامته إياك في التجريد ورزقك من حيث لا تحتسب بفضله العميم انحطاط عن الهمة العلية لأن ذلك رجوع من الحق إلى الخلق وهي مرتبة دنية فالزم أيها المريد ما رضيه لك العزيز الحميد فإن ما أدخلك الله فيه تولى إعانتك عليه وما دخلت فيه بنفسك وكلك إليه .

(٢) ابن زكري ( . . . - ١١٤٤هـ) محمد بن عبد الرحمن بن زكري المغربي الفاسي أبو عبد الله محدث مسند صوفي مشارك في بعض العلوم من تصانيفه شرح الحكم العطائية وهمزية وشرحها (معجم المؤلفين ١٠/١٤٠).

(٣) ابن العربي (٤٦٨-٥٤٣هـ) محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي الإشبيلي المالكي أبو بكر عالم مشارك في الحديث والفقه والأصول وعلوم القرآن والأدب والنحو والتاريخ ولد بإشبيلية وولي القضاء بها ودخل بغداد وسمع بها ولقي بالقاهرة والإسكندرية جماعة من المحدثين ثم عاد إلى الأندلس توفي بالعدوة من تصانيفه المحصول في الأصول وقانون التأويل في تفسير القرآن (معجم المؤلفين ١٠/٢٤٢).

(٤) أبو حمزة الخراساني ( . . . - ٢٩٠هـ) محمد بن إبراهيم أصله من محلة ملقباذ بأبهان من أقران الجنيد وكان ورعاً زاهداً صوفياً ووفته وكان ابن حنبل يجعله ويعظمه (طبقات الصوفية الكبرى- ١/٥٥٠).

يقول: أما تستحي أن تستغيث بالمخلوق وأنت بين يدي الخالق وتعلم أنه مطلع عليك وقادر أن يخلصك مما أنت فيه، فأمسك ولم يستغث، وإذا برجلين مارين، نظر أحدهما إلى باب الحفرة فقال لصاحبه: والله ما هذه إلا مضرة لخلق الله، والرأي عندي أن أسدها فوافقه صاحبه، وأخذوا في سدّها حتى سويهاها بالأرض، فلما علم الله صدق نيته في الثقة به بعث إليه من يخلصه، فبينما هو ماكث وإذا بالحس على باب الحفرة فلما كشف عنها إذا بأسد عظيم يهمهم ويدلي ذنبه في الحفرة، ففهم أن الله أراد خروجه وتعلق بذنبه حتى أخرجه ثم انصرف الأسد وسمع هاتفاً يقول: أنجيناك من التلف بالتلف اهـ.

وبالجملة يجب على الإنسان التمسك بالحديث الشريف: «كل ميسر لما خلق له»<sup>(١)</sup>.

[٢٣] وَأَخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَعٍ قَرَبٌ مَحْمَصَةٌ شَرٌّ مِنَ التُّخْمِ  
عطف على قوله فاصرف هواها. واخش: أمر من الخشية وهي الخوف. والدسائس: جمع دسيسة، وهي المكر الخفي، ويروى: الدواخل؛ جمع داخلة وهي باطن الأمر، ويحتمل أخذها من الدخل وهو المكر والخديعة، وعليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَاقُمْ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ [النحل: ٩٤]. والجوع والشبع: عرضان يخلقهما الله تعالى في مجاري عاداته عند خلاء المعدة من الطعام وعند وجوده فيها. ومن: ابتدائية، متعلقة بمحذوف معرفة، صفة للدسائس أي الحاصلة من الجوع والشبع كما قرره الجلال المحلي<sup>(٢)</sup>.

وتقدير المتعلق معرفة لمناسبة المعنى أجازته التفتازاني<sup>(٣)</sup> في شرح

(١) الحديث أخرجه البخاري (رقم ٦٩٩٦، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾) ومسلم (رقم ٤٧٨٧، كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله).

(٢) الجلال المحلي: (٧٩١-٨٦٤هـ) محمد بن أحمد المحلي الشافعي الأصولي المفسر مولده ووفاته بالقاهرة عرض عليه القضاء فامتنع، له البدر الطالع وكنز الراغبين وتفسير (الأعلام ٣٣٣/٥).

(٣) التفتازاني (٧١٢-٧١٩هـ) مسعود بن عمر سعد الدين عالم مشارك في النحو والتصريف =



التلخيص<sup>(١)</sup> والدماميني<sup>(٢)</sup> وغيرهما، وأما جعلها بيانية متعلقة بحال فيقضي أن الدسائس هي الجوع والشبع، والمعنى ليس عليه - كما سيظهر - وكذا تعلقه باخش، فإنه يفيد كون الجوع والشبع مبدأ خشية جميع الدسائس، وليس كذلك. والفاء: لتعليل كون الجوع منشأً للدسائس. والمخمصة: المجاعة. والتخم: جمع تخمة، وهي فساد المعدة بالطعام.

والمعنى: خف ما ينشأ عن الشبع من الدسائس، وما ينشأ عن الجوع منها، ولتكن حالتك على التوسط بينهما، ولا تتوهم أنه لا دسياسة من الجوع، فرب جوع يكون أكثر شراً من نهاية الشبع الموجبة لفساد المعدة بالطعام. وبهذا التعليل الأخير يعلم أن المراد بهما حقيقتهما، لا ما قاله شيخ الإسلام: من قليل العبادة وكثيرها - كما لا يخفى - فهو وصية أخرى توجب ارتياض النفس وتهذيبها بعد الفراغ من الوصية بصرف هواها ومراعاة حالها في العبادة، ولذا قلنا بالعطف على: اصرف مع بُعْده، دون راع مع قربه.

واعلم أن دسائس الشبع كثيرة؛ إجمالها: أنه يحرك الشهوة الداعية إلى كسب الدنيا والميل إليها و«حب الدنيا رأس كل خطيئة»<sup>(٣)</sup> كما في الحديث، وتفصيلها أنه يذهب الفطنة، ويورث البلادة، ويعمي القلب، ويعين على المعاصي، ومن ثم قيل: البطن إذا جاع شبع سائر الجسد، وإذا شبع جاع سائر الجسد. قال ابن زكري: قالت عائشة<sup>(٤)</sup> - رضي الله عنها -: أول بدعة حدثت

= والمعاني والبيان والفقه والأصلين والمنطق وغير ذلك ولد بتفتازان وانتفع الناس بتصانيفه وتوفي بسمرقند من تصانيفه شرح تلخيص المفتاح (معجم المؤلفين ١٢/٢٢٨).

(١) شرح تلخيص المفتاح ١٢٩.

(٢) الدماميني (٧٦٣-٨٢٧هـ) محمد بن أبي بكر المخزومي القرشي الإسكندري عالم بالشرعية وفنون الأدب ولد في الإسكندرية ولازم ابن خلدون تولى قضاء الإسكندرية وتصدر في الجامع الأزهر لإقراء النحو توفي فجأة في بلد كلبرجا قيل مسموماً له شعر ونثر وتصانيف منها القوافي (تاريخ الأدب العربي ٣/٨٣٦).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان رقم ١٠٥٠١، ٣٣٨/٧.

(٤) عائشة: عائشة بنت أبي بكر الصديق: ولدت بعد البعثة بأربع سنين تزوجها النبي ﷺ وهي بنت ست، ودخل بها وهي بنت تسع، تكنى أم عبد الله ولم يكن لها ولد، وقد أحبها النبي ﷺ، وروت عنه كثيراً، توفيت سنة ٥٨ هـ ودفنت بالبقيع. الإصابة رقم ١١٤٥٧، ٢٠/٨.

بعد رسول الله ﷺ: الشبع، إن القوم لما شبعت بطونهم جمحت نفوسهم إلى الدنيا، وشهوة الفرج لا تخفى غائلتها، فمن شبع لم يملكها، وإن منعتة التقوى لم يملك عينه، وجميع معاصي الأعضاء السبعة سببها: القوة الحاصلة بالشبع<sup>(١)</sup> اه وفي شيخ الإسلام: أقل مفسد الشبع أن تكسل عن الطاعات<sup>(٢)</sup> إن لم تقع في المعاصي ففي الخبر: «لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتخسروا كثيراً»<sup>(٣)</sup> اه وفي هذا الخبر إشارة إلى أن كثرة النوم من الماء، ووجهه ابن زكري: بأن كثرة الماء تورث كثرة الدم فتثقل الحواس ويجلب النوم، ومن مفسده كثرة الأسقام الناشئة من غلبة بعض الأخلاط من كثرة الغذاء.

وأما دسائس الجوع فهي فساد القلب، والألم المشوش للفكر، وضعف البدن فلا يتيسر لصاحبه القيام بإصابة النظر ووظائف العبادات، ومن دسائسه أنه ربما أدى إلى الهلاك بسبب جفاف رطوبات البدن، فتتحل أجزاءه بالحرارة التي لا تجد ما تشتغل فيه من الغذاء فيحصل الهلاك، وبه يتبين أن مفسدته أشد من التخم، ومأخذ مفسد الجوع قوله عز اسمه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ [البقرة: ١٥٥] الآية. وإذا تبين ما في الجوع والشبع من المفسد كان الواجب التوسط. وضابطه: ما رواه أحمد<sup>(٤)</sup> والترمذي من قوله -عليه الصلاة والسلام-:

(١) ولهذا السبب ولغيره أمر الشباب بالصوم إن لم يجدوا الباء للزواج فقال ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»، أخرجه البخاري (كتاب الصوم، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزبة، رقم ١٧٧٢)، ومسلم (كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، رقم ٢٤٨٥).

(٢) في إحياء علوم الدين ٣/ ٢٩: من أبواب الشيطان العظيمة الشبع من الطعام وإن كان حلالاً صافياً فإن الشبع يقوي الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان فقد روي أن إبليس ظهر ليحيى -عليه السلام- فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال: يا إبليس ما هذه المعاليق قال: هذه الشهوات التي أصبت بها ابن آدم فقال: فهل في منها شيء؟ فقال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال: فهل علي غير ذلك؟ قال: لا، قال: لله علي أن لا أملاً بطني من الطعام أبداً فقال له إبليس: ولله علي أن لا أنصح مسلماً أبداً.

(٣) الخبر في الشفا ١٢٩: قال: قال بعض السلف وذكره .

(٤) أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ) أبو عبد الله الشيباني الوائلي إمام المذهب الحنبلي وأحد الأئمة الأربعة أصله من مرو وكان أبوه والي سرخس ولد ببغداد فنشأ منكباً على =

«حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان ولا بد فثلث للطعام، وثلث للماء، وثلث للنفس»<sup>(١)</sup>.

[٢٤] واستفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدْ اَمْتَلَأَتْ مِنَ الْمَحَارِمِ وَالزَّمِّ حِمِيَةَ النَّدَمِ لما أوصى بما يفيد سياسة النفس فيما يستقبل من أمرها بين هنا ما يفيد في جبر ما فات منها، وهو التوبة والبكاء. واستفراغ الدمع من العين: إراقتة على زيادة السين والتاء، وقد يراد بهما الطلب لحديث: «إن لم تبكوا فتباكوا»<sup>(٢)</sup>. والمحارم: جمع مُحَرَّم بمعنى الحرام. والحمية: الامتناع من المضار، من حميت المريض الطعام: إذا منعتة منه. والندم: الكره، يقال: ندم - بالكسر - بمعنى كره.

والمعنى: أرق دمعك أو اطلب إراقتة من عين قد امتلأت من المحارم أي كثر نظرها إلى ما لا يحل إليه النظر حتى كأنها امتلأت بذلك، والزم التوبة؛ فإنها وقاية من العقوبة. وفي وصف العين بالامتلاء من المحارم: إيماء إلى وجه بناء إراقة الدمع. ثم لما كان أول المعصية غالباً النظر<sup>(٣)</sup> - كما قدمنا - جعله مقدماً على التوبة مبدأً لها، واقتصر على الندم من أركان التوبة وهي: الندم والإقلاع والعزم على عدم العود؛ لما أن الندم جماعها؛ إذ مع الندم لا يتيسر عدم العزم، ولا يتيسر البقاء على العمل، ولذا ورد في الحديث: «الندم التوبة»<sup>(٤)</sup>. وأدلة

= طلب العلم وسافر كثيراً وصنف المسند يحتوي على ثلاثين ألف حديث وله كتب لفتي الفتنة في مسألة خلق القرآن (الأعلام ١/٢٠٣).

(١) الحديث أخرجه أحمد رقم ١٦٥٥٦ بلفظ: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن، حسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث طعام، وثلث شراب، وثلث لنفسه» وأخرج نحوه الترمذي (رقم ٢٣٠٢، كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية الأكل وقال: حديث حسن صحيح).

(٢) روى ابن ماجه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا» (كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء، رقم ٤١٨٦).

(٣) قال الشاعر:

كل المفسد مبدأها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

(٤) الحديث أخرجه ابن ماجه (رقم ٤٢٤٢، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة)، وأحمد رقم ٣٣٨٧.

كون الندم حمية ووقاية كثيرة في الكتاب والسنة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وقال - عليه الصلاة والسلام -: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»<sup>(١)</sup>. وأما أدلة فضل البكاء فكثيرة؛ منها: ما في الحديث القدسي: «أنا عند المنكسرة قلوبهم»<sup>(٢)</sup>. وقال - عليه الصلاة والسلام - لعقبة بن عامر<sup>(٣)</sup> حين سأله ما النجاة؟: «املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك»<sup>(٤)</sup>. وورد أن الله تعالى قال لموسى - عليه الصلاة والسلام - «يا موسى حرمت على النار ثلاثة أعين: عين سهرت في سبيلي، وعين غضت عن محارمي، وعين دمعت من خشيتي، ولكل شيء جزاء غير الدمعة فلا جزاء لها غير المغفرة والرحمة»<sup>(٥)</sup> اهـ.

واعلم أن المحارم النظرية كثيرة: منها نظر المرأة والصبي بالشهوة، ومنها النظر في كتاب الرجل من غير إذنه، ومنها التطلع إلى ما ستر عنك لأنه تجسس، ومنها إجمالة النظر فيما أذن لك في دخوله من بيت ونحوه من غير إذن، ومنها التطلع إلى عورة ولو عورة نفسه وقيل بالكراهة في الأخير<sup>(٦)</sup>، ومنها النظر إلى

(١) أخرجه ابن ماجه (رقم ٤٢٤٠، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة).

(٢) أخرج البيهقي في الزهد الكبير (رقم ٣٦٧، ١٦٢/٢) عن عبد الكريم بن رشيد أن داود عليه السلام قال: أي رب أين ألقاك؟ قال: تلقاني عند المنكسرة قلوبهم وأخرج ابن أبي عاصم في الزهد (٧٥/١) عن عمران القصير قال: قال موسى: أي رب أين أبغيك؟ قال: ابغني عند المنكسرة قلوبهم: إني أدنو منهم كل يوم باعاً ولولا ذلك لانهدموا.

(٣) عقبة بن عامر الجهني ( . . . - ٥٥٨هـ) أمير من الصحابة كان رديف النبي ﷺ وشهد صفين مع معاوية وحضر فتح مصر مع عمرو بن العاص وولي مصر سنة ٤٤هـ وعزل عنها سنة ٤٧هـ وولي غزو البحر ومات بمصر كان شجاعاً فقيهاً شاعراً قارئاً من الرماة وهو أحد من جمع القرآن (الأعلام ٤/٢٤٠).

(٤) أخرج الترمذي (رقم ٢٣٣٠، كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان) وقال عنه: هذا حديث حسن. وأحمد (رقم ٢١٢٠٦).

(٥) روى الحاكم في المستدرک (رقم ٢٤٣٠، ٩٢/٢) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة أعين لا تمسها النار: عين فقتت في سبيل الله وعين حرست في سبيل الله وعين بكت من خشية الله» وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بأن أحد رواته ضعفه.

(٦) قال ابن حجر (فتح الباري ١/٣٨٥): أخرج أصحاب السنن وحسنه الترمذي وصححه =

الجبابرة بعين الرضا والتعظيم، ومنها النظر بعين الاحتقار لأحد من خلق الله، ومنها النظر بالشزر والغضب لغير متكبر ولا ظالم، ومنها النظر للضعفاء من المؤمنين بعين السخرية والاستهزاء، ومنها النظر فيما لا يحل كتبه ولا تعلمه بقصد كتبه أو تعلمه. كذا في النصيحة الكافية.

[٢٥] وخالف النفس والشيطان وأغصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم المخالفة: ضد الموافقة. وتقدم معنى النفس. وأما الشيطان: فمعروف، وخلقته: من النار.

في شرح الجوهرة لناظمها<sup>(١)</sup> -عليه رحمة الله- نقلاً عن السعد: أن الشياطين: أجسام نارية، شأنها إلقاء الناس في الغواية بتذكير أسباب المعاصي وإنشاء موانع الطاعة، والجن: أجسام هوائية تتشكل بأشكال مختلفة منهم المطيع والعاصي، والملائكة: أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل كاملة في العلم والقدرة، شأنها الطاعات، ومسكنها السماوات، قيل: تركيب الأنواع الثلاثة من امتزاج العناصر الأربعة إلا أن الغالب على الشياطين عنصر النار، وعلى الآخرين عنصر الهواء، وذلك أن امتزاج العناصر قد لا يكون على القرب من الاعتدال،

= الحاكم وروى ابن أبي شيبة عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت: يا نبي الله عوراتنا ما تأتي منها وما نذر؟ قال: أحفظ عورتك إلا من زوجتك أو ماملكت يمينك قلت: يا رسول الله أحدنا إذا كان خالياً قال: الله أحق أن يستحي منه من الناس وعرف من سياق الحديث أنه وارد في كشف العورة بخلاف ما قال أبو عبد الملك البوني: إن المراد بقوله: «أحق أن يستحي منه» أي فلا يعصى ثم إن ظاهر حديث بهز يدل على أن التعري في الخلوة غير جائز مطلقاً لكن استدلل المصنف على جوازه في الغسل بقصة موسى وأيوب عليهما السلام ووجه الدلالة منه على ما قال ابن بطلال: أنهما ممن أمرنا بالاعتداء به وهذا إنما يأتي على رأى من يقول: شرع من قبلنا شرع لنا والذي يظهر أن وجه الدلالة منه أن النبي ﷺ قص القصتين ولم يتعقب شيئاً منهما فدل على موافقتهما لشرعنا وإلا فلو كان فيهما شيء غير موافق لبينه فعلى هذا فيجمع بين الحديثين بحمل حديث بهز بن حكيم على الأفضل واليه أشار في الترجمة ورجح بعض الشافعية تحريمه والمشهور عند متقدميهم كغيرهم الكراهة فقط .

(١) اللقاني: (١٠٤١-١٠٤١هـ) إبراهيم بن إبراهيم المالكي المصري برهان الدين أبو الأمراء أبو إسحاق من علماء الحديث وأصوله والكلام والفقهاء توفي وهو راجع من الحج ودفن بالقرب من عقبة أيلة من مؤلفاته بهجة المحافل وجوهرة التوحيد (معجم المؤلفين ١/٢).

بل على قدر صالح من غلبة أحدها، فإن كانت الغلبة للأرضية يكون الممتزج مائلاً إلى الأرض، وإن كانت المائية فإلى الماء، أو الهوائية فإلى الهواء، أو النارية فإلى النار، ولكون الهواء والنار في غاية الشفوف واللطافة كانت الملائكة والجن والشياطين بحيث يدخلون المنافذ والمضايق ولا يُرَوْنَ إلا إذا اكتسوا من الممتزجات الأخر التي تغلب عليها الأرضية أو المائية جلابيب وغواشي فيُرَوْنَ في أبدان كأبدان الناس أو غيرهم من الحيوانات. قال الشارح: يجوز أن يكون تشكلهم تابعاً لإرادتهم، والفاعل هو الله، وأن يكون عن أسماء علّمها لهم اه<sup>(١)</sup>. ولعتو الشيطان وتمرده سمي كل عات متمرّد من الجن والإنس والدواب: شيطاناً، وسمت العرب الحية شيطاناً<sup>(٢)</sup>، وقيل: في قوله تعالى: ﴿طَلَعَهَا كَانَتْهُ رُؤُوسَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصفات: ٦٥]. المراد: الحقيقة؛ لأن رأس الشيطان موصوفة بالقبح. وقيل المراد: رؤوس الحيات لقبحها، وقيل المراد به: نبت قبيح يسمى بذلك اه. وبقية المفردات تقدمت.

والمعنى: خالف النفس والشيطان فيما طلباه منك، ولا توف لهما المطلوب، واعصهما إن أمراك بشيء فلا تمتثل لهما أمراً، وإذا أظهر لك خالص النصيح، فاحملهما على الاتهام، ولا تغتر بظاهر الحال، وكيف يظن عاقل نصيح النفس بعد كونها أمارة بالسوء صاحبة مكر وخديعة؟! أو يرى نصيحاً من الشيطان وقد ظهر أمر نصيحته مع أيينا آدم، مع قسمه على كونه ناصحاً - كما في نص القرآن<sup>(٣)</sup> -.

(١) انظر شرح الصاوي لجوهرة التوحيد ص ٣٠١ .

(٢) من ذلك قول الشاعر يصف ناقته:

تلاعب مثنى حضرمي كأنه  
ومنه قول الشاعر يذم امرأة له:

عنجرد تحلف حين أحلف  
كمثل شيطان الحمام أعرف

قال الزجاج: وجهه أن الشيء إذا استقبح شبه بالشياطين فيقال: كأنه وجه شيطان وكأنه رأس شيطان، والشيطان لا يرى ولكنه يستشعر أنه أقبح ما يكون في الأشياء ولو رثي لرثي في أفبح صورة. (اللسان ١٣/٢٣٨).

(٣) قال تعالى: ﴿وَقَسَمَهُمَا إِلَيَّ لَكُمَا لَوْنٌ النَّصِيحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١].

وتقديم<sup>(١)</sup> النفس على الشيطان: يشير به إلى شدة مخالفتها<sup>(٢)</sup>؛ وذلك أن

(١) التقديم أسلوب من أساليب النظم الذي هو أم إعجاز القرآن، والقانون الذي وقع عليه التحدي. ومراعاته أهم ما يجب على المفسر. وقد ذكر أرباب البلاغة هذا البحث بعناية فائقة، ووجهوا شطراً كبيراً من إعجاز القرآن من خلاله. قال الزركشي في البرهان: التقديم هو أحد أساليب البلاغة؛ فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام، وانقياده لهم. وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق. وكما نجد في عادات الناس أنهم يقدمون في مجالسهم من يعتنون بأمره ويقدرّون شأنه، عالماً أو فاضلاً أو ثرياً أو له مكانة أو أهمية، فيجعلونه في صدر المجلس، نجد في كلام العرب، فالأهم عندهم له مزية العناية والتقديم، حتى صار قولهم: "المهم المقدم" كالمثل، كما قال الشاعر:

فقلت له: هاتيك نعمى أتمها ودع غيرها، إن المهم المقدم

قال الجرجاني: لم يعتمد في التقديم شيئاً يجري في مجرى الأصل، غير العناية والاهتمام والعناية أمر كلي مجمل لا بد له من وجه كالتعظيم والاختصاص. قال الشاعر:

فلو قبل مبكاها بكى صباية بسعدي شفيت النفس قبل الندم

ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاهها، فقلت: الفضل للمتقدم

وقد ألف العلامة شمس الدين بن صانع كتابه "المقدمة في سر الألفاظ المقدمة" الحكمة الشائعة الدائنة في ذلك الاهتمام، كما قال سبويه في كتابه، كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم، وهم ببيانه قال: هذه الحكمة إجمالية، وأما أسباب التقديم وأساره فقد ظهر لي منها في الكتاب العزيز عشرة أنواع: الأول: التبرك، الثاني: التعظيم، الثالث: التشريف، الرابع: المناسبة، الخامس: الحث عليه والحض على القيام به السادس: السبق، السابع: السببية، الثامن: الكثرة، التاسع: الترقى من الأدنى إلى الأعلى العاشرة: التدلي من الأعلى إلى الأسفل، [راجع ذلك في مقرر اللغة العربية في كلية الشريعة السنة الرابعة ٢٠٠٤م، إعداد أستاذنا الدكتور أيمن شوا].

(٢) روى البيهقي في الزهد الكبير (١٥٧/٢ رقم ٣٤٣) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك» قال الهيثمي: فيه محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف (مجمع الزوائد ١٠/٢٤٥) وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٤/١٨٢ بصيغة التمريض. وفي الفردوس (٣/٤٠٨ رقم ٥٢٤٨) عن أبي مالك الأشعري: «ليس عدوك الذي إذا قتلك أدخلك الجنة وإذا قتلتك كان لك نوراً وأعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك فامرأتك التي تضاجعك على فراشك وولدك الذي من صلبك فهؤلاء أعدى عدو هو لك»، قال بعضهم (حاشية البيهقي ٢١٤):

توق نفسك لا تأمن غوائلها فالنفس أخبت من سبعين شيطاناً

وقال آخر (حاشية البيهقي ٢١):

إنني بليت بأربع ترمينني بالليل قد نصبوا عليّ شراكاً =

دعوة النفس إلى أمر تابعة لهواها وشهوتها، وليس لها غير ذلك من الأغراض، فإذا دعت إلى أمر ألحت في طلبه كالطفل، فلا تزال تعاود الطلب وتكرره حتى تصل إلى مرادها، أو يقضي لها التوفيق من الله تعالى عند صدق المجاهدة، وأما الشيطان فإن غرضه الإغواء بزلة كيفما كانت فإذا دعا إلى زلة وزينها وخولف فيها تركها وانتقل إلى أخرى، ولا شك أن المخالفة مع الإلحاح أشد، ومما قيل في هذا المعنى قول بعضهم:

إذا ما دعتك النفس يوماً لشهوة      وكان عليها للخلاف طريق  
فخالف هواها ما استطعت فإنما      هواك عدو والخلاف صديق<sup>(١)</sup>

[٢٦] وَلَا تُطْعُ مِنْهُمَا خَصْمًا وَلَا حَكَمًا      فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحَكَمِ

الطاعة: الانقياد، والفعل طاع وأطاع. والخصم: المجادل، وأصله مصدر خصيم - بكسر الصاد-: إذا كثر جداله، ثم أطلق على الموصوف، ومن ثم أُفرد وذُكِرَ ولو واقعاً على الاثنين والجماعة والمؤنث، وقد يثنى، وعليه قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نِجْمَانٌ﴾ [الحج: ١٩]. والحكم: الحاكم. ومنه المثل: «في بيته يؤتى الحكم»<sup>(٢)</sup>. والكيد: المكر.

= إبليس والدنيا ونفسي والهوى  
يارب ساعدني بعفوك إنني  
ومما يعلل به شدة مخالفتها أمران:

الأول: أنها محبوبة إلى نفس الإنسان والإنسان عم عن عيوب محبوبة كما قالوا:  
وعين الرضا عن كل عيب كليلة      ولكن عين الرضا تبدي المساويا  
الثاني: أنها عدو من داخل الإنسان واللص إن كان من داخل البيت صعبت الحيلة دونه.

(١) لأبي الفتح البستي في ديوانه ١٣٦ بيتان يشبهان هذين البيتين وهما:

إذا طالبتك النفس يوماً بحجة      وكان عليها للقبيح طريق  
فدعها وخالف ما هويت فإنما      هواك عدو والخلاف صديق

(٢) قال في مجمع الأمثال ٢ / ٧٢: هذا مما زعمت العرب عن ألسن البهائم قالوا: إن الأرنب التقطت ثمرة فاختلسها الثعلب فأكلها فانطلقا يختصمان إلى الضب فقالت الأرنب: يا أبا الحسل فقال: سمياً دعوت قالت: أتيناك لنختصم إليك قال: عادلاً حكمتما قالت: فاخرج إلينا قال: في بيته يؤتى الحكم قالت: إني وجدت ثمرة قال: حلوة فكليها قالت: فاختلسها الثعلب قال: لنفسه بغى الخير قالت: فلطمته قال: بحقك أخذت قالت: فلطمني قال: حر انتصر =



والمعنى: أن النفس والشيطان إذا أتياك من حيث المحاجة وإقامة الدليل على حسن الفعل أو من حيث الأمر والحكم عليك بالفعل، فلا تطعهما بأن تميل مع المحاجة في الأولى، وتمثل الحكم في الثانية؛ لأنك تعرف كيد الخصم ومكره بصاحبه بتمويه الأمر عليه وتزيينه له توصلاً إلى غلبته، وتعلم كيد الحاكم إذا جار في حكمه توصلاً لأغراضه، فإنه أقوى من مكاييد الخصم، حيث كان مكرراً مصحوباً بالسطوة والسلطان. هكذا ينبغي تقرير البيت حتى يكون على طبق ما قبله مبيناً لمقام المخالفة ومقام العصيان. وأما ما قرره به شيخ الإسلام من أنهما إذا كانا في بداية الأمر فهما خصمان وإذا استوليا كانا حكميين، والمعنى: اعصهما قبل الوقوع: بأن لا تفعل، وبعده: بأن لا تتماذى على الفعل ممثلاً لأمرهما بذلك وحمل الخصم والحكم على العهد غير مقبول عند ذي الفطرة السليمة. هذا، وقد أورد شيخ الإسلام هنا كلاماً لا بأس بذكره قال: فإن قلت: قوله: **ولا تطع** تأكيد يغني عنه واعصهما. قلت: أما عند من يرى أن الأمر بالشيء ليس عين النهي عن ضده، ولا يتضمنه فليس تأكيداً، وأما على مذهب من يرى أنه يتضمنه فالمطابقة أولى من التضمن، وأما على مذهب من يرى أنه عينه ففائدته عموم العصيان في جميع الأحوال، فإن قوله: اعصهما فعل مثبت

= قالت: فاقض بيننا قال: قد قضيت فذهبت أقواله كلها أمثلاً. قلت: ومما يشبه هذا ما حكى أن خالد بن الوليد لما توجه من الحجاز إلى أطراف العراق دخل عليه عبد المسيح بن عمرو بن نفيلة فقال له خالد: أين أقصى أتركك؟ قال: ظهر أبي قال: من أين خرجت؟ قال: من بطن أمي قال: علام أنت؟ قال: على الأرض قال: فيم أنت؟ قال: في ثيابي قال: فمن أين أقبلت؟ قال: من خلفي قال: أين تريد؟ قال: أمامي قال: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجل واحد قال: أتعتقل؟ قال: نعم وأقيد قال: أحرب أنت أم سلم قال: سلم قال: فما بال هذه الحصون؟ قال: بنيناها لسفيه حتى يجيء حلیم فينهاه، ومثل هذا أن عدي بن أرطاة أتى إياس بن معاوية قاضي البصرة في مجلس حكمه وعدي أمير البصرة وكان أعرابي الطبع فقال لإياس: يا هناه أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط قال: فاسمع مني قال: للاستماع جلست قال: إنني تزوجت امرأة قال: بالرفاء والبنين قال: وشرطت لأهلها أن لا أخرجها من بينهم قال: أوف لهم بالشرط قال: فأنا أريد الخروج قال: في حفظ الله قال: فاقض بيننا قال: قد فعلت قال: فعلى من حكمت؟ قال: على ابن أخي عمك قال: بشهادة من؟ قال: بشهادة ابن أخت خالتك.

وهو لا يدل على العموم في أقسامه على الصحيح بل هو مطلق، وقوله: لا تطع نهى والنهي نفي والفعل المنفي يعم على الصحيح، وأيضاً اختلف في الأمر هل يدل على التكرار أو المرة وهل يقتضي الفور أو التراخي، ولم يختلف أن النهي يفيد التكرار والفور. فإن قلت: لِمَ لَمْ يقتصر على النهي؟ قلت: لأن المختار أيضاً أنه ليس عين الأمر ولا يتضمنه، أو لأن المطابقة أولى، ومثل هذا في قوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]. اهـ كلامه. أقول: أصل المسألة ما في جمع الجوامع<sup>(١)</sup>: قال الشيخ الأشعري<sup>(٢)</sup> والقاضي الباقلاني<sup>(٣)</sup>: الأمر النفسي بشيء معين نهى عن ضده الوجودي، وعن القاضي يتضمنه، وعليه عبد الجبار<sup>(٤)</sup> وأبو الحسين<sup>(٥)</sup>.

(١) البدر الطالع في حل جمع الجوامع ١/٣٢١.

(٢) الأشعري: (٢٧٠-٣٣٠هـ) علي بن إسماعيل اليماني البصري أبو الحسن مشارك في بعض العلوم تنسب إليه الطائفة الأشعرية ولد بالبصرة وسكن بغداد ورد على الملحدة والمعتزلة والشيعة والجهمية والخوارج وغيرها وتوفي ببغداد من تصانيفه خلق الأعمال، الرد على المجسمة (معجم المؤلفين ٧/٣٤).

(٣) الباقلاني (٣٣٨-٤٠٣هـ) محمد بن الطيب البصري ثم البغدادي أبو بكر متكلم على مذهب الأشعري ولد بالبصرة وسكن بغداد وسمع بها الحديث ورد على المعتزلة والشيعة والخوارج وغيرهم توفي ببغداد ومن تصانيفه مناقب الأئمة وإعجاز القرآن (معجم المؤلفين ١٠/١٠٩).

(٤) عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني ( . . . -٤١٥هـ) قاض أصولي كان شيخ المعتزلة في عصره وهم يلقبونه قاضي القضاة ولي القضاء بالرّي ومات فيها، له تصانيف منها الأمالي وشرح الأصول الخمسة (الأعلام ٣/٢٧٣).

(٥) في الأصل (أبو الحسن) والصحيح ما أثبتاه بالاعتماد على حل جمع الجوامع ١/٣٢١، أبو الحسين المعتزلي: شيخ المعتزلة البغداديين له الذكاء المفرط والتصانيف المهدبة وكان قد طلب الحديث وكتب عن يوسف بن موسى القطان وطبقته واسمه عبدالرحيم بن محمد بن عثمان وكان من بحور العلم له جلاله عجيبة عند المعتزلة وهو من نظراء الجبائي صنف كتاب الاستدلال ونقض كتاب ابن الراوندي في فضائح المعتزلة وكتاب نقض نعت الحكمة وكتاب الرد على من قال بالأسباب وغير ذلك (سير أعلام النبلاء ١٤ / ٢٢٠).

والإمام<sup>(١)</sup> والآمدي<sup>(٢)</sup>، وقال إمام الحرمين<sup>(٣)</sup> والغزالي<sup>(٤)</sup>: لا عينه ولا يتضمنه على الأصح اهـ.

وبذلك تعلم ما في قوله: وأما على مذهب من يرى أنه عينه إلخ من الخلل؛ لأنه نظر في الأمر والنهي اللفظيين كما هو بين ولا قائل بالعينية فيهما كما رأيت، وعلى إرخاء العنان فما أبداه من الفائدة غير تام؛ لأن الدلالة على العموم تابعة للنهي، وإذا قلنا: إن الأمر عين النهي عن الضد كان: اعصهما دال على عموم عدم الطاعة في جميع الأحوال فلا فائدة في النهي، وبعد ذلك كان الصواب أن يقول: الفائدة عموم عدم الطاعة لا عموم العصيان - كما هو بين - فالأصوب في الجواب: تسليم السؤال والإقرار بالتكرير والتوكيد ولا ضير فيه؛ فإن مقام المواعظ والتنبيه جدير بذلك، على أن لك أن تقول -طبق ما مر في البكاء-: إن المذكور في البيت السابق عصيانهما من حيث مجرد الطلب وفي هذا البيت من حيث المحاجة والحكم وهما معنيان متغايران باعتبار الطريق متحدان باعتبار المآل، وأما الآية الكريمة فمعنى الجملتين فيهما متغاير، قال في الكشف: "أليست الجملتان في معنى واحد؟ قلت: لا؛ فإن معنى الأولى أنهم يتقبلون

(١) أي الإمام الرازي وقد تقدمت ترجمته .

(٢) الآمدي (٥٥١-٦٣١هـ) علي بن محمد التغلبي أبو الحسن سيف الدين أصولي باحث أصله من آمد (ديار بكر) ولد بها وتعلم في بغداد والشام ثم مصر فدرّس بها وحسده البعض فنسبوه إلى فساد العقيدة فخرج إلى حماة ثم دمشق فتوفي بها له نحو عشرين مصنفاً منها الأحكام في أصول الأحكام ودقائق الحقائق (الأعلام ٤/٣٣٢).

(٣) إمام الحرمين (٤١٩-٤٧٨) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ولد في جوين (نيسابور) ورحل إلى بغداد فمكة حيث جاور أربع سنين وذهب إلى المدينة فأفتى ودرس جامعاً طرق المذاهب ثم عاد إلى نيسابور بنى له الوزير نظام الملك (المدرسة النظامية) فيها فكان يحضر دروسه أكابر العلماء، له مصنفات منها البرهان (الأعلام ٤/١٦٠).

(٤) الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ) محمد بن محمد أبو حامد حجة الإسلام فيلسوف متصوف له نحو مائتي مصنف مولده ووفاته في الطابران بخراسان رحل إلى نيسابور ثم بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر وعاد إلى بلده . من كتبه إحياء علوم الدين وتهافت الفلاسفة (الأعلام ٧/٢٢).

أوامره ويلتزمون بها ولا يأبونها ولا ينكرونها، ومعنى الثانية: أنهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثقلون عنه ولا يتوانون فيه" (١).

[٢٧] أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلٍ بِلا عَمَلٍ لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِيذِي عُقْمٍ

الاستغفار: طلب المغفرة، وهي ستر الذنوب والتجاوز عنها أخذاً من الغفر وهو الستر، ومنه المغفر الساتر للهامة، والجم الغفير: أي الساترون للأرض لكثرتهم. قال الشيخ لطف الله في المعارج: والمغفرة مما يختص به تعالى؛ إذ لا يتصور الغفران من غيره، ولذا أتى بالحصر في قوله: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥] وتجاوز ال: محسن منا عن المسيء عفو وصفح لا غفران؛ إذ لا ذنب إلا بمخالفة الحق تعالى. هذا كلامه.

ولفظ الله: اسم للذات الواجب الوجود المبدع لما يعبر عنه بالممكن المجهول بالكنه المعلوم بالوصف المقدس عن سمات الحدوث لم يتسم به غيره: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] أي مشاركاً في اسمه وهو الله، قيل: وهو الاسم الأعظم، وفي اشتقاقه وعدمه وارتجاله ونقله أقوال مبسوسة في الكشف<sup>(٢)</sup>، والنسل: الولد. وعقم - بضم العين والقاف للضرورة، والأصل إسكانها - مصدر عقت الرحم - بالفتح - : إذا لم تقبل

(١) الكشف ٤/ ١١٦ .

(٢) قال في الكشف: ٦/ ١ : "الله أصله الإله قال الشاعر:

معاذ الإله أن تكون كظبية

ونظيره الناس أصله الأناس قال الشاعر:

إن المنيأ يطعن على الأناس الأمنين

فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء: يا أله بالقطع كما يقال:

يا إله، والإله من أسماء الأجناس أما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على

غيره ومن هذا الاسم اشتق تأله وأله واستأله كما قيل: استنوق من الناقة .

وفيه: ٤١٧/ ٢ : "قال فيه: سميأ أي لم يسم شيء بالله قط وكانوا يقولون لأصنامهم آلهة

والعزى إله وأما الذي عوض فيه الألف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق غير

مشارك فيه . انظر كتاب اشتقاق أسماء الله للزجاجي .

الولد لعله فيها، ورجل عقيم: لا ولد له، ومنه ربح عقيم<sup>(١)</sup> لتي لم تلحق سحاباً ولا شجراً.

والمعنى: أستغفر الله، أي أطلب منه المغفرة من أجل القول والمواعظ الصادرة بلا عمل بما أمرت به يصحبها، فإن ذلك مما يترتب عليه المقت لقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣]. قال الشاطبي في آخر الموافقات:

عن جعفر بن برقان قال: سمعت ميموناً<sup>(٢)</sup> يقول:

إن المتكلم ينتظر المقت، والمستمع ينتظر الرحمة، قلت: رأيت قول الله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ﴾ [الصف: ٢] الآية، هو الرجل يقول: فعلت كذا وكذا من الخير أو هو الرجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وإن كان فيه تقصير؟ فقال: كلاهما اهـ.<sup>(٣)</sup> وما أحكم قول أبي الأسود الدؤلي<sup>(٤)</sup> في هذا المعنى:

يا أيها الرجل المعلم غيره	هلا لنفسك كان ذا التعليم
أبدأ بنفسك فانها عن غيرها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويقتدى	بالرأي منك وينفع التعليم

(١) قال تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١].

(٢) ميمون بن مهران (٣٧-١١٧هـ) الرقي أبو أيوب فقيه من القضاة كان مولى لامرأة بالكوفة وأعتقه فنشأ فيها ثم استوطن الرقة فكان عالم الجزيرة وسيدها واستعمله عمر بن عبد العزيز على خراجها وقضايتها وكان ثقة في الحديث كثير العبادة (الأعلام ٧/٣٤٢).

(٣) الموافقات ٤/٢٥٥.

(٤) أبو الأسود الدؤلي ( . . . . - ٦٩هـ) ظالم بن عمرو ولد قبل الهجرة لكن لم تصح له شهرة إلا في أيام الإمام علي وكان من أشياعه شهد معه صفين وتولى له حرب الخوارج توفي في البصرة في طاعونها الجارف في نحو الخامسة والسبعين من العمر كان خطيباً عالماً نائراً شاعراً ويقال: إنه أول من وضع قواعد النحو وأول من ألف فيه (تاريخ الأدب العربي ١/٣٤٨).

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم<sup>(١)</sup>  
واعلم أن موافقة القول للفعل شرط كمال في الأمر بالمعروف والنهي عن  
المنكر تمييزاً لمقتضى المرتبة الموروثة عن النبوة، وتقوية لداعي الامتثال فإذا  
انعدمت لا ينعدم الأصل، كما قرره الشاطبي وغيره من: أن كل تكملة أدت إلى  
انخرام الأصل غير معتبرة<sup>(٢)</sup>.

ولذا قال ابن عرفة في الشامل -على ما نقله ابن زكري في شرح النصيحة  
نقلاً عن الأمدى-: لا تشتط عدالة الأمر، بل يجب عليه ولو كان فاسقاً، فيجب  
على متعاطي الكاس النهي عنها للجلال، لأن النهي عن المنكر واجب،  
والانكفاف عن المحرم واجب، والإخلال بأحد الواجبين لا يمنع وجوب الآخر،  
ولو كان عدلاً كان أولى لقوة غلبة الظن بإجابته اهـ.

واستدل بقوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة:  
٧٩] فإنه يقتضي الاشتراك في الفعل، وقد ذمهم على ترك التناهي عنه؛ بأن  
ينهى بعضهم بعضاً. وعلى هذا المعنى جاء قول الخليل بن أحمد:

اعمل بقولي وإن قصرت في عملي      ينفعك قولي ولا يضرُّك تقصيري  
انظر لنفسك فيما أنت فاعله      من الأمور وشمير أي تشمير  
وقال آخر:

خذ العلوم ولا تعباً بناقلها      اجن الثمار وخل العود للنار  
ثم ضرب المصنف مثلاً لحالته: وهو نسبة الولد للعقيم فإن أمر الغير لكونه  
ناشئاً في الغالب عن العمل بالمأمور به كالولد، فمن أمر ولم يعمل كان كمن  
أثبت ولداً لذي عقم، وما أجدره بأن ترد نسبه.

واعلم أن الاستغفار -كما ذكره الشهاب في الثاني والتسعين من فروقه-:  
إنما يحسن من أسباب العقوبات كترك الواجب، وفعل المحرم، واعتذر عما قاله  
مالك فيمن ترك الإقامة: أنه يستغفر مع أنها مندوبة بأن عقاب الذنب أحد ثلاثة

(١) الأبيات لأبي الأسود في ديوانه ٤٠٤ .

(٢) الموافقات ٤/ ٢٥٥ .

أشياء: المؤلمات، وهو الغالب، وتيسير المعصية لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ يَحِلَّ وَأَسْتَفَى﴾ (٨) ﴿١﴾ الآية، وتفويت الطاعة، لقوله تعالى: ﴿سَاصِرُفٌ عَنَّا يَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، فترك الإقامة عقوبة من القسم الثالث، فيؤذن فوات ثوابها بذنب سابق يكون لها استغفار بإزائه (٢) اهـ باختصار، وبقریب منه وجه شيخنا - حفظه الله - الاستغفار أواخر الخطبة فقال: إن الخطبة كانت مشتملة على زجر ووعظ كانت مذكرة لذنوب سالفة فيقع الاستغفار بإزائها.

هذا وفضيلة الاستغفار شهد بها الكتاب والسنة؛ أما الأول فقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

وأما الثاني: فمنه ما خرجه الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة» (٣) وفي الحديث: أنه - عليه الصلاة والسلام - قال: «لو لم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم ولجاء بقوم غيركم فيذنبون ويستغفرون فيغفر لهم» (٤) ولقد أجاد من يقول:

فلو أن فرعون لما طغى  
وقال على الله إفكاً وزورا  
أناب إلى الله مستغفراً  
لما وجد الله إلا غفورا  
[٢٨] أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ لَكِنْ مَا اتَّخَمَرْتُ بِهِ  
وما اسْتَقَمْتُ فما قَوْلِي لَكَ: اسْتَقِمِ

(١) قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ يَحِلَّ وَأَسْتَفَى﴾ (٨) ﴿١﴾ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنِ ﴿٩﴾ فَسَيَسِيرٌ لِلْعَسْرَةِ ﴿١٠﴾ [الليل: ٨-١٠].

(٢) الفروق، الفرق ٩٢.

(٣) أخرجه الترمذي (كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار، رقم ٣٤٦٣، وقال: حديث حسن غريب) وأحمد رقم ٢٠٤٩٩.

(٤) أخرجه مسلم (كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار، رقم ٤٩٣٦).

تفسير وبيان لقوله: قول بلا عمل . والأمر: القول الدال على طلب الفعل مع الاستعلاء، كما هو مذهب جماعة منهم الرازي والآمدي<sup>(١)</sup>.  
وعليه ابن الحاجب<sup>(٢)</sup> قال في المختصر<sup>(٣)</sup> في حد الأمر النفسي: اقتضاء فعل غير كف على جهة الاستعلاء.

وذهب جماعة منهم ابن السبكي<sup>(٤)</sup>: إلى عدم اشتراطه، قال الجلال المحلي<sup>(٥)</sup>: لإطلاق الأمر دونه. قال عمرو بن العاص<sup>(٦)</sup> لمعاوية<sup>(٧)</sup>:  
أمرتك أمراً جازماً فعصيتني ولكن من التوفيق قتل ابن هاشم

- (١) البدر الطالع في حل جمع الجوامع للمحلي ٣٠٥/١ . بيان المختصر وهو شرح مختصر ابن الحاجب ٤٣١/١ .
- (٢) ابن الحاجب: (٥٧٠-٦٤٦هـ) عثمان بن عمر بن أبي بكر أبو عمرو جمال الدين فقيه مالكي من كبار العلماء بالعربية كردي الأصل ولد في أسنا (من صعيد مصر) ونشأ في القاهرة وسكن دمشق ومات بالإسكندرية كان أبوه حاجباً فعرف به من تصانيفه الكافية في النحو، الشافية في الصرف (الأعلام ٤/٢١١).
- (٣) بيان المختصر وهو شرح مختصر ابن الحاجب ٤٣١/١ .
- (٤) ابن السبكي (٦٨٣-٧٥٦هـ) الأنصاري الخزرجي أبو الحسن تقي الدين شيخ الإسلام في عصره وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين ولي قضاء الشام سنة ٧٣٩هـ توفي في القاهرة من كتبه الدر النظيم ومختصر طبقات الفقهاء (الأعلام ٤/٣٠٢).
- (٥) البدر الطالع في حل جمع الجوامع للمحلي ٣٠٥/١ .
- (٦) عمرو بن العاص (٥٠هـ-٤٣هـ) السهمي القرشي أبو عبد الله فاتح مصر وأحد عظماء العرب ودهاتهم وأولي الرأي والحزم والمكيدة فيهم كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام وأسلم في هدنة الحديبية وولاه النبي ﷺ إمرة جيش ذات السلاسل ثم استعمله على عمان وفي الفتنة كان مع معاوية وتوفي في القاهرة له ٣٩ حديثاً (الأعلام ٥/٧٩).
- (٧) معاوية بن أبي سفيان (٢٠ق هـ-٦٠هـ) القرشي الأموي مؤسس الدولة الأموية في الشام وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار كان فصيحاً حليماً وقوراً ولد بمكة وأسلم يوم فتحها سنة ٨هـ وتعلم الكتابة والحساب فجعله الرسول ﷺ في كتابه ولما ولي أبو بكر ولاية قيادة الجيش تحت إمرة أخيه يزيد فكان على مقدمته في فتح صيदा وبيروت ولما ولي عمر جعله والياً على الأردن ورأى فيه حزماً وعلماً فولاه دمشق بعد موت أميرها يزيد، وجاء عثمان فجمع له الديار الشامية كلها ولما ولي علي وجه لفوره بعزل معاوية وعلم معاوية بالأمر قبل وصول البريد فنادى بالثأر لعثمان ونشبت بينهما حروب انتهت بإمامة معاوية في الشام وإمامة علي بالعراق ثم قتل علي فبويع ابنه الحسن فسلم الخلافة لمعاوية عام ٤١ ودامت خلافته إلى أن عهد بها ليزيد ومات بدمشق (الأعلام ٧/٢٦٢).



وهو رجل من بني هاشم خرج من العراق على معاوية، فأمسكه فأشار عليه عمرو بقتله فخالفه وأطلقه لحلمه فخرج عليه مرة أخرى فأنشد عمرو البيت.

والمشترطون يجنحون إلى المجازية في مثله. والخير: ضد الشر، وهو ثاني مفعولي أمر، يتعدى إليه بنفسه تارة، وبالباء أخرى، وهما في البيت. واثمرت: افتعلت منه للمطاوعة، وهو كناية عن عدم الفعل. والاستقامة: الاعتدال. قال شيخ الإسلام: قيل: حقيقة في الأجسام، مجاز في المعاني؛ يقال: استقام له الأمر ومنه ﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٦٠]، والاستقامة الشرعية: هي لزوم الطاعة - كذا قال بعضهم<sup>(١)</sup> - . وقال البيضاوي: اتباع الحق والقيام بالعدل ولزوم المنهج المستقيم، وذلك خطب جسيم، لا يحصل إلا لمن أشرق قلبه بالأنوار القدسية، وتخلص من الكدرات البشرية، وأيده الله من عنده، وقليل ما هم. اهـ.

ولذا كان من جوامع كلمه - عليه الصلاة والسلام - ما رواه سفيان بن عبد الله<sup>(٢)</sup> قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك قال: «قل: آمنت بالله ثم استقم»<sup>(٣)</sup> وهو منتزع من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]. ولعظم أمر الاستقامة قال - عليه الصلاة والسلام - حين قيل له: قد أسرع فيك الشيب: «شيبتني هود»<sup>(٤)</sup> قيل: ما فيها من قصص الأمم السابقة وهلاكهم.

(١) انظر لسان العرب (قوم).

(٢) سفيان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث الثقفي الطائفي أسلم مع الوفد واستعمله عمر على صدقات الطائف وقال أبو الحسن المدني شهد سفيان بن عبد الله بن ربيعة حيناً فقتل أخوه عثمان فاستقبل وقال لأبي سويد: لا خير في العيش بعده فتخيل أبو سويد حتى انهزم به وذلك أنه قطع طرف عذاره وكان على حصان وأبو سويد على أنثى فأدناها من فرس سفيان حتى شمها ثم حرك أبو سويد فرسه وذهب فرس سفيان ليتبعها فلحقه سفيان ليحبسه فانقطع اللجام واستمر فرسه يتبع فرس أبي سويد فنجيا جميعاً وأسلم سفيان بعد ذلك (الإصابة رقم ٣٣١٧، ٣/١٢٤).

(٣) أخرجه الترمذي (كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، رقم ٢٣٣٤، وقال: حديث حسن صحيح) ومسنده أحمد رقم ١٤٨٦٩.

(٤) أخرجه الترمذي (كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الواقعة، رقم ٣٢١٩، وقال: حديث حسن غريب) بلفظ: «شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت».

وقيل: آية ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [الشورى: ١٥]. وعن بعضهم: رأيت النبي - عليه الصلاة والسلام- في النوم فقلت: روي عنك أنك قلت: «شيبتني هود» فقال: نعم فقلت: ما الذي شيبك منها؛ أقصص الأنبياء وهلاك الأمم؟ قال: لا ولكن قوله: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ﴾ كذا في العدة. والاستفهام في: فما... إلخ إنكاري أي لا حقيقة لقولي لك: استقم، لعدم موافقته للفعل.

ومعنى البيت واضح مما قررناه إلا أنه بقي عليه شيء، وهو أنه أمر ونهي فيما تقدم، فكان الواجب أن يقول: أمرتك ونهيتك. والجواب من وجهين: الأول: أن يكون استعمل الأمر في مطلق الطلب مجازاً فيصرف على الأمر والنهي. فإن قلت: تعلقه بالخير يمنعه. قلت: لا فإن متعلق النهي الكف عن المنهي عنه فهو فعل الخير. الثاني: أن يكون ناظراً إلى المقصود والمآل من الأوامر والنواهي وهو فعل الخيرات فيكون حاصل تلك الأوامر والنواهي فعل الخير. ويؤيد هذا قوله: فما قولي لك: استقم فكأنه يشير به إلى توجيهه صنيعه.

[٢٩] وَلَا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً      وَلَمْ أَصَلِّ سِوَى فَرَضِي وَلَمْ أَصُمْ

زيادة توييح لنفسه عما تقدم في البيتين قبله. والتزود: تكلف الزاد واتخاذها، وأصل الزاد: الطعام الذي يتخذ للانتفاع به في السفر، ثم تجوز به عن أعمال البر النافعة، قال تعالى: ﴿وَتَكَرَّوْذُوا فَإِنَّكُمْ خَيْرَ الْأَرْزَاقِ النَّفَقَى﴾ [البقرة: ١٩٧] والموت: ضد الحياة، وقيل: عدم الحياة عما من شأنه الحياة. والنافلة والنفل: العطية تطوعاً، ونافلة العبادة: المتطوع بها لعدم وجوبها. وأصل: من الصلاة، وهي العبادة المخصوصة. والفرض والواجب: مترادفان، ومعناهما: ما أوجبه الله تعالى على العبد أي طلبه طلباً جازماً. وقال أبو حنيفة<sup>(١)</sup>: الفرض: ما ثبت

(١) أبو حنيفة: (٨٠-١٥٠هـ) النعمان بن ثابت التيمي بالولاء الكوفي إمام الحنفية الفقيه المجتهد المحقق أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ولد ونشأ بالكوفة وكان يبيع الخبز أريد منه على القضاء فامتنع فحبس حتى مات كان قوي الحججة حسن المنطق والصورة (الأعلام ٣٦/٨). وانظر مذهبه في ذلك في كتاب الموجز في أصول الفقه ص ٣٣-٣٥.

بقطعي كالصلوات الخمس، والواجب: ما ثبت بظني كالوتر<sup>(١)</sup>. والصوم: الإمساك عن الشيء.

قال أبو عبيدة<sup>(٢)</sup>: كل ممسك عن طعام أو شراب أو كلام أو غيرها فهو صائم، ومنه: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦] أي صمتاً. وفي الشرع: العبادة المعروفة. وحذف الاستثناء منه لقريئة السابق.

**والمعنى:** لم آخذ من النافلة زاداً لسفر الآخرة قبل حلول الموت الموجب للفوات، واقتصرت على فرائضي، فلم أصل سوى الفرائض، ولم أصم سوى الفرض. وبهذا العطف تبين أن المنفي النافلة المستقلة، فلا يرد أن أداء الفرض يستلزم أداء بعض النوافل، وهو ما اشتملت عليه الفريضة كسنن الصلاة ومندوباتها، ولا يحتاج إلى الجواب بأن كلامه مبني على المجاز والمبالغة.

وجاء في الحديث القدسي: «لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»<sup>(٣)</sup>.

وجاء في فضل النافلة: ما رواه أبو هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، وإن انتقص من فريضته قال الرب سبحانه: انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة؟ ثم يكون سائر عمله كذلك»<sup>(٤)</sup>. قال ابن العربي في العارضة: يحتمل أن يكمل ما نقص من أعداد

(١) ثبت بحديث: «الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا»، أخرجه أبو داود كتاب الصلاة، باب من لم يوتر.

(٢) أبو عبيدة: (٤٠ق هـ-١٨هـ) عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري القرشي الأمير القائد فاتح الديار الشامية والصحابي أحد العشرة المبشرين بالجنة كان لقبه أمين الأمة ولد بمكة وشهد المشاهد كلها وتوفي بطاعون عمواس له ١٤ حديثاً (الأعلام ٣/ ٢٥٢).

(٣) الحديث أخرجه البخاري (رقم ٦٠٢١ كتاب الرقاق باب التواضع).

(٤) أخرجه الترمذي (رقم ٣٧٨، كتاب الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد، وقال أبو عيسى: حديث حسن غريب من هذا الوجه) والنسائي (رقم ٤٦١ كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة).

الصلاة بفضل التطوع، ويحتمل ما نقص من الخشوع ونحوه والأول أظهر. فإن قلت: أي وجه لتخصيص نافلة الصلاة والصوم بالذكر بعد التعميم؟ قلت: يوجه بأن فيه زيادة تأكيد لنفي النافلة من حيث أن نافلة الصلاة من فعل هو عماد الدين<sup>(١)</sup>، ونافلة الصوم من فعل ورد في شأنه: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»<sup>(٢)</sup>، وما كان كذلك جدير بصرف الهمة إليه، فإهماله يستدعي إهمال غيره بطريق أحروي، وبأنهما من الأفعال البدنية والشأن أن البخل بها دون البخل بالماليات لكون النفس مجبولة على حب الدنيا، وبتمام المناسبة لقوله بعد:

[٣٠] ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ إِلَى أَنْ اشْتَكْتَ قَدَمَاهُ الضَّرَّ مِنْ وَرَمٍ  
فيحسن بذلك له التخلص - كما ستعرفه إن شاء الله - والظلم: الجور.  
والسنة: الطريقة. وإحياء الظلام: مجاز في قيامه. والقدمان: تثنية القدم وهي طرف الرجل مما يلي الأصابع. والضر - بالضم -: الهزال وسوء الحال. والورم: الانتفاخ. واشتكت قدماه.. إلخ: على تشبيه حالتها في بلوغ الضرر بها بحالة الشاكي أو شكت بلسان الحال.

والمعنى: أني بذلك الأمر الذي هو ترك النافلة خالفت طريق النبي ﷺ، ولم أتبعها فظلمتها حقها من الاتباع المأمور به في غير ما نص، روى القاضي في الشفا<sup>(٣)</sup>: أن النبي ﷺ قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»<sup>(٤)</sup>.

(١) لفظ: «الصلاة عماد الدين» رواه البيهقي في شعب الإيمان رقم ٢٨٠٧، ٣/٣٩، وفي الترمذي (رقم ٢٥٤١، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة): «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد».

(٢) أخرجه البخاري (رقم ١٧٧١ كتاب الصوم باب هل يقول: إني صائم إذا شتم؟)، ومسلم (رقم ١٩٤٤ كتاب الصيام باب فضل الصيام).

(٣) الشفا ٤٨٠.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٦٠٠ كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع وقال: حديث حسن صحيح)، وأبو داود (٣٩٩١ كتاب السنة باب في لزوم السنة)، وأحمد (رقم ١٦٥٢١).

وروي عن عمرو بن عوف أن النبي ﷺ قال لبلال<sup>(١)</sup> بن الحارث<sup>(٢)</sup>: «من أحيأ سنة من سنتي قد أميتت بعدي كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن أبدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئاً»<sup>(٣)</sup> اهـ.

واختار الوصلية إيماء إلى وجه بناء المخالفة بذلك الترك، وإشارة إلى اختصاصه -عليه الصلاة والسلام- بمضمون الصلة حتى يقوم مقام اسمه في الدلالة عليه، وما في الجملة الأولى مأخوذ مما روي عن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- قالت: قام ﷺ حتى تورمت قدماه، وفي رواية: حتى تفتطرت، فقلت له: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»<sup>(٤)</sup> اهـ.

وروي<sup>(٥)</sup> أنه لما تورمت قدماه من القيام نزل عليه جبريل -عليه السلام- بقوله تعالى: ﴿طه﴾ ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿طه﴾ [٣-١] الآية. وفضيلة قيام الليل من حيث التمكن من الخشوع والتضرع والبعد من أسباب الرياء، جاء: «أن الله يباهي بقوام الليل الملائكة يقول: انظروا إلى

(١) في الأصل لهلال، وفي الشفا ٤٨٤ بلال وهو الصحيح .

(٢) بلال بن الحارث: ( . . . ٦٠هـ) المزني أبو عبد الرحمن صحابي شجاع من أهل بادية المدينة أسلم سنة ٥هـ وكان من حاملي ألوية مزينة يوم الفتح توفي آخر خلافة معاوية عن ثمانين سنة (الأعلام ٧٢/٢).

(٣) أخرجه الترمذي (كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع رقم ٢٦٠١ وقال حديث حسن). وأخرج مسلم (رقم ١٦٩١ كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة) بلفظ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

(٤) الحديث أخرجه البخاري (رقم ٤٤٦٠ كتاب تفسير القرآن باب ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾) ومسلم (رقم ٥٠٤٦ كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة).

(٥) أخرج ابن مردويه عن الربيع بن أنس قال: كان النبي ﷺ إذا صلى قام على رجل واحدة ورفع الأخرى فأنزل الله: ﴿طه﴾ ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ . انظر الشفا ٨٣ .

عبادي، قد قاموا في ظلام الليل، لا يراهم أحد غيري، أشهدكم أنني قد أبحاثهم دار كرامتي»<sup>(١)</sup>. وعن أبي مالك الأشعري<sup>(٢)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام»<sup>(٣)</sup> اهـ، وكفاه دليلاً على فضيلته قوله تعالى: ﴿تَجَافَى جُتُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦].

هذا، ولنرجع إلى صنيع المصنف في النظم فنقول: انتقل من التغزل وما بعده إلى المقصود من مديحه ﷺ مع مراعاة الملاءمة وحسن الارتباط، وذلك المسمى بالتخلص عند أهل البديع، وشرط حسنه: رشاقة المعنى، ودقة الانتقال، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني، لشدة الممازجة والالتئام بينهما، وشرطه: أن لا يرجع إلى المعنى الأول وأن لا ينتهي الكلام عنده، فإن كان أحدهما فهو الاستطراد، فمن جيد التخلصات قول أبي نواس<sup>(٤)</sup>:

(١) أخرج أحمد (رقم ١٧١٢٣) عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الرجل من أمتي يقوم من الليل يعالج نفسه إلى الظهور وعليه عقد فإذا وضأ يديه انحلت عقدة وإذا وضأ وجهه انحلت عقدة وإذا وضأ رجله انحلت عقدة فيقول الله للذين وراء الحجاب: انظروا إلى عبدي هذا يعالج نفسه ليسألني، ما سألتني عبدي هذا فهو له». وأخرج الطبراني بإسناد حسن (في المعجم الكبير ١٠١/٩ رقم ٨٥٣٢) أن النبي ﷺ قال: «إن الله ليضحك إلى رجلين رجل قام في ليلة باردة من فراشه ولحافه ودثاره فتوضأ ثم قام إلى الصلاة فيقول الله لملائكته: ما حمل عبدي هذا على ما صنع؟ فيقولون: ربنا رجاء بما عندك وشفقة مما عندك فيقول: فإني قد أعطيته ما رجا وأمته مما خاف ورجل غزا في سبيل الله . . .».

(٢) أبو مالك الأشعري: عبيد بن وهب أبو عامر توفي في خلافة عبد الملك يقال اسمه عبد الله واسم أبيه هانيء وذكر فيمن نزل الشام من قبائل اليمن (الإصابة ٥٣٧١، ٤/٤٢٠).

(٣) أخرج أحمد (رقم ٢١٨٣١) عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى والناس نيام».

(٤) أبو نواس: (١٤٦-١٩٨هـ) الحسن بن هانيء الحكمي بالولاء شاعر العراق في عصره ولد في الأهواز ونشأ بالبصرة ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس ومدح بعضهم ثم خرج إلى دمشق ومنها إلى مصر ثم إلى بغداد وأقام بها إلى أن توفي كان عالماً باللغة وهو أول من نهج للشعر طريفته الحضرمية وأخرجه من اللهجة البدوية (الأعلام ٢/٢٢٥).

وإذا جلست إلى المدام وشربها  
وإذا نزعنا عن الغواية فليكن  
وإذا أردت مديح قوم لم تَمِنُ  
وأحسن التخلصات ما كان في بيت كالمقدم وقول شيخ المعرة:  
ولو أن المطي لها عقول  
مواصلة بها رحلي كأني  
سألن فقلت: مقصدنا سعيد  
وأخذته فقلت في تخلص في مدح مولانا الأمير المطرز باسمه ديباجة هذا  
الشرح<sup>(٣)</sup>:

معللة بالصبح وهي عليلة  
فقلت لها سيراً فبالصادق ابشري  
ومن جيد التخلصات النبوية قول البدر الدماميني<sup>(٤)</sup>:  
وإن كنت في أيدي الحوادث فاصطبر  
ومهما ترى حسن التخلص فامتدح  
[٣١] وَشَدَّ مِنْ سَعَبٍ أَحْشَاءُهُ وَطَوَى

- (١) ديوان أبي نواس ص ٣٣٨ برواية:  
فإذا خلوت بشربها في مجلس  
في الكأس مشغلة وفي لذاتها  
صفو التعاشر في مجانبية الأذى  
(٢) الأبيات في ديوان سقط الزند ص ١٠٠ .  
(٣) الأمير هو محمد الصادق باشا تقدمت ترجمته في غرة الكتاب ص ٥٣ .  
(٤) البدر الدماميني (٧٦٣-٨٢٧هـ) محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي القرشي بدر الدين عالم  
بالشريعة وفنون الأدب ولد في الإسكندرية واستوطن القاهرة ولازم ابن خلدون وتصدر لإقراء  
العربية بالأزهر ثم تحول إلى دمشق ومنها حج وعاد إلى مصر فولي فيها قضاء المالكية ثم  
ترك القضاء ورحل إلى اليمن وانتقل إلى الهند فمات بها في كلبرجا له كتب منها تحفة  
الغريب شرح مغني اللبيب (الأعلام ٥٧/٦).

فاكفف لسانك عن عيوب الناس  
فاجعل حديثك كله في الكاس  
وعلى اللبيب تخير الجلاس

على مضها وابسط لأيامك العذرا  
أجل البرايا تغنم الأجر والفخرا  
تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحًا مُتْرَفَ الْأَدَمِ

شد: بمعنى ربط وأوثق، وفي عين مضارعه الكسر والضم، قال شيخ الإسلام: قال الفراء: مضارع فَعَّل المضعف اللازم تكسر عينه، وعين مضارع متعدية تضم إلا شده وعلّه، فإنه ورد في مضارعهما الضم والكسر، وهو مقصور على السماع، ومن تعليلية. والسغب: مصدر سغب - بالكسر - بمعنى جاع ومنه المسغبة<sup>(١)</sup>. والأحشاء: جمع حشا؛ وهو ما انضمت عليه الضلوع. وطوى: بمعنى ثنى. والحجارة: جمع حجر. والكشع: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، وهو أقصر أضلاع الجنب. ومترف: على صيغة المفعول بمعنى منعم، من أترفته النعمة بمعنى نعمته. والأدم - بفتح الهمزة والذال - اسم جمع أديم وهو الجلد.

والمعنى: أنه - عليه الصلاة والسلام - شد أحشاءه وأوثقها، لأجل شدة الجوع الناشئ عن كثرة الصيام تسكيناً لألم الجوع، وثنى كشحه الناعم الجلد تحت الحجارة لذلك، وفيه دلالة على ما قاله: من ظلم سنته بقلّة الصوم. وإنما كان شد الأحشاء والربط المذكوران يسكنان ألم الجوع من حيث أن الحرارة الغريزية إذا لم تجد شيئاً في المعدة من الطعام انتشرت فتعلقت بأكثر جواهر البدن، ويشد ضررها - كما تقدم - فإذا ضم الجلد والأحشاء على المعدة اتحدت بعض الاتحاد، فيقل الضرر، وقياسها على النار يزيدك بياناً؛ فإنها إذا أطلق التهابها، ولم تغط كثر فعلها، وإذا غطيت قلّ، وبرد الحجارة يزيد كسراً لسورة الحرارة أيضاً، وفي وصف الكشع بما ذكر زيادة تنكيت على نفسه؛ حيث كان ذلك الكشع الناعم قد شد على الحجارة المؤثرة فيه تأثيراً لا يكون في غير الناعم. وشاهد الوصف الأول: ما رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: جئت رسول الله ﷺ يوماً فوجدته جالساً مع أصحابه يحدثهم، وقد عصب بطنه بعصاة فقالوا: من الجوع<sup>(٢)</sup>. وشاهد الثاني: ما رواه البخاري في غزوة الخندق

(١) قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَبَكَ مَا أَلْعَبَهُ﴾ [١٦] فَكُ رَقَبَةً [١٧] أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ [١٨] يَسْمَا ذَا مَقْرَبَةٍ [١٩] أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَرْيَبٍ [٢٠] [البلد: ١٢-١٦].

(٢) الحديث جزء من حديث أخرجه مسلم (رقم ٣٨٠٢ كتاب الأشربة باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يتق برضاه بذلك).



عن جابر<sup>(١)</sup> رضي الله عنه: إنا يوم الخندق نحفر فعرضت لنا كُدية<sup>(٢)</sup> شديدة فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق فقال ﷺ: «أنا نازل لها» ثم قام ﷺ وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً فأخذ النبي ﷺ المعمول فضرب فعاد كثيراً فقلت: يا رسول الله ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما في ذلك صبر فعندك شيء؟ فقالت: عندي شعير وعناق، فذبحت العناق، وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر، والبرمة<sup>(٣)</sup> بين الأثافي<sup>(٤)</sup> قد كادت أن تنضح، فقلت: طعيم لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان قال ﷺ: «كم هو» فذكرته له قال ﷺ: «كثير طيب قل لها: لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي» قال ﷺ: «قوموا» فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخلت على امرأتي قلت: ويحك<sup>(٥)</sup> جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم قالت: هل سألك؟ قلت: نعم فقال ﷺ: «ادخلوا ولا تضاغطوا» فجعل يكسر الخبز،

(١) جابر بن عبد الله (١٦ق هـ-٧٨هـ) الخزرجي الأنصاري السلمي صحابي من المكثرين في الحديث له ولأبيه صحبة غزا ١٩ غزوة وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم له ١٥٤٠ حديثاً (الأعلام ٢/١٠٤).

(٢) كدية: الأرض المرتفعة وقيل: هو شيء صلب من الحجارة والطين، فهي الأرض الغليظة لا يعمل فيها الفأس (اللسان: ٢١٦/١٥).

(٣) البرمة: قدر من حجارة وجمعها: بُرْم وبُرَام وبُرم ثم سمي بها القدر مطلقاً (اللسان ١٢/٤٠ برم).

(٤) جمع إثنية: وهي الحجر الذي توضع عليها القدر (اللسان ٣/٩).

(٥) ويح: كلمة تقال للرحمة وتطلق للتوجع أو التعجب أما ويل فكلمة عذاب قال سيبويه: الويل يقال لمن وقع في الهلكة والويل زجر لمن أشرف على الهلكة وقال أكثر أهل اللغة: الفرق بين ويح وويل أن ويلأ تقال لمن وقع في هلكة أو بلية لا يترحم عليه وويحاً تقال لكل من وقع في بلية يرحم ويدعى له بالتخلص منها ألا ترى أن الويل في القرآن لمستحقي العذاب بجرائمهم ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ وأما ويح فإن النبي ﷺ قالها لعمار: «ويحك يا ابن سمية بؤساً لك تقنلك الفئة الباغية» وكأنه علم ما يبئلى به فتوجع له وترحم عليه ومثل ويح ويس (اللسان ٢/٦٣٨).

ويجعل عليه اللحم، ويقرب إلى أصحابه، فلم يزل يكسر الخبز، ويغرف حتى شبعوا، وبقي بقية فقال ﷺ: «كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة»<sup>(١)</sup>، وفي رواية سعيد<sup>(٢)</sup> عن جابر: وهم ألف، وأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه، وانصرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو<sup>(٣)</sup> اهـ.

هذا وقد أورد شيخ الإسلام هنا سؤالاً وهو أنه: ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ نهى الناس عن الوصال فقيل له: إنك تواصل فقال: «إني لست كهيتكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني»<sup>(٤)</sup> فمن هذه حاله كيف يتألم بالجوع حتى يحتاج إلى عصب بطنه؟ وأجاب: بأن المراد بذلك بقاء قوته، وأن الله ضمن له ذلك كما تشهد به واقعة الكدية، فلا يعجز عن القيام بالعبادات بخلاف غيره اهـ. وهذا الجواب نقله في المواهب عن الجمهور في تأويل الحديث ونصه<sup>(٥)</sup>: "وقال الجمهور: هو مجاز عن لازم الطعام والشراب، وهو القوة، فكأنه قال: يعطيني قوة الأكل والشرب، ويقويني على أنواع العبادات من غير ضعف في القوة، والمعنى أن يخلق فيه الشبع والري، ويبعده أنه ينافي حال الصائم، ويفوت المقصود من الصوم والوصال، لأن الجوع هو روح هذه العبادة، قال القرطبي<sup>(٦)</sup>: ويبعده أيضاً النظر إلى حاله -عليه الصلاة والسلام- فإنه كان يجوع أكثر مما كان يشبع اهـ .

(١) أخرجه البخاري (رقم ٣٧٩٢ كتاب المغازي باب غزوة الخندق).

(٢) سعيد بن المسيب (١٣هـ-٤٩هـ) أبو محمد المخزومي القرشي سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ولقي عدداً من الصحابة جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع حج أربعين حجة ولم تفته تكبير الإحرام خمسين سنة (تاريخ الأدب العربي ٣/٨٣٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٩٣ كتاب المغازي باب غزوة الخندق).

(٤) أخرجه البخاري (رقم ١٨٢٨ كتاب الصوم باب الوصال ومن قال ليس في الليل صيام)، ومسلم (رقم ١٨٤٤ كتاب الصيام باب النهي عن الوصال في الصوم).

(٥) المواهب ٨/١١٠ .

(٦) القرطبي (٥٧٨-٦٧١هـ) محمد بن أحمد شمس الدين أبو عبد الله الخزرجي الأنصاري من أهل قرطبة رحل إلى المشرق وكانت وفاته في منية بني خصيب في مصر وكان رجلاً صالحاً متعبداً زاهداً متبحراً في عدد من العلوم وخاصة التفسير والحديث له تصانيف منها الجامع لأحكام القرآن (تاريخ الأدب العربي ٦/٢٥٥).

وبه تعلم أنه لا يصلح جواباً. وقيل في تأويل الحديث المراد: أنه يؤتى له بطعام وشراب من الجنة، وذلك من جنس الثواب، كأهل الجنة في الجنة لا من جنس الطعام والشراب المتناولين في الدنيا حتى يبطلان الوصال، ومعناه أنه يحصل له في الدنيا ما يحصل لهم في الجنة كرامة له ﷺ وعليه يندفع ذلك السؤال.

وقد يقال: على ذلك يتخرج ما للججمهور، فإن العادة وإن قضت بأن بقاء القوة لا يلائم الجوع، لكن من كرامته ﷺ أن جمع له بين الحالتين تحصيلاً لثواب الجوع أيضاً. هذا إذا كان قوله: والمعنى. . إلخ من زيادة الناقل، وفي المواهب أيضاً عن ابني القيم<sup>(١)</sup> ورجب<sup>(٢)</sup>: أن المراد في الحديث: ما يغذيه الله به من معارفه، وما يفيضه على قلبه من لذة مناجاته، وقرّة عينه بقربه، ونعيمه بحبه، والشوق إليه وغير ذلك من الأحوال التي هي غذاء القلوب، ونعيم الأرواح، وقد يغني هذا عن غذاء الأجسام كما قيل:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها      عن الشراب وتلهيها عن الزاد  
إذا اشتكت من كلال السير واعدتها      روح القدوم فتحيا عند ميعاد  
اهـ<sup>(٣)</sup>. وما نقله الزركشي<sup>(٤)</sup> عن بعضهم: من أن تعصبيه الحجر على بطنه  
ﷺ يحتمل أن يكون كعادة العرب إذا خلت أجوافهم، وغارت بطونهم، وأنه فعل

(١) ابن القيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ) محمد بن أبي بكر الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين من أركان الإصلاح الإسلامي وأحد كبار العلماء مولده ووفاته في دمشق تتلمذ لابن تيمية وكان ينتصر له في جميع ما يصدر عنه وسجن معه في قلعة دمشق وعذب بسببه وأطلق بعد موت ابن تيمية وكان حسن الخلق أَلَّف تصانيف كثيرة منها إعلام الموقعين (الأعلام ٥٦/٦).

(٢) ابن رجب (٧٣٦-٧٩٥هـ) عبد الرحمن بن أحمد السلامي البغدادي ثم الدمشقي أبو الفرج زيد الدين حافظ للحديث من العلماء ولد ببغداد ونشأ وتوفي في دمشق من كتبه جامع العلوم والحكم والقواعد الفقهية (الأعلام ٢٩٥/٣).

(٣) المواهب ١٠٨/٨ .

(٤) الزركشي (٧٤٥-٧٩٤هـ) محمد بن عبد الله بن بهادر الشافعي أبو الحسن بدر الدين فقيه أصولي محدث مشارك في بعض العلوم توفي بمصر من تصانيفه الديباج (معجم المؤلفين ٢٠٥/١٠).

ذلك ليعلم أصحابه أنه ليس عنده ما يستأثر به عليهم لا لحقيقة الجوع، واستشهد بالحديث، ينافيه ما تقدم في رد تأويل الجمهور وما سيأتي من حديث عائشة رضي الله عنها.

[٣٢] وَرَأَوْدَتُهُ الْجِبَالُ الشَّمُّ مِنْ ذَهَبٍ عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيُّمَا شَمَمِ رَاوْدَتِهِ: خادعته. والشَّم: جمع أشم بمعنى طويل. وأراها: من الرؤية البصرية، والهمزة للتعدية أي جعلها مبصرة، والشَّمم: ارتفاع قصبه الأنف مع استواء أعلاه، وهو كناية عن ارتفاع الهمة، وما في أيما: زائدة.

والمعنى: أن فعله -عليه الصلاة والسلام- لما ذكر ليس لعيلته وفاقته، كيف وقد قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨]، وإنما هو لزهده في الدنيا ورغبته عنها، وإلا فقد تمكن منها ما لم يتمكن منها غيره، فقد عرضت عليه الجبال العالية من الذهب فأبأها وقابلها بارتفاع معنوي أعلى قدراً من ارتفاعها الحسي امتثالاً لقول ربه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ حَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ٣١]. روي أن جبريل -عليه السلام- نزل على النبي ﷺ فقال: إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك: أتحب أن أجعل لك هذه الجبال ذهباً، وتكون معك حيثما كنت؟ فأطرق رسول الله ﷺ ساعة ثم قال: «يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ويجمعها من لا عقل له» فقال له جبريل -عليه السلام-: ثبتك الله بالقول الثابت يا محمد<sup>(١)</sup>. وخرج الترمذي من حديث أبي أمامة<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه أن

(١) أخرج الإمام أحمد رقم ٢٣٢٨٣ عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له». وأخرج أبو يعلى من حديث عائشة مرفوعاً: يا عائشة لو شئت لسارت معي جبال الذهب جاءني ملك إن حجزته لتساوي الكعبة فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن شئت نبياً عبداً وإن شئت نبياً ملكاً قال: فنظرت إلى جبريل قال: فأشار إليّ أن ضع نفسك قال: فقلت: «نبياً عبداً» فكان لا يأكل متكناً. وحسن الهيثمي إسناده (مجمع الزوائد ١٩/٩).

(٢) أبو أمامة: ( . . . ٨١١هـ) صدي بن عجلان الباهلي صحابي كان مع علي في صفين وسكن الشام فتوفي في أرض حمص وهو آخر من مات من الصحابة بالشام له في الصحيحين ٢٥٠ حديثاً (الأعلام ٣/٢٠٣).

النبي ﷺ قال: «عرض عليّ ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت: لا يا رب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك»<sup>(١)</sup>.

ومن أدلة زهده -عليه الصلاة والسلام-: ما وري عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: لم يمتلئ جوف نبي الله شعباً قط، ولم ييث شكوى إلى أحد، وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى، وإن كان ليظل جائعاً يلتوي طول ليلته من الجوع، فلا يمنعه صيام يومه، ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها، وقد كنت أبكي رحمة مما أرى به، وأمسح بيدي على بطنه، وأقول: نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول: «يا عائشة ما لي وللدنيا، إخواني من أولي العزم من الرسل»<sup>(٢)</sup> صبروا على ما هو أشد من هذا

(١) أخرج الترمذي عن عائشة قالت قال لي رسول الله ﷺ «إني عرض علي أن تجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت: لا يا رب أجوع يوماً وأشبع يوماً فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك» .

(٢) اختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا أَوْلُوا الْعَزِيمِينَ مِنَ الرُّسُلِ﴾ أهم كل الرسل فتكون (من) بيانية كالتي في قوله تعالى: ﴿فَأَجْتَبَيْنَا الرِّجْسَ مِنَ الْاَوْتُنِينَ﴾ أم هم بعض الرسل فتكون (من) تبعيضية؟ ثم اختلف هؤلاء في تحديد البعض وذكر القرطبي (تفسير القرطبي ١٦ / ٢٢٠) بحثاً واسعاً في أقوال السلف في تحديدهم أولي العزم من الرسل فقال: "قال ابن عباس: هم ذوو الحزم والصبر قال مجاهد: هم خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد -عليهم الصلاة والسلام- وهم أصحاب الشرائع لوهم الذين ذكرهم الله في سورة الأحزاب قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمَنْكَ وَمَنْ نُوْحَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ وقال أبو العالية: إن أولي العزم: نوح وهود وإبراهيم فأمر الله عز وجل نبيه -عليه الصلاة والسلام- أن يكون رابعهم وقال السدي: هم ستة: إبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد -صلوات الله عليهم أجمعين- وقيل: نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة: نوح صبر على أذى قومه مدة وإبراهيم صبر على النار وإسحاق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب الصبر ويوسف صبر على البئر والسجن وأيوب صبر على الضر وقال ابن جريج: إن منهم إسماعيل ويعقوب وأيوب وليس منهم يونس ولا سليمان ولا آدم وقال الشعبي والكلبي ومجاهد أيضاً: هم الذين أمروا بالقتال فأظهروا المكاشفة وجاهدوا الكفرة وقيل: هم نجباء الرسل المذكورون في سورة =

فمضوا على حالهم، فقدموا على ربهم فأكرم مثابهم، وأجزل ثوابهم، فأجدني أستحي إن ترفهت في معيشتي أن أكون غداً دونهم، وما من شيء أحب إليّ من اللحوق بإخواني وأخلائي» قالت: فما أقام بعد إلا شهراً حتى توفي -صلوات الله وسلامه عليه- اهـ<sup>(١)</sup>. وقد تبين أنه لا حقيقة لمراودة الجبال، والأقرب في بيانه: أن يكون كناية عن شدة تمكنه من ذلك وقرب الحصول، وعليه فمن ذهب بيان للجبال، وإنكار الشيخ ابن مرزوق له نظر لظاهر العبارة فتدبر.

[٣٣] وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى الْعِصْمِ التأكيد والتوكيد والثاني أفصح: بمعنى التقوية والتثبيت. والزهد: ضد الرغبة، وفعله بكسر العين، وفتحها لغة. والضرورة: الحاجة. وعدا عليه: يعدو، عداء -بالفتح والمد- وعدواً: ظلم وتجاوز الحد، ومنه: ﴿فَيَسُبُوا اللَّهَ عَدْوًا يَعْبِرُ عِلْمًا﴾ [الأنعام: ١٠٨]. والعصم: جمع عصمة وهي في الشرع: قوة من الله في عبده، تمنعه عن ارتكاب شيء من المعاصي والمكروهات.

والمعنى: مما يؤكد زهده في جبال الذهب ويثبته: احتياجه ﷺ إلى شيء منها، وضرورته إليه، ولا شك أن الإعراض عن الشيء مع الاحتياج إليه أدل دليل على الزهد فيه. ولما كان في هذا الأمر نوع غرابة؛ من حيث إن الضرورة توجب الإقبال على الشيء المحتاج إليه والالتفات إليه طبعاً وشرعاً، ألا ترى إلى إباحة تناول الميتة والخمر للمضطر، أزال تلك الغرابة بقوله: إن الضرورة.. إلخ أي إن عصمته ﷺ لا تعدو عليها الضرورة وتغلبها حتى يكون أمره تابعاً لها، ولا

= الأنعام وهم ثمانية عشر إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط واختاره الحسن بن الفضل لقوله في عقبه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ أُمْتَدَةٌ﴾ وقال ابن عباس أيضاً: كل الرسل كانوا أولي عزم، واختاره علي بن مهدي الطبري قال وإنما دخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما تقول: اشتريت أردية من البز وأكسية من الخز أي اصبر كما صبر الرسل والله أعلم. وانظر البيضاوي ١٨٦/٥، ابن كثير ٤٧٠/٣.

(١) الحديث في الشفا ١٨٧ وقال محققه: قال السيوطي: لم أفد عليه هكذا ولكن أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره من حديثها فذكر نحوه.

يخفى ما فيه من إرسال المثل وقد تقدم له نظائر، وفي ذلك إيحاء إلى أن الميل إلى الدنيا مذموم وشاهده: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»<sup>(١)</sup>.

وبما قررناه علم أن لا حاجة إلى تقدير المضاف في العصم - كما زعموا - . هذا، وشواهد ضرورته ﷺ كثيرة: منها ما في الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: إن كنا آل محمد لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً، إن هو إلا التمر والماء<sup>(٢)</sup>.

وعن سماك<sup>(٣)</sup> قال: سمعت النعمان بن بشير<sup>(٤)</sup> رضي الله عنه يقول: لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدقل - أي رديء التمر - ما يملأ بطنه<sup>(٥)</sup>.

[٣٤] وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةً مَنْ لَوْلَاهُ لَمْ تُخْرَجِ الدُّنْيَا مِنَ العَدَمِ  
كيف: استفهام إنكاري. والدعاء إلى الشيء: الحث عليه. والدنيا: فُعلَى من الدنو، وهو القرب. والعدم: ضد الوجود، وهو قسمان: سابق ولاحق، والمراد: الأول.

والمعنى: أن ضرورة من هو السبب في وجود الدنيا بعد عدمها لا يتصور فيها أن تكون داعيته إليها لموجب ارتفاعه عنها، حيث كانت من مستتبعاته مفتقرة إليه في وجودها افتقار المسبب إلى السبب، ففيه تأييد لما تضمنه قوله: إن

(١) الحديث تقدم تخريجه .

(٢) الحديث أخرجه مسلم (رقم ٥٢٨٠ كتاب الزهد والرقائق) وبمعناه أخرج البخاري (رقم ٥٩٧٨ كتاب الرقائق باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا).

(٣) سماك ( . . . - ١٢٣هـ) سماك بن حرب الذهلي البكري أبو المغيرة من رجال الحديث من أهل الكوفة أدرك ثمانين صحابياً وروى له مسلم وأبو داود والترمذي وفي المحدثين من يضعفه ذهب بصره ثم شفي وعاد إليه (الأعلام ٣/١٣٨).

(٤) النعمان بن بشير (٢-٦٥هـ) الخزرجي الأنصاري أبو عبد الله أمير خطيب شاعر من أجلاء الصحابة من أهل المدينة له ١٢٤ حديثاً وجهته زوجة عثمان بقميص عثمان إلى معاوية فنزل الشام وشهد صفين وولي القضاء بدمشق وولي لمعاوية اليمن ثم ولاه حمص واستمر إلى وفاة يزيد فبايع لابن الزبير فتمرد أهل مصر فهرب فتبعه خالد بن خلي الكلاعي فقتله وهو أول مولود ولد في الأنصار بعد الهجرة (الأعلام ٨/٣٦).

(٥) أخرجه مسلم (رقم ٥٢٨٨ كتاب الزهد والرقائق).

الضرورة. . إلخ، وبما بينا يعلم وجه ترك مفعول تدعو؛ لأن الغرض بيان أن تلك الضرورة لا تصلح أن تكون داعية إلى الدنيا في ذاتها لا بيان المدعو من هو، فتنبه له فقد غلطوا فيه، وأكثروا فيه الكلام، وزعموا أن النظم لا يخلو من تعقيد، قال شيخ الإسلام: إن المعنى المقصود كيف تدعوه ﷺ ضرورته إلى الدنيا، وهي إنما خرجت من العدم لأجله إلا أنه غير جار على لفظ البيت، والجاري عليه كيف تدعو إلى الدنيا ضرورة الشخص الذي لولاه. . إلخ، فعلى الأول: يكون المستبعد أن تدعو الضرورة محمداً ﷺ، وعلى الثاني: لا يكون تدعو متعلقاً بمفعول فإن ضمن معنى تميل القاصر صح المعنى، وإن ترك على حقيقته من التعدي، فإن قدرته: النبي ﷺ لقرينة السياق صح، وعاد المعنى إلى الأول، وإن لم يعين وأطلق ليدل على العموم فالمعنى كل مدعو، لكن يخص النفي بالدعاء إلى إنالة الدنيا، ولا يصح مطلقاً لاقتضائه أن لا تدعو ضرورته بعض أصحابه إلى أن يسعى في إزالتها عنه بشيء من متاع الدنيا والواقع خلافه - كما تقدم في حديث جابر - ثم قال: وبالجمله فألفاظ البيت لا تخلو عن تعقيد وقلق، ويحتمل وجهاً آخر: وهو أن يكون ضرورة منوناً في الأصل، وحذف تنوينه ضرورة، ومن مفعول تدعو، والمعنى: لا تدعو إلى الدنيا ضرورة أي ضرورة كانت عظيمة أو صغيرة شخصاً لولاه. . إلخ، وهذا الوجه في غاية الحسن إذ فيه نفي المطلق فيستلزم نفي المقيد، نعم فيه ضعف التأليف أعني مخالفة القياس بحذف التنوين، وذلك يوجب كون الكلام غير فصيح، فإن قلت: الأول فيه التعقيد اللفظي أيضاً قلت: مفسدة التعقيد أخف من مفسدة ضعف التأليف اهـ.

فانظر أيها الواقف عليه كيف ترك المعنى المقصود للناظم وخاض تلك البحور من التكاليف، واقتحم مضايق تلك المعاني التي يعجز عن إدراك مفسادها المعاني، والتجأ في تخليص نفسه من ورطة قلق ما أبداه من التفاسير إلى نسبة البيت إلى القلق والتعقيد وهو بريء منهما بشهادة العارف، ثم ادعى أن حذف التنوين للضرورة من ضعف التأليف المخل بالفصاحة ولا يلغي له مساعداً على ذلك ويقال له: حيث دار البيت بين التعقيد المعنوي وضعف التأليف، وكان غير فصيح فما معنى البحث عليه من جهة البديع كما صنع وهل يكون المحسن



محسناً إلا بكونه تابعاً للبلاغة المتوقفة على الفصاحة، نسأل الله الهداية إلى الصواب بمنه .

هذا وشاهد ما قاله الناظم: ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد إلا غفرت لي، فقال الله تعالى: يا آدم فكيف عرفت محمداً ولم أخلقه قال: يا رب إنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله تعالى: صدقت يا آدم، إنه أحب الخلق إليّ، وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك»<sup>(١)</sup> نقله في المواهب<sup>(٢)</sup>. وفيه أنه لما خرج آدم من الجنة رأى مكتوباً على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة اسم محمد مقروناً باسم الله فقال: يا رب هذا محمد من هو؟ فقال الله تعالى: هذا ولدك الذي لولاه ما خلقتك فقال: يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد، فنودي لو استشفعت إلينا بمحمد في أهل السماوات والأرض لشفعناك<sup>(٣)</sup>.

وفيه أيضاً من حديث سلمان<sup>(٤)</sup> أنه قال: هبط جبريل -عليه السلام- على النبي ﷺ فقال: إن ربك يقول لك: إن كنت اتخذت إبراهيم خليلاً فقد اتخذتك

(١) أخرجه الحاكم (رقم ٤٢٢٨، ٦٧٢/٢) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي فقال: بل موضوع، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٥٣): رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه من لم أعرفهم وهوفي المعجم الأوسط (٦/٣١٣ رقم ٦٥٠٢).

(٢) المواهب ١/٦٢ .

(٣) الحديث في المواهب ١/٦٢ .

(٤) سلمان الفارسي ( . . . -٣٦هـ) صحابي من مقدميهم كان يسمي نفسه سلمان الإسلام أصله من مجوس أصبهان عاش عمراً طويلاً طاف بحثاً عن الدين حتى استعبده ركب من بني كلب ثم اشتراه رجل من بني قريظة فجاء به إلى المدينة فلما سمع بالإسلام لازم النبي ﷺ ثم أعانه المسلمون على شراء نفسه وكان قوي الجسم الرأي وهو الذي دل المسلمين حفر الخندق له ٦٠ حديثاً (الأعلام ٣/١١٢).

حبيباً وما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك، ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرّفهم كرامتك ومنزلتك عندي، ولولاك ما خلقت الدنيا<sup>(١)</sup> أهد.

وكان الجلال المحلي لم يطلع على هذا الحديث أو لم يثبت سنده لديه، فاقتصر على ما قبله، وتمم الاستدلال للناظم بضم مقدمة أخرى مأخوذة من آيات فقال: وآدم أبو البشر، وقد خلق الله لهم ما في الأرض وسخر لهم الشمس والقمر والليل والنهار وغير ذلك.

[٣٥] مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالْثَّقَلَيْنِ وَالْفَرِيقَيْنِ مِنْ عَرْبٍ وَمِنْ عَجَمٍ

لفظ محمد بدل مِنْ مَنْ فِي قَوْلِهِ: ضرورة مَنْ أَوْ مَنْ فِي قَوْلِهِ ظَلَمْتَ سَنَةَ مِنْ إِبْنِ خَمْرٍ، لامن ضمير: لولاه وأحيا - كما ظنه شيخ الإسلام - والغرض من تقديم الصفات وتأخير الاسم: التشويق إليه، كما يفعل بما يقصد تقريره وتثبيته في النفس، لكونه الأهم والدليل على اختصاص الصفات بالمسمى فيكون كالشهادة بها، وإن رفع فهو خبر مبتدأ محذوف، ولا يفوت ذلك الغرض، وعليهما إعراب نبينا والوصفين بعده. ومحمد: اسمه الشريف، وعلمه المنيف، سماه به جده عبد المطلب رجاء أن يحمده أهل السماء والأرض كما هو مشهور<sup>(٢)</sup>. ولما قالت أمه آمنة الأمانة: إني لما حملت به ودنت ولادته أتاني آت فقال: قولي: أعينه بالواحد من شر كل حاسد، ثم سميه محمداً<sup>(٣)</sup>.

(١) المواهب ١/٦٣. قال في سبل الهدى والرشاد ١/٩٤: رواه ابن عساكر وقال في اللآلئ: موضوع.

(٢) الروض الأنف ١/٢٨٠، وقال القاضي في الشفا ٢٨٦: ثم في هذين الاسمين (محمد وأحمد) من عجب خصائصه ﷺ وبديع آياته فن آخر وهو أن الله جل اسمه حمى أن يسمى بهما أحد قبل زمانه وأما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع الله بحكمته أن يسمى أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك وكذلك محمد أيضاً لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده وميلاده أن نبياً يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو، وهم: محمد بن أحيحة بن الحلاج الأوسي، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، ومحمد بن براء البكري، ومحمد بن سفيان بن مجاشع، ومحمد بن حمران الجعفي، ومحمد بن خزاعة السلمى ولا سابع لهم ١. هـ.

(٣) الخبر في سيرة ابن هشام ١/٢٣٩.

قال السهيلي<sup>(١)</sup> في الروض الأنف: "أما أحمد وهو اسمه الذي سمي به على لسان عيسى وموسى -عليهما الصلاة والسلام- فإنه منقول من الصفة التي معناها: التفضيل فمعنى أحمد: أحمد الحامدين لربه، وكذلك هو في المعنى لأنه يفتح عليه في المقام المحمود محامد لم تفتح على أحد قبله فيحمد ربه بها<sup>(٢)</sup>، ولذلك يعقد له لواء الحمد<sup>(٣)</sup>، وأما اسمه محمد فمتقول من صفة أيضاً، وهو في معنى محمود، ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فالمحمد: هو الذي حمد مرة بعد أخرى، وقد طابق الاسم المسمى فإنه ﷺ محمود في الدنيا بما هدى إليه ونفع به من العلم والحكمة، ومحمود في الآخرة بالشفاعة، ثم إنه لم يكن محمداً حتى كان أحمد؛ حمد ربه فنبأه وشرفه، فلذلك تقدم اسمه أحمد على محمد فذكره عيسى وموسى به هذا باعتبار الترتيب في الدنيا، وكذلك في الآخرة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه، فيكون أحمد الحامدين لربه، ثم يشفع فيحمد على شفاعته، فانظر كيف ترتب هذا الاسم قبل الاسم الآخر في الذكر والوجود في الدنيا والآخرة اه<sup>(٤)</sup> باختصار. ولما كان محمد بمعنى محمود قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

أغر عليه للنبوة خاتم      من الله نور يلوح ويشهد  
وضم إليه اسم النبي إلى اسمه      إذا قال في الخمس المؤذن: أشهد

(١) السهيلي (٥٠٨-٥٥٨هـ) عبد الرحمن بن عبد الله أبو القاسم وزيد والحسين الخثعمي ولد في سهيل قرب مالقة وتلقى العلم في غرناطة وإشبيلية نال حظوة عند المنصور التوحيدي لكنه عمي وتوفي في مراكش كان محدثاً لغويّاً أديباً شاعراً مؤلفاً من مؤلفاته الروض الأنف ونتائج الفكر (تاريخ الأدب العربي ٤٦٥/٥).

(٢) إشارة إلى حديث الشفاعة في البخاري (كتاب التوحيد باب كلام الرب يوم القيامة مع الأنبياء رقم ٦٩٥٦) ومنه: «فيأتوني فأقول: أنا لها فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد فأخر له ساجداً فيقول: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واستشفع تشفع».

(٣) إشارة إلى حديث الترمذي (كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة بني إسرائيل رقم ٣٠٧٣): «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ويبيد لواء الحمد ولا فخر» وقال الترمذي: حديث حسن.

(٤) الروض الأنف ٢٨١/١ .

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد<sup>(١)</sup>

قال في المواهب: وأخرج البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن زيد قال: كان أبو طالب يقول: فشق.. إلخ قال الشهاب القسطلاني<sup>(٢)</sup> في مقصد الخصائص من المواهب: مما اختص به ﷺ أن التسمي باسمه ميمون نافع في الدنيا والآخرة<sup>(٣)</sup>، روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يوقف عبدان بين يدي الله تعالى فيؤمر بهما إلى الجنة، فيقولان: ربنا بَمَ استأهلنا الجنة ولم نعمل عملاً تجازينا به الجنة؟ فيقول الله تعالى: ادخلا الجنة فإنني آليت على نفسي ألا يدخل النار من اسمه أحمد ولا محمد»<sup>(٤)</sup>.

وروي أبو نعيم<sup>(٥)</sup> عن نبيط بن شريك<sup>(٦)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ «قال الله تعالى: وعزتي وجلالي لا عذبت أحداً تسمى باسمك في النار» اهـ  
ولذا يقول المصنف في آخر النظم:

فإنني لي ذمة منه بتسميتي محمداً وهو أوفى الخلق بالذم  
روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ما من مائدة وضعت

(١) ديوان حسان ٣٠٦/١ .

(٢) الشهاب القسطلاني (٨٥١ - ٩٢٣هـ) أحمد بن محمد المصري الشافعي، من تصانيفه «المواهب اللدنية»، معجم المؤلفين (٨٥/٢).

(٣) المواهب ٣٠١/٥ .

(٤) قال في الشفا: ٢٢٥: وروي عن جعفر بن محمد عن أبيه إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ألا ليقيم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه ﷺ. وانظر ص ٤٤٦ .

(٥) أبو نعيم (٣٣٦-٤٣٠هـ) أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني أبو نعيم حافظ مؤرخ من الثقات في الحفظ والرواية ولد ومات في أصفهان من تصانيفه حلية الأولياء (الأعلام ١٥٧/١).

(٦) نبيط بن شريك (في أسد الغابة رقم ٥٢٠٢، ٤/٢٢٤): نبيط بن شريك بن أنس بن مالك بن هلال الأشجعي يروي عن النبي ﷺ روى عنه ابنه سلمة .

فخص عليها من اسمه محمد أو أحمد إلا قدس الله ذلك المنزل كل يوم مرتين<sup>(١)</sup>. رواه أبو منصور الديلمي<sup>(٢)</sup> اهـ.

والسيد: الجليل الكريم العظيم. والكونين: تثنية كون، مصدر التامة بمعنى الوجود، والمراد به: وجود الدنيا ووجود الآخرة، والمراد أهلها. والثقلين: الإنس والجن. والفريقين: تثنية فريق، وهو الجماعة الكثيرة، وفسرهما: بالعرب والعجم، وهما معروفان، والفريق الأول: من أولاد سام وهو ابن نوح باتفاق النسابين، وأما الفريق الثاني: فمنهم من شارك الأول فيه وهم فارس والروم، ومنهم من هو ولد حام أصغر ابن نوح وهم القبط والسودان والبربر، ومنهم من هو ولد يافث بن نوح وهم الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج، وهذه أصول أنساب العرب بعد طوفان نوح -عليه السلام-.

ثم إن العرب على طبقات ثلاث:

**الطبقة الأولى:** العرب العاربة وهم عاد وشمود وطسم وجديس وأميم وعبيل وعبد بن ضخم وجرهم وحضرموت، وكان مسكنهم جزيرة العرب المحتوية على اليمن والحجاز وحضرموت.

**الطبقة الثانية:** العرب المستعربة، وهم تبع وحمير والعمالقة وغيرهم، وكان غالب مسكنهم صنعاء اليمن.

**الطبقة الثالثة:** العرب التابعة، وقد اتفق النسابون على أنهم يرجعون إلى ثلاثة أنساب: عدنان وقحطان وقضاعة، والأول من ولد إسماعيل، وفي الثالث خلاف، والأصح أنه من قحطان. وهذا الصنف العربي بطبقاته الثلاثة له الفضيلة على غيره، لما رواه الترمذي في سننه أن النبي ﷺ قام على المنبر فقال:

(١) رواه الديلمي ٤٤/٤ رقم ٦١٣٧. وقال القاضي عياض في الشفا ٢٢٦: وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك قال: سمعت أهل مكة يقولون: ما من بيت فيه اسم محمد ﷺ إلا نما ورزقوا. وانظر ص ٤٤٦.

(٢) الديلمي (٤٤٥-٥٠٩هـ) شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو أبو شجاع الديلمي الهمداني مؤرخ من العلماء بالحديث له تاريخ همذان وفردوس الأخبار بمأثور الخطاب (الأعلام ٣/١٨٣).

«من أنا؟» قالوا: رسول الله قال ﷺ: «أنا محمد بن عبد المطلب، إن الله تعالى خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً»<sup>(١)</sup> اهـ. وفي حديث الطبراني: «إن الله اختار الخلق، فاختر منهم بني آدم، ثم اختار بني آدم، فاختر منهم العرب، ثم اختارني من العرب، فلم أزل خياراً من خيار»<sup>(٢)</sup> إلخ .

وفي مسلم<sup>(٣)</sup> قوله -عليه الصلاة والسلام-: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» اهـ. وفي الشفاء<sup>(٤)</sup> عن ابن عباس: أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله ﷺ: فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح، وقذف بي في صلب إبراهيم، ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الأصباب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني بين أبيي، لم يلتقيا على سفاح قط، ألا فمن أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم»<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي رقم ٣٤٥٥ كتاب الدعوات وقال الترمذي: حديث حسن وأخرج نحوه أحمد ١٦٩٢ .

(٢) معجم الطبراني الكبير (١٢/٤٥٥)، رقم (١٣٦٥٠)، والمعجم الأوسط (٦/٢٠٠ رقم ٦١٨٢) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢١٥): فيه حماد بن واقد وهو ضعيف يعتبر به وبقيته رجاله وثقوا، والحديث في الشفا ص ١٢٦ .

(٣) أخرجه مسلم (رقم ٤٢٢١ كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة).

(٤) في الشفا ١٢٦ أن النبي ﷺ كانت روحه نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بألفي سنة قال في الحاشية: في الأصل أن قريشاً كانت نوراً والمثبت من شرح الشفا لمنلا علي القاري وقال في اللآلئ: الحديث موضوع، كما في سبل الهدى والرشاد ١/٢٧٨ .

(٥) أخرجه ابن أبي عمر المدني في مسنده كما في حاشية الشفا ص ١٢٧ وقد وردت أحاديث في كتب السنة عن فضل العرب منها: ما أخرج أحمد ٥٨٠ عن علي قال: قال رسول الله ﷺ «لا يبغض العرب إلا منافق» . وأخرج الترمذي (رقم ٣٨٦٢ كتاب المناقب باب في فضل =

وأما حديث: «لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى»<sup>(١)</sup> فيخرج على نفي الفضل في النسب الإسلامي كحديث: «لا تفضلوني على يونس»<sup>(٢)</sup>. وبما ذكرناه تبين دليل المصنف على ما ادعاه وكفى شاهداً عليه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. قال الزركشي: نبينا ﷺ مستثنى من الخلاف في التفضيل بين الملك والبشر.

### ذكر النسب الشريف العالي وسلسلة اليواقيت واللاكي.

محمد ﷺ ابن سيدنا عبد الله الذبيح؛ لقب بذلك لأن أباه نذر في حفر زمزم لئن جاءه عشر بنين وعاونوه ليذبحن أحدهم قرباناً، فلما تم له الأمر وتكامل له

= (العرب) وأحمد (رقم ٢٢٦١٥) قال: قال لي رسول الله ﷺ «يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك قال: قلت: يا رسول الله كيف أبغضك وبك هدانا الله؟ قال: تبغض العرب فتبغضني» وقال الترمذي: حديث حسن غريب وأخرج الترمذي (رقم ٣٨٦٣) كتاب المناقب باب في فضل العرب) عن عثمان قال: قال رسول الله ﷺ: «من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي» قال الترمذي: حديث حسن غريب وأخرجه أحمد ٤٨٨. وأخرج الترمذي (٣٨٦٤) كتاب المناقب باب من فضل العرب) عن محمد بن أبي رزين عن أمه قالت: كانت أم الحرير إذا مات أحد من العرب اشتد عليها ذلك فقبل لها: إنا نراك إذا مات رجل من العرب اشتد عليك قالت: سمعت مولاي يقول: قال رسول الله ﷺ: «من اقترب الساعة هلاك العرب» قال الترمذي: حديث غريب. وروى الطبراني (في الكبير ١١/١٨٥ رقم ١١٤٤١) أن النبي ﷺ قال: «أحبوا العرب لثلاث لأني عربي ولأن القرآن عربي ولأن كلام أهل الجنة عربي» وقال المناوي (في فيض القدير ١/١٧٩): قال العقيلي: منكر لا أصل له وقال أبو حاتم: هذا موضوع وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وتعبه المصنف بما حاصله أن له شاهداً ومتابعاً وقال السخاوي: ابن بريدة والراوي عنه ضعيفان وقد تفردا به كما قال البيهقي، ومتابعه ابن الفضل لا يعتد به لانهامه بالكذب.

- (١) أخرج أحمد (رقم ٢٢٣٩١) عن أبي نضرة حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق فقال: «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى».
- (٢) أخرج البخاري (رقم ٤٢٣٨) كتاب تفسير القرآن باب قوله ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ (عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب» وأخرج (رقم ٣١٦٢) كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله ﴿وَإِنَّ بُرْسَ لَيَمَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لا تفضلوا بين أنبياء الله» وأخرجه مسلم (رقم ٤٣٧٦) كتاب الفضائل باب من فضائل موسى).

من البنين عشرة نام ليلة عند الكعبة فرأى في المنام قائلاً يقول: يا عبد المطلب أوف بنذك لرب هذا البيت، فاستيقظ وذبح كبشاً ثم نام فرأى أن قَرَّب ما هو أكبر من ذلك ففعل، ولم يزل يتكرر عليه الأمر إلى أن قيل له في النوم: قرب أحد أولادك الذي نذرته فاغتم غماً شديداً وأقرع بين أولاده فخرجت على عبد الله، وكان أحب ولده إليه فقبضه، وأخذ المشفر، فقام إليه سادة قريش وقالوا: لا تذبحه حتى تعذر فيه إلى ربك وقالوا: انطلق إلى سجاح الكاهنة فقالت لهم: كم الدية فيكم؟ فقالوا: عشرة من الإبل، فأشارت عليهم بأن يساهموا بينه وبين عشرة من الإبل، فإن خرج السهم عليه زادوا حتى تخرج عليها ففعلوا حتى بلغت الإبل مائة، فخرج السهم عليها فنحرت<sup>(١)</sup> ولذا روي عنه عليه السلام أنه قال: «أنا ابن الذبيحين»<sup>(٢)</sup> يعني إسماعيل وعبد الله، ابن عبد المطلب واسمه: شيبة الحمد، وهو أول من خضب بالسواد، وعاش مائة وأربعين سنة، قال الزرقاني<sup>(٣)</sup> في شرح المواهب: كان مجاب الدعوة، محرم الخمر على نفسه<sup>(٤)</sup> قال ابن الأثير<sup>(٥)</sup>: هو أول من تحنث بحراء، كان إذا دخل شهر رمضان صعده وأطعم المساكين، وكان يقال له: الفياض لجوده اه وهو القائل لما جاء أبرهة بالفيل لهدم البيت:

(١) سيرة ابن هشام ٢٨٦/١ .

(٢) الحديث أخرجه الحاكم (في المستدرک ٦٠٤/٢، رقم ٤٠٣٦) برواية: أنه قيل أمامه: السلام عليك يا ابن الذبيحين فتبسم . وانظره في السيرة النبوية زيني دحلان ص ٣٧ وسبل الهدى والرشاد ٢٨٩/١ .

(٣) الزرقاني: (١٠٥٥-١١٢٢هـ) محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني المالكي أبو عبد الله محدث فقيه أصولي ولد في القاهرة وتوفي فيها من تصانيفه شرح المنظومة البيقونية، مختصر المقاصد الحسنة (معجم المؤلفين ١٠/١٢٤).

(٤) شرح المواهب ٧١/١ . وانظر السيرة النبوية لزيني دحلان ص ٣٠ .

(٥) ابن الأثير (٥٥٥هـ-) علي بن محمد ولد في جزيرة ابن عمر في الجزيرة الفراتية لأسرة ذات غنى وثراء حصل العلم في الحديث والفقه والقراءات والفرائض والمنطق والحساب والشعر العربي وغيرها من العلوم له الكامل والتاريخ الباهر (معجم المؤلفين ٧/٢٢٨، ١٣/٤٠٧).



وانصر على آل الصليبي - ب وعابديه اليوم آلك<sup>(١)</sup>  
 ابن هاشم واسمه عمرو، قال الزرقاني<sup>(٢)</sup> عن المنتقى: أنه كان أفخر قومه  
 وأعلاهم، وكانت له مائدة لا ترفع في السراء ولا في الضراء، وكان نور  
 رسول الله ﷺ فيه يتوقد شعاعه، ويتلألأ ضياؤه، ولا يراه جبر إلا قبل يده، ولا  
 يمر بشيء إلا سجد له، مات عن عشرين أو خمس وعشرين سنة، ابن عبد مناف  
 واسمه المغيرة، ساد في حياة أبيه، وكان يدعى القمر لجماله، قال الواقدي<sup>(٣)</sup>:  
 كان فيه نور رسول الله ﷺ، وذكر الزبير عن موسى بن عقبة<sup>(٤)</sup>: أنه وجد كتابة  
 في حجر: أنا المغيرة بن قصي أمر بتقوى الله وصلة الرحم، ابن قصي - بضم  
 القاف - واسمه زيد، وقيل: يزيد، كان عالم قريش وأقومها بالحق، ابن كلاب  
 - بكسر الكاف - واسمه: حكيم وقيل: عروة، ابن مرة - بضم الميم -، ابن كعب  
 وهو أول من جمع الناس يوم العروبة، وكانت تجتمع إليه قريش في هذا اليوم  
 فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي ﷺ، ويعلمهم بأنه من ولده ويأمرهم باتباعه  
 والإيمان به وينشد في ذلك أبياتاً منها قوله:

يا ليتني شاهداً فحواء دعوته إذا قريش تبغي الحق خذلانا  
 ابن لؤي - بضم الواو [وفتح] الهمزة وقد تسهل واو-، ابن غالب بن فهر -  
 بكسر الفاء- واسمه: قريش، وإليه تنسب القبيلة، ابن مالك بن النضر واسمه  
 قيس، ابن كنانة - بكسر الكاف -، ابن خزيمة - بالتصغير-، ابن مدركة - بضم

(١) سيرة ابن هشام ٥٠/١ .

(٢) شرح المواهب ٧١/١ .

(٣) الواقدي: (١٣٠-٢٠٧هـ) محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء المدني أبو عبد الله الواقدي من أقدم المؤرخين في الإسلام ومن أشهرهم ومن حفاظ الحديث ولد بالمدينة وكان حنطاً (تاجر حنطة) وبها ضاعت ثروته فانتقل إلى العراق سنة ١٨٠هـ في أيام الرشيد واتصل بيحيى بن خالد البرمكي فأفاض عليه عطايه وقربه من الخليفة فولى القضاء ببغداد واستمر إلى أن توفي فيها من كتبه المغازي النبوية (الأعلام ٦/٣١١).

(٤) موسى بن عقبة (١٤١-...هـ) الأسدي بالولاء أبو محمد مولى آل الزبير عالم بالسيرة النبوية من ثقات رجال الحديث من أهل المدينة مولده ووفاته فيها له كتاب المغازي (الأعلام ٧/٣٢٥).

فسكون ففتح - سمي به لإدراكه كل عز وفخر كان في آبائه، واسمه عمرو، وكان فيه نور المصطفى ﷺ بيناً، ابن إلياس - بكسر الهمزة وفتحها - وهو أول من أهدى البدن إلى البيت الحرام، ويذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي ﷺ بالحج، ولم تزل العرب تعظمه تعظيم أهل الحكمة كلقمان<sup>(١)</sup> وأشباهه، ابن مضر - بضم ففتح - وهو أول من سن الحداء، روي أنه سقط عن بعيه وهو شاب فانكسرت يده فقال: يا يدها فأنت إليه الإبل من الرعي، وكان من أحسن الناس صوتاً، فلما صح وركب حدا. وفي ربيع الأبرار: قال النبي ﷺ: «أندرون متى كان الحداء؟» قالوا: بلى بأبينا وأمنا قال: «إن أباكم مضر خرج في مال له فوجد غلامه قد تفرقت عليه إبله فضربه على يده بالعصا، فعدا الغلام في الوادي وهو يصيح: وايداه وايداه، فسمعت الإبل صوته فتعطفت عليه فقال مضر: لو اشتق من الكلام مثل هذا لكان شيئاً تجتمع عليه الإبل فاشتق الحداء<sup>(٢)</sup>، ابن نزار - بكسر النون-، ابن معد -بفتحيتين وتشديد الدال-، ابن عدنان. وروي أنه أول من كسا الكعبة، وإليه ينتهي النسب الطيب، وما فوقه كذب كما في الحديث<sup>(٣)</sup>.

وأما أمه -عليه السلام- فهي السيدة آمنة الأمينة ابنة وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وفيه تجتمع السلسلتان.

واعلم أن هذا النسب الطاهر محمول بطرفيه على سفن النجاة، سالك الملة الحنيفية دين إبراهيم -عليه السلام-، قال الإمام فخر الدين الرازي في أسرار التنزيل<sup>(٤)</sup>: «مما يدل على أن آباءه عليه الصلاة والسلام لم يكونوا مشركين قوله -عليه الصلاة والسلام-: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات»، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] فوجب ألا يكون

(١) لقمان: عبد صالح آناه الله الحكمة ومنعه النبوة وكان قاضياً في بني إسرائيل (القرطبي ٦٠/١٤).

(٢) الخبير في الروض الأنف ١/١٦٠.

(٣) الأصح أنه قول ابن مسعود انظر سبل الهدى والرشاد ١/٣٠٠.

(٤) انظر كشف الخفا ١/٦٢.

أحد من أجداده مشركاً. قال الزرقاني: وقد ارتضى ذلك العلامة السنوسي<sup>(١)</sup> والتلمساني محشي الشفاء فقالا: لم يتقدم لوالديه ﷺ شرك لأنه -عليه الصلاة والسلام- انتقل من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، ولا يكون ذلك إلا مع الإيمان بالله، وما نقله المتأخرون قلة حياء وأدب اه<sup>(٢)</sup>. ونقل الزرقاني عن جلال الدين السيوطي -رحمه الله- استدلالاً لطيفاً على ذلك مركباً من مقدمتين: إحداهما: ما ثبت في الأحاديث الصحيحة أن كل جد من أجداده ﷺ خير قرنه، كحديث البخاري: «بعثت من خير قرون<sup>(٣)</sup> بني آدم قرناً فقرناً حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه»<sup>(٤)</sup>. والمقدمة الثانية: ما ثبت أن الأرض لم تخل من سبعة مسلمين فصاعداً يدفع الله بهم عن أهل الأرض: أخرج عبد الرزاق<sup>(٥)</sup> وابن المنذر<sup>(٦)</sup> بسند صحيح على شرط الشيخين عن علي قال: «لم يزل على وجه الأرض سبعة مسلمون فصاعداً فلولا ذلك لهلكت الأرض ومن عليها»<sup>(٧)</sup>. وأخرج أحمد بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس -رضي الله

(١) السنوسي (٨٣٢-٨٩٥) هـ محمد بن يوسف السنوسي التلمساني الحسيني أبو عبد الله محدث متكلم مقرئ مشارك في بعض العلوم توفي بتلمسان من تصانيفه أم البراهين في العقائد (معجم المؤلفين ١٢/١٣٢).

(٢) قول التلمساني في حاشية الشفاء ٢/٢٠٣.

(٣) القرن: الطبقة من الناس المجتمعين في عصر واحد ومنهم من حده بمائة سنة، وقيل بسبعين، وقيل بغير ذلك والأوفق أن يقال: القرن كل أمة هلكت حتى لم يبق منها أحد (فتح الباري ٦/٥٧٤).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ رقم ٣٢٩٣).

(٥) عبد الرزاق (١٢٦-٢١١هـ) عبد الرزاق بن همام الحميري مولاهم، أبو بكر الصنعاني من حفاظ الحديث الثقات كان يحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حيث له الجامع الكبير والمصنف في الحديث (الأعلام ٣/٣٥٣).

(٦) ابن المنذر: (٢٤٢-٣١٩هـ) محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري أبو بكر فقيه مجتهد من الحفاظ كان شيخ الحرم بمكة قال الذهبي: ابن المنذر صاحب الكتب التي لم يصنف مثلها، من مصنفاته المبسوط (الأعلام ٥/٢٩٤).

(٧) في مسند عبد الرزاق رقم ٩٠٩٩، ٩٦/٥.

عنهما- قال: «ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض»<sup>(١)</sup>.

وإذا قرنت ما بين هاتين المقدمتين أنتج ما قاله الإمام، لأنه إن كان كل جد من أجداده من السبعة المذكورين في زمانه فهو المدعى وإن كانوا غيرهم لزم أحد الأمرين: إما أن يكون غيرهم خيراً منهم، وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح، وإما أن يكونوا خيراً وهم على الشرك وهو باطل بالإجماع، وفي التنزيل: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ﴾ [البقرة: ٢٢١] فثبت أنهم على التوحيد ليكونوا خير أهل الأرض في زمانهم اهـ. وقريب منه ما استدل به بعض أستاذينا وهو قوله تعالى حكاية عن إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام-: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ إلى قولهما: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩] الآية أي في الأمة المسلمة ومن الأمة المسلمة.

وقد ثبت في الحديث: «أنا دعوة إبراهيم»<sup>(٢)</sup>. والأدلة في ذلك أكثر من أن تحصى وإن شئت فراجع رسائل ناطها الجلال السيوطي بذلك عامله الله بإحسانه<sup>(٣)</sup>.

ومنها ما ثبت أن الله أحيا أبويه وآمنا به ﷺ<sup>(٤)</sup>. وكفى المهتدي قوله تعالى:

(١) أخرجه الإمام أحمد انظر سبل الهدى والرشاد ٢٧٨/١ ولم أجده في مسند الإمام أحمد.

(٢) أخرجه أحمد رقم ٢١٢٣١ والحاكم ٤٥٣/٢ رقم ٣٥٦٦، وهو في الشفا ٢٢٢.

(٣) خلاصة ما ذكره السيوطي في مسالك الحنفا أن العلماء ذهبوا إلى ثلاثة مسائل: ١- أنهما من أهل الفترة وهم ناجون. ٢- أنهما على دين الحنيفية كورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وهو قول الرازي. ٣- أن الله أحيا أبويه ومال إليه البغدادي والسهيلي والقرطبي والطبري واستدلوا بحديث رواه ابن شاهين والبغدادي والدارقطني وابن عساكر لكن قال البعض هو موضوع. انظر كشف الخفا ٦١/١.

(٤) أورده السهيلي في الروض فقال: روي حديث غريب لعله يصح وجدته بخط جدي القاضي أحمد بن الحسن بسند فيه مجهولون وقال: في إسناده مجاهيل وقال ابن كثير: حديث منكر جداً وسنده مجهول قال السيوطي بعدما أورد قول ابن عساكر منكر: هذا حجة لما قلته من أنه ضعيف لا موضوع (شرح المواهب ١/١٦٨). وانظر الخبر في الروض الأنف ١/٢٩٩، وفي شرح البيجوري على الجوهرة ص ٣٠.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥] وقوله -عليه الصلاة والسلام-: «إِذَا لَا أَرْضَى وَوَاحِدٌ مِنْ أُمَّتِي فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup> فكيف يرضى وأحد آبائه كذلك .

وعن علي في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنْفَسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]<sup>(٢)</sup> في قراءة الفتح قال: نسباً وصهراً وحسباً، ليس في آبائي من لدن آدم سفاح، كلنا نكاح<sup>(٣)</sup>، قال ابن الكلبي<sup>(٤)</sup>: كتبت للنبي ﷺ خمسمائة أم، فما وجدت فيهن سفاحاً، ولا شيئاً مما كانت عليه الجاهلية، كذا في الشفاء<sup>(٥)</sup>، وقد تقدم في حديث ابن عباس مثله . ولله در الناظم إذ يقول في الهمزية:

لم تزل في ضمائر الكون تُختار  
ر لك الأمهات والآباء<sup>(٦)</sup>  
وقال بعد:

وبدا للوجود منك كريم  
من كريم آباؤه كرماء

(١) أخرج مسلم (كتاب الإيمان باب دعاء النبي ﷺ لأُمَّته رقم ٣٠١): عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنِّي نَصَلْتُ لَكَ مِنَ النَّاسِ مَن تَبَعِي فَإِنَّهُ مَيِّتٌ﴾ الآية وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَلَا تَمُوتُوا وَإِنْ تَغَفَّرْتُمْ لَكُمْ فَإِنَّكُمْ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فرفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي ويكي فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل -عليه السلام- فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك .

(٢) قال في حاشية الشهاب: ٨١/١: وهي قراءة شاذة مروية عن فاطمة وعائشة وقرأ بها عكرمة وابن محيصن وغيرهما وفي المستدرک رقم ٢٩٤٥، ٢/٢٦٢ عن ابن عباس رضي الله عنه أنه ﷺ قرأها كذلك وقال: يعني من أعظمتكم قدراً . وقال ابن جني في المحتسب ٣٠٦/١: هي قراءة عبد الله بن قسيط المكي، ومعنى أنفسيكم: من خياركم ومنه قولهم: هذا أنفسي المتاع أي أجوده وخياره واشتقه من النفس وهي أشرف ما في الإنسان .

(٣) القول في الشفا ٥٧ .

(٤) ابن الكلبي ( . . . -١٤٦هـ) محمد بن السائب الكلبي أبو النضر نسابة راوية عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب من أهل الكوفة مولده ووفاته فيها وهو ضعيف في الحديث ورضوه في التفسير (الأعلام ٦/١٣٣) .

(٥) الشفا ٥٧ .

(٦) البيت في ديوان البوصيري ٢ .

نسب تحسب العلا بحلاه      قلدها نجومها الجوزاء  
 حبذا عقد سؤدد وفخار      أنت فيه اليتيمة العصماء  
 والحدَرَ الحدَرَ من الوقوع في كلام كثير ممن غلبت عليهم الضلالة فتشدقوا  
 في جانب النسب الطاهر بما تشمئز منه قلوب المؤمنين، حتى إن بعضهم لعنايته  
 بذلك ألف فيه تآليف مستقلة فضلاً وأضلاً وعرض نفسه لأذية سيد العالمين،  
 فاستحق العذاب المهين. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاءت ابنة أبي لهب  
 إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الناس يقولون: أنت ابنة حطب النار فقام  
 رسول الله ﷺ وهو مغضب فقال: «ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي، ومن آذاني  
 فقد آذى الله»<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ  
 عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ [الأحزاب: ٥٧].

[٣٦] نَبِيْنَا الْأَمْرُ النَّاهِي فَلَا أَحَدٌ      أَبْرَ فِي قَوْلٍ لَا مِنْهُ وَلَا نَعَمِ  
 تقدم ما يتبين به إعراب نبينا وجريه على إعراب لفظ محمد في سابقه.  
 والنبى: على المشهور أعم مطلقاً من الرسول، يجتمعان في الإيحاء بالحكم،  
 ويزيد الرسول بالأمر بالإنذار، وقيل: باستئناف شرع، قال شهاب الدين القرافي:  
 يعتقد كثير أن النبوة مجرد الوحي وهو باطل؛ لحصوله لمن ليس بنبي كمریم؛  
 فإنها ليست نبية على الصحيح، مع أنه تعالى يقول: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾  
 [مریم: ١٧] و ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ [آل عمران: ٤٥] الآية. وفي مسلم: «بعث الله  
 تعالى ملكاً لرجل على مدرجته، كان خرج في زيارة أخ له في الله، وقال: إن الله  
 يعلمك أنه يحبك لحبك لأخيك في الله»<sup>(٢)</sup> وليس نبوة لأنها -عند المحققين-:  
 إيحاء الله لبعض بحكم إنساني مختص به كقوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾  
 [العلق: ١]. فهذا تكليف يختص به في الوقت فهذه نبوة لا رسالة، فلما نزل:  
 ﴿فَرُّوْا فَاذْرُوْا﴾ [المدثر: ٢] كانت رسالة، لتعلق هذا التكليف بغيره أيضاً، ومن ثم

(١) الخبر في تاريخ الخميس ١/١٦٩، ولم أجده في كتب الحديث.

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٤٦٥٦ كتاب البر والصلة والآداب باب في فضل الحب في الله).

أتى الناظم بوصفي الأمر النهائي إيماء إلى وصفه بالرسالة بعد التصريح بوصفه -عليه الصلاة والسلام- بالنبوة موافقاً بترتيبه اللفظي ترتيب تحققهما في الخارج. وتقدم حقيقة الأمر. وأما النهي فهو كما قال الشيخ علي طبق تعريفه الأمر: اقتضاء كف عن فعل على جهة الاستعلاء<sup>(١)</sup> اهـ. ولتحقيق ذلك محل غير هذا<sup>(٢)</sup>.

وأل في الوصفين ليست للجنس ولا للاستغراق، وذلك ظاهر، ولا للعهد، وإن صح اعتباره، لعدم قوة ثمرته، وإنما هي: للدلالة على الفرد الذي استجمع شروط تلك الصفة وأسبابها، وما به ينبغي أن يكون ذلك الفرد متصفاً بذلك الوصف وربطهما بالسابق فيه لإفادة الاتحاد وظهوره التام بجعل نبينا مبتدأ حتى ينخرط صريحاً في سلك ما ذكره عبد القاهر<sup>(٣)</sup> في قولهم: هو البطل المحامي، وإن شئت شرحه<sup>(٤)</sup> فأعد نظراً في المطول وحواشيه، ولا أرى بدأ -إن رمت

(١) الإحكام للآمدي ٢/٢٠٨ .

(٢) الأمر: هو اللفظ الدال على طلب الفعل على جهة الاستعلاء وهذا رأي الحنفية والحنابلة فهو يكون من الأعلى إلى الأدنى كقول القائل لمن دونه استعلاء: افعل وهو حقيقة في القول الطالب للفعل فإذا صدر من الأدنى إلى الأعلى على سبيل التضرع والشفاعة لا يسمى أمراً وإنما يقال له دعاء والتماس وقال ابن السبكي الشافعي في جمع الجوامع: لا يعتبر في مسمى الأمر علو ولا استعلاء وكذلك قال المالكية: لا يشترط في الأمر علو الأمر خلافاً للمعتزلة (الإحكام للآمدي ٢/٢٠٨، أصول الفقه الإسلامي د . وهبة الزحيلي ١/٢١٩).

(٣) عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ( . . . -٤٧١هـ) أبو بكر وأضع أصول علم البلاغة كان من أئمة اللغة من أهل جرجان له شعر رقيق من كتبه دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة (الأعلام: ٤٨/٤).

(٤) يقول الجرجاني في دلائل الإعجاز ١٨٢: "واعلم أن للخبر المعرف بالألف واللام مسلماً ثم دقيفاً ولمحة كالخلس وذلك قولك "هو البطل المحامي" تريد أن تقول لصاحبك: هل سمعت بالبطل المحامي وهل حصلت معنى هذه الصفة وكيف ينبغي أن يكون الرجل حتى يستحق أن يقال ذلك له وفيه فإن كنت قتلته علماً وتصورته حق تصويره فعليك صاحبك واشدد به يدك فهو ضالتك وعنده بغيتك كقول ابن الرومي:

هو الرجل المشروك في جل ماله      ولكن به بالمجد والحمد مفرد

ا.هـ (بتصرف يسير).

تحقيقه- من استقطار سحاب مكتوبنا عليه الموسوم بالغيث الإفريقي<sup>(١)</sup>. والفاء للتفريع - كما سيتبين لك- . وأحد: في النفي، كما في الصحاح<sup>(٢)</sup>: اسم لمن يصلح أن يخاطب، يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث، قال الله تعالى: ﴿لَسْتُمْ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، وقال: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]. وأبر: أفعال تفضيل من بر في يمينه إذا صدق - كما في الصحاح<sup>(٣)</sup>-. وقول لا: كناية عن النفي، ونعم: كناية عن الإثبات الذين هما حالتا الكلام المعروض للصدق، وأبر - بالنصب - على ما اقتصر عليه الجلال المحلي، ولعله رواية وإلا فالرفع أرجح؛ لضعف عمل لا حتى قيل باختصاصه بالشعر.

ومعنى البيت: أنه - عليه الصلاة والسلام - نبينا معاشر أمة الإجابة المشهود لها بالخيرية في قوله عز اسمه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] هو الذي ينبغي أن يكون أمراً ناهياً أي مبلغاً عن الله أمره ونهيه للعباد؛ إذ الأمر والناهي حقيقة هو الله؛ لكونهما راجعين إلى حكمه المفسر: بخطابه المتعلق بأفعال المكلفين، فأمره ونهيه - عليه السلام - أمر ونهي الله تعالى: ﴿وَمَا يَطِّقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، وإذا كان المعنى ما ذكرناه، وأنه لا ينبغي أن يكون الرجل مبلغاً لأمر الله ونهيه إلا إذا كان متصفاً بالأمانة وغاية الصدق، جاء تفريع قوله: فلا أحد. . إلخ الذي معناه: أنه لا أحد أصدق منه آخذاً محزّه، متمكناً كل التمكن، فإن قلت: كيف التكنية بلا ونعم عن النفي والإيجاب؟ قلت: لكونهما إعلامين بهما للسائل الطالب لأحدهما، وشأن الكلام أن يكون بناؤه على السؤال ولو حكماً وإلا قرب من الفضول في الغالب. هذا هو المنقذ لي في معنى البيت، ودونك ما في شيخ الإسلام، فإنه ذكر في شرح البيت ما لا يلاقي.

(١) الغيث الإفريقي: هو تقايد على حاشية عبد الحكيم السالكوتي على المطول في البلاغة لم

تم. انظر مؤلفات ابن عاشور في التمهيد .

(٢) الصحاح ١١/١ (أحد).

(٣) الصحاح ٨٢/١ (بر).



نعم يرد على ما قال الناظم ما روي في حديث ذي اليمين<sup>(١)</sup> من قوله -عليه السلام-: «كل ذلك لم يقع»<sup>(٢)</sup>، وما روي أيضاً من قوله -عليه السلام- للأشعريين حين استحملوه: «والله لا أحملكم» ثم لما أوتي الذود دعاهم وحملهم وقالوا: استغفلنا رسول الله ﷺ حلف ألا يحملنا ثم نسي وحملنا<sup>(٣)</sup>، واختار شيخ الإسلام في الجواب عن الأول: منع أن النفي غير مطابق للواقع؛ إذ لم يقع تقصير ولا نسيان بمعنى ما يحصل للغفلة والتفريط، كما هو مقتضى النسبة في قول ذي اليمين، فالمعنى: لم أنس نسيان غيري بل نسيان رحمة، لما فيه من الاستئنان: ونسيان غيري نقمة: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَتْهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]، وعن

(١) ذو اليمين: الخرباق من بني سليم كان ينزل بذي خشب من ناحية المدينة قد تأخر عمره حتى روى عنه المتأخرون من التابعين (أسد الغابة ١٥٤/٢، رقم ١٥٦٠).

(٢) أخرج مسلم (رقم ٨٩٧ كتاب المساجد باب السهو في الصلاة والسجود له) عن أبي هريرة قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليمين فقال: أفصرت الصلاة يا رسول الله أم نسيت؟ فقال رسول الله ﷺ: «كل ذلك لم يكن» فقال: قد كان بعض ذلك يا رسول الله فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: «أصدق ذو اليمين؟» فقالوا: نعم يا رسول الله فأتى رسول الله ﷺ ما بقي من الصلاة ثم سجد سجدتين وهو جالس بعد التسليم. قال النووي في شرح صحيح مسلم ٦٩/٥: فيه تأويلان: أحدهما أن معناه لم يكن المجموع، فلا ينفي وجود أحدهما. والثاني - وهو الصواب - معناه لم يكن لا ذاك ولا ذا في ظني، بل ظني أنني أكملت الصلاة أربعاً، ويدل على صحة هذا التأويل، وأنه لا يجوز غيره أنه جاء في روايات البخاري [رقم ١١٥٣٦ كتاب الجمعة باب من يكبر في سجدتي السهو] في هذا الحديث أن النبي ﷺ قال: «لم تقصر ولم أنس» فنفي الأمرين.

(٣) أخرج البخاري (٢٩٠٠) كتاب فرض الخمس باب ومن الدليل على أن الخمس لنواب المسلمين) عن زهدم قال: كنا عند أبي موسى فأتني ذكراً دجاجة وعنده رجل من بني تميم الله أحمر كأنه من الموالي فدعاه للطعام فقال: إني رأيتك يأكل شيئاً فقذرتة فحلفت لا أكل فقال: هلم فلأحدثكم عن ذلك إني أتيت النبي ﷺ في نفر من الأشعريين نستحمه فقال: «والله لا أحملكم وما عندي ما أحملكم» وأتى رسول الله ﷺ بنهب إبل فسأل عنها فقال: «أين نفر الأشعريون؟» فأمر لنا بخمس ذود غر الذرى فلما انطلقنا قلنا: ما صنعنا لا يبارك لنا فرجعنا إليه فقلنا: إنا سألناك أن تحملنا فحلفت أن لا تحملنا أفنسيته؟ قال: «لست أنا حملتكم ولكن الله حملكم وإني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها».

الثاني: بأن معنى لا أحملكم: لا شيء معي من زائد على ما أستحق منها أحملكم عليه، فلما أوتي منها ما أوتي حملهم، ولذا قال: «ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم». هذا وفي إضافة تبينا من تشريف المضاف إليه ما لا يخفى، وما أحسن ما ينسب إلى الإمام الشافعي رضي الله عنه في ذلك المعنى:

ومما زادني شرفاً وتيهاً وكدت بأخمصي أطأ الثريا  
دخولي تحت قولك: يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبياً<sup>(١)</sup>

وقد جمع الناظم في البيت بين تطابق الاسمين والحرفين، ومن المعجز في الأول قوله - عز اسمه - : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ [فاطر: ١٩-٢٠] وفي الثاني: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وفي العمدة: من الطباقي الحسن قول أعرابي: خرجنا حفاة حين انتعل كل شيء ظله، وما زادنا إلا التوكل، ولا مطايانا إلا الأرجل، حتى لحقنا بالقوم وقال آخر لصاحبه: إن يسار النفس أفضل من يسار المال، فإن لم ترزق غنى فلا تحرم تقوى، فرب شبعان من النعم، غرثان<sup>(٢)</sup> من الكرم، واعلم أن المؤمن على خير، ترحب به الأرض، وتبشر به السماء، ولن يساء إليه في بطنها، وقد أحسن على ظهرها اه<sup>(٣)</sup>.

وفي قوله: فلا أحد.. إلخ التقسيم؛ وهو استقصاء أقسام الشيء وكأنه أخذه من قول نصيب<sup>(٤)</sup>:

فقال فريق القوم: لا وفريقهم: نعم وفريق قال: ويحك لم أدر<sup>(٥)</sup>

(١) لم أجده في ديوان الشافعي، ونسبه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة للقاضي عياض، انظر المصنوع ص ١٤٠.

(٢) غرثان: الغرث: أسير الجوع وقيل: شدته وقيل: الجوع عامة (اللسان ٢/١٧٢).

(٣) العمدة ١/٥٧٩.

(٤) نصيب بن رباح: (. . . ١٠٨ هـ) أبو الحجناء عاش على الرق مع أبويه زماناً ثم قال الشعر فكتب على نفسه ثم رحل إلى عبد العزيز بن مروان فمدحه فاشتراه مع أهله ثم أعتقه كان شاعراً فحلاً فصيحاً جيد الكلام وله شيء من الحكمة والفخر، وغزله رقيق عفيف ثم تركه إلى المدح (تاريخ الأدب العربي ١/٦٢١).

(٥) البيت في الإيضاح ٢٠٦.

فقد قيل: إنه أفضل بيت وقع فيه التقسيم، وبما بيننا علم أن ليس قوله: لا ونعم من اللف والنشر المعكوس<sup>(١)</sup> كما قال شيخ الإسلام.

[٣٧] هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ لِكُلِّ هَوَالٍ مِنَ الْأَهْوَالِ مُقْتَحَمِ الْحَبِيبِ: بمعنى المحبوب، والمراد: محبوب لله، والقصر المستفاد من تعريف الخبر: إما باعتبار التسمية، أو بمراعاة معنى الكمال - كما سيظهر إن شاء الله - فلا يرد: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، وترجى - بالبناء للغائب -: من الرجاء - ممدوداً - وهو الأمل، في الصحاح<sup>(٢)</sup>: وقد يكون الرجاء بمعنى الخوف قال الله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]. أي لا تخافون عظمة، قال أبو ذؤيب:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وحالفها في بيت نوب عواسل<sup>(٣)</sup>  
والشفاعة في اللغة: الوسيلة، وعليه قول قيس بن الملوح:

ونبئت ليلي أرسلت بشفاعة إلي فهلا نفس ليلي شفيعتها<sup>(٤)</sup>  
وقريب من ذلك ما في العرف: أنها طلب الخير للغير. والهول: الفزع، مصدر هاله الشيء يهوله: إذا أفزعه، ومنه الهولة - بالضم - اسم لئار الحلف، في الصحاح<sup>(٥)</sup>: قال أبو عبيدة: كان في الجاهلية لكل قوم نار وعليها سدنة، فإذا وقع بين رجلين خصومة جاء إلى النار فيحلف عندها، وكان السدنة يطرحون فيها ملحاً من حيث لا يشعر، يهولون بها عليه قال أوس<sup>(٦)</sup>:

(١) اللف والنشر: هو ذكر متعدد على وجه التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد كل واحد إلى ما يليق به كقوله تعالى: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾ وقد يكون مرتباً وقد يكون غير مرتب (البلاغة العربية "بيان ويديح") ص ٣١١.

(٢) الصحاح ٤٧/١ (رجو).

(٣) ديوان أبي ذؤيب الهذلي ص ٢٠١.

(٤) ديوان المجنون ص ١٩٥ وبعده:

أأكرم من ليلي علي فتبتغي  
به الجاه أم كنت امرأ لا أطيعها

(٥) الصحاح ١٨٥٥/٥ (هول).

(٦) أوس بن حجر: (٩٨-٢ق هـ) التميمي أبو شريح شاعر تميم في الجاهلية أو من كبار =

إذا استقبلته الشمس صد بوجهه كما صد عن نار المهوّل حالف<sup>(١)</sup>  
ومن الأهوال: صفة، والحرف للتبعيض - كما قال ابن القصار<sup>(٢)</sup> - .  
ومقتحم: اسم مفعول من اقتحمت الشيء: إذا رميت نفسك فيه من غير روية،  
والمراد منه هنا لازمه، وهو الوقوع فيه بغتة بلا طيب نفس .

والمعنى: أن نبينا -عليه السلام- هو المحبوب لله الذي يرجو الخلائق  
شفاعته وطلبه الخير لهم من الله -عز اسمه- عند كل الأهوال والشدائد المفزعة  
أو لأجلها حيث تبغتهم ويُلجؤون للوقوع فيها، واختار صيغة المضارع في الصلة  
لقصد ما تشعر به من الاستمرار التجديدي، فيناسب العموم الشامل لأهوال الدنيا  
والآخرة. هذا، وقد طفحت الأحاديث بأنه -عليه السلام- حبيب الله، وأنها  
مرتبة تربو مرتبته التي شارك فيها الخليل -عليه السلام- .

روينا في الشفاء لأبي الفضل عياض -رحمه الله-: عن ابن عباس  
-رضي الله عنهما- قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه، قال:  
فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم: عجباً  
إن الله قد اتخذ إبراهيم من خلقه خليلاً، وقال آخر: ما ذا بأعجب من كلام  
موسى كلمه الله تكليماً، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم  
اصطفاه الله، فخرج عليهم رسول الله ﷺ وقال: قد سمعت كلامكم وعجبكم،  
إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وهو كذلك، وموسى نجى الله، وهو كذلك،

= شعرائها كان كثير الأشعار وأكثر إقامته عند عمرو بن هند في الحيرة عمر طويلاً ولم يدرك  
الإسلام في شعره حكمة ورقة كانت تميم تقدمه على سائر الشعراء العرب وكان غزلاً مغرمًا  
بالنساء (الأعلام ٢/ ٣١) .

(١) ديوان أوس بن حجر ص ٦٩، وقال شارحه: كانوا يحلفون بالنار وكانت لهم نار يقال إنها  
كانت بأشراف اليمن لها سدنة فإذا تفاقم الأمر بين القوم فحلف بها انقطع بينهم وكان اسمها  
هولة والمهولة وكان سادنها إذا أتى برجل هيبه من الحلف بها ولها قيم يطرح فيها الملح  
والكبريت فإذا وقع فيها استشاطت وتنقضت فيقول: هذه النار تهددتك فإذا كان مريباً نكل  
وإن كان بريئاً حلف .

(٢) ابن القصار: أظن أنه القصار كما وردت ترجمته في معجم المؤلفين ١١٧/٢ قال: القصار  
(كان حياً بعد ٧٩٠هـ) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأزدي التونسي نحوي مشارك من  
تصانيفه مختصر على البردة وشرح شواهد المقرب .

وعيسى روح الله، وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله، وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعني فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر»<sup>(١)</sup>.

وفيه من طريق عبد الله بن مسعود<sup>(٢)</sup>: «وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً»<sup>(٣)</sup>، وقد اضطربت الآراء في: أي المرتبتين أفضل؟ وموجب الشبهة اختصاصه عليه السلام بمرتبة المحبة وقد ظهر للذهن الكليل أن أبيضه بياناً شافياً منتزعاً من كلام أئمة الدين المذكور في كتاب الشفاء من غير تصريح بما عليه الانفصال فأقول أولاً: قد تقدم بيان المحبة بما لا مزيد عليه مما علمت به استحالتها على الذات العلية، وإن مثلها إن ورد في حقه منظور فيه إلى اللوازم .

ولذا قال القاضي أبو الفضل -رحمه الله-: محبة الله لعبده: تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئته لأسباب القرب وإفاضة رحمته عليه، وقصاؤها: كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر إليه ببصيرته، فيكون كما قال في الحديث: «إذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به»<sup>(٤)</sup>، ولا ينبغي أن يفهم من هذا سوى التجرد، والانقطاع إليه، والإعراض عن غيره، وشفاء القلب له، وإخلاص الحركات له. اهـ.

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٣٥٤٩ كتاب المناقب باب في فضل النبي ﷺ وقال الترمذي: حديث غريب).

(٢) عبد الله بن مسعود ( . . . ٣٢٢هـ) الهذلي أبو عبد الرحمن الصحابي من أكابرهم فضلاً وعقلاً وقرباً من رسول الله ﷺ وهو من أهل الكوفة ومن السابقين إلى الإسلام وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة وكان خادماً الرسول ﷺ الأمين وصاحب سره وولي بعد وفاة النبي ﷺ بيت مال الكوفة ثم قدم المدينة في خلافة عثمان فتوفي بها عن نحو ستين عاماً وكان قصيراً جداً له ٨٤٨ حديثاً (الأعلام ٤/١٣٧).

(٣) أخرج مسلم (رقم ٤٣٩١ كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر) عن عبد الله بن مسعود يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلاً».

(٤) في البخاري (٦٠٢١ كتاب الرقاق باب التواضع) «إذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها» .

وهو بيان لما تقدم في الحب من قول بعضهم: أوله يحبهم، وآخره يحبونه. ثم بعد هذا نقول: إن الخليل فعيل بمعنى فاعل، كعليم بمعنى عالم - كما صدر به القرطبي في تفسيره<sup>(١)</sup> - إما بمعنى الفقير المحتاج المنقطع إلى من احتاج إليه أخذاً من الخلة - بالفتح - وهي الحاجة، وعليه قول زهير<sup>(٢)</sup> يمدح هرم بن سنان<sup>(٣)</sup>:

وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول: لا غائب مالي ولا حرم<sup>(٤)</sup>  
ومن ثم قيل: سمي إبراهيم - عليه السلام - خليلاً؛ لانقطاعه باحتياجه إلى الله تعالى مخلصاً لما أريد أن يرمى في النار، روي أنه لما رمي بالمنجنيق وصار في الهواء أتاه جبريل - عليه السلام - وقال له: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا<sup>(٥)</sup>، وعليه: فخله الله له نصرته إياه لما انقطع إليه.

وهذا المعنى ثابت لنبينا - عليه الصلاة والسلام - بلا ريب، وعليه يحمل حديث: «لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي، لاتخذت أبا بكر خليلاً»<sup>(٦)</sup> فلا ينافيه

(١) تفسير القرطبي ٣٩٩/٥ .

(٢) زهير بن أبي سلمى ( . . . - ١٣٠ ق هـ) المزني من مضر حكيم الشعراء في الجاهلية وفي أئمة الأدب من يفضل على شعراء العرب كافة، كان أبوه وخاله وأخته وابناه شعراء ولد في مزينة بنواحي المدينة وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد) وهو من أصحاب المعلقات (الأعلام ٥٢/٣).

(٣) هرم بن سنان ( . . . - نحو ١٥ ق هـ) المري من أجواد العرب في الجاهلية يضرب به المثل وهو ممدوح زهير اشتهر هو وابن عمه الحارث بن عوف بدخولهما في الإصلاح بين عيس وذبيان ومات هرم قبل الإسلام في رزاء وهو متوجه إلى النعمان (الأعلام ٨٢/٨).

(٤) ديوان زهير ١٠٥ .

(٥) قصص الأنبياء ١٢٧ وفي الشفا ٢٦٥ وفي الحلية لأبي نعيم ٢٠/١ .

(٦) أخرج الترمذي (رقم ٣٧٥٥ كتاب المناقب باب مناقب أسامة بن زيد) عن أسامة بن زيد قال كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ جاء علي والعباس يستأذنان فقالا: يا أسامة استأذن لنا على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله علي والعباس يستأذنان فقال: أتدري ما جاء بهما؟ قلت: لا أدري فقال النبي ﷺ: لكني أدري فأذن لهما فدخلا فقالا: يا رسول الله جئناك نسألك: أي أهلك أحب إليك؟ قال: فاطمة بنت محمد فقالا: ما جئناك نسألك عن أهلك قال: أحب أهلي إلي من قد أنعم الله عليه وأنعمت عليه أسامة بن زيد قالا: ثم من؟ قال: ثم علي بن =

ثبوت محبته - عليه السلام - لفاطمة<sup>(١)</sup> وغيرها - كما قيل - ومزية مرتبة المحبوبة على هذه المرتبة غنية عن البيان، وإما بمعنى المخلص في وده أخذاً من الخلة - بالضم - بمعنى صفاء المودة وإخلاصها، وهو ما صرح به بشار في قوله:

قد تخللت مسلك الروح مني      وإذا ما سكت كنت الغليلا<sup>(٢)</sup>  
 فإذا ما نطقت كنت حديثي      وعليه قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِي يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] وقوله - عز اسمه -: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الزخرف: ٦٧] وعلى هذا فالفرق بين المرتبتين هو الفرق بين مرتبتي المحب والمحبوب فاعتبر ما بينهما من البون الذي أدركه من قال:

= أبي طالب قال العباس: يا رسول الله جعلت عمك آخرهم قال: لأن علياً قد سبقك بالهجرة. قال الترمذي: هذا حديث حسن

(١) فاطمة الزهراء بنت محمد ﷺ (١٨ ق . هـ ١١هـ) الهاشمية القرشية من نابهات قريش وإحدى الفصيحات العاقلات تزوجها علي في الثامنة عشر من عمرها وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب وعاشت بعد أبيها ستة أشهر وهي أول من جعل له النعش في الإسلام عملته له أسماء بنت عميس ولفاطمة ١٨ حديثاً (الأعلام ١٣٢/٥).

(٢) ديوان بشار ١٣٩/٤ وبعده:

فإذا نطقت كنت حديثي      وإذا ما سكت كنت الغليلا  
 ويقول شارح ديوان بشار: محمد الطاهر بن عاشور -حفيد الشارح-: في (لذا سمي الخليل خليلاً) معنى دقيق جميل وهو التوفيق بين مواد الاشتقاق ومقاصد العشاق وهذا أول شاعر بلغنا في تحليل الموضوعات اللغوية بالمعاني الغرامية وتبعه أبو تمام (في ديوانه ٢/٢٤٥) في قوله:  
 لا تنسين تلك العهود فإنما      سميت إنساناً لأنك ناس  
 ومن نحو قول الآخر:

وما سمي الإنسان إلا لأنسه      ولا القلب إلا أنه يتقلب  
 ومن محاسنه قول أبي الطيب (في ديوانه ٣/٢٥٢):

ولذا اسم العيون جفونها      من أنها عمل السيوف عوامل  
 ومنه قول المعري:

لا تجلسن حرة مُوقفة      مع ابن زوج لها ولا ختن  
 فذاك خير لها وأسلم      للإنسان إن الفتى من الفتن

فيا ليت قاضي الحب يحكم بيننا وداعي الهوى لما دعاني دعاكم<sup>(١)</sup> ولاحظ لازمه في جانب من استحيل عليه الحقيقة - جل ثناؤه - وهذا ما أراد من قال - كما في الشفاء - :<sup>(٢)</sup> الخليل : يصل بالواسطة لقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ٧٥] والحبیب : يصل إليه به لقوله : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ [النجم: ٩] . وقول من قال : الخليل قال : ﴿ وَلَا تُخْزِنِي ﴾ [الشعراء: ٨٧] والحبیب قيل له : ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ ﴾ [التحریم: ٨] فابتدأ بالبشارة قبل السؤال ، والخليل قال في المحنة : «حسبي الله»<sup>(٣)</sup> والحبیب قيل له : ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ ﴾ [الأنفال: ٦٤] والخليل قال : ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٨٤] والحبیب قيل له : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤] أعطي بلا سؤال ، والخليل قال : ﴿ وَأَجْتَبِنِي وَبَيِّنْ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] والحبیب قيل له : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] اهـ . وإذا ذقت لطافة ﴿ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [الضحى: ٥] وحديث : «لولا أن الحبیب يحب معاتبه حبيبه ما حاسبت أمتك سرأ ولا جهراً»<sup>(٤)</sup> اتضح لك منار ذلك المقام ، وإذا كنت على يقين مما أريناك ، ونبغت في الأدب وحدائق البلاغة أدركت ما في الحديث السابق عن ابن عباس من المرتبة البلاغية المعلنة بصدق قوله عليه السلام : «أنا أفصح العرب»<sup>(٥)</sup> حيث جمع فيه مزايا خصه الله بها امتناناً منه وفضلاً معلنة بما لديه من شديد المكانة

(١) البيت لأبي مدين التلمساني .

(٢) الشفا ٢٦٨ .

(٣) أخرج البخاري (رقم ١٩٨ كتاب تفسير القرآن باب : ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ ) عن ابن عباس قال : كان آخر قول إبراهيم حين ألقى في النار : حسبي الله ونعم الوكيل .

(٤) لم أجد الحديث فيما بين يدي من المراجع .

(٥) قال العجلوني في كشف الخفا ١/ ٢٠١ رقم ٦٠٩ : ومثله - ومثل حديث : «أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش» : معناه صحيح لكن لا أصل له - «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش» : أورده أصحاب الغرائب ولا يعلم من أخرجه ولا إسناده ا . هـ وانظر أخبار فصاحته ﷺ في سبل الهدى والرشاد ٢/ ١٢٨ .



بانياً له على أنه حبيب الله وإن كان خليله كما في غير ذلك الحديث<sup>(١)</sup>. وتبين لك حسن وصف الحبيب بالذي ترجى شفاعته في كلام الناظم اغترافاً من بحر بلاغة الحديث وإن الأولى نسج: هو الحبيب. . إلخ على منوال: هو البطل المحامي فلا قصر، وإن راعيته فإما باعتبار التسمية وهو بعيد، وإما باعتبار قصر الجنس مراعاة لكماله فيه، وإما باعتبار الوصف وعموم الشفاعة، فإنها وإن ورد النص بثبوتها لغيره-عليه السلام<sup>(٢)</sup>- لكن لا على وجه الاستغراق لكل مفزع، وأنت تعلم الخلاف في الشفاعة وإنكار المعتزلة لها<sup>(٣)</sup>، وإن لبينا-عليه الصلاة

(١) أخرج البخاري (كتاب الصلاة باب الخوخة في الممر في المسجد رقم ٤٤٦)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور رقم ٨٢٧): «لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً إن صاحبكم خليل الله». وأخرج الترمذي (كتاب المناقب باب في فضل النبي ﷺ رقم ٣٥٤٩) «ألا وأنا حبيب الله ولا فخر» وقال: حديث غريب.

(٢) الشفعاء غير النبي ﷺ هم: الملائكة والأنبياء والمؤمنون والشهداء والعلماء والصيام والقرآن والأطفال الذين ماتوا دون سن البلوغ: أخرج البخاري (كتاب التوحيد باب قول الله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ رقم ٦٨٨٥، ومسلم (كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية رقم ٢٦٩) أن النبي ﷺ قال: «شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين». وأخرج الترمذي (كتاب فضائل الجهاد باب ثواب الشهيد رقم ١٥٨٦) أن النبي ﷺ قال: «يشفع (الشهيد) في سبعين إنساناً من أقاربه» قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب. وأخرج ابن ماجه (كتاب الزهد باب ذكر الشفاعة رقم ٤٣٠٤) عن عثمان أن النبي ﷺ قال: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء». وأخرج أحمد رقم ٦٣٣٧ أن النبي ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصائم أي رب منعتني الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ويقول القرآن: منعه النوم بالليل فشفعني فيه» (انظر كتاب الشفاعة عند أهل السنة ٦٢-٦٨).

(٣) ذكرت الشفاعة في القرآن: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ وأحاديث الشفاعة متواترة وقام الإجماع على ثبوتها لكن الخوارج والمعتزلة أنكروها قال القاضي عبد الجبار في شرح الأصول الخمسة: دلت الدلالة على أن العقوبة تستحق على طريق الدوام فكيف يخرج الفاسق من النار بشفاعة النبي ﷺ لآية: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [ص: ٨٥] ويذكر الخوارج أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار واستدلوا ب: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كِتَابُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ [الزمر ١٩] وقوله: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَدِّيًا فَجَزَاءُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣] وقوله ﴿فَمَا تَتَعَوَّذُ شَفَعَةَ الشَّفِيعِينَ﴾ [المدثر: =

والسلام- شفاعات: أعمها شفاعة الموقف لتعجيل الحساب، وإن شئت استيفاء أقسامها وما ورد فيها من الأحاديث، فعليك بالباب الثالث من القسم الأول من كتاب الشفاء<sup>(١)</sup>.

[٣٨] دَعَا إِلَى اللَّهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْفَصِمٍ بيان لرسالته -عليه السلام-. وأصل الدعاء: النداء وطلب الإقبال، استعمل في تبليغ الرسالة والأمر بامثال الأوامر واجتناب النواهي، لما فيه من طلب الإقبال من المدعو على المدعو إليه. وإلى الله: على حذف المضاف أي دين الله، وهو الإسلام. والفاء: للتفريع. والمستمسكون: من استمسك بالشيء فأمسك به، وتمسك به، وامتسك به: اعتصم به. ومنفصم: من فصمت الشيء: كسرته من غير أن تُبينَ أجزاءه، وأما القسم فهو الكسر مع البيونة، ومن ثم اختار الأول المصنف؛ لأن نفيه يستلزم نفي الثاني دون العكس.

والمعنى: أنه -عليه الصلاة والسلام- لما بعثه الله تعالى دعا كل أحد إلى دين الله فمن أجابه وتمسك به واتبعه كان كالمتمسك بحبل متين لكونه داعياً إلى الله. ومأخذ هذا قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب ٤٥-٤٦] وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وفي تعليق الدعاء بعنوان لفظ الجلالة الدال على صفتي الجلال والجمال

= [٤٨] ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨] لكن الذي عليه الجمهور أن المراد في كل ذلك الكفار أو مستحل الذنب أما المؤمن والفاسق فداخلان في الشفاعات (انظر كتاب الشفاعات عند أهل السنة ص ١٠٩).

(١) الشفا ٢٧٨ قال القاضي: اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه الآثار أن شفاعته ﷺ والمقام المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لإراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من أمته إلى الجنة ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم ثم فيمن قال: لا إله إلا الله وليس هذا لسواه ﷺ.

إيماء إلى أن دعاءه ما بين ترغيب وترهيب، وذلك مضمون البشارة والندارة، وفي مادة الدعاء ترجيح جانب الترغيب، ويؤيده ما ورد في الحديث: «مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثلي رجل بنى داراً وصنع مائدة وأمر داعياً يدعو الناس إلى تلك الدار فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المائدة ومن لا فلا»<sup>(١)</sup> وحذف المفعول في البيت اقتداء بالنظم القرآني<sup>(٢)</sup>، للدلالة على العموم فيفيد عموم رسالته لكل أحد من الجن والإنس، وهو الواجب اعتقاده، وإنكار اليهود والنصارى ذلك، وزعمهم التخصيص بالعرب فرط بلادة، ضربت عليهم أينما ثقفوا<sup>(٣)</sup>، وقوله في الآية: ﴿يَاذُنَهُ﴾ إشارة إلى ما صرح فيه بالأمر بذلك من الآي كقوله تعالى وهو أول آية في الرسالة<sup>(٤)</sup>: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١-٢] الآية، قال أبو القاسم السهيلي في الروض الأنف: قال بعض أهل العلم في تسميته إياه بالمدثر: في هذا المقام ملاطفة وتأنيس، ومن عادة العرب إذا قصدت الملاطفة أن تسمي المخاطب باسم مشتق من الحالة التي هو فيها، كقول النبي ﷺ لحذيفة: «قم يا نومان»<sup>(٥)</sup> وقوله لعلي بن أبي طالب وقد

(١) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ) بلفظ: «ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المائدة».

(٢) أي قوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ [الأحزاب ٤٦].

(٣) وهو تصديق لما حذر الله من الوقوع فيه بصريح القرآن قال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١٥٥) أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفِيلِينَ﴾ [الأنعام ١٥٥-١٥٦].

(٤) بناء على قول القرافي المتقدم.

(٥) أخرج مسلم (كتاب الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب) عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: كنا عند حذيفة فقال رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر فقال رسول الله ﷺ: ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة فسكتنا فلم يجبه منا أحد ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة فسكتنا فلم يجبه منا أحد ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة فسكتنا فلم يجبه منا أحد فقال: قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم فلم أجد بدأ إذ دعاني باسمي أن أقوم قال: اذهب فأتني بخبر القوم ولا =

ترب جنبه: «قم أبا تراب»<sup>(١)</sup> فلو ناداه سبحانه، وهو في تلك الحال من الكرب، باسمه أو بالأمر المجرد من هذه الملاطفة لهاله ذلك، ولما بدأه بـ ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْرُ﴾ علم أن ربه راضٍ عنه، فإن قيل: كيف ينتظم: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْرُ﴾ ﴿فَرَّ فَالْدِرُّ﴾، وما الرابط بين المعنيين حتى يلتصقا في قانون البلاغة؟ قلنا: من صفته - عليه السلام - ما وصف به نفسه حين قال: «أنا النذير العريان»<sup>(٢)</sup> وهو مثل معروف عند العرب<sup>(٣)</sup> يقال لمن أُنذر بقرب العدو، وبالغ في الإنذار، هو النذير العريان،

= تذعرهم علي فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهماً في كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله ﷺ ولا تذعرهم علي ولو رميته لأصبته فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت قررت فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عبادة كانت عليه يصلي فيها فلم أزل نائماً حتى أصبحت فلما أصبحت قال: قم يا نومان .

(١) أخرج البخاري (كتاب الصلاة باب نوم الرجل في المسجد رقم ٤٢٢) عن سهل بن سعد قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة فلم يجد علياً في البيت فقال: أين ابن عمك؟ قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقل عندي فقال رسول الله ﷺ لإنسان: انظر أين هو؟ فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقد فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب فجعل رسول الله ﷺ يمسه عنه ويقول: «قم أبا تراب قم أبا تراب» .

(٢) أخرج البخاري (رقم ٦٠٠١ كتاب الرقاق باب الانتهاء من المعاصي) ومسلم (كتاب الفضائل باب شفقتة على أمته رقم ٤٢٣٣) عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل ما بعثني الله كمثلي رجل أتى قوماً فقال: رأيت الجيش بعيني واني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعته طائفة فأدلجوا على مهلم فنجوا وكذبت طائفة فصبحهم الجيش فاجتاحهم» .

(٣) قال ابن حجر: (فتح الباري ١١/٣١٦): قال ابن بطلال: النذير العريان: رجل من خثعم حمل عليه رجل يوم ذي الخلفة فقطع يده ويد امرأته فانصرف إلى قومه فحذرهم فضرب به المثل في تحقيق الخبر . قلت (ابن حجر): وسبق إلى ذلك يعقوب ابن السكيت وغيره، وسمى الذي حمل عليه عوف بن عامر اليشكري، وأن المرأة كانت من بني كنانة . وتعقب باستبعاد تنزيل هذه القصة على لفظ الحديث، لأنه ليس فيها أنه كان عرياناً . وزعم ابن الكلبي أن النذير العريان امرأة من بني عامر بن كعب لما قتل المنذر بن ماء السماء أولاد أبي داود وكان جار المنذر خشيت على قومها فركبت جملاً ولحقت بهم وقالت: أنا النذير العريان . ويقال: أول من قاله أبرهة الحبشي لما أصابته الرمية بتهمته ورجع إلى اليمن، وقد سقط لحمه، وذكر أبو بشر الأمدي أن زنبيراً بن عمرو الخثعمي كان ناكحاً في آل زبيد، فأرادوا أن يغروا قومه وخشوا أن يندز بهم فحرسه أربعة نفر، فصادف منهم غرة فقذف =

وذلك أن النذير الجاد يجرد ثوبه ويشير به إذا خاف أن يسبق العدو صوته، وقد قيل: إن أصل المثل لرجل من خثعم، سلب العدو ثوبه، وقطعوا يده، فانطلق إلى قومه نذيراً على تلك الحال، فقوله - عليه السلام - أنا النذير العريان، أي مثلي مثل ذلك، والتدثر بالثياب: مضاد للتعري، فكان في قوله: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ﴾ مع قوله: ﴿قُرْ فَأَنْذِرْ﴾ تشاكل بين، والتتام بديع، وسمانة في المعنى، وجزالة في اللفظ.

[٣٩] فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خُلُقٍ وَفِي خُلُقٍ وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ

فاق الرجل أصحابه يفوقهم فوقاً وفوقاً: أي علاهم بالشرف - كذا في القاموس<sup>(١)</sup> - والخلق في الأصل: التطوير، ويطلق على النشأة، والمراد به هنا: الهيئة التي عليها نشأت الذات. والخُلق - بضم تين - : السجية والطبيعة كالخليقة. والمدانة: المقاربة. والعلم: المعرفة. والكرم: السخاء والجود. وفي المعارج: الكرم فينا: ملكة فطرية تحمل صاحبها على البذل في غير مقابلة ومجازاة، وله مراتب ترجع إلى صفاء تلك الملكة وكدورتها اه.

والمعنى: أنه - عليه الصلاة والسلام - فاق جميع النبيين في المحاسن الذاتية،

= ثيابه وعدا وكان من أشد الناس عدواً فأندر قومه . وقال غيره: الأصل فيه أن رجلاً لقي جيشاً فسلبوه وأسرروه فانفلت إلى قومه فقال: إني رأيت الجيش فسلبوني، فأروه عرياناً فتحققوا صدقه، لأنهم كانوا يعرفونه ولا يتهمونه في النصيحة ولا جرت عادته بالتعري، فقطعوا بصدقه لهذه القرائن، فضرب النبي ﷺ لنفسه ولما جاء به مثلاً بذلك لما أبداه من الخوارق والمعجزات الدالة على القطع بصدقه تقريباً لأفهام المخاطبين بما يألفونه ويعرفونه . قلت: ويؤيده ما أخرجه الرامهرمزي في " الأمثال " وهو عند أحمد أيضاً بسند جيد من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: " خرج النبي ﷺ ذات يوم فنأدى ثلاث مرات: أيها الناس مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدواً أن يأتيهم فبعثوا رجلاً يترأى لهم، فبينما هم كذلك إذ أبصر العدو فأقبل لينذر قومه فخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه فأهوى بثوبه أيها الناس أتيتم ثلاث مرات " . وأحسن ما فسر به الحديث من الحديث، وهذا كله يدل على أن العريان من التعري وهو المعروف في الرواية، وحكى الخطابي أن محمد بن خالد رواه بالموحدة (بالباء) قال: فإن كان محفوظاً فمعناه الفصيح بالإنذار لا يكني ولا يوري، يقال: رجل عريان أي فصيح اللسان .

(١) القاموس ١١٨٧ (فوق).

وفي جميع الأخلاق الطبيعية أخذاً من عموم النكرة في الإثبات بقريظة المقام نحو: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾<sup>(١)</sup> [التكوير: ١٤] - كما نص عليه الأصوليون - وهذا إجمال خلقه وخُلِّقه لتعذر تفصيله، كما سيقول: أعياء الوري . . إلخ، ويتعرض للنزر في قوله: أكرم بخلق نبي . . الأبيات ولم يقاربوه في صفتي العلم والكرم، وهذا كاستثناء مما يقتضيه العلو من قرب المسافة، فبني على أنهم لم يقاربوه في هاتين الصفتين؟ كيف وأن من جوده الدنيا وضرتها ومن علومه علم اللوح والقلم .

وفي الحديث: «علم أمرني بتبليغه وعلم أمرني بكتمانه»<sup>(٢)</sup> يريد بالأول: علم الشريعة، وبالثاني: علم سر الربوبية، ومن ثم حكم مشيخة التصوف: بأن إفشاء سر الربوبية كفر، - كذا في المعارج - والعلم في الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - طبيعة فطرية - كما قال القاضي في الشفاء - أودعوا العلم والحكمة في الفطرة، قال تعالى: ﴿وَأَيُّنَّهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]، ومن تتبع سيرهم وقصصهم علم ذلك يقيناً<sup>(٣)</sup>. هذا، وشواهد حسن خلقه ﷺ متكاثرة،

(١) قال النسفي (تفسير النسفي ٣/ ٦١٠) إشارة إلى هذا الأمر: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ أي كل نفس برة وفاجرة .

(٢) لم أجد الحديث وإنما أخرج البخاري (رقم ١١٧، كتاب العلم باب حفظ العلم) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين: فأما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم» قال ابن حجر: حمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم، وقد كان أبو هريرة يكتفي عن بعضه ولا يصرح به خوفاً على نفسه منهم، كقوله: أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية، لأنها كانت سنة ستين من الهجرة . واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها بسنة . قال ابن المنير: جعل الباطنية هذا الحديث ذريعة إلى تصحيح باطلهم حيث اعتقدوا أن للشريعة ظاهراً وباطناً، وذلك الباطن إنما حاصله الانحلال من الدين . قال: وإنما أراد أبو هريرة بقوله: "قطع" أي قطع أهل الجور رأسه إذا سمعوا عيبه لفعالهم وتضليله لسعيهم، ويؤيد ذلك أن الأحاديث المكتوبة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعه كتمانها لما ذكر في الحديث من ذم من كتم العلم . وقال غيره: يحتمل أن يكون أراد مع الصنف المذكور ما يتعلق بأشراط الساعة وتغيير الأحوال والملاحم في آخر الزمان، فينكر ذلك من لم يألفه، ويعترض عليه من لا شعوره له .

(٣) قال تعالى عن إبراهيم: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم﴾، وقال عن يوسف: ﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ .

منها ما في الشفاء<sup>(١)</sup> عن علي -كرم الله وجهه-: «من رآه بديهة هابه، ومن رآه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ»<sup>(٢)</sup>. وشواهد حسن خلقه كذلك، وكفى شهادة قوله -عز اسمه-: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٦٨]، وعن عائشة: «كان خلقه القرآن»<sup>(٣)</sup>. انظر شرحه من شرح الشهاب على الشفاء، وقد تضمن كلام الناظم أنه ﷺ فاق جميع الخلق فيما ذكر لكونه فاق الأحسن، كما في حديث أنس: «ما بعث الله نبياً إلا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم أحسنهم وجهاً وأحسنهم صوتاً»<sup>(٤)</sup> ومن ثم قال الناظم في آخر النظم: يا أكرم الخلق.. إلخ.

[٤٠] وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمَسٌ      غَرْفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدَّيْمِ

الالتماس: الطلب، وفي المشهور: بشرط موافقة المطلوب. والغرف: مصدر غرفت الماء بيدي إذا تناولته بها. والبحر: معروف، سمي به لعمقه واتساعه، وجمعه أبحر وبحار وبحور. والرشف: مصدر رشفه يرشفه -بضم الشين وكسرهما- إذا امتصه، والمرشف: المرأة الطيبة الفم. والديم: جمع ديمة، وهي المطر ليس فيه رعد ولا برق، يدوم يوماً وليلة<sup>(٥)</sup>، وانتصاب غرفاً ورشفاً على المفعولية لملتمس، والمعنى على التشبيه أي شيئاً قليلاً، كالغرف من البحر أو الرشف من الديم، وكل من الظرفين لغو، والتخريج على الاستعارة أو التشبيه البليغ بحذف الأداة على طريقتي السعد والجمهور، وأو: للتشكك تنبيهاً على

(١) الشفا ١٠٤ .

(٢) أخرجه الترمذي (رقم ٣٥٧٠، كتاب المناقب، باب ما جاء في صفة النبي ﷺ وناعته): وواصفه هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال الترمذي: حديث حسن صحيح وأخرجه أحمد رقم ٧٠٨ عن علي، والنسائي عن البراء (رقم ٥٢١٩ كتاب الزينة باب لبس الحلل).

(٣) أخرجه أحمد عن عائشة رقم (٢٣٤٦٠).

(٤) أخرجه الترمذي في الشمائل ١٥٤ وهو مرسل ضعيف.

(٥) قال أبو منصور: إذا أحيأ الأرض بعد موتها فهو الحياء فإذا جاء عقيب المحل أو عند الحاجة إليه فهو الغيث فإذا دام مع سكون فهو الديمة والضرب فوق ذلك كثيراً والهطل فوقه فإذا زاد فهو الهتلان والتهتان.. إلخ (فقه اللغة ٢٥٠).

المبالغة في القلة - كما هو شائع عند قصد المبالغة في الأوصاف - ومن جيده قول ابن خميس التلمساني:

نظرت إليك بمثل عيني جوذر وتبسمت عن مثل سمطي جوهر  
عن ناصع كالدر أو كالبرق أو كالطلع أو كالأقحوان مؤشراً<sup>(١)</sup>

والمعنى: أن جميع الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ملتسمون من بحر معارفه ﷺ شيئاً بالغاً في القلة مبلغ الغرفة من البحر أو الرشفة من الدير، ومن البين أن الالتماس المذكور نوراني؛ لأنه في المعارف والعلوم التي هي أنوار، وحينئذ كان معنى التماسها اتصال أشعتها بالملتسم كما سيقول: فإنه شمس فضل هم كواكبها. . إلخ، والتشبيه بما ذكر: إنما هو لبيان غاية القلة تثبيتاً للمعقول بالمحسوس، فلا يرد عليه أنه يقتضي نقصان معارفه بقدر ما التمسوا بخلاف البيت الآتي، على أن لك أن تجعل من في الطرفين متعلقة بحال مقدرة أي منسوباً من البحر، ومنسوباً من الدير، مثلها في حديث: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»<sup>(٢)</sup> ويكون المعنى أن ما التمسوه من أنواره بمثابة الغرفة منسوبة إلى البحر، والرشفة منسوبة إلى الدير، فلا يرد ما ذكر أصلاً.

[٤١] ووَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمْ مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكْمِ  
واقفون: خبر ثان روعي فيه المعنى، كما روعي في ملتسم اللفظ<sup>(٣)</sup>.  
ولدى: بمعنى عند إلا أنها تختص بالحضور<sup>(٤)</sup>. والحد: المنتهى. ومن: بيانية،

(١) جوذر: ولد البقرة وفي الصحاح: البقرة الوحشية (اللسان ٤/١٢٤). سمطي: السمط: الخيط ما دام فيه الخرز وإلا فهو سلك وإذا كانت القلادة ذات نظمين فهي ذات سمطين (اللسان: ٣٢٢/٧).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٤٤١٨ كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي)، ولفظ البخاري: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى» (رقم ٣٤٣٠ كتاب المناقب باب مناقب علي رضي الله عنه).

(٣) كلمة كل: معناها جمع، ولفظها مفرد، فراعى المعنى فجمع (واقفون)، وراعى اللفظ فأفرد (ملتسم).

(٤) قال فضيلة استاذنا محمد علي حمد الله في حاشية كتاب البردة إعراباً ٦٣: هذا الظرف معرب عند كل من الرضي والعليمي وابن هشام، ومبني عند ابن يعيش ونحن نفضل البناء فراراً من الإشكال في إعرابه عند إضافته إلى ضمير كما في البيت فلو كان معرباً لوجب فتح الباء.



مشوبة بتبعض. والنقطة: عند الحكماء: عرض لا ينقسم بوجه، وهو نهاية الخط المنقسم طولاً، وهو نهاية السطح المنقسم طولاً وعرضاً، وهو نهاية الجسم التعليمي المنقسم عمقاً أيضاً. والشكلة: ما يتميز به حال النطق بالحرف. والحكم: جمع حكمة وهي: إتقان علم الشيء، ومن ثم قيل في قوله - عز اسمه -: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩] إنها: العلم النافع والإصابة في الأمور. وقيل: الفقه والعمل به<sup>(١)</sup>. والإضافة من إضافة المشبه به إلى المشبه أي علم كالنقطة، وحكم كالشكلة، ووجه الشبه في الأول: أن العلم البشري متحد المأل، من حيث إن المقصد الحقيقي منه: المعرفة بالله - جل ثناؤه - فجميع العلوم وسائلها ومقاصدها راجعة إليها، وهي جهة وحدتها، وقصور النظر من الغالب أوجب التعدد في المقاصد بناء على الظاهر، ومن ثم قيل: العلم نقطة كثرها الجاهلون. ووجه الشبه في الثاني: أن الشكلة في الحرف بها يعرف حاله ويندفع إشكاله، وفيه إتقان للمقصود منه، والحكمة - كما تقدم - : إتقان العلم فتناسبا، وأو للتقسيم.

والمعنى: أن جميع الأنبياء - عليهم السلام - واقفون في حضرته الأولية - عليه الصلاة والسلام - عند ما حد لهم من العلم والحكم. وبما قررناه علم أنه لا حاجة لبديلية عند من لدى مع فساده - كما لا يخفى - ، ولا لما قيل في معنى البيت. هذا وأصل معنى البيتين ما روي عن أبي سلمة<sup>(٢)</sup> عن أبي هريرة

(١) قال القرطبي ١٤ / ٦١ : " الحكمة هي الصواب في المعتقدات والفقه في الدين والعقل . وقال ٣ / ٣٣١ : " أصل الحكمة ما يمتنع به السفه ، قال ابن عباس : هي المعرفة بالقرآن فقهه ونسخه ومحكمه . وقال قتادة ومجاهد هي : الفقه في القرآن ، وقال مجاهد : هي الإصابة في القول والفعل ، وقال ابن زيد : هي العقل في الدين " في كتاب التصوف وأثره في الأخلاق لفضيلة أستاذنا وشيخنا الدكتور أحمد عيسى محمد ص ٢٦٨ الحكمة : هي أن تعرف المعقولات أيها يجب أن تُفعل وأيها يجب أن تُغفل .

(٢) أبو سلمة هو عبد الله بن عبد الأسد المخزومي من السابقين الأولين إلى الإسلام قال ابن إسحاق : أسلم بعد عشرة أنفس وكان أحاً للنبي ﷺ من الرضاعة وتزوج أم سلمة ثم صارت إلى النبي ﷺ مات بالمدينة بعد أن رجعوا بعد أحد وكان أول من هاجر إلى المدينة (الإصابة رقم ٤٧٨٦ ، ٤ / ١٥٣) .

رضي الله عنه قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»<sup>(١)</sup>.

ومثله ما روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عنه ﷺ: «لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض، وجعلني في صلب نوح في السفينة، وقذف بي في النار في صلب إبراهيم، ثم لم يزل ينقلني من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، حتى أخرجني بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط»<sup>(٢)</sup>. وإلى هذا المعنى أشار عمه العباس بقوله:

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق  
ثم هبطت البلاد لابشر أنت ولا مضغة ولا علق  
تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق<sup>(٣)</sup>

وتفصيله ما ذكره لطف الله في المعراج الثالث: أنه اشتهر ما بين الخاص والعام أن أول ما خلق الله نور محمد ﷺ أخذاً من حديث: «أول ما خلق الله العقل»<sup>(٤)</sup>، فإن الشيء الواحد قد يسمى بأسماء متعددة باعتبارات، وإن ذلك النور تجزأ فبسط منه العوالم كلها، وفي بعض الآثار: أن الله أودع نوره في آدم ثم في حواء ثم في آمنة بنت وهب. وقد اتفق على الأولى الصوفية والمشرعون والفلاسفة قالوا: إن الصادر عن الحق تعالى قبل خلق كل شيء من عالم الأمر والتكوين نور بسيط مجرد يعبر عنه بالعقل الأول والعقل الكل والروح الكل

(١) أخرجه الترمذي (كتاب المناقب باب في فضل النبي ﷺ رقم ٣٥٤٢) وقال: حديث حسن صحيح غريب، ورواه أحمد رقم ١٦٠٢٨.

(٢) الحديث في الشفا ١٢٧ وقال محققه: أخرجه ابن أبي عمير العديني في مسنده، وقد تقدم ص ٢١٠.

(٣) الأبيات في المستدرک ٣/٣٦٩ رقم ٥٤١٧، في الشفا ٢١٦ وزاد عليها:

بل نطفة تتركب السفين وقد أجم نسرأ وأهله الفرق  
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق  
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفق  
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

(٤) قال العجلوني في كشف الخفا ١/٢٦٣: قال الصغاني: موضوع بانفاق.

والقلم الأعلى والدرة البيضاء وغير ذلك . . ونعته الصوفية بنعوت بديعة قالوا: إنه -تقدس وتعالى- لما أراد أن يكشف عن كمالاته الأزلية بالوجود التفصيلي أوجد ذلك النور البسيط، وأودع فيه جميع كمالاته التي كانت كنزاً مخفياً<sup>(١)</sup>، وأدرج فيه جميع ما يكون في العالم ومخلوقاته، بحيث لم يشذ عنه فرد من الأزل إلى الأبد، فكأنه في المثال صورة علمه القديم تمثلت به فقامت بذاتها ولم يفته إلا الوجوب والغنى الذاتيان والوحدة الذاتية، بمعنى أن هذه الثلاثة لم يمكن تمثلها في سوى ذات الحق تعالى كما أمكن غيرها من الكمالات وسموا ذلك النور حقيقة محمدية، ويعتقدون أن ذلك النور أول مرتبة من عالم الأمر وأكملها وأعظمها، وإن منه وجود العوالم كلها على مراتبها، وما ورد في الآثار مما يقتضي تجزي ذلك النور المنافي لبساطته كما قرروا محمول على صحة نقله، وكونه وارداً على مدلوله على ما يحال أمره إلى العليم الخبير، ولذا لم يذهب أحد من الطوائف التي إليها انتهى علم البشر بعد الأنبياء إلى ذلك، وذلك لأن التجزئة من خواص المقدار وهو بالجسم ولم يكن في عالم الأمر جسم ولا جسماني بمقتضى الكشف الصحيح عند الصوفية والإشراق بالتصفية عند الإشراقيين والأدلة العقلية عند الحكماء، وإنما ظهور ذلك العالم من ذلك الجوهر النوري المجرد بنسبة سببية خفية ليس له شبيه في عالم الخلق حتى يتوسل به إلى فهمه، فإن قلت: كيف ذلك وقد قام ﷺ في صورة البشر بلوازمه وخواصه؟ قلت: قد ثبت في كشف المحققين أن النفوس الكاملة لا تقيد بموطن ولا تغيب عن حضرة ولا تحجب بشيء، والحقيقة المحمدية أكملها وأقربها إلى الحضرة الأحدية، وبها ظهورات بحسب المواطن وطوالع بحسب الآفاق، كما كانت تنقل من ظهر إلى آخر ومن جهة إلى أخرى وليست في ذلك كله بمتجزئة

(١) إشارة إلى ما يروى: «كنت كنزاً لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً فعرفتهم بي فعرفوني» قال العجلوني ١٣٢/٢: قال ابن تيمية: ليس من كلام النبي ﷺ ولا يُعرف له سند صحيح ولا ضعيف وتبعه الزركشي وابن حجر في اللآلئ والسيوطي وقال القاري: معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ أي ليعرفوني كما فسره ابن عباس .

ولا منتقصة، ولذا صح عنه قوله عليه السلام: «كنت نبياً..»<sup>(١)</sup> الحديث؛ لأنه لم يزل مبلغاً للفيوضات الإلهية والمعارف الربانية في كل عالم وموطن والظهور على حسب الاستعداد، فلا تغرنك الظواهر فإنها حجب البواطن، ومن لسان الجمع: ارفع الأواني وخض في المعاني حتى تراني وله ﷺ مطلق ولاية، يسمى سر الخصوصية، وهو جهة ارتباط باطن سره إلى حضرة القدس، ومطلق نبوة وهي جهة ارتباط ظاهره إليها فكل نبوة وولاية فهي خليجة من بحرهما، وشعاع من شمسيهما، فهو القسم الأول الكائن به فتح قفل الوجود وكمال، ولديه استقرار حسنه وجماله، ومن ثم ظهر كل نبي بخصوص قوم ومعجزة ومشرب ومعرفة ومملكة نفس، وذات سر الوجود ﷺ ما تقيده بشيء منها بل احتوى الكل في الكل لينطبق آخر دائرته على أولها، ويظهر سر قوله عز وجل: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]. والقانون الكلي الملتزم في جميع الحقائق الوجودية والكمالات الظهورية انطباق البداية على النهاية حقيقة وشأناً وحكماً، ومن ثم قيل في مطلع تخميس الهمزية:

كنت نوراً وكان ثمّ عماء      ونبيّاً وليس طينٌ وماء  
فإذا كان من علاك العلاء      كيف ترقى رقيق الأنبياء  
يا سماء ما طاولتها سماء<sup>(٢)</sup>

اه بتصرف.

[٤٢] فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ      ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيباً بَارِئُ التَّسَمِّ

(١) أي: «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد» تقدم في معناه حديث الترمذي وأحمد لما سئل: متى وجبت لك النبوة؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد».

(٢) القصيدة الخمسة لحمدون بن الحاج السلمي (١٧٤- ١٢٣٢ هـ / ١٧٦٠- ١٨١٧م) حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون السلمي المرزاسي، أبو الفيض، المعروف بابن الحاج. أديب فقيه مالكي، من أهل فاس، عرّفه السلاوي بالأديب البالغ، صاحب التأليف الحسنة والخطب النافعة. له كتب منها (حاشية على تفسير أبي السعود)، و(تفسير سورة الفرقان)، و(منظومة في السيرة) على نهج البردة، في أربعة آلاف بيت، وشرحها في خمس مجلدات، وغير ذلك. معجم المؤلفين ٧٦/٤.

الفاء للتفريع دالة على أن مدخولها نتيجة الكلام السابق. والتمام: الكمال، والمراد بالمعنى هنا: الحقيقة بدليل المقابلة بالصورة أو ما عني من الشيء أي أريد منه. والاصطفاء الاختيار. والبارئ: من أسمائه تعالى بمعنى الخالق. والنسم: جمع نَسْمَة - بالتحريك - بمعنى الإنسان.

والمعنى: إن كان التفريع على: فاق النبيين: أنه الذي تمت صورته وأخلاقه الكريمة التي هي مدار المراد من البشر، وذلك بنشأته وفطرته - كما تقدم - ثم بعد مضي مدة، وهي أربعون سنة بعثه الله نبياً مصطفى حبيباً.

وإن كان التفريع على: وكلهم وما بعده كان معناه: أنه الذي تمت حقيقته المحمدية، وصورته النورانية في عالم الأمر، ثم أبرزه الله للوجود العياني مصطفى حبيباً يبعثه الخاتمة للرسالة.

[٤٣] مُنْتَزَةٌ عَنْ شَرِيكَ فِي مَحَاسِنِهِ فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرٌ مُنْقَسِمٍ

أصل التنزه: التباعد من الماء. كما قال ابن السكيت، شاع من قولهم: سقيت إبلي ثم نزهتها الماء أي باعدتها منه، ثم شاع في البعد عن النقيصة، ومنها مشاركة من دون الأعلى له في كمالاته. والمحاسن: جمع الحسن على غير قياس، وهو ضد القبح. والجوهر: النفيس من الأحجار، والعرف: على اختصاصه بالدر. وعند الحكماء: المتحيز بالأصالة الذي لا يقبل الانقسام.

والمعنى: أنه - عليه السلام - باعده الله من أن يشاركه أحد في جميع محاسنه، فكان حسنه الذي هو لنفاسته بالنسبة إلى غيره كالجوهر الفرد، لا يقبل الانقسام، الذي هو أصل المشاركة، وناسب ما بين الجوهر ونفي الانقسام بإيهام ما عند الحكماء. فإن قلت: على ما اعتبرته من العموم في المحاسن أخذاً من إضافة الجمع يرد المشاركة في وصفي النبوة والرسالة. قلت: ليست نبوته ورسالته كنبوة ورسالة غيره، وقد مر شرحه فتذكر. وكلمة فيه متعلقة بمحذوف إما نكرة حال، أو معرفة صفة إن قلنا بجواز تقدير متعلق المستقر معرفة، وفي معنى البيت من التفرد بالمحاسن قول بعضهم:

أضحى الجمال بأسره في أسره فلاجل ذاك على القلوب استحوذا

والله ما خطر السلو بخاطري  
 إن عشتُ عشتُ على هواه وإن أمت  
 وقول الآخر وفيه ما فيه:  
 رشاً تفرد فيه قلبي بالهوى  
 ومن جيد ذلك قول شيخ المعرة مكنياً عنه:  
 أعاذ مجدك عبد الله خالقه  
 فالعين يسلم منها ما رأت فنبت  
 من أعين الشهب لا من أعين البشر  
 عنه وتلحق ما تهوى من الصور<sup>(٢)</sup>

[٤٤] دَعَّ مَا أَدَعَّتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيهِمْ  
 دَعَّ: أمر بمعنى اترك، مستعمل المضارع، متروك الماضي والمصدر  
 والصفيتين<sup>(٣)</sup>، استغناء بتصرفات الترك، وسمع نادراً ماضيه في قوله:  
 ليت شعري عن خليلي ما الذي  
 غاله في الحب حتى ودعه<sup>(٤)</sup>  
 ومنه حديث: «دعوا الحبشة ما ودعوكم»<sup>(٥)</sup>.

(١) البيت لصفي الدين الحلبي (٦٧٥ - ٧٥٠ هـ / ١٢٧٦ - ١٣٤٩ م) عبد العزيز بن سراي ابن علي بن أبي القاسم، السننسي الطائي. شاعر عصره، ولد ونشأ في الحلة، بين الكوفة وبغداد، واشتغل بالتجارة فكان يرحل إلى الشام ومصر وماردين وغيرها في تجارته ويعود إلى العراق. انقطع مدة إلى أصحاب ماردين فَتَقَرَّبَ من ملوك الدولة الأرتقية ومدحهم وأجزلوا له عطاياهم. ورحل إلى القاهرة، فمدح السلطان الملك الناصر وتوفي ببغداد. له (ديوان شعر)، و(العاطل الحالي): رسالة في الزجل والموالي، و(الأغلاطي)، معجم للأغلاط اللغوية و (درر النحور)، وهي قصائده المعروفة بالأرتقيات، و (صفوة الشعراء وخلاصة البلغاء)، و (الخدمة الجليلة)، رسالة في وصف الصيد بالبندق .

- (٢) ديوان سقط الزند ص ١٠٩ .  
 (٣) أي مضارعه يدع، لكن القرآن الكريم استعمل ماضيه في قراءة شاذة: ﴿مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣]. ولم يستعمل المصدر ولا اسم الفاعل ولا اسم المفعول.  
 (٤) البيت لسويد بن أبي كاهل، كما في لسان العرب ٨/ ٣٨٤ (ودع)، وهو في المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية ٤/ ٢٠٤ .  
 (٥) أخرج النسائي (كتاب الجهاد باب غزو الترك والحبشة رقم ٣١٢٥) وأبو داود (كتاب الملاحم باب النهي عن تهيبج الترك والحبشة رقم ٣٧٤٨) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: لما أمر النبي ﷺ بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر فقام رسول الله ﷺ وأخذ المعول ووضع رداءه ناحية الخندق وقال: «تمت كلمة ربك صدقاً =

وجاء في الشعر أيضاً وصفه، كقول خفاف بن ندبة<sup>(١)</sup>:

إذا ما استحمت أرضه من سمائه جرى وهو مودوع وواعد مصدق<sup>(٢)</sup>  
 أي متروك لا يضرب ولا يزجر - كذا في الصحاح<sup>(٣)</sup> - والنصارى: جمع  
 نصران ونصرانة، كندامى جمع ندمان وندمانه، ولم يستعمل المفرد إلا بياء  
 النسب، نسبة إلى نصران قرية بالشام، كان نزلها عيسى وأمه -عليهما السلام-  
 وقيل: سموا بذلك لتناصرهم، وقيل: لقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه  
 السلام: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] [الصف: ١٤]. والمراد  
 بنبيهم: عيسى بن مريم. واحكم: من الحكم بمعنى القضاء. والمدح: الثناء  
 الحسن، ويختص في أصله بالجميل الغير الاختياري وإن عم في العرف.  
 واحتكم: من قولهم حكمته في كذا فاحتكم: أي أجاز حكمه.

= وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم» فندر ثلث الحجر وسلمان الفارسي قائم ينظر فبرق  
 مع ضربة رسول الله ﷺ برقة ثم ضرب الثانية وقال: «تمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل  
 لكلماته وهو السميع العليم» فندر الثلث الآخر فبرقت برقة فراها سلمان ثم ضرب الثالثة وقال:  
 «تمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم» فندر الثلث الباقي وخرج  
 رسول الله ﷺ فأخذ رداءه وجلس قال سلمان: يا رسول الله رأيتك حين ضربت ما تضرب  
 ضربة إلا كانت معها برقة قال له رسول الله ﷺ يا سلمان رأيت ذلك؟ فقال: إي والذي بعثك  
 بالحق يا رسول الله قال: «فإني حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها  
 ومدائن كثيرة حتى رأيتها بعيني» قال له من حضره من أصحابه: يا رسول الله ادع الله أن يفتحها  
 علينا ويغنمنا ديارهم ويخرب بأيدينا بلادهم فدعا رسول الله ﷺ بذلك، «ثم ضربت الضربة  
 الثانية فرفعت لي مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها بعيني» قالوا: يا رسول الله، ادع الله أن  
 يفتحها علينا، ويغنمنا ديارهم، ويخرب بأيدينا بلادهم، فدعا رسول الله ﷺ بذلك، «ثم  
 ضربت الثالثة فرفعت لي مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعيني» قال رسول الله  
 ﷺ عند ذلك: «دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم».

(١) خفاف بن ندبة: ( . . . - نحو ٥٢٠هـ) خفاف بن عمير بن الحارث السلمي من مضر أبو  
 خراشة شاعر فارس من أغربة العرب كان أسود اللون وعاش زمناً في الجاهلية وأدرك الإسلام  
 فأسلم وشهد فتح مكة وكان معه لواء بني سليم وشهد حنيناً والطائف وثبت على إسلامه في  
 الردة وبقي إلى أيام عمر (الأعلام ٢/ ٣٠٩).

(٢) البيت في الصحاح ٢/ ٦٧٥ (ودع).

(٣) الصحاح ٢/ ٦٧٤ (ودع).

والمعنى: اترك ما ادعته النصرارى في عيسى -عليه السلام- من دعوى الألوهية، واقض بما شئت من أنواع المدح في حقه؛ فإن حكمك به ماض لمصادفة محله. ودعوى النصرارى ألوهية عيسى متنوعة إلى أقوال ثلاثة: فمنهم من يقول: هو إله، ومنهم من يقول: ابن الله، ومنهم من يقول: ابن إلهين، وهم مع اختلافهم مجمعون على التثليث، ويقولون: إن عيسى لاهوت وناسوت، أي هو مركب من جزء إلهي، وجزء إنساني. وفي إضافة النبي إليهم: نداء بغباوتهم وفرط بلادتهم؛ فإن معنى النبوة يباين معنى الألوهية. فإن قلت: لماذا عدل عن صيغة النهي إلى صيغة الأمر مع تلازم المعنيين، من حيث إن الأمر بالشيء نهى عن ضده، واتحاد معنى كل هنا، فإن النهي: طلب ترك الفعل والأمر المذكور طلب ترك؟. قلت: يعرف ذلك بمعرفة الفرق بين كف عن الفعل، ولا تفعل.

وهو -كما قال السيد-: ملاحظة الترك في الأول من حيث ذاته، وفي الثاني من حيث كونه وسيلة لمعرفة حال الفعل على ما هو الشائع في الفرق بين المدلول الحرفي وغيره عند اتحاد أصل المعنى، ويتبع ذلك اعتبار تحصيل مصلحة الترك ودفع مفسدة الفعل، فالقائل: لا تضرب زيدا معتبر لما في ضربه من المفسدة، والقائل: اترك ضرب زيد معتبر لما في الترك من المصلحة، ولا تغتر بالتلازم؛ فإن للأولية مرتبة في المقاصد لا تنكر<sup>(١)</sup>.

وبهذا يستنكر عند صاغة الكلام قول الحسن بن هانئ:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء      وداوني بالتي كانت هي الداء<sup>(٢)</sup>  
 ما لم يكن له في ميدان الصرف عن الظاهر مجال، بأن يقال التعليل منظور فيه للآزمه أعني ما في الترك من المصلحة، وعلى ذلك تخرج نظائره.  
 وتطبيق هذا البيان على صنيع الناظم: أن المقام لما كان للمدح كان باعتبار جلب مصلحة الترك أهم من ترك مفسدة الفعل.

وفيه إيماء لطيف إلى شدة ما وقع فيه النصرارى من مناقضة المقصود بتلك

(١) البدر الطالع في حل جمع الجوامع للمحلي ٣٠٥/١ .

(٢) ديوان أبي نواس ٢٧ .



الدعوى حيث ضيعوا المدح بتلك الدعوى، ووقعوا في الذم بها. وإليه الإشارة بالتصريح بقوله: مدحاً فإن مدح الممدوح بمقام ليس له ولا لنوعه ذم، وإن كان أعلى كما تقدم في مقدمة الكتاب.

وإن وصلت إلى قول من قال يمدح ملكاً تعجب من كلام المتنبى:

لئن جاد شعر ابن الحسين فإنما تجيد العطايا واللهي تفتح اللهها<sup>(١)</sup>  
 تنبأ عجباً بالقريض ولو درى بأنك تروي شعره لتألها  
 وقفت على الغاية من فساد القول المنبى عن ضيق حضيرة القائل، فإن قيل: ما وجه الاقتصار على النصارى، وقد ادعى اليهود مثل دعواهم في عزيز، كما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]؟ قلنا: يوجه بأحد توجيهين: أولهما: أنه مقالة خاصة ببعض اليهود غير عامة كمقالة النصارى، قال القرطبي في تفسيره<sup>(٢)</sup>: لفظ اليهود عام ومعناه الخصوص مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣] قيل: قائل ما حكى عنهم: سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وشاس بن قيس، ومالك بن الضيف، قالوه للنبي ﷺ. وروي في سبب تلك المقالة: أن اليهود لما قتلوا الأنبياء بعد موسى -عليه السلام- رفعت عنهم التوراة، ومحيت من قلوبهم، فخرج عزيز يسبح في الأرض، فأتاه جبريل -عليه السلام- وقال له: أين تذهب؟ قال: أطلب العلم، فعلمه التوراة فجاءهم بها فقالوا: لم يتأت هذا له إلا وهو ابن الله اه<sup>(٣)</sup>.

ثانيهما: أن الغرض من الأمر الأول: التنبيه على كون المقام أعلى مما ادعى فيه الألوهية حتى أنه يحتاج للتنبيه على ترك ما وقعوا فيه، فهو بداية للمدح تلميحاً، واعتبار عزيز في التفضيل مخل به -كما قرر- ومجرد الدعوى من اليهود

(١) اللهى الأولى: هي اللحمة المشرفة على الحلق، واللهى الثانية: العطية، يقال: إنه لمعطاء لها إذا كان جواداً يعطي الشيء الكثير (لسان العرب: ١٥/٢٦١).

(٢) تفسير القرطبي ٨/١١١.

(٣) انظر قصص الأنبياء ص ٤٧٤.

فرط بلادة لا يخفى وحينئذ تتناسب الجميلتان أشد تناسب بحيث يتضح تناسقهما كالأحقة في قوله :

[٤٥] وَأَنْسُبَ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ وَأَنْسُبَ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ

النسبة: الإضافة. وذات الشيء: حقيقته. والشرف: العلو والمكان العالي والمجد ولا يكون إلا بالآباء أو علو الحسب اهـ من القاموس<sup>(١)</sup>. ومن حيث إن الشرف له رفعة معنوية كثيراً ما يستعار له الجبل كما قال السموءل<sup>(٢)</sup>:

لنا جبل يحتله من تجيره منيع يرد الطرف وهو كليل

رسا أصله تحت الثرى وسما به إلى النجم فرع لا يرام طويل<sup>(٣)</sup>

والقدر: المبلغ كالمقدار. وعظم الأمر: ضد صغر، يستعمل في الأجسام والمعاني، وهو المراد هنا.

والمعنى: أضف أيها المادح إلى ذاته الكريمة ما أردت من أنواع الشرف النسبية والحسبية، وإلى قدره ما شئت من أنواع العظمة الدالة على كماله بقريئة السابق فتخرج دعوى الألوهية؛ لأنها في مثله منقصة - كما تقدم - . فإن قلت: ما الفرق بين معنى البيت وسابقه؟ قلنا: معنى السابق: مدح، ومعنى الثاني: نسبة واعتقاد - كما هو ظاهر اللفظتين -، والأول وإن كان يستلزم الثاني دون العكس لكن صرح به دلالة بالمطابقة، وعلى مثله من الإكثار بنيت المدائح غير أن قوله في البيت بعده: فيعرب عنه ناطق بفم، لا يناسبه لتعين رجوعه للسابق، فيلزم الفصل، ويختل أمر النظام والوجه، كما قيل: إن البيت الثاني تفصيل لإجمال الأول لبيان استحقاقه - عليه السلام - المدح لذاته ومقامه وخاصيته من تمكن المعنى في النفس لا ينكر موقعها في باب المديح، أو ما ترى قول السموءل:

إذا سيد منا خلا قام سيد قوول بما قال الكرام فعول

وما أخدمت نار لنا دون طارق ولا ذمنا في النازلين نزيل

(١) القاموس ١٠٦٤ (شرف).

(٢) السموءل: ( . . . - ٦٥ ق . هـ) السموءل بن غريص بن عادياء الأزدي شاعر حكيم من سكان خيبر كان يتنقل بينها وبين حصن له سماه الأبلق له ديوان شعر (الأعلام ٣/ ١٤٠).

(٣) ديوان السموءل ص ٥٥ واسم جبلهم (تعال).

وأيامنا مشهورة في عدونا لها غرر معلومة وحجول<sup>(١)</sup>  
فإنك إذا تدبرت وجدت ما بعد البيت الأول شرحاً لمضمونه، ومن هذا  
متروكاً فيه حرف العطف قول أبي نواس الذي قال فيه بعضهم: أجمع أهل العلم  
أنه أجود قول في المديح للمولدين<sup>(٢)</sup>:

أنت الذي تأخذ الأيدي بحجزته إذا الزمان على أبنائه كلحاً<sup>(٣)</sup>  
وكلت بالدهر عيناً غير غافلة من جود كفك تأسو كل ما جرحا  
وأما قول شيخ الإسلام في الجواب: إن مضمون البيت الأول: الحكم على  
مديح الغير بالصحة والقبول، ومضمون الثاني: الأمر بمدحك أنت في نفسك فلم  
يتحدا معنى فهو مع قلة جدواه، ونفور الطبع من مرماه، لا يسايره الأمر في صدر  
البيت، ولا قوله مدحاً الراجع إلى كلمة ما، فإن مقتضى ما قرره أن يقول صحة.  
وفي البيتين -مع ما مر من التفصيل بعد الإجمال- الجمع مع التقسيم ومن جوده  
قول أبي الطيب:

حتى أقام على أرباض خرسنة يشقى به الروم والصلبان والبيع<sup>(٤)</sup>  
للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا<sup>(٥)</sup>  
وخص الذات بالشرف لما أنه يرجع إلى الحسب أو النسب وهما للذات لا  
للقدر بخلاف العظمة، فإنها في مقام المدح للمقام لا للذات، وفي إناطة المدح  
بالمشيئة إيماء إلى عدم استقصائه ضرورة وقوف مشيئة الحادث عند حدها،  
وحيث جاء التعليل آخذاً محزه في قوله:

(١) ديوان السموءل ٥٦ .

(٢) قال في العمدة ٧٩٢/٢: وحكى علي بن هارون عن أبيه أنه قال: أجمع أهل العلم على أن  
بيتي أبي نواس أجود ما للمولدين في المدح وذكرهما .

(٣) ديوان أبي نواس ص ١٦٤ وحجزته: معقد الإزار وهو كناية عن الالتجاء إليه والتعلق به .  
وفي الديوان: أولاده مكان أبنائه .

(٤) أرباض جمع ربيض وهو: ما حول المدينة (اللسان: ١٥٢/٧)، وخرسنة: بلد قرب مالطة من  
بلاد الروم غزاه سيف الدولة الحمداني (معجم البلدان ٣٥٩/٢).

(٥) ديوان المتنبي ٣٣٤/٢ .

[٤٦] فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ فَيُعْرَبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِّ  
مفردات البيت غنية عن البيان. والمعنى: أنه لا يمكن استقصاء مدحه، لأنه  
لا غاية لفضله حتى يوقف بالمدح عليها، وفي قوله: بفم: تنبيه على قصد  
الجنس وتنصيب على التعميم كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى  
اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] الآية، والمراد برسول الله نبينا -عليه السلام- ولا مسأغ  
لما قيل: يراد به الكلي ليفهم أن نفي حد الفضل ثابت للجميع، ويدخل فيه  
المقصود بالمدح، فإنه مع فساده في نفسه [فاسد] بشهادة قوله تعالى: ﴿تِلْكَ  
الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] والمفضول محدود فضله ضرورة  
أنه معدى بالفضل لا يلاقي سياق الكلام، ولا ينتظم مع كلامه السابق، أعني  
قوله: فاق النبيين إلخ وما بعده.

[٤٧] لَوْ نَاسَبَتْ قُدْرَهُ آيَاتُهُ عِظْمًا أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرَّمَمِ  
المناسبة: المشاكلة. والآيات: جمع آية بمعنى العلامة. والدارس: من درس  
الرسم إذا عفا وذهب. والرمام: جمع رمة وهي العظام البالية.  
والمعنى: لو كانت آياته على قدر مقامه مماثلة له في العظمة لكان من آياته  
أن اسمه ذكر أحيا الله البالي من العظام الذي لم يبق له أثر ببركة ذكر اسمه  
عنده فنسبة الإحياء إليه مجازية ودارس الرمام منصوب بأحيا، ولا وجه لغير  
نصبه. ولا تعقيد في الكلام -كما سبق إلى الأوهام- ومن حيث إن مضمون  
البيت الحكم على الآيات بأنها غير مناسبة لمقامه، ولو كانت مناسبة لكانت تلك  
الآية العظيمة يندفع ما قيل: إنه أعطى ما يساوي تلك الآية المفروضة في  
العظمة، كالشفاعة الكبرى وغيرها من الشفاعات<sup>(١)</sup>.

(١) أخرج البخاري (كتاب التوحيد باب كلام الرب يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم رقم ٦٩٥٦)  
عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة . . . فأحمده بتلك المحامد  
وأخر له ساجداً فيقول: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول:  
يا رب أمتي أمتي فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان فأنتلق  
فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخرج له ساجداً فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل  
يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول: يا رب أمتي أمتي فيقول: انطلق فأخرج منها من =

وكسلام الحجر والشجر<sup>(١)</sup>، وحنين الجذع<sup>(٢)</sup>، وهذا نوع من الإحياء.

وفي حديث قال رجل للنبي ﷺ: طرحت بنية لي في وادي كذا فانطلق معه إلى الوادي وناداه: «يا فلانة أجيبني بإذن الله» فقالت: لبيك وسعديك فقال لها: «أسلم أبواك فإن أحببت رجعت إليهما» فقالت: لا، وجدت الله خيراً منهما اهـ<sup>(٣)</sup>. وذلك أن الشفاعة ونحوها ليست من الآيات لكونها من مغيبات الآخرة، وأما ما بعدها فهو وإن كان يساوي المفروض في الكون إحياء لكنه دونه في الدلالة للفرق التام ما بين ذاته الشريفة ومخاطبته الكريمة وما بين ذكر اسمه. وهذا بين لا سترة فيه، بقي أنه قيل: عليه أن ما ادعاه من عدم المناسبة باطل؛ لأن من آياته القرآن وهو كلام الله وصفته، فكيف يقال: إنه لم يناسب قدر النبي؟ وفيه - كما قال شيخ الإسلام - أنه مغالطة، فإن المجمعول آية الحروف والأصوات التي هي مناط البلاغة والإعجاز دون الصفة، فإنها لا تفارق الموصوف، وإن اشترك المعنيان في إطلاق اسم القرآن، قال شيخ الإسلام: وقد ذكرت بعض فضلاء المصريين في هذا الإشكال، فذكر عن بعض فضلاء العجم أنه أجاب عنه: بأن مبنى الشرطية على مناسبة كل آية، لأن آيات جمع مضاف

= كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان فأخرجه فأنتلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقول: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول: يا رب أمتي أمتي فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنتلق فأفعل ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله.

(١) أخرج الترمذي (رقم ٣٥٥٧ كتاب المناقب باب في آيات إثبات نبوة النبي ﷺ) عن علي: قال كنت مع النبي ﷺ في مكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله، قال الترمذي: حديث غريب.

(٢) أخرج البخاري عن ابن عمر كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأناه فمسح يده عليه (رقم ٣٣١٨ كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام).

(٣) الحديث في الشفا ٣٩١ قال محققه: حديث مرسل رواه البيهقي في الدلائل.

فيعم، والعام كلية لا كل<sup>(١)</sup>، وحينئذ لا يضره أن بعض الآيات مناسب قال شيخ الإسلام: واستحسن هذا الجواب حين ذكره ثم نظرت فيه فرأيتة يفضي إلى خلاف المقصود؛ لأنه إنما يستثنى في هذه القضية نقيض التالي، فينتج نقيض المقدم أي لم يناسب كل فرد من آياته قدره، نعم لو كان العام كلاً لصح فإنه لا يلزم من نفي الحكم عن المجموع نفيه عن كل فرد اهـ .

وفي كل من الجواب والبحث نظر؛ أما الجواب فهو مبني على اعتبار الكلية- كما قال- وذلك مفسد للزوم الشرط؛ إذ لا علاقة بين مناسبة تلك الآية المفروضة، ومناسبة كل آية. وإنما المعنى على إرادة الجنس من الآيات ومناسبة بعض الجنس يوجب مناسبة الجنس وأما البحث فلأن نفي العموم لا يقتضي نفي كل فرد فقولنا لم تناسب كل آية مقامه لا يقتضي أن كل آية لم تناسب مقامه فافهمه، فإن قيل: ما وجه اعتبار سببية الذكر في الإحياء دون أمر آخر مما ينبئ عن التعظيم؟ قلنا: إن للاسم نسبة من المسمى لا تخفى. ولما كان المسمى السبب في أصل الوجود ناسب أن يكون الاسم سبباً في الوجود الثاني قصداً للتشاكل وهو مأخوذ من قول شيخ المعرة يمدح الشريف أبا إبراهيم<sup>(٢)</sup>:

ولو كتب اسمه ملك هزيم  
على راياته والى الفتوحا<sup>(٣)</sup>  
وعلى ذلك جاء قول سلطان العاشقين في خمريته:

ولو رسم الراقي حروف اسمها على  
جبين مصاب جن أبراه الرسم<sup>(٤)</sup>  
فإن المسمى لما كان مبرئاً من جنون الجهل والغيبة الذي هو الجنون حقيقة، ناسب أن يكون الاسم مبرئاً من الجنون الحسي الظاهري، وبهذا البيان تلاشت

(١) الكل: هو المجموع المحكوم عليه، والكلية: هو الحكم على كل فرد، والجزء: هو ما تركب منه ومن غيره كل، والجزئية: الحكم على بعض الأفراد (إيضاح المبهم ص ٢٥).

(٢) الشريف هو إبراهيم موسى بن إسحق مدحه المعري بقصيدة مطلعها:

بعادك أسهر الجفن القريحا  
ودارك لا تني إلا نزوحا

(ديوان سقط الزند ١١٩).

(٣) البيت في ديوان سقط الزند للمعري ص ١٢١ .

(٤) ديوان ابن الفارض ١٤١ .

الأوهام. فإن قلت: أي ربط بين البيت وسابقه؟ قلنا: فيه دلالة على عجز المادح الملوح إليه سابقاً بتفويض الأمر لمشيئته والمصرح به بعد في نفي حد فضل الممدوح، ووجه الدلالة هو أن الآيات أعظم مظهر لمقامه الرفيع وأسطع مصرح بشرفه الشامخ المنيع وكفأك أنها منوطة بخرق العادة، وقد وقع له منها ما لم يقع لغيره فإذا كانت دون مقامه لزم أن يكون كل مدح من الحادث وإن تنهى إلى غايته غير واف بذلك لزوماً بيناً والله أعلم.

[٤٨] لَمْ يَمْتَحِنًا بِمَا تَعْيَا الْعُقُولُ بِهِ حِرْصًا عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهْمِ

الامتحان: الاختبار. وتعيأ به: لم تهتد لوجهه. في القاموس<sup>(١)</sup>: عيى بالأمر - كرضي - كتعايا واستعيا وتعيأ: لم يهتد لوجه مراده أو عجز عنه، ولم يطق أحكامه. والحرص: شدة الطلب وبعد على مضاف أي على هدايتنا. ونرتب: نشك. ونهم: من هام في أمره إذا لم يجد له مخرجاً.

والمعنى أنه - عليه الصلاة والسلام - لم يأت بالآيات المصدقة لنبوته المقصود منها امتحان الأمة في التصديق بما لا تهتدي العقول لوجه دلالة بل أتى بها على وفق إدراك العقول حرصاً على هدايتنا<sup>(٢)</sup> فلم نشك في أمره ولم نتحير فيه، والمقصود إبداء وجهه لكون آياته دون مقامه، وبيان أن الحكمة من نصب الآية تصديق الآتي بها مدعياً للنبوة، ووجه دلالتها عليه إدراكها وعلم أنها خارجة عن المعتاد لا تكون إلا بعناية الله تعالى لمن أتى بها، فإذا لم يمكن الوصول إليها لم يمكن الإيمان بها، فلا يحصل التصديق بل يبقى الأمر فيها تابعاً لحالها من الحيرة فيها، وقد تدرك لجهة عظمتها من غير وجه دلالتها فينتقل منها إلى الخروج عن حالة الآتي بها تبعاً لعظمة أمرها حتى يصل الأمر إلى دعوى الألوهية، كما وقع للنصارى فيحصل الهيام والضلال، وقد مر بيان مرتبة الحقيقة المحمدية بما يتبين به أن لو كانت الآيات على قدرها لاشتبه الأمر غاية الاشتباه،

(١) القاموس ١٦٩٧ (عيى).

(٢) كيف لا؟ وهو الذي وصفه الله في القرآن الكريم بأنه: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ [التوبة:

ولم يكن منه مخلص إلا بالعناية الصمدية، وبما قررنا تبين لك وجه الاقتصار على نفي الشك والهيام واندفعت وساوس الأوهام، وفي هذا الترتيب تنكيت تام على من لم يهتد بتلك الآية مع نصبها على وجه نقي من الشبه.

[٤٩] أَعْيَا الْوَرَى فَهَمْ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى لِلْقُرْبِ وَالْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمٍ الْوَرَى: الخلق. والفهم: العلم والمعرفة. ومعناه: ما يعنى منه وهو حاله وحقيقته. ويرى: مضارع المجهول من الرؤية العلمية لا البصرية - كما لا يخفى-. واللام: تتعلق بمحذوف حال من النائب وأصله الصفة وفيه يتعلق بيري. ومنفحم: اسم فاعل من انفحم: سكت ولم يجب، يقال: أفحمته إذا أسكته في خصومة أو غيرها. وفي الأساس<sup>(١)</sup>: هذا كلام مسدي ملحوم: كل فصيح به مفحم.

والمعنى: أعيأ جميع الخلق إدراك حقيقته المحمدية لعسر التوصل إليها والإحاطة بها على ما هي عليه، فلا يعلم في شأنه غير ساكت عاجز عن التعبير بما يفيد أمره لعدم الوصول إليه، فإن اللسان ترجمان القلب:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً<sup>(٢)</sup> حال كون ذلك المنفحم منسوباً للقرب منه والبعد، واختار مادة الانفحام الدالة على الغلبة لمناسبة الإعياء، ونسبته إلى الفهم مجازية، والحقيقة أعيأهم الله بفهمه ولك أن تتجاوز بالانفحام فيراد به عجز العقل لا عجز الخطاب، والأول: أفيد فإن قلت: ما المراد من القرب والبعد؟ قلنا: يحتمل إرادة قرب الزمان وبعده، وجدواه قليلة، فإنه لا مزية للقرب الحسي على البعد مع ضبط الأحوال، وتناقل أخبارها في إدراك الحقائق؛ إذ ليست مما يختص بالمشاهدة، وإن كان للعيان لطيف معنى من جهة وجدانية التلذذ بالخطاب، والأصوب إرادة القرب

(١) في الأساس (سدي) (٢٠٢ طبعة مكتبة لبنان ناشرون): جملٌ سدى، وإبل سدى: مهملة، وقوم سدى وأرض سدى: لا تعمر، ومن المجاز: قد أسديت فألحم وأسرجت فألجم، وأسدى إليه معروفاً، وسدى منطفاً حسناً وسدى عليه الوشاة، ويقام أمر مبرم مسدى ملحوم قال أبو النجم: رام بها أمراً مسدى ملحماً.

(٢) البيت نسب للأخطل، وقد تقدم ص ١٠٧.



والبعد المعنويين فالقرب: حالة أرباب القلوب الصافية والبواطن النقية الذين خصهم الله برفع الحجب فشاهدوا ببصائرهم حضرة ملكوته . والبعد: حالة أرباب الظاهر الواقفين عند ما كلفوا به من ظواهر الحال فإن قلت: هلا اقتصر على القرب، ويفهم أمر البعد بالأولى؟ قلت: في ذلك إشعار بالاختلاف النسبي، وأن للقرب مزية بالنسبة إلى الإدراك، وذلك مخل بالمراد من الاستواء في الجهل الدال على شدة صعوبة الأمر، وإن شئت فارجع بوجودناك إلى قولك: لفلان مقام يعجز عن ثنائه العبي والفصيح، ويعجز عنه الفصيح فأولى العبي، تجد بينهما فرقاً بيناً. وإذا تبين لك معنى البيت علمت أنه تحقيق لمضمون ما قبله ثم ضرب مثلاً محسوساً لاستواء القريب والبعيد في الجهل بحقيقته ليتضح ذلك الأمر عند ذوي النهى لآلف النفس بالمحسوسات فقال:

[٥٠] كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنِينَ مِنْ بُعْدٍ صَغِيرَةٍ وَتُكَلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمٍ

مفرداته بيّنة غير أن فيه تحريك عين بعد لإقامة الوزن. والأمم: القرب.

والمعنى: أن الشمس تظهر للرائي البعيد منها صغيرة الجرم، وإذا نظر إليها القريب منها أعيت نظره بأشعتها المانعة من تثبته فلا يدركها، فالقريب والبعيد استويا في الجهل بحقيقتها، إلا أن جهل القريب بسيط، وجهل البعيد مركب؛ لأنه أدركها على خلاف حقيقتها حيث رآها صغيرة، كذلك حال القريب والبعيد منه - عليه الصلاة والسلام - فالبعيد يدركه بحسب قصور علمه على خلاف مقامه لأنه لا يعلم منه إلا ما ظهر والبعيد تحجبه أنواره السنية الباهرة عن الوصول إلى حقيقته فتساويا في الجهل، وإن افرقا بالبساطة والتركيب، وما أحسن قول شيخ المعرة في هذا المعنى:

رَأَوْكَ بِالْعَيْنِ فَاسْتَغَوْتَهُمْ ظَنَنَ      وَلَمْ يَرَوْكَ بِفِكْرٍ صَادِقِ الْخَبِيرِ  
وَالنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الْأَبْصَارَ رُؤْيَتَهُ      وَالذَّنْبُ لِلْعَيْنِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصَّغْرِ<sup>(١)</sup>

هذا وضرب المحسوس مثلاً للمعقول لتتوصل به العقول طريقة بلاغية جاء عليها استعمال الكتاب المجيد في غير آية، كقوله تعالى في حالة المنافقين:

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧]. وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [النور: ٣٥]. الآية، روي أن أبا تمام لما مدح العباس بسينيته التي يقول فيها:

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس<sup>(١)</sup>  
قال بعض الحاضرين: ما صنعت؟ شبهت أمير المؤمنين بصعاليك العرب  
فقال ارتجالاً:

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى واللباس  
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس<sup>(٢)</sup>  
[٥١] وكيف يُدرِكُ في الدنيا حَقِيقَتَهُ قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالْحُلْمِ

(١) عمرو بن معديكرب: ( . . . - ٢١هـ) الزبيدي فارس اليمن وصاحب الغارات المذكورة وقد على المدينة سنة ٩هـ في عشرة من بني زبيد فأسلم وأسلموا وعادوا ولما توفي النبي ﷺ ارتد عمرو في اليمن ثم رجع إلى الإسلام فبعثه أبو بكر إلى الشام فشهد اليرموك وذهبت فيها إحدى عينيه وبعثه عمر إلى العراق فشهد القادسية وكان عصامي النفس أبيها، فيه قسوة الجاهلية توفي على مقربة من الري (الأعلام ٨٦/٥).

حاتم الطائي (-٤٦ق هـ) حاتم بن عبد الله القحطاني أبو عدي فارس شاعر جواد جاهلي يضرب المثل بجوده كان من أهل نجد وزار الشام مات في عوارض (جبل في بلاد طيء) شعره كثير (الأعلام ١٥١/٢).

الأحنف بن قيس: هو الضحاك بن قيس التميمي (٣ق هـ - ٧٢هـ/٦١٩-٦٩١م)، ولد في البصرة وأدرك عهد النبي ﷺ ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات كان من جلة التابعين وأكابرهم وكان سيد قومه موصوفاً بالعقل والدهاء والعلم يضرب به المثل في الحلم واعتزل الفتنة يوم الجمل وشهد صفين مع علي رضي الله عنه (تاريخ الأدب العربي ١/٣٤٥).

إياس بن معاوية المزني (٤٦-١٢٢هـ) أبو وائلة قاضي البصرة وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء يضرب المثل بذكائه وزكته (تفرسه) كان نقاباً عجيب الفراسة ملهماً وجيهاً عند الخلفاء (الأعلام ٢/٣٣). والأبيات في ديوان أبي تمام ٢/٢٤٩ والأبيات في العمدة ١/٣٥٥ وذكر فيها أنه أنشد أحمد بن المعتصم بحضرة أبي يوسف يعقوب بن إسحق بن الصباح الكندي فيلسوف العرب وأن الكندي هو الذي اعترض عليه بما اعترض ثم عن الكندي لما خرج أبو تمام قال: هذا الفتى قليل العمر لأنه ينحت من قلبه وسيموت قريباً فكان كذلك.

(٢) ديوان أبي تمام ٢/٢٤٩.

كيف: استفهام تعجبي، معناه: التعجب من الإدراك مع تلك الحالة المنافية، فإن قلت: إنه يقتضي الإدراك المتعجب منه. قلت: مناط التعجب الطمع في الإدراك بالأخذ في أسبابه كما يقتضيه معنى الإعياء فإنه لا يكون إلا بعد الشروع والترقب، ويجوز أن يكون إنكارياً أي لا يدركون مع الحالة المذكورة أو استبعادياً والأول أرشق. والقوم: اسم جمع للرجال دون النساء كما قضى به قوله:

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء<sup>(١)</sup>  
وقد يردن منه، وعليه يحمل هنا؛ لأن التعميم أنسب بالمراد. والسلو عن الشيء: تركه ونسيانه. في القاموس<sup>(٢)</sup>: سلاه وعنه كدعاه ورضيه سلواً وسلواً وسلواناً وسلواً: نسيه، وأسلاه عنه فتسلى اه فقول شيخ الإسلام: هو ترك الشيء عن طيب نفس اه مأخوذ من موارد استعماله - كما يعلم بتتبعها - ويؤيده مأخذ السلوانة منه، قال في الصحاح: هي خرزة كانوا يقولون: إذا صب عليها ماء المطر فشربه العاشق سلا، قال الشاعر:

شربت على سلوانة ماء مزنة فلا وجديد العيش يا مي ما أسلو  
واسم ذلك الماء السلوان، قال الشاعر:

لو أشرب السلوان ما سليت ما بي غنى عنك وإن غنيت<sup>(٣)</sup>  
اه<sup>(٤)</sup> فإن ذلك الفعل لتسكين الحب وذهابه، ولازمه ترك المحبوب وطيب نفسه بذلك لا نسيانه، وعلى هذا ما نقل في الصحاح<sup>(٥)</sup> عن الأصمعي: يقول الرجل لصاحبه: سقيتني سلوة وسلواناً أي طيبت نفسي عنك اه فالمادة تقتضي طيب النفس، والصيغة تحكم بالتكلف، فكان حاصلهما: حملوا أنفسهم على أن تطيب لتركه. وبالْحُلْم: يتعلق به، وبأوه آلية وهو -بضمّتين-: ما يراه النائم.

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص ١٣٦ وهو في معجم الشواهد اللغوية ١/٣٦ .

(٢) القاموس ١٦٧١ (سلو).

(٣) نسب البيت للعجاج في ديوانه ٢/١٨٦ تحقيق أستاذنا الأستاذ الدكتور عبد الحفيظ السطلي .

(٤) الصحاح (سلو) ٢٣٨١ طبعة العلم للملايين .

(٥) الصحاح (سلو) ٢٣٨١ طبعة العلم للملايين .

والمعنى: أنه لا يتيسر إدراك حقيقته المحمدية مع تلك الصفتين أعني صفة النوم وتطيب النفس بما يرى في المنام. واعلم أن للبيت محملين: أحدهما: ظاهري، وهو المأخوذ من حديث: «الناس نيام فإذا ماتوا استيقظوا»<sup>(١)</sup> القاضي بأن انفعال الحياة الدنيا كالتخيل المنامي، وحينئذ يكون التقييد بالدنيا للاحتراز عن الآخرة، وهذا الذي اقتصر عليه شيخ الإسلام فقال: المعنى أن من في الدنيا لا يدرك الحقائق المحضة للآخرة؛ لأن نفس الدنيا حجاب بينه وبينها، كما يحجب النائم النوم عن إدراك أحوال اليقظة، وكذا هو حال جميع الوري لا يشاهدون حال تفضيل محمد ﷺ معاينة وتفصيلاً كما أدركوه بالخبر جملة، وذلك يوم القيامة حيث يبعثه الله المقام المحمود الذي يغبطه فيه الأولون والآخرون<sup>(٢)</sup>.

(١) ليس بحديث لكنه من قول الإمام علي رضي الله عنه وعزي إلى سهل التستري (كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٣١٢/٢، رقم ٢٧٩٥).

(٢) إشارة إلى حديث الشفاعة (البخاري ٦٨٨٦ كتاب التوحيد باب (قول الله ﴿وَبُحُورٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾) عن أبي سعيد الخدري قال: «قلنا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً؟ قلنا: لا قال: فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما ثم قال: ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبيهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغبرات من أهل الكتاب ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب فيقال لليهود ما كنتم تعبدون قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون قالوا: نريد أن تسقينا فيقال: اشربوا فيتساقطون في جهنم ثم يقال: للنصارى ما كنتم تعبدون فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون فيقولون: نريد أن تسقينا فيقال: اشربوا فيتساقطون في جهنم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم وإنما سمعنا منادياً ينادي ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا قال فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه فيقولون: الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم قلنا: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلايب وحسكة =

= مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان المؤمن عليها كالطرف والبرق والريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحباً فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ويحرم الله صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون من عرفوا قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقروا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظِلُّهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا﴾ فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار: بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواماً قد امتحشوا (احترقوا) فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة فينبتون في حافته كما تثبت الحبة في حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة وإلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر وما كان منها إلى الظل كان أبيض فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهوما بذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو الناس خلقتك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء لتشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا قال: فيقول: لست هناكم قال: ويذكر خطيئته التي أصاب أكله من الشجرة وقد نهى عنها ولكن اتنوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحاً فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم ولكن اتنوا إبراهيم خليل الرحمن قال: فيأتون إبراهيم فيقول: إني لست هناكم ويذكر ثلاث كلمات كذبهن ولكن اتنوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجياً قال: فيأتون موسى فيقول: إني لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفس ولكن اتنوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله وكلمته قال: فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم ولكن اتنوا محمداً ﷺ عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيقول: ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطى قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرجهم الجنة ثم أعود الثانية فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطى قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه قال: ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرجهم الجنة ثم أعود الثالثة فأستأذن على ربي في داره فيؤذن =

وحيث يؤتى الوسيلة وهي الدرجة التي لا ينالها عبد من عباد الله غيره<sup>(١)</sup>، فالمراد بكونهم نياماً أي أحياء في دار الدنيا. وقوله: تسلوا عنه بالحلم: شبه عجزهم عن إدراك حقيقته بسبب الحلم وهو كونهم في الدنيا بترك الشيء عن طيب نفس؛ لأن ما لا يكون من المقدور لا يتأسف الإنسان على فقدته بل تطيب نفسه بذلك. هذا هو التحقيق في هذا المقام فعليك به يغنك عما وقع فيه من تخليط الشراح اهـ وليس عندي بجيد أما أولاً: فلأن المنفي في كلام الناظم إدراك الحقيقة، وذلك لا يتوقف على المشاهدة - كما لا يخفى - وأما ثانياً: فلأن ما أثبتته للأخرة مشاهدة كرامات حصل العلم بها في الدنيا، وليس ذلك إدراكاً لحقيقته وإلا فكم من كرامات وقعت مشاهدتها في الدنيا، والأظهر أن التقييد بفي الدنيا نظر لكونها دار النظر وإدراك الحقائق وإعمال الأفكار في تحصيلها، وأن المقصود أن حقيقته المحمدية لا تدرك البتة وإنما يتحصل منها المثال؛ فإن الناس قاطبة بالنسبة إليها كحال النائم ليس إلا الحلم، فما حصلوه من مثال حقيقته هو بالنسبة إليها كالمرئي في المنام بالنسبة لحقيقته لقصور العقول وحجبها عن الوصول إليها، ودليله: ما مر تحقيقه فإن قيل: يرد ما فر منه شيخ الإسلام حتى جعل الفئات المشاهدة، وهو أنه لا يتأتى ذلك الحكم في الخواص من أرباب الكشف فضلاً عن الأنبياء قلنا: مدفوع بأن كل الخلق سواء في الحجب عن إدراك الحقيقة المحمدية غير أن حجبهم متفاوتة، وبيانه: أنه تقرر عند القوم أن

= لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه قال: ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرجهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود قال ثم تلا هذه الآية: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قال: وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ .

(١) أخرج مسلم (كتاب الصلاة باب استحباب القول مثل قول المؤذن رقم ٥٧٧) عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة » .

الحجب ثلاثة: حجب ظلمانية صرفة: وهي حجب المعاصي، وحجب نورانية مذمومة: وهي حجب الطاعات والمعاملات الربانية؛ فإنها حجب عن الترقى في المقامات العلية، وحجب نورانية صرفة: وهي ما نشأ من المقامات المرضية فإن كل حاصل بالترقيات حجاب عما فوقه من المقامات. وقد مر لك أن الحب أرفع المقامات والدرجات، وأن نبينا ﷺ اختص به من بين سائر الخلق، فلا غرو أنه لا يصل إلى إدراك حقيقته كل من عداه؛ إذ أعلاه محجوب بمرتبته عن إدراك مرتبة الحب المختصة به وتذكر ما مر في قوله: وواقفون لديه عند حدهم، وفي قوله: فليس يرى للقرب والبعد فيه غير منفحم. فإن قلت: ماذا ترى في قوله تسلوا عنه.. الخ فإن من لا هداية له لم يسبق له شوق إلى الحقيقة المحمدية وإدراكها حتى يكون تركه في حقه سلوا؟ قلنا: فيه إشارة لطيفة إلى أن الحقيقة المحمدية لما كانت أصل النعم إلى الخلق قاطبة وجب أن يعلق حبها بكل نفس لجبل النفوس على حب من أحسن إليها<sup>(١)</sup> إلا أن من سبقت له عناية أزلية لم تنطمس آثار ما جبلت عليه نفسه فكان مسوقاً إلى تلك الحقيقة، ومن قضى عليه بالشقاء حيل ما بين نفسه وبين مقتضى جبلتها، وصرف عن الالتفات إلى السبب في كل نعمة إليه، فغارت عين حبه لما عميت عين قلبه ففي نسبة السلو إلى الجميع إشعار بأن حق كل نفس أن تصرف هممتها إلى تلك الحقيقة وأن لا تطيب إلا بإدراكها، لكنه لما تعذر<sup>(٢)</sup> لما مر من تطيب وتراض على مثالها وتخيلها فربما قام المثال عند المشوق قيام صاحبه وارتاضت نفسه إليه إذا تعذر عليه الأصل كما أفصح به من يقول:

تسليت صداً عنكم بعد بُعدكم      بذكراكم حتى كأنكم عندي

(١) إشارة إلى الحديث «النفوس جبلت على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها» رواه أبو نعيم في الحلية ١٢١/٤ وقال: غريب من حديث الأعمش بن خيثمة لم يكتب إلا من هذا الوجه .

(٢) في حاشية الأصل: قوله: لما تعذر . الخ كذا بالأصول الموجودة بأيدينا ولعله سقط من النسخ جواب لما وما به ربط العبارة فحرر . ا . ه قال الدكتور مازن: جواب لما هو قوله: فربما قام . . .

فله ما أدق إشارة هذا الناظم -رحمه الله- .

[٥٢] فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كَلِّهِمْ  
مفرداته بينة، ومضمونه نتيجة ما تقدم من قوله: دع ما ادعته النصرى في  
نبيهم . إلخ وحاصله: أن غاية العلم والذي ينتهي إليه الإدراك من حقيقته أنه بشر  
لا إله كما ادعته النصرى في عيسى -عليه السلام- وأنه أفضل جميع الخلق،  
وأما الإحاطة بما به التفضيل فلا سبيل إليه لوقوف العقول دون معشاره، ولا  
يخفى عليك أن الكلام في معنى حقيقته المحمدية بعد كونه نبياً ورسولاً وأن  
إثبات البشرية لنفي ما ذكرنا عنه، فما في شيخ الإسلام من استشكال نفي العلم  
بالرسالة، كما هو صريح حصر العلم في الأمرين معاً، وجوابه بما تكلفه خروج  
عن مذاق المصنف. نعم ينبغي أن يتنبه إلى أن أَل في العلم ظاهرها أنها عوض  
عن مضاف إليه أي علمهم يعود الضمير إلى القوم وقد مر عمومهم، والكافر لا  
يعلم الصفة الثانية وإن صح بمثل ما قرنا به التسلي في حقهم على معنى أن من  
الحق أن يعلموا ذلك لوضوح أدلته، والأرشق بالمعنى الحمل على الجنسية  
فليتأمل .

[٥٣] وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسُلُ الْكِرَامُ بِهَا فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ  
مفرداته بينة، ومعناه: أن نبوته لما كانت أصلاً لكل نبوة ورسالة، وأن جميع  
الرسول قبل ظهوره ببشريته نواب عنه في تبليغ الشرائع إلى من أرسلوا إليهم -كما  
تقدم تحقيقه- ويشهد له أخذ الميثاق في قوله -عز اسمه-: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ  
النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ  
بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: ٨١] وجب أن تكون جميع آياتهم المعلنة بتأييد  
رسالاتهم في الحقيقة آيات له ﷺ وأعلاماً لرسالته في المعنى التي قاموا بتبليغها  
على وجه النيابة، وهذا المعنى ألطف وأعلق بالحقيقة مما ذهب إليه بعضهم،  
ولهج به الشعراء من نسبتها إليهم نظراً للظاهر وإثبات أن كل آية ثبت له -عليه  
السلام- مثلها أو قريب منها، وعلى ذلك جاء قول الشاعر:

وكل معجزة للرسول قد سبقت وافى بأعجب منها عند إظهار



فما العصا حية تسعى بأعجب من  
ولا انفجار معين الماء من حجر  
وعلى طريقة الناظم جاء قول العارف سيدي علي وفا<sup>(٣)</sup> -قدس الله روحه- :  
سكن الفؤاد فعش هنيئاً يا جسد  
روح الوجود حياة من هو واجد  
عيسى وآدم والصدور جميعهم  
من حيث أن الآيات بالحقيقة له -عليه السلام- وليس لهم -عليهم السلام-

(١) عصا موسى وتحولها إلى حية مذكور في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿فَالْقَلْبَ فَإِدَا هِيَ حَيَّةٌ سَتَعْنَ﴾ [طه: ٢٠] .

شكوى البعير: في الشفاء ٣٨٢ أن النبي ﷺ قال لهم: إنه شكا كثرة العمل وقلة العلف ولكن لا تصريح بالتكليم إنما شكوى بالسجود والتذلل، وفي الترغيب والترهيب ٣/٣٥ رقم ٢٩٧٧: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه وإنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره وإن الأنصار جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نسني عليه وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش الزرع والنخل فقال ﷺ لأصحابه: قوموا، فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحيته فمشى النبي ﷺ نحوه فقالت الأنصار: يا رسول الله قد صار مثل الكلب نخاف عليك صولته قال: «ليس علي منه بأس» فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خرساجداً بين يديه فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله في العمل فقال له أصحابه: يا رسول الله هذا بهيمة لا يعقل يسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك قال: «لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تهبس بالقبيح والصدئ ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه» . قال المنذري: رواه أحمد والنسائي بإسناد جيد رواه ثقات مشهورون .

(٢) انفجار العين لموسى من الحجر في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَسِئًا﴾ [البقرة: ٦٠] .

نبي الماء من كفه الشريف ﷺ: أخرجه البخاري (كتاب الوضوء باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة رقم ١٦٤)، ومسلم (كتاب الفضائل باب في معجزات النبي ﷺ رقم ٤٢٢٥).

(٣) علي وفا: الشاذلي العارف الكبير أبو الحسن ابن العارف الكبير ولد بالقاهرة سنة ٧٥٩ وكان يقطاً حاد الذهن مالكي المذهب وله نظم كثير وكان أبوه معجباً به وأذن له بالموعظة وهو دون العشرين مات سنة ٨٠٧هـ (شرح المواهب للزرقاني ١/٦٣).

إلا مجرد الظهور على أيديهم بخلاف ما لهم من المعارف والعلوم ظهر سر قوله سابقاً: وكلهم من رسول الله ملتمس . . البيت وقوله هنا: فإنما اتصلت من نوره بهم وتمكن التشبيه كل التمكّن في قوله -رحمه الله ورضي عنه- .

[٥٤] فَإِنَّهُ شَمْسٌ فَضْلٌ هُمْ كَوَاكِبُهَا يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ  
 وشرحه أن علماء الهيئة قالوا: إن أجرام الكواكب -ما عدا الشمس- مظلمة صقيلة قابلة لانطباع النور فيها، وأن ما بها من النور منطبع من أشعة نور الشمس لكنه لا يظهر معها نهائياً لغلبة ضوئها، فإذا غابت بالليل ظهر ذلك، كما هو مشهور في القمر<sup>(١)</sup>، وإنما لم يكن لها خسوف كما كان له، من حيث أن ظل الأرض المخروط لا يصل إلى الفلك المكوكب، وهو فلك الثوابت أعني الفلك الثامن. وإيضاح هذا أن الشمس إذا غابت تحت الأرض خرج من الأرض ظل مخروط مبدؤه من الأرض ونهايته دون الثامن، وأشعة الشمس بجوانبه منبعثة، فإذا فاتت نهاية المخروط انضمت أشعتها وعمت فتضيء جميع الكواكب منها، وهذا بناء على قواعد الهيئة، وما عليه غالب المتأخرين الفقهاء من كروية الأرض، هذا حقيقة المشبه به، وأما المشبه فهي حالة الرسل في إظهار آياته التي هي أشعة نوره حال غيبه وجوده البشري الذي هو ظلمة بالنسبة إلى ظهوره ووجود حقيقة نوره، وإن كان هو نوراً في نفسه لكنه لعدم حقيقته لم يكن له ضياء تام، وفي هذا التشبيه لطيفة وهي الإشارة إلى اختصاص رسالة غيره، إذ النجم لا يعم ضوءه كما يعم ضوء الشمس قال شيخ الإسلام: وهذا التشبيه مأخوذ من قول النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب  
 فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب<sup>(٢)</sup>

(١) اكتشف أخيراً أن القمر كان مضيئاً في القديم لكنه انطفأ ومحي ضوءه كما قرره الله في القرآن: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآيَاتِ وَالْحُرُوفِ﴾ [الإسراء: ١٢] قال ابن عباس: كان القمر مضيئاً كما تضيء الشمس والقمر آية الليل والشمس آية النهار فمحونا آية الليل السواد الذي في القمر . (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص ٣٠٨).

(٢) ديوان النابغة ص ٧٨ والمَلِكُ: الجمال .

وقيل: إن غير النابغة سبقه إلى هذا المعنى فقال:

تكاد تميد الأرض بالناس أن رأوا      لعمر بن هند غضبة وهو غائب  
هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت      على كل ضوء والملوك كواكب  
أه ولا يخفى اختلاف مسلك الناظم مع مسلك الشاعرين، نعم يوافقهما في  
بيت بعد هذا مشهور على الألسن غير موجود في الشرح وهو:

حتى إذا ظهرت في الأفق عم هذا      ها العالمين وأحيت دارس الرمم  
[٥٥] أَكْرَمَ بِخُلُقِ نَبِيِّ زَانَهُ خُلُقٌ      بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمٍ  
الصيغة: إحدى صيغتي التعجب المعهودتين في النحو، فمعناهما: ما أكرم  
خلقه. والكرم: طيب الأصل والعنصر، وبه التمدح في كلام العرب، دون مجرد  
البذل والإعطاء إلا إذا نشأ عن ملكة تقتضي ذلك، وهي راجعة إلى الصفة  
الأولى، ويطلق الكرم على العز يقال: هو كريم عنده بمعنى عزيز، وإرادته هنا  
غير ممتعة كما في قول كعب:

أكرم بها خلة لو أنها صدقت      موعودها أو لو ان النصح مقبول<sup>(١)</sup>  
والضمير في زانه يعود إلى الخلق؛ فإن حسن الخلق: صفة تظهر جمال  
الخلق وتوجب قبوله وبالضد الضد، قال عمرو بن معد يكرب:

ليس الجمال بمئزر      فاعلم وإن رديت بردا  
إن الجمال معادن      ومناقب أورثن مجدا<sup>(٢)</sup>  
ومنه أخذ المتنبي قوله:

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له      إذا لم يكن في فعله والخلائق<sup>(٣)</sup>  
وتقدم معنى الخلق والخلق. والحسن: نقيض القبح يدركان بالوجدان.  
والاشتمال: الالتفاف. والبشر - بكسر الباء - : طلاقة الوجه. ومتسم من اتسم  
الرجل: إذا جعل لنفسه علامة يعرف بها. والوصفان بالجر: نعت لخلق نبي،

(١) ديوان كعب ص ٨٥ .

(٢) ديوان عمرو بن معدى كرب ص ٧٩ .

(٣) ديوان المتنبي ٣ / ٦٢ .

الأول يرجع إلى الأجزاء عامة، والثاني إلى الوجه خاصة، ومن ثم اختار الاشتمال في الأول، والاتسام في الثاني، ولك أن تجعل الأول راجعاً إلى أصل الخلق، والثاني إلى تزيينه بالخلق؛ فإن طلاقة الوجه: عنوان الخلق الجميل<sup>(١)</sup>، ومن ثم قال الأشتر النخعي<sup>(٢)</sup>:

بقيت وحدي وانحرفت عن العلا ولقيت أضيافي بوجه عبوس  
إن لم أشن على ابن حرب غارة لم تخل يوماً من نهاب نفوس<sup>(٣)</sup>  
ومضمون البيت مدحه - عليه الصلاة والسلام - بكمال الخلق والخلق بعدما  
بين أن مدحه على طريق الإحاطة بكمالاته لا يتيسر، إيماءً إلى: أن الميسور  
لا يسقط بالمعسور.

وأحاديث حسن خلقه وخلقته ﷺ كثيرة جداً، ومن إجمالها الملاقي لكلام  
الناظم: حديث البراء<sup>(٤)</sup> رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ: «أحسن الناس  
وجهاً وأحسنهم خلقاً»<sup>(٥)</sup> وفي حديث أبي هريرة: «ما رأيت أحسن من رسول الله  
ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه»<sup>(٦)</sup>.

(١) ولذا أمرنا بها ووعدنا عليها بالأجر: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة» أخرجه الترمذي  
كتاب البر والصلة باب ما جاء في صنائع المعروف وقال: حسن غريب).

(٢) الأشتر النخعي: ( . . . - ٣٧هـ) أمير من كبار الشجعان كان رئيس قومه أدرك الجاهلية وأول  
من عرف عنه أنه حضر خطبة عمر في العجبية وسكن الكوفة وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها  
وكان ممن ألب على عثمان وشهد يوم الجمل وصفين مع علي وولاه على مصر فقصدتها  
فمات في الطريق ويعد من الشجعان الأجواد والعلماء الفصحاء (الأعلام ٥/٢٥٩).

(٣) البيتان في ديوان الحماسة ١/ ٤٠ لكن برواية: بقيت وفري .

(٤) البراء ( . . . - ٢٠هـ) البراء بن مالك الخزرجي صحابي من أشجع الناس شهد أحداً وما  
بعدها وكان في مظهره ضعيفاً متضعفاً قتل مائة شخص مبارزة عدا من قتل في المعارك وكان  
على ميمنة أبي موسى الأشعري يوم فتح تُستر فاستشهد على بابها الشرقي وقبره فيها وهو  
أخو أنس بن مالك (الأعلام ٢/٤٧).

(٥) أخرجه البخاري (رقم ٣٢٨٥ كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ).

(٦) أخرجه الترمذي (رقم ٣٥٨١ كتاب المناقب باب في صفة النبي ﷺ وقال الترمذي: هذا  
حديث غريب) وأحمد (رقم ٨٢٤٩).

قال الشهاب القسطلاني<sup>(١)</sup> في المواهب: ولله در القائل:

لَمْ لَا يَضِيءُ بِكَ الْوُجُودَ وَلَيْلَهُ      فِيهِ صَبَاحٌ مِنْ جَمَالِكَ مُسْفِرٌ  
فِي شَمْسِ حَسَنِكَ كُلِّ يَوْمٍ مَشْرِقٌ      وَبِبَدْرِ وَجْهِكَ كُلِّ لَيْلٍ مَقْمَرٌ<sup>(٢)</sup>

وأما حسن الخلق فقد اجتمع فيه منه ما لا يحصيه حد، وناهيك بشهادة الله له في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] قال الحلبي: إنما وصف خلقه ﷺ بالعظم مع أن الغالب وصف الخلق بالكرم؛ لأن كرم الخلق يراد به السماحة، ولم يكن خلقه ﷺ مقصوراً على ذلك، بل كان رحيماً بالمؤمنين، رفيقاً بهم، شديداً على الكفار، غليظاً عليهم، مهيباً في صدور الأعداء منصوراً بالرعب على مسيرة شهر، فكان الوصف بالعظمة أولى؛ ليشمل الإنعام والانتقام اهـ<sup>(٣)</sup> من المواهب، وبه يطلع على لطائف النظم؛ إذ وصف الخلق بالكرم دون الخلق، ونكره تنكير تعظيم ليلاقى لفظ الآية الشريفة، وجعل منه علو الهمة والجلالة والهيبة في الآيات بعده، وفي المواهب اللدنية<sup>(٤)</sup> قالت عائشة-رضي الله عنها-: كان خلقه ﷺ القرآن. قال صاحب عوارف المعارف: لا يبعد أن قول عائشة فيه رمز غامض إلى الأخلاق الربانية، فاحتشمت من الحضرة الإلهية أن تقول: كان متخلقاً بأخلاق الله فعبرت عن هذا المعنى بقولها: كان خلقه القرآن، استحياء من سبحات الجلال وستراً للحال بلفظ المقال، وهذا من وفور عقلها، وكمال أدبها<sup>(٥)</sup>

(١) الشهاب القسطلاني (٨٥١-٩٢٣هـ) أحمد بن محمد القسطلاني الأصل المصري الشافعي شهاب الدين أبو العباس حدث مؤرخ فقيه مقرئ ولد بمصر ونشأ بها وقدم مكة وتوفي بالقاهرة من تصانيفه إرشاد الساري، والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية (معجم المؤلفين ٨٥/٢).

(٢) الآيات لمحمد وفا، المواهب ٧٤/٤ .

(٣) المواهب ٢٤٥/٤ .

(٤) المواهب ٢٤٦/٤ .

(٥) صاحب عوارف المعارف: هو العارف العلامة عمر شهاب الدين بن محمد بن عمر السهروردي الإمام الورع الزاهد الفقيه الشافعي ولد سنة ٥٣٩ وقرأ الفقه والخلاف ثم لازم الخلوة والصوم ثم تكلم على الناس وتاب على يديه الكثير وتوفي ببغداد سنة ٦٣٢ (شرح الزرقاني ٢٤٧/٤).

انتهى . قلت : ولا غرابة فيه فقد شق له من اسمه ، وسماه من أسمائه بالرؤوف الرحيم <sup>(١)</sup> فتدبر .

[٥٦] كَالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ وَالبَدْرِ فِي شَرَفٍ وَالبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي هِمَمٍ  
تشبيهه لخلقه وخلقه ﷺ . والزهر : اسم جنس جمعي <sup>(٢)</sup> ، واحده زهرة ؛  
وهو نور النبات . والترف : التنعم - وقد تقدم - والبدر : القمر عند تمامه .  
والشرف : علو المنزلة . والدهر : الزمان ، كما قال الشاعر :

إن دهرأ يلف شملي بليلى لزمان يهم بالإحسان <sup>(٣)</sup>  
والهمم : جمع همة ، يقال : هو بعيد الهمة - بكسر الهاء وفتحها - وهي  
الإرادة من هممت بالشيء أردته .

والمعنى : أن خلقه الشريف كالزهر في تنعمه من نضارة جسم وطيب رائحة ،  
والمعنى ليلة تمامه في شرف ذاته وكمال حسنه ، وإن خلقه العظيم كالبدر في  
الكرم ، والدهر في علو الهمة ، وشاهد الأول : ما في الترمذي عن ابن عباس  
- رضي الله عنهما - كان النبي ﷺ رقيق البشرة ، لطيف الظاهر والباطن ، يعرف  
غضبه ورضاه في وجهه <sup>(٤)</sup> .

وقال رضي الله عنه : مامست حريراً ولا ديباجة ألين من كف رسول الله  
ﷺ <sup>(٥)</sup> .

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ  
عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

(٢) اسم الجنس الجمعي : ما تضمن معنى الجمع دالاً على الجنس وله مفرد مميز عنه بالبناء أو  
ياء النسبة : تفاح تفاحة ، عرب عربي . وأما اسم الجنس الإفرادي فهو : مادل على الجنس  
صالحاً للقليل منه والكثير كماء ولبن وعسل (جامع الدروس العربية ٢/٦٥) .

(٣) البيت لحسان بن ثابت برواية (جمل) مكان (ليلى) .

(٤) أخرجه الترمذي (٣٦٤٥) كتاب المناقب باب مناقب علي (ع) عن عمران بن حصين . . . فأقبل  
رسول الله ﷺ والغضب يعرف في وجهه وقال الترمذي : حديث حسن غريب .

(٥) أخرجه البخاري (رقم ٣٢٩٧) كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ ، ومسلم (رقم ٤٢٩٨) كتاب  
الفضائل باب طيب رائحة النبي ﷺ ، فإن قيل : يخالفه حديث الترمذي : «شثن الكفين  
والقدمين» أي غليظها فيقال : اللين في الجلد والغلظ في العظام فيجتمع له النبي ﷺ نعومة  
البدن مع القوة .

وأما طيب ريحه ﷺ فدلائله كثيرة؛ في المواهب: عن امرأة عتبة بن فرقد السلمي<sup>(١)</sup> قالت: كنا عند عتبة أربع نسوة، فما منا امرأة إلا وهي مجتهدة في الطيب، لتكون أطيب من صاحبته، وما يمس عتبة الطيب إلا أن يمس دهنًا يمسح به لحيته ولهو أطيب ريحاً منا، وكان إذا خرج للناس قالوا: ما شممنا ريحاً أطيب من ريح عتبة فقلت له يوماً: إنا لنجهد في الطيب ولأنت أطيب ريحاً منا، فمم ذلك؟ قال: أخذني الشرى<sup>(٢)</sup> على عهد رسول الله ﷺ فشكوت ذلك إليه فأمرني أن أتجرد فتجردت وقعدت بين يديه فنفت في يده ثم مسح ظهري وبطني بيده فعلق بي هذا الطيب من يومئذ<sup>(٣)</sup>.

وعن أنس رضي الله عنه قال: دخل علينا رسول الله ﷺ فقال<sup>(٤)</sup> عندنا فعرق، وجاءت أمي<sup>(٥)</sup> بقارورة فجعلت تسلط العرق فيها، فاستيقظ رسول الله

(١) عتبة بن فرقد: السلمي أبو عبد الله شهد خيبر وقسم له منها وولاه عمر في الفتوح ففتح الموصل سنة ١٨ هـ مع عياض بن غنم ونزل الكوفة ومات بها (الإصابة ٥٤١٦، ٤/٤٣٩).

(٢) الشرى: شيء يخرج على الجسد أحمر كهيئة الدراهم وقيل: هو شبه البشر يخرج في الجسد (اللسان ١٤/٤٣٠).

(٣) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير ١٣٤/١٧، رقم ٣٣١، وفي الصغير ٧٧/١ رقم ٩٨، وهو في مجمع الزوائد ٢٨٢/٨ وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه ورجال الأوسط رجال الصحيح غير أم عاصم فإني لم أعرفها. هـ وهو في سبل الهدى والرشاد ٤٤/٢. أخرج مسلم (كتاب الفضائل باب طيب رائحة النبي ﷺ رقم ٤٢٩٨) عن أنس رضي الله عنه قال: ما شممت عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ. وأخرج أيضاً (كتاب الفضائل باب طيب رائحة النبي ﷺ رقم ٤٢٩٧) عن جابر بن سمرة أنه مسح خده قال: فوجدت ليدته برداً وريحاً كأنما أخرجه من جونة عطار.

(٤) أي نام القيلولة قال ابن منظور ٥٧٨/١١: القيلولة عند العرب والمقيل: الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر وإن لم يكن مع ذلك نوم.

(٥) أم سليم: سهلة أو رملة أو رميثة أو مليكة بنت ملحان، أم أنس من زوجها مالك بن النضر في الجاهلية أسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار فغضب مالك وخرج إلى الشام فمات بها فتزوجت بعده أبا طلحة وكانت تغزو مع رسول الله ﷺ. انظر الإصابة في تمييز الصحابة، رقم ٢١٠٧٣ ٨/٢٢٨.

فقال ﷺ: «يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟» قالت: هذا عرقك نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب<sup>(١)</sup>. انتهى.

وقد تقدم ما يبين بعض كرمه، وأما ما يتعلق بكونه كالدهر فيتوقف على حقيقة ذلك التشبيه، قال شيخ الإسلام: معنى التشبيه: هو كالدهر فيما يرجع من الأخلاق إلى الهمم أي إرادته التي يريدتها من إعطاء ومنع وضر ونفع، وهذا باعتبار ما جرت به عادة الأدباء من تشبيه الهمم بالدهر حتى قال قائلهم: له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر<sup>(٢)</sup> ووجه هذا التشبيه: أن الحوادث الجليلة والدقيقة إنما تقع في الدهر فنسبوا إليه، وكأن الدهر باعتبار ما يقع فيه من الحوادث لا يرضى إلا بالغاية من ذلك الحادث، فإذا رفع بلغ الغاية، وإذا وضع وصل النهاية، ومن ثم قال معاوية رضي الله عنه: نحن الزمان من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع اه. ومعنى كلام معاوية أن من المقصد في ذلك التشبيه في نفوذ الأمر ومضيه، ويعجبني قول أعرابي مدح مالك بن طوق<sup>(٣)</sup> فأثابه فقال:

(١) أخرجه مسلم (رقم ٤٣٠٠ كتاب الفضائل باب طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به).

(٢) نسب البيت للعكوك ونسب لبكر بن النطاح، العكوك (١٦٠ - ٢١٣ هـ / ٧٧٦ - ٨٢٨ م) علي بن جبلة بن مسلم بن عبد الرحمن الأبنائي . شاعر عراقي مجيد، أعمى، أسود، أبرص، من أبناء الشيعة الخراسانية، ولد بحي الحربية في الجانب الغربي من بغداد ويلقب بالعكوك وبه اشتهر ومعناه القصير السمين . ويقال: إن الأصمعي هو الذي لقبه به حين رأى هارون الرشيد متقبلاً له، معجباً به . وتدور مواضع شعره حول المديح والرثاء كما يراوح في بعضه بين السخرية والتهكم والفحش وهتك الأعراض والرمي بالزندقة والغزل والعتاب . وصفه الأصفهاني بقوله: (هو شاعر مطبوع عذب اللفظ جزل، لطيف المعاني، مداح حسن التصرف).

أما بكر بن النطاح: (ت ١٩٢ هـ / ٨٠٧ م) فهو أبو وائل . شاعر عَزَل، من فرسان بني حنيفة من أهل اليمامة . انتقل إلى بغداد في زمن الرشيد واتصل بأبي ذُلف العجلي فجعل له رزقاً سلطانياً عاش به إلى أن توفي .

(٣) مالك بن الطوق: ( . . . - ٢٥٩هـ) التغلبي أبو كلثوم أمير كان من الأشراف الفرسان الأجواد ولي إمرة دمشق للمتوكل العباسي وبنى بمساعدة الرشيد بلدة الرحبة التي على الفرات وتعرف برحبة مالك نسبة إليه وكثر سكانها في أيامه وكان فصيحاً له شعر (الأعلام ٥/٢٦٢).



وما زلت أخشى الدهر حتى تعلقت  
فلما رأني الدهر تحت جناحه  
رأني بحيث النجم في رأس باذخ  
فتى كسماء الغيث والناس حوله  
وقد مر أن خلقه ﷺ وصف بالعظمة لما له من المهابة والجلال:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له  
وإن الناظم نكر لذلك فصح له هذا التشبيه . وقد جمع ما في البيت من  
أبيات للبحثري يمدح الفتح بن خاقان<sup>(٢)</sup>:

وكالبدر وافته لثمَّ سعوده  
فسلمت واعتاقت جناني هيبة  
فلما تأملت الطلاقة وانثنى  
دنوت فقبلت الندى من يد امرىء  
وفي بعض ما قال الناظم قال ابن جابر<sup>(٤)</sup>:

يروى حديث الندى والبشر عن يده  
من وجه أحمد لي بدر ومن يده  
وله على ما أثبتته في نفح الطيب<sup>(٥)</sup>:

(١) ديوان النابغة الجعدي ص ٧٣ .

(٢) الفتح بن خاقان ( . . . - ٢٤٧هـ ) أبو محمد أديب شاعر فصيح كان في نهاية الفطنة والذكاء فارسي الأصل من أبناء الملوك اتخذته المتوكل العباسي أخاً له واستوزره وجعل له إمارة الشام على أن ينيب عنه وكان يقدمه على جميع أهله وولده واجتمعت له خزانة كتب حافلة من أعظم الخزائن وألف كتاباً اسمه اختلاف الملوك وقتل مع المتوكل (الأعلام ١٣٣/٥) .

(٣) ديوان البحثري ص ١٦١٠ .

(٤) ابن جابر: (٦٨٩-٧٨٠هـ) محمد بن علي أبو عبد الله الهواري الأندلسي الضرير رحل مع أبي جعفر الغرناطي وقرأ علوماً كثيرة وابن جابر أديب ناثر وشاعر له إمام في الحديث وبراعة في اللغة والنحو توفي في البيرة (تاريخ الأدب العربي ٥٣٠/٦) .

(٥) نفح الطيب ١١٤٦/٢ .

يا أهل طيبة في مغناكم قمر يهدي إلى كل محمود من الطرق  
كالغيث في كرم والليث في ضرم والبدر في أفق والزهر في خلق  
هذا وأنت تعلم أن الغرض من ذلك التشبيه: توضيح المعقول بالمحسوس  
لتصل إليه الأذهان، وإلا فالمشبه أعلى بمراتب من المشبه به، ومن ثم ذكر وجه  
التشبيه زيادة في الإيضاح، وإن فاته بذلك المبالغة فيه، فإنها في مقام البيان  
ليست بشيء، بل ربما نافيت المقصود فتدبره.

[٥٧] كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ فِي جَلَالَتِهِ فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمِ

الجلالة: العظمة. والعسكر: الجيش الكثير مأخوذ من العسكرة، وهي  
الشدّة، وأقله الجريدة ثم السرية من خمسين إلى أربعمئة ثم الكتيبة إلى ألف ثم  
الجيش إلى أربعة آلاف ثم الخميس إلى اثني عشر ألفاً<sup>(١)</sup>. والحشم: خدم الرجل  
ومن يغضب له. والظرف يتعلق بما تعلق به خبر كان أو بالتشبيه. وقوله في  
جلالته يروى بمن، وهي تعليلية، تتعلق بالتشبيه، وجملة: وهو فرد. الخ  
حالية، ويروى بفي، فإن كانت سببية كان المعنى كالأول، وإن جعلت ظرفية  
تعلقت بفرد بمعنى منفرد في ذلك الوصف، وكانت الجملة اعتراضية قصد بها  
دفع الشركة في هيئته ﷺ، ويصح أن يجعل في جلالته حالاً من اسم كان.

والمعنى: كأنه والحال أنه منفرد أو حال كونه في جلالته في عسكر الخ أو  
كأنه وهو مفرد بالجلالة لا يشارك فيها.

ومن شواهد هيئته ﷺ الحديث الشهير: كان رسول الله ﷺ إذا تكلم أترق  
جلساؤه، كأنما على رؤوسهم الطير<sup>(٢)</sup>.

(١) قال أبو منصور: أقل العساكر الجريدة وهي قطعة جردت من سائرها لوجه، ثم السرية وهي  
من خمسين إلى أربعمئة ثم الكتيبة وهي من أربعمئة إلى الألف ثم الجيش وهو من ألف إلى  
أربعة آلاف وكذلك الفيلق والجحفل ثم الخميس وهو من أربعة آلاف إلى اثني عشر ألفاً  
والعسكر يجمعها (فقه اللغة ٢٠٣).

(٢) أخرجه النسائي (رقم ١٩٧٤ كتاب الجنائز باب الوقوف للجنائز) وأبو داود (رقم ٤١٢٧ كتاب  
السنة باب في المسألة في القبر وعذاب القبر) وابن ماجه (رقم ٤١٢٧ كتاب ما جاء في  
الجنائز باب ما جاء في الجلوس على القبر)، وأحمد (رقم ١٧٨٠٣).

وقال البراء رضي الله عنه: كنت أؤخر سؤاله ﷺ عن الأمر سنين من هييبته<sup>(١)</sup>. ولله در علي -كرم الله وجهه- إذ قال في وصفه ﷺ: من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه.<sup>(٢)</sup> وأعجب من هذا وقوع هييبته بمجرد ذكر اسمه ﷺ في قلوب العارفين، وذلك من شواهد تفرده بجلالته.

في الشفاء للقاضي عياض - رحمه الله - قال مصعب بن عبد الله<sup>(٣)</sup>: كان مالك إذا ذكر النبي ﷺ يتغير لونه، وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقليل له يوماً في ذلك، فقال: لو رأيتم ما رأيتم لما أنكرتم علي ما ترون، لقد كنت أرى محمد بن المنكدر<sup>(٤)</sup>، وكان سيد القراء لا يكاد يسأل عن حديث إلا بكى

(١) الحديث في الشفاء ٥١٩ وعزاه محققه إلى أبي يعلى في مسنده الكبير، وأخرج البخاري (كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد رقم ٢٥٢٩) قول عروة بن مسعود: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلک بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضؤوا كادوا يقتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيماً له . . . وأخرج مسلم (كتاب الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله رقم ١٧٣): عن عمرو قال: ما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملاً عيني منه إجلالاً له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأنني لم أكن أملاً عيني منه . وأخرج مسلم (رقم ٣١٣٥ كتاب الإيمان باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده) قال أبو مسعود البدری: كنت أضرب غلاماً لي بالسوط فسمعت صوتاً من خلفي: اعلم أبا مسعود فلم أفهم الصوت من الغضب قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: اعلم أبا مسعود اعلم أبا مسعود قال: فألقيت السوط من يدي فقال: اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام قال: فقلت: لا أضرب مملوكاً بعده أبداً وفي رواية: فسقط من يدي السوط من هييبته .

(٢) أخرجه الترمذي (رقم ٣٥٧١ كتاب المناقب باب ما جاء في صفة النبي ﷺ).

(٣) مصعب بن عبد الله (١٥٦-٢٣٦هـ) أبو عبد الله علامة بالأنساب غزير المعرفة بالتاريخ كان أوجه قريش مروءة وعلماء وشرفاً وكان ثقة في الحديث شاعراً وولد بالمدينة وسكن ببغداد وتوفي بها له كتاب نسب قريش (الأعلام ٧/٢٤٨).

(٤) محمد بن المنكدر: (٥٤-١٣٠هـ) القرشي التيمي المدني زاهد من رجال الحديث من أهل المدينة أدرك بعض الصحابة وروى عنهم له نحو مائتي حديث قال ابن عيينة: ابن المنكدر من معادن الصدق (الأعلام ٧/١١٢).

حتى نرحمه، ولقد كنت أرى جعفر بن محمد الصادق<sup>(١)</sup>، وكان كثير الدعابة والتبسم، إذا ذكر عنده النبي ﷺ اصفر، وما رأيته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة، ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم<sup>(٢)</sup> يذكر النبي ﷺ فينظر إلى لونه، كأنه نرف منه الدم، وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>. إلى هنا انتهى كلامه<sup>(٤)</sup>.

وفي معنى كلام الناظم قول بعضهم وأجاد:

يغيثك في مَحَلِّ يعينك في ردى      يروعك في درع يروك في بُردِ  
جمال وإجلال وسبق وصوله      كشمس الضحى كالمزن كالبرق كالرعد<sup>(٥)</sup>

(١) جعفر الصادق: (٨٠-١٤٨هـ) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين الدين بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي أبو عبد الله سادس الأئمة الاثني عشر عند الأئمة كان من أجلاء التابعين وله منزلة رفيعة في العلم أخذ عنه الإمامان أبو حنيفة ومالك له أخبار مع الخلفاء من بني العباس وكان جريئاً عليهم مولده ووفاته بالمدينة (الأعلام ١٢٦/٢).

(٢) عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق: (. . . ١٢٦هـ) التيمي القرشي أبو محمد من سادات أهل المدينة فقهاً وعلماً وديانة وحفظاً للحديث وإتقاناً توفي في الشام (الأعلام ٣/٣٢٢).

(٣) الشفاء ٥٢٣.

(٤) وفي الشفاء ٥٢٣: أخرج الحاكم [١٩٤/١] رقم ٣٧٨ وصححه ووافقه الذهبي] عن ابن مسعود أنه حدث يوماً فجرى على لسانه قال رسول الله ﷺ ثم علاه كرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال: هكذا إن شاء الله أو فوق ذا أو ما دون ذا أو ما هو قريب من ذا، وقال أبو مصعب: كان مالك لا يحدث بحديث رسول الله ﷺ إلا وهو على وضوء. وقال عبد الله بن المبارك: كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فأمر بحبسه فقيل له: إنه قاض فقال: القاضي أحق من أدب. وكان الأعمش إذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء تيمم.

(٥) قائله هو ابن اللبانة الداني (. . . ٥٠٧هـ / . . . ١١١٣م) أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي المعروف بابن اللبانة. من أهل دانية وهو أحد الشعراء الأندلسيين الكبار وقد تردد كثيراً على ملوك الطوائف وخصوصاً على صاحب ميورقة ناصر الدولة مبشر بن سليمان، ثم على المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية الذي ربطته به صداقة حميمة حتى بعد سجن ابن عباد. وقد كانت وفاته بميورقة وقد كان أديباً ناثراً. له من الكتب المشهورة ثلاثة هي (مناقل الفتنة)، و(نظم السلوك في وعظ الملوك) في رثاء بني عباد، و(سقيط الدرر ولقيط الزهر). انظر معجم المؤلفين ١٠٨/١١.

[٥٨] كَأْتَمَا اللَّؤْلُؤُ الْمَكُونُ فِي صَدَفٍ مِنْ مَعْدِنِي مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسَمِ اللَّؤْلُؤِ: جمع لؤلؤة، وهي الدرّة. وفي الأساس<sup>(١)</sup>: لآل بَيْنَ اللَّثَالَةِ، وهو بائع اللؤلؤ قال:

درّة من عقائل البحر بكر لم تخنها مشاقب اللآل<sup>(٢)</sup>  
 والمكنون: من أكننت الشيء: إذا سترته. والصدف: غشاء الدرّة، وواحد صدفه. والمعدن - بكسر الدال -: مركز كل شيء، قال في الأساس<sup>(٣)</sup>: فلان في معدن الخير والكرم، وهو من مراكز الخير ومعادنه، وعليه عدنيات أي ثياب كريمة، وأصلها النسبة إلى عدن، وكثر حتى قيل للرجل الكريم الأخلاق: عدني، كما قيل للشيء العجيب من كل فن: عبقرى<sup>(٤)</sup> قال كثير بن جابر المحاربي:

سرت ما سرت من ليلها ثم عرست إلى عدني ذي غناء وذي فضل  
 إلى ابن حصان لم تخضرم جدودها كريم الثنا والخيم والفعل والأصل والمنطق: الكلام. والمبتسم: موضع الابتسام، وهو ما دون الضحك<sup>(٥)</sup>.

ومعنى البيت: تشبيه الجواهر النفيسة على أكمل أحوالها، وهي كونها في صدفها بمنطقه - عليه السلام - وثناياه التي تظهر عند ابتسامه على عكس التشبيه مبالغة، ووجه الأول: النفاسة المعنوية، ووجه الثاني: صفاء الماء والبريق

(١) الأساس ٤٠١ (لآل).

(٢) البيت لعبيد الله بن قيس الرقيات في ديوانه ٥٩ وفي رواية: لم تنلها .

(٣) الأساس ٢٩٥ (عدن).

(٤) عبقرى: منسوب إلى وادي عبقر وهو واد يسكنه الجن فيما يقال فأصبح ينسب إليها كل شيء رفيع. وعبقرى قوم أي سيدهم وكبيرهم وشديدهم وقويهم والعبقرى الكامل وفي القرآن ﴿وَعَبْقَرِيَّ حَسَانًا﴾ [الرحمن: ٥٣٥/٤].

(٥) قال أبو منصور: التبسم أول مراتب الضحك ثم الإهلاس وهو إخفاؤه ثم الافترار والانكلال وهما الضحك الحسن ثم الكتكتة أشد منهما ثم القهقهة ثم القرقرة ثم الكركرة ثم الاستغراب ثم الطخطخة وهي أن يقول: طيخ طيخ ثم الإهزاق والزهزقة وهي أن يذهب الضحك به كل مذهب (فقه اللغة ١٠٩).

والبياض، ومرجع الأول إلى: ما أوتيته ﷺ من الفصاحة والبلاغة وكفالك حديث الفصاحة أعني قوله عليه السلام: «أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش واسترضعت في بني سعد»<sup>(١)</sup>. فانظر رونق هذا الكلام وعذوبة ألفاظه، كأنها العذب السلسبيل مع احتوائه على ألطف كناية في قوله: «من نطق بالضاد»، ودقة ذلك الاستدراك الموجب لتأكيد ما تقدم بإيهام المناقضة<sup>(٢)</sup>. ومن شواهد الثاني: ما روي عن بعض ناعتيه: كان ﷺ إذا ضحك افتر عن مثل سنا البرق وحب الغمام<sup>(٣)</sup>. وقال آخر: إذا ضحك تلاً لأت الجدر<sup>(٤)</sup>.

ويعجبني في معنى جمع اللؤلؤ والصدف قول ذي المذلتين:

سألتها علة من ماء مبسمها	تظفي بها حر مصدوع الهوى دنف
تبسمت ثم قالت: ثغر ذي شنب	في ثغر ذي قلح نوع من الكلف <sup>(٥)</sup>
لقد درت أنه والله لا عجب	أن يوجد الدر مقروناً مع الصدف <sup>(٦)</sup>

(١) قال العجلوني في كشف الخفاء ١/٢٠٠ رقم ٦٠٩: قال في اللالكى: معناه صحيح لكن لا أصل له. وروى الطبراني [المعجم الكبير رقم ٥٤٣٧، ٣٥/٦] «أنا أعرب العرب ولدت في بني سعد فأني يأتيني اللحن» ١. هـ وفي الحديث الذي أخرجه البخاري (كتاب التعبير باب المفاتيح في اليد رقم ٦٤٩٦) ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة رقم ٨١٢) أنه ﷺ قال: «أوتيت جوامع الكلم».

(٢) وهو ما يسمى في البلاغة المدح بما يشبه الذم وله طريقتان:

١- أن تذكر لشيء صفة مدح ثم تستثني منها صفة مدح:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتاب .

٢- أن تذكر لشيء صفة مدح ثم تستثني منها صفة مدح أخرى:

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد فما يبقي من المال باقيا

(البلاغة العربية ٣٤٦).

(٣) أخرجه الترمذي في الشمائل كما في سبل الهدى والرشاد ٤٣/٢ .

(٤) الحديث في سبل الهدى والرشاد ٤٤/٢: قال: رواه محمد بن يحيى الذهلي في الزهريات وأبو الحسن بن الضحاك وابن عساكر .

(٥) شنب: ماء ورقة وبرد وعذوبة في الأسنان أو نقط بيض فيها أو حدة الأنياب (القاموس ١٣٢ شنب). قلح: صفرة الأسنان (القاموس ٣٠٣ قلح). كلف: شيء يعلو الوجه كالسمسم ولون بين السواد والحمرة وحمرة كدرة تعلق الوجه (القاموس كلف ١٠٩٩).

(٦) ذو المذلتين هو ابن سهل وتقدمت ترجمته ص ١٠٨، والأبيات في ديوان ابن سهل ٩٥ .

وبيت الناظم مأخوذ من قول البحري:

ولما التقينا واللوى موعدا لنا  
 فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها  
 تعجب رائى الدر نظماً ولاقطه  
 ومن لؤلؤ عند الكلام تساقطه<sup>(١)</sup>  
 [٥٩] لا طيب يعدلُ تريباً ضمَّ أعظمه  
 طوبى لمن تشق منه ومُلثِم

من تشريفه - عليه الصلاة والسلام - تعظيم جميع ما ينسب إليه، قال القاضي أبو الفضل في كتاب الشفاء: من إعظامه وإكباره ﷺ إعظام جميع أسبابه، وإكرام مشاهدته، وأمكنته من مكة والمدينة، ومعاهده، وما لمسه - عليه السلام - أو عرف به. وروي عن صفية بنت بجرة<sup>(٢)</sup> قالت: كانت لأبي محذورة<sup>(٣)</sup> قصة في مقدم رأسه، إذا قعد وأرسلها أصابت الأرض، ف قيل له: ألا تحلقها فقال: لم أكن بالذي أحلقها وقد مسها رسول الله ﷺ بيده اه<sup>(٤)</sup>. وساق آثاراً آخر من هذا الباب<sup>(٥)</sup>، فلم يخرج المصنف بذلك عن مدحه - عليه السلام - بل انتقل من

(١) ديوان البحري ١٢٣٠ .

(٢) في الشفا ص ٥٤٠: صفية بنت نجدة.

(٣) أبو محذورة الجمحي ( . . . - ٥٩هـ) أوس بن معير، المؤذن الأول في الإسلام قرشي أسلم بعد حنين وكان الأذان قبله دعوة للصلاة على غير قاعدة وسمع في الجعرانة صوتاً غير منسجم يقلده هزواً به واستحسن رسول الله ﷺ صوته ودعاه إلى الإسلام فأسلم قال: وألقى عليّ التأذين هو بنفسه ولما تعلم الأذان جعله مؤذنه الخاص وطلب أن يكون مؤذن مكة فكان وظل الأذان في بنيه وبنو أخيه مدة ورويت عنه أحاديث (الأعلام ٣١/٢).

(٤) الشفا ٥٤٠ .

(٥) ومنها أن خالد بن الوليد كانت في قلنسوته شعرات من شعر الرسول ﷺ فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة أنكروا عليه أصحاب النبي ﷺ كثرة من قتل فيها فقال: لم أفعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره ﷺ لئلا أسلب بركتها وتقع في أيدي المشركين (الشفا ٥٤٠) ولم يكن يشهد بها قتالاً إلا رزق النصر، (وفي حاشية الشفا ص ٤٠٦: أخرجه أبو يعلى والحاكم). ومنها أنه رئي ابن عمر واضعاً يده على مقعد النبي ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه (الشفا ٥٤٠) ولهذا كان مالك لا يركب دابة في المدينة وكان يقول: أستحي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ بحافر دابة. وقد حكى السلمي عن ابن نطفويه أنه قال: ما مسست القوس بيدي إلا على طهارة منذ بلغني أن النبي ﷺ أخذ القوس بيده، وحكي أن جهجها الغفاري أخذ قضيب النبي ﷺ من يد عثمان وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فأخذته الآكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول (الشفا ٥٤١).

مدحه لذاته لمدح ما يمدح لانتسابه إليه من مكان وزمان، وذلك عند التأمل أشد من المدح الأول. والطيب: مما يُتطيب به مما له رائحة طيبة. ويعدل: بمعنى يماثل، في الأساس<sup>(١)</sup>: تقول العرب: اللهم لا عدل لك، أي لا مثل. ويقال في الكفارة: عليه عدل ذلك<sup>(٢)</sup>، ولا قبل الله منه عدلاً<sup>(٣)</sup> أي فداء، وما يعدلك عندي شيء أي يشبهك اهـ. والترب: التراب. وضم: جمع. وطوبى: كلمة دعائية وتهنئة، معناها: إصابة الخير أو دوامه. ومنتشق: اسم فاعل افتعل من نشقت منه ريحاً طيبة أي شممتها. في الأساس<sup>(٤)</sup>: نشق الطبي في الحباله: نشب فيها، ومن المجاز: نشق فلان في حباله فلان: إذا وقع منه فيما لا يتخلص منه ونشق الريح نشقاً واستنشقتها وتنشقها.

قال المثلث<sup>(٥)</sup>:

فلو أن محموراً بخيبر مدنفاً      تنشق رياها لأقلع صالبه<sup>(٦)</sup>

وملتشم: اسم فاعل من التشم إذا شد اللثام، وهو النقاب، كذا نقل شيخ الإسلام عن ابن القصار، قال: ولا يصح أن يكون من التقبيل لأنه لا يقال في معناه: التشم بل لثم -بالكسر والفتح- قال شيخ الإسلام: وهذا لا يتم إلا إذا نصوا على أنه لا يشتق من لثم بمعنى قبل افتعل اهـ.

(١) الأساس ٢٩٥ (عدل).

(٢) ومنه الآية: ﴿أَوْ عَدَلْ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة: ٩٥].

(٣) ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ١٢٣]. وحديث النبي ﷺ (مسلم كتاب الحج باب فضل المدينة): «من ادعى إلى غير أبيه أو اتهمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً».

(٤) الأساس ٤٥٧ (نشق).

(٥) المثلث: ( . . . -٥٠ هـ) جرير بن عبد العزى أبو عبد المسيح من بني ضبيعة من ربيعة شاعر جاهلي من أهل البحرين وهو خال طرفة بن العبد كان ينادم عمرو بن هند ثم هجاه فأراد عمرو قتله ففر إلى الشام ولحق بآل جفنة ومات ببصرى وفي المثل: أشأم من صحيفة المثلث وهي كتاب حمله من عمرو بن هند إلى عامله بالبحرين وفيه الأمر بقتله ففضه وقرأ له ما فيه فخذفه في نهر الحيرة (الأعلام ١١٩/٢).

(٦) ديوان المثلث ٢٧٤ وصالبه: الصالب من الحمى: الحارة غير النافض .



والأظهر أن لا منع من الصوغ، وإنما المنع لعدم صحة المعنى هنا إلا بتجاوز ليس له في المقام موقع. وذلك أن اللثم: وضع الفم على الفم خاصة الذي هو موضع اللثام - كما في الأساس<sup>(١)</sup> - والمراد هنا: التكنية عن تعفير الوجه بالتراب حتى يحصل له مثل اللثام.

ومعنى البيت: أن التراب الذي ضم جسده الشريف لا يماثله شيء من أنواع الطيب، فهنيئاً لمن استنشق رياه، وعفر فيه محياه، وكيف لا؟! وقد جمع منبع أطيب الطيب، ثم يحتمل أن يريد حقيقة الطيب فيثبت له النشر والرائحة، وذلك يدرك بقوة توجه النفس، وصدق المحبة، وصرف الهمة بالكلية، وهو كثير في كلام الشعراء<sup>(٢)</sup>، ومنه قول الطغرائي:

فسر بنا في ذمام الليل معتسفا      فنفحة الطيب تهدينا إلى الحلل  
وعلى ذلك جاء قول ابن العريف<sup>(٣)</sup> - رحمه الله - في المدينة المنورة:

إذا ما حدا الحادي بأجمال يثرب      فليت المطايا فوق خدي تنعق  
إلى أن يقول:

(١) الأساس ٤٠٤ (لثم).

(٢) في تفسير ابن كثير ٥٢١/١: عن العتبي [اسمه محمد بن عبد الله ت ٢٢٨هـ] قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه      فطاب من طيبهن القاع والأكم  
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه      فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في النوم فقال: يا عتبي الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له (ذكرها الشيخ عبد الله سراج الدين في كتاب حول تفسير سورة الكوثر ص ١٠٧ وقال: قال القسطلاني: ذكرها ابن النجار وابن عساكر وابن الجوزي).

(٣) ابن العريف: (٤٨١-٥٣٦هـ): أحمد بن محمد الصنهاجي الأندلسي المري أبو العباس صوفي شاعر ذو عناية بالقراءة. من تصانيفه مطالع الأنوار ومنايع الأسرار (معجم المؤلفين ١٦٤/٢).

فما عبق الريحان إلا وقربها  
ولبعضهم:

حيث الهدى دونه في الطيب دارين  
عز التراب لكون الهاشمي به  
وعلی ذلك جاء قول فاطمة الزهراء -رضي الله عنها-:

ماذا على من شم تربة أحمد  
ألا يشم مدى الزمان غواليا<sup>(١)</sup>  
ويحتمل أن يراد أنه أطيب الطيب من حيث التنعم ورياضة النفس به، وإن لم تكن له رائحة ظاهرة لكل الناس. فإن قلت: لم عدل عن ضم جسمه إلى ضم أعظمه مع أن أجسام الأنبياء لا تبلى؟<sup>(٢)</sup> قلنا: للنص على المراد من تراب المدينة المنورة، إذ لو قال: جسمه لشمّل غيرها مما ماس جسمه الشريف قبل الانتقال، وبعد هذا يجوز أن يراد خصوص القبر -كما هو ظاهر العبارة- وقد أخرج العلماء من الخلاف بين تشريف مكة والمدينة، بل قالوا: إنه أشرف البقاع في الأرض والسماء، ويجوز أن يراد جميع تراب المدينة المنورة، فإن لها من التشريف والتكريم بسبب احتوائها على جسده الشريف ما ليس لغيرها، قال القاضي أبو الفضل -رحمه الله-: كان مالك لا يركب في المدينة دابة، وكان يقول: أستحيي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ بحافر دابتي. وقد أفتى -رحمه الله- فيمن قال: تربة المدينة رديئة بضربه ثلاثين درة -بكسر الدال: آلة من جلد غليظ يضرب بها- وأمر بحبسها، وكان له قدر، وقال: ما أحوجه إلى ضرب

(١) البيت في ديوان فاطمة الزهراء ص ١٣١ ضمن قصيدة مطلعها:

قل للمغيب تحت أطباق الثرى: إن كنت تسمع صرختي وندائيا

(٢) أخرج النسائي (١٣٥٧) كتاب الجمعة باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة) عن أوس بن أوس عن النبي ﷺ قال: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثرواعلي من الصلاة فإن صلاتكم معروضة علي» قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ قال: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»، ورواه أبو داود (رقم ٨٨٣ كتاب الصلاة باب فضل يوم الجمعة) وابن ماجه (١٠٧٥) كتاب إقامة الصلاة باب فضل الجمعة).

عنه، تربة دفن فيها رسول الله ﷺ يزعم أنها غير طيبة. وحدث أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائراً وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكياً منشداً:

ولما رأينا رسم من لم يرع لنا      فؤاداً لعرفان الرسوم ولا لبنا  
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة      لمن بان عنه أن نلم به ركبا<sup>(١)</sup>

ثم قال: وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل، وتردد بها جبريل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح، وضجت عرصاتها بالتقديس والتسيح، واشتملت تربتها على جسد خير البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر، مدارس وآيات، ومساجد صلوات، ومشاهد الفضائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين، ومشاعر المسلمين، ومواقف سيد المرسلين، ومبتدأ خاتم النبيين، حيث انفجرت النبوة، وأين فاض عابها، ومواطن مهبط الرسالة، وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها، أن تعظم عرصاتها<sup>(٢)</sup>، وتتنسم نفحاتها، وتقبل ربوعها وجدراتها:

يا دار خير المرسلين ومن به      هدى الأنام وخص بالآيات  
عندي لأجلك لوعة وصبابة      وتشوق متوقد الجمرات  
وعليّ عهد إن ملأت محاجري      من تلکم الجدرات والعرصات  
لأعفرن مصون شيبى بينها      من كثرة التقبيل والرشفات  
لولا العوادي والأعادي زرتها      أبداً ولو سحباً على الوجنات  
لكن سأهدي من جميل تحيتي      لقطين تلك الدار والحجرات  
أذكى من المسك المفتق نفحة      تغشاه بالآصال والبكرات  
وتخصه بزواكي الصلوات      ونوامي التسليم والبركات<sup>(٣)</sup>  
وإنما ذكرناه بطوله لكونه مأخذ كلام الناظم، مع ما اشتمل عليه من رقة

(١) البيتان للمتنبي انظرهما في شرح ديوانه لليازجي ١١٠/٢ .

(٢) العُرْصَة: كل بقعة بين الدق واسعة ليس فيها بناء والجمع عراض وعُرْصات (مختار الصحاح ١٧٨).

(٣) الشفا ٥٤١ .

اللفظ، وجزالة المعنى، وإعراب حنينه عن شوق كامن بين أضلعه-رحمه الله- ومن عجيب الاتفاق ما ذكره الشهاب في شرح هذا المحل من الشفاء: أن الشيخ أحمد بن الرفاعي<sup>(١)</sup> كان كل عام يرسل مع الحجاج السلام على النبي ﷺ، فلما زاره وقف تجاه مرقده، وأنشد:

في حالة البعد روعي كنت أرسلها      تقبل الأرض عني فهني نائبتي  
وهذه نوبة الأشباح قد ظهرت      فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي<sup>(٢)</sup>

فقيل: إن اليد الشريف مدت له فقبلها- هنيئاً له ثم هنيئاً له- قلت: وقريب منه ما حكاه ابن الشباط<sup>(٣)</sup> في شرح الشقراطسية من كرامات ناظمها أنه لما أنشد القصيدة على منبر النبي ﷺ قام رجل فقال: حق على صاحب هذا القبر أن يأخذ بيد هذا ويدخله الجنة، فسمعوا النداء من ناحية القبر: نعم اهـ.

[٦٠] أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ      يَا طِيبَ مُبْتَدَأٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمِ  
أبان: بمعنى أظهر، وضمنه معنى كشف فعدها بعن. ومولده: زمان ولادته بدليل يوم في البيت بعده. والعنصر: الأصل. في الأساس<sup>(٤)</sup>: إنه لكريم العنصر، وتقول: لهم عناصر تثني بها الخناصر. ويا طيب: نداء للتعجب ومنه نائب فاعل مبتدأ ضميره عائد إلى العنصر ومختتم على الحذف والإيصال، والتقدير مختتم به.

(١) الشيخ أحمد الرفاعي (٥١٢-٥٧٨هـ): أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي الأنصاري ولد بأم عبيدة في العراق من تصانيفه البرهان المؤيد والطريق إلى الله (معجم المؤلفين ٢/٢٥).

(٢) القصة ذكرها الشيخ عبد الله سراج الدين في كتاب حول تفسير سورة الكوثر ص ١١٠ وقال: إن قصة تقبيل اليد الشريفة الواردة عن سيدي أحمد رضي الله عنه هي ثابتة بالأسانيد وقد ذكرها عدة من العلماء الذين صنفوا في بيان مناقبه وترجمته، وقد نقلها هو رحمه الله عن السيوطي في كتابه الحاوي.

(٣) ابن الشباط: (٦١٨-٦٨١هـ) محمد بن علي المصري التورزي أبو عبد الله أديب مؤرخ ولد بتورز من بلاد قسطنطينية بأقصى إفريقية وولي بها القضاء ودرس مدة بتونس وتوفي بتورز من تصانيفه الغرة اللائحة (معجم المؤلفين ١١/٥٧).

(٤) الأساس ٣١٤ (عنصر).

والمعنى: أن زمن ولادته ﷺ كشف عن طيب أصله، وهو تراب قبره الشريف الذي خلق منه، لما ورد: أن الإنسان عندما يريد الله تخليقه من النطفة يأمر الملك فيأتي بتراب من المكان الذي يدفن فيه فيعجنه بتلك النطفة<sup>(١)</sup>.

وفي سمط اللآلئ ذكر العارف الرباني عبد الله بن أبي جمرة في كتابه بهجة النفوس، ومن قبله صاحب شفاء الصدور: عن كعب الأحبار قال: لما أراد الله تعالى أن يخلق محمداً ﷺ أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها قال: فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرفيق الأعلى فقبض قبضة رسول الله ﷺ من موضع قبره الشريف، وهي بيضاء منيرة فعجنت بماء التسنيم من معين أنهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم، ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي وفي السماوات والأرض والجبال والبحار فعرفت الملائكة وجميع الخلق سيدنا محمداً وفضله قبل أن يعرف آدم اهـ<sup>(٢)</sup>.

ثم تعجب المصنف من طيب ذلك التراب من حيث كونه مبدأ له -عليه الصلاة والسلام- وختاماً، فالبيت من تمام ما قبله، وفيه تخلص إلى مدح يوم الولادة الشريف، وكشف ذلك اليوم عن طيب العنصر بما ظهر فيه من الكرامات والآيات، فلنسق الأمر من أوله لما فيه من إظهار الكرامات المحمدية. في المواهب اللدنية: قال سهل بن عبد الله التستري<sup>(٣)</sup>: فيما رواه الخطيب البغدادي<sup>(٤)</sup>: لما أراد الله تعالى خلق محمد ﷺ في بطن أمه آمنة ليلة رجب،

(١) الخبر في سبل الهدى والرشاد ٨٩/١ وقال: رواه أبو سعد النيسابوري في الشرف (شرف المصطفى) وابن الجوزي في الوفا (الوفا بأحوال المصطفى).

(٢) الخبر في سبل الهدى والرشاد ٨٩/١.

(٣) سهل بن عبد الله بن يونس التستري (٢٠٠-٢٨٣هـ) أبو محمد أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعبوب الأفعال له كتاب في تفسير القرآن مختصر وغير ذلك (الأعلام ٣/١٤٣).

(٤) الخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٦٣هـ) أحمد بن علي أبو بكر محدث مؤرخ أصولي ولد بدرزيجان من ثرى العراق ونشأ في بغداد ورحل وسمع الحديث وتوفي ببغداد من تصانيفه: تاريخ بغداد، والفتية والمتفقه (معجم المؤلفين ٣/٢).

وكانت ليلة جمعة أمر الله تعالى رضوان خازن الجنان أن يفتح الفردوس، ونادى مناد في السماوات والأرض: ألا إن النور المخزون المكنون الذي يكون منه النبي الهادي في هذه الليلة يستقر في بطن أمه الذي يتم فيه خلقه ويخرج إلى الناس بشيراً ونذيراً. وفي رواية كعب الأحبار أنه نودي تلك الليلة في السماء وصفاحها، والأرض وبقاعها: أن النور المكنون الذي منه رسول الله ﷺ يستقر الليلة في بطن آمنة فيا طوبى لها ثم يا طوبى لها، وأصبحت يومئذ أصنام الدنيا منكوسة، وكانت قريش في جذب شديد وضيق عظيم، فاخضرت الأرض، وحملت الأشجار، وأتاهم الرغد من كل جانب، فسميت تلك السنة سنة الفتح والابتهاج. وخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال: كان من دلالة حمل آمنة برسول الله ﷺ أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت: حمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة، وهو إمام الدنيا، وسراج أهلها، ولم يبق سرير ملك إلا أصبح منكوساً، وفرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات، وكذا أهل البحار يبشر بعضهم بعضاً، وله في كل شهر من شهور حملته نداء في الأرض ونداء في السماء أن أبشروا، فقد آن أن يظهر أبو القاسم ﷺ ميموناً مباركاً. وفي ذلك الكتاب: عن أمه السيدة آمنة بروايات مختلفة أنها قالت: أتاني آت وأنا بين النائمة واليقظانة فقال لي: هل شعرت بأنك حملت بسيد الأنام حتى إذا دنت ولادتي أتاني فقال: قلبي أعيدته بالواحد، من شر كل حاسد، ثم سميه محمداً قالت: ثم لما أخذني ما يأخذ النساء، ولم يعلم بي أحد، وإني لوحيدة في المنزل، وعبد المطلب في طوافه سمعت وجبة عظيمة وأمراً عظيماً هالني ثم رأيت كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي، فذهب عني الرعب وكل وجع أجده، ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء فتناولتها وأضاء لي نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل طولاً، كأنهن من بنات عبد مناف فحدقن بي فقلن لي: نحن آسيا امرأة فرعون، ومريم بنة عمران، وهؤلاء من الحور العين، فبينما أنا أتعجب وأنا أقول: واغوثاه من أين علمن بي؟ واشتد بي الأمر، وأنا أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول مما تقدم إذا بديباج قد مد بين السماء

والأرض، وإذا قائل يقول: خذاه عن أعين الناس ورأيت رجالاً قد وقفوا في الهواء بأيديهم أبريق من فضة، ثم نظرت فإذا أنا بقطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجرتي مناقيرها من الزمرذ وأجنحتها من الياقوت، فكشف الله عن بصري، فرأيت مشارق الأرض ومغاربها، ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علماً بالمشرق وعلماً بالمغرب وعلماً على ظهر الكعبة، فأخذني المخاض فوضعت محمداً ﷺ فنظرت إليه فإذا هو ساجد قد رفع أصبعيه إلى السماء كالمتضرع المبتهل، ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيتها فغيبته عني فسمعت منادياً ينادي: طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلموا أنه سمي فيها الماحي لا يبقى شيء من الشرك إلا محي في زمانه، ثم تجلت عنه في أسرع وقت اهـ.

وفي رواية الخطيب البغدادي: أن مما نادى به المنادي: أعطوه خلق آدم، ومعرفة شيث، وشجاعة نوح، وخلة إبراهيم، ولسان إسماعيل، ورضا إسحاق، وفصاحة صالح، وحكمة لوط، وبشرى يعقوب، وشدة موسى، وصبر أيوب، وطاعة يونس، وجهاد يوشع<sup>(١)</sup>، وصوت داود، وحب دانيال<sup>(٢)</sup>، ووقار إلياس، وعصمة يحيى، وزهد عيسى، واغمسوه في أخلاق النبيين. قالت: ثم انجلت عني فإذا هو قابض على حريرة خضراء مطوية طياً شديداً ينبع من تلك الحريرة ماء وإذا قائل يقول: بخ بخ، قبض محمد ﷺ على الدنيا كلها، لم يبق خلق من أهلها إلا دخل طائعاً في قبضته قالت: ثم نظرت إليه فإذا به كالقمر ليلة البدر، وريحه يسطع كالمسك الأذفر، وإذا بثلاثة نفر، في يد أحدهم إبريق من فضة، وفي الثاني طست من زمرذ أخضر، وفي يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها فأخرج منها خاتماً، تحار أبصار الناظرين دونه، فغسله من ذلك الإبريق سبع مرات، ثم

(١) يوشع بن نون: وهو فتى موسى المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنَهُ﴾ [الكهف: ٦٠]. وهو متفق على نبوته عند أهل الكتاب ومختلف فيها عندنا وقد روى الإمام أحمد أن الرسول ﷺ قال: «إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس» (قصص الأنبياء ٣٨٧).

(٢) دانيال: ذكره من الأنبياء ابن كثير في قصص الأنبياء ص ٤٦٨.

ختم بين كتفيه بالخاتم، ولفه بالحريرة، ثم احتمله فأدخله بين أجنحته ساعة، ثم رده إلي<sup>(١)</sup> اهـ.

فائدة: قال في المواهب: لازال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده - عليه السلام-، ويعملون الولائم، ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور، ويزيدون في المبرات، ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم، ومما جرب من خواصه: أنه أمان لذلك العام، وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام، فرحم الله امرأً اتخذ ليالي شهر مولده المبارك أعياداً، ليكون أشد على من في قلبه مرض وأعياداً اهـ<sup>(٢)</sup>.

[٦١] يَوْمٌ تَفَرَّسَ فِيهِ الْفُرْسُ أَنَّهُمْ قَدْ أَنْذَرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالنَّقَمِ  
يوم - بالرفع - : بدل من مولده على ما بيناه والتفرس: التثبت والتفطن،  
والاسم الفراسة - بكسر الفاء- وفي الحديث: «اتقوا فراسة المؤمن»<sup>(٣)</sup>. والفرس  
-بضم الفاء-، يقال لهم فارس: أمة عظيمة، كان مسكنها في شمال العراق،  
وهم من أولاد هدرام بن أرفحشد بن سام وسموا فارساً؛ لأن أباهم كان له بضعة  
عشر ولداً، كلهم فارس شجاع، وقيل: سموا بذلك لأن بعض أجدادهم اسمه  
فارس، وهو فارس بن كيومرث، أول من ملك من الفرس، وكان منفرداً عن  
العالم ففشا البغي في زمانه، فاجتمع عليه الحكماء، وقالوا: إن صلاح هذا  
العالم في إقامة ملك يورد الأمور موردها، ويصدرها مصدرها، كما أن صلاح  
الجسد بالقلب، وإن العالم الصغير من جنس العالم الكبير، ولا يستقيم أمره إلا  
برئيس يديره على ما تقتضيه قضايا العقول، وأنت أفضلنا وبقية أبينا آدم، فلا بد  
من تقديمك وتفويض الأمر إليك، فأخذ عليهم العهود والمواثيق على السمع  
والطاعة، ووضع التاج على رأسه، وهو أول من لبسه -كذا في شرح ابن نباتة  
على رسالة ابن زيدون<sup>(٤)</sup>- .

(١) انظر شرح المواهب ١/١١٣ . وانظر ما سيأتي في الحاشية ص ٣٠٤ .

(٢) شرح المواهب ١/١٣٩ .

(٣) أخرجه الترمذي (رقم ٣٠٥٢ كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجر وقال: هذا حديث غريب).

(٤) ابن زيدون: (٣٩٤-٤٦٣هـ) أحمد بن عبد الله أبو الوليد شاعر أندلسي ولد في قرطبة من =



والإنذار: الإعلام بالشيء على وجه التخويف. والنذير: المنذر ومنه النذير العريان، قال ابن السكيت: هو رجل من خثعم، حمل عليه يوم ذي الخليفة عوف بن عامر<sup>(١)</sup> فقطع يده ويد امرأته. والحلول: النزول، من حلّ بالمكان يحلّ - بالضم -: إذا نزل. والبؤس: الشدة. والنقم: جمع نقمة، وهي العقوبة.

والمعنى: أن ولادته - عليه السلام - كانت في يوم تفتن الفرس وتنبههم لتخويفهم بنزول الشدة والعذاب بهم، وموجب هذا التفتن والتنبه ما وقع لهم ليلة الولادة من الأمور الهائلة؛ من ارتجاج الإيوان، وخمود النيران، وغور الماء - كما سيحكيه الناظم - ورؤيا الموبدان، - كما سنذكرها بعد إن شاء الله - فإن تغير الحوادث، وانعكاس المعهود منها خصوصاً ما كان له شأن وبه اهتمام، كالمذكورات مما يشعر بوقوع ما يستكره بحسب المعتاد خصوصاً عند الجهلة من غير المشرعين؛ إذ خلاصة ذلك التطير المنفي اعتباره شرعاً.

وليس من المنذر فيما أراده الناظم: إخبار الكهنة - كما سيجيء له - لأن ذلك من صريح الإخبار لا من التفرس، واعتبار الأمارات، ولهذا اعتبر هنا مجرد البؤس والنقم من غير تعيين وجه من وجوهها، وفي إخبار الكهنة تعيين وجهه - كما سيأتي إن شاء الله بيانه -.

واعلم أن الأظهر أنه أراد باليوم مطلق الزمان كما في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] ليجري على الخلاف في زمن الولادة، فقد قيل - وهو المرجح عندهم<sup>(٢)</sup> -: أنه - عليه الصلاة والسلام - ولد عند طلوع الفجر يوم الإثنين، الثاني عشر، من شهر ربيع الأول، وتعيين اليوم والشهر هو

= أسرة شريفة قام بدور مهم في إنهاء الدولة الأموية بالأندلس وقيام دولة بني جهور في قرطبة حيث كان مقرباً من مؤسسها فلقبه بذي الوزارتين أحب ولادة وقال فيها شعراً ونافس الوزير ابن عبدوس في حبها فسجن ثم فر من السجن ثم حظي لدى ابن الملك أبي الوليد ولما ثارت إشبيلية على اليهود أرسله المعتمد إليها وفيها توفي فدفن باحتفال مهيب (تاريخ الأدب العربي ٩٥٣/٤).

(١) عوف بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة: جد جاهلي كان يلقب بذي المجن من نسله جعونة القائد في زمن مروان بن محمد (الأعلام ٩٥/٥).

(٢) انظر تعيينه وترجيحه في سبل الهدى والرشاد ٤٠١/١ .

المشهور، ونقل ابن الجوزي<sup>(١)</sup> الإجماع عليه، وعليه عمل أهل مكة في زيارتهم موضع ولادته، ولا يخفى أنه لا منافاة بين كون الولادة عند الفجر، وما ورد في حديث: تدلي النجوم عند ولادته، بل ولو قلنا: إنه ولد بعد الفجر لإمكان أن يكون التدلي وقت المخاض خلافاً للزرکشي، ويناسب قوله: وبات إيوان كسرى. إلخ فإن الحمل على حقيقة اليوم يأبى ظاهره، وعلى أنه ولد ليلاً فاختلف: هل ليلة مولده -عليه الصلاة والسلام- أفضل أم ليلة القدر؟ وفي المواهب<sup>(٢)</sup>: ترجيح الأول بأوجه ثلاثة: الأول: أن ليلة المولد ليلة ظهوره وليلة القدر معطاة له، والشرف بظهور ذات المشرف من أجله أتم من الشرف بسبب العطية إليه. الثاني: أن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة وليلة المولد بظهوره -عليه السلام- وهو أفضل من الملائكة. الثالث: فضل ليلة القدر خاص بالأمة المحمدية، وفضل ليلة المولد عام لسائر الموجودات بظهور رحمة العالمين، وعام الفضل أقوى.

وفي شرح سيدي محمد الزرقاني<sup>(٣)</sup> عليه: قدح الشهاب الهيثمي في تلك الأوجه: بأنها لا تنتج المدعى، لأنه إن أريد أن تلك الليلة ومثلها من كل سنة إلى يوم القيامة أفضل من ليلة القدر فهذه الأدلة لا تنتج -كما هو جلي- وإن أريد عين تلك الليلة فليلة القدر لم تكن موجودة إذ ذاك فلم يمكن اجتماعهما حتى يأتي بينهما تفضيل، على أنا لو سلمنا أفضلية ليلة مولده ﷺ لم يكن له فائدة؛ إذ لا فائدة في تفضيل الأزمنة إلا بفضل العمل فيها<sup>(٤)</sup> اهـ.

(١) ابن الجوزي (٥١٠-٥٩٧هـ) عبد الرحمن بن علي القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي جمال الدين أبو الفرج محدث حافظ مفسر فقيه واعظ أديب مؤرخ مشارك في أنواع أخرى من العلوم ولد وتوفي ببغداد من مؤلفاته المغني في علوم القرآن (معجم المؤلفين ١٥٧/٥).

(٢) المواهب ١/١٣٥.

(٣) تقدمت ترجمته ص ٢١٢.

(٤) شرح المواهب ١/١٣٥.

قال الزرقاني: وهو وجيه، وقد يقال: نختار الأول، وأن الأدلة تنتجه، وأن المقصور على الليلة المعينة سبب المزية، وهو ظهوره ﷺ، ولا غرابة في تعدي المزية إلى ما يشابه مورد سببها، ألا يرى أن ليلة المعراج سببها خاص بالليلة المعينة، وفضيلتها عامة لكل ما يشابهها.

[٦٢] وبات إيوان كسرى وهو مُنْصَدِعٌ كَشْمَلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلْتَمِّمِ عطف على تفرس. وبات: تامة بمعنى عرس، وعليه فجملة: وهو... إلخ حالية - كما هو الظاهر - وتحتمل النقصان فيما على أصلها وهو الظاهر لانصداع الإيوان ليلة الولادة، أو بمعنى صار، والخبر كشمَل جملة وهي إما اعتراضية، أو حالية عند من يجيز عمل التواسخ في الحال، أو هي الخبر، واقترانها بالواو لشبه الخبر بالحال نص عليه في التسهيل<sup>(١)</sup> وعليه قوله:

وكانوا أناساً ينفحون فأصبحوا وأكثر ما يعطونك النظر الشزر<sup>(٢)</sup>

والوجه: إما الأول، أو الحالية وهو أبين. والمعنى حينئذ تشبيه الإيوان في حال انصداعه بشمل القوم في حال تفرقه، ويفيد ضمناً ثبوت الانصداع له الذي هو المطلوب بالإخبار وإفادة الأول له صريحاً قدمناه في الاعتبار، وعلى كل ففي ذلك التشبيه استطراد لطيف، ومن جيده ما أنشده صاحب زهر الآداب<sup>(٣)</sup>:

تعطيك منطقتها فتعلم أنه مجني عذوبته يمر بثغرها  
وأظن حبل وصلها بمحبها أوهى وأضعف قوة من خصرها<sup>(٤)</sup>

واقتران الخبر بالواو خلاف القياس فلا يجنح إليه مع إمكان الوجه الصحيح. والإيوان - بالكسر - : الصفة العظيمة كالأزج، والجمع إيوانات وأواوين - كذا في

(١) التسهيل ٢٧٨/١ .

(٢) في المعجم المفصل ٢٥٢/٣: ينفعون بدل ينفحون قال: هو بلا نسبة في الدرر وهمع الهوامع.

(٣) صاحب زهر الآداب: هو الحصري القيرواني إبراهيم بن علي الأنصاري (٤٥٣هـ - ...) أديب نقاد أبو إسحق له شعر فيه رقة له من تصانيفه: زهر الآداب، ونور الطرف، وجمع الجواهر (الأعلام ١/٥٠).

(٤) البيتان لأبي تمام في ديوانه ٤٢٦/٢ .

القاموس<sup>(١)</sup> -، وفي شرح شيخ الإسلام نقلاً عن بعضهم أنه: بيت مؤزج غير مسدود الوجه، والمؤزج -بالهمز والزاي والجيم-: بيت بني طولاً، وقيل: الإيوان: البناء العالي، وقيل: بيت كبير مستطيل ذو شرفات، وقيل: مجلس الملك المعد لجلوسه مع أرباب دولته لتدبير أمر الملك اهـ. والمراد هنا: البناء العظيم المعين بإضافته، وهو من عجائب الدنيا<sup>(٢)</sup>.

(١) القاموس ١٥٢١ (أون).

(٢) في معجم البلدان ١/٢٩٤: إيوان كسرى بالمدائن زعموا أنه تعاون على بنائه عدة ملوك وهو من أعظم الأبنية وأعلها رأيتها وقد بقي منه طاق الإيوان فحسب، وهو مبني بآجر طول كل آجرة نحو ذراع في عرض أقل من شبر وهو عظيم جداً قال حمزة بن الحسن: قرأت في الكتاب الذي نقله ابن المقفع أن الإيوان الباقي بالمدائن هو من بناء سابور بن أردشير فقال لي الموبذان موبذان أميد بن أشوهست: ليس الأمر كما زعم ابن المقفع فإن ذلك الإيوان خربه المنصور أبو جعفر وهذا الباقي هو من بناء كسرى أبرويز.

وقد حكى أن المنصور لما أراد بناء بغداد استشار خالد بن برمك في هدم الإيوان وإدخال آتته في عمارة بغداد فقال له: لا تفعل يا أمير المؤمنين فقال: آبيت إلا التعصب للفرس فقال: ما الأمر كما ظن أمير المؤمنين ولكنه أثر عظيم يدل على أن ملة وديناً وقوماً أذهبوا ملك بانيه لدين وملك عظيم، فلم يصغ إلى رأيه وأمر بهدمه فوجد النفقة عليه أكثر من الفائدة بنقضه فتركه فقال خالد: الآن أرى يا أمير المؤمنين أن تهدمه لئلا يقال: إنك عجزت عن خراب ما عمره غيرك ومعلوم ما بين الخراب والعمارة فعلى قول الموبذان إنه خرب إيوان سابور بن أردشير وعلى قول غيره إنه لم يلتفت إلى قوله أيضاً وتركه، وما زلت أسمع أن كسرى لما أراد بناء إيوانه هذا أمر بشراء ما حوله من مساكن الناس وإرغابهم بالثمن الوافر وإدخاله في الإيوان وأنه كان في جواره عجوز لها دويرة صغيرة فأرادوها على بيعه فامتنعت وقالت: ما كنت لأبيع جوار الملك بالدنيا جميعها فاستحسن منها هذا الكلام وأمر ببناء الإيوان وترك دارها في موضعها منه وإحكام عمارتها ولما رأيت الإيوان رأيت في جانب منه قبة صغيرة محكمة العمارة يعرفها أهل تلك الناحية بقبة العجوز فعجبت من قوم كان هذا مذهبهم في العدل والرفق بالرعية كيف ذهبت دولتهم لولا النبوة التي شرفها الله تعالى وشرف بها عبادة، وقال ابن الحاجب يذكر الإيوان:

يا من بناه بشاهق البنيان أنسيت صنع الدهر بالإيوان  
إن الحوادث والخطوب إذا سطت أودت بكل موثق الأركان

قلت: ومن أحسن ما قيل في الإيوان قول أبي عبادة البحرني:

حضرت رحلي الهموم فوجهت إلى أبيض المدائن عنسي  
أتسلى عن الحظوظ وآسى لمحل من آل ساسان درس  
ذكرتنيهم الخطوب التوالي ولقد تذكر الخطوب وتنسي =

في شرح ابن نباتة على رسالة ابن زيدون: روي أن الرشيد<sup>(١)</sup> أراد هدمه فاستشار يحيى بن خالد البرمكي فنهاه، وقال: في بقائه معجزة باقية فقال له الرشيد: بل أبيت إلا تعصباً لأبائك، وأمر بهدمه فصرف على هدم شرفة مالا كثيراً فكف عنه فقال يحيى: الآن تهدمه لثلاث يتحدثوا عنك أنك عجزت عن هدم ما بناه غيرك فتغافل عن قوله وتركه اه وكسرى: في الأصل لقب لمن ملك الفرس، كقيصر لملك الروم، وتبع لملك اليمن، والنعمان لملك العرب، والنجاشي لملك الحبشة، وفرعون لملك القبط، والعزيز لملك مصر، وجالوت لملك البربر، وخاقان لملك الترك. وكسرى: معرب قسرى أي واسع الملك - كذا في ابن حجر على الهمزية - والمراد هنا: كسرى أنوشروان المشهور بالحكمة والعدل حتى قيل: إنه شهد له ﷺ بالعدل، روي حديثاً أنه - عليه الصلاة والسلام - قال: «ولدت في زمن الملك العادل»<sup>(٢)</sup> ومن حكمه: أن الملوك إذا دبرت ملكها بمال رعيته كانت بمنزلة من سطح بما ينقضه من أساسه. ومن عدله ما يحكى أن بعض رسل الملوك دخل الإيوان فرأى فيه اعوجاجاً فسأل عنه فقيل: إنه كان بيتاً لعجوز فقيرة سألتها الملك ببعه فامتنعت فأرغبها في مال كثير فلم تفعل فتركها، وبنى الإيوان على ما هو عليه فقال الرسول: هذا الاعوجاج أحسن من الاستواء اه. وإضافة الإيوان إليه لكونه الذي تمم أمره وسكنه، والمؤسس له سابور. والانصداع: انشقاق الشيء الصلب. وشمل القوم: مجمع عددهم من شملهم الأمر إذا عمهم. والالتام: الاجتماع.

= واجتاز الملك العزيز جلال الدولة البويهى على إيوان كسرى فكتب عليه بخطه من شعره:  
يا أيها المغرور بالدنيا اعتبر      بديار كسرى فهي معتبر الورى  
غنيت زماناً بالملوك وأصبحت      من بعد حادثة الزمان كما ترى

(١) الرشيد: هارون بن المهدي محمد أبو جعفر استخلف بعهد من أبيه عند موت أخيه الهادي سنة ١٧٠هـ كان كثير الغزو والحج مولده بالري سنة ١٤٨ وأمه الخيزران كان الرشيد جميلاً فصيحاً، له نظر في العلم والأدب، ويحب أهل العلم مات الرشيد في الغزو بطوس من خراسان سنة ١٩٣ (تاريخ الخلفاء ٢٦٨).

(٢) الحديث موضوع وباطل لا أصل له انظر سبل الهدى والرشاد ٤١٦/١ .

والمعنى: أن ليلة مولده الشريف انصدع الإيوان مع إحكام بنائه وشدة قوته، وكفى ما نقلناه من عجز الرشيد عن هدم بعضه، فلم يكن ذلك إلا آية له ﷺ، كما قال الناظم:

وتداعى إيوان كسرى ولولا آية منك ما تداعى البناء<sup>(١)</sup>  
وقوله كشمّل . . إلخ تشبيه بما آل إليه أمر ملك كسرى من دخول الاختلال فيه وانقراضه على يد عمر بن الخطاب، وذلك بدعائه<sup>(٢)</sup> ﷺ بتمزيق ملكهم حين مزق كسرى كتابه المرسل إليه مع عبد الله بن حذافة<sup>(٣)</sup>. والمعنى أن ولادته ﷺ كانت سبب تداعي بنيانهم المحسوس كما أن دعاءه كان سبب ذهاب بنيان ملكهم، ومثل هذا التشبيه يسميه علماء البديع تفریعاً راجع العمدة لابن رشيّق<sup>(٤)</sup>، وستأتي القصة في شرح الأبيات بعد إن شاء الله.

[٦٣] والتَّارُ خَامِدَةٌ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَسْفِ عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمِ  
أل في النار: عهدية أي نار الفرس التي كانوا يوقدونها في بيوت ويعبدونها، وهي معطوفة على إيوان. وخامدة -بالنصب- عطف على الخبر وهو كشمّل، فيتسلط عليهما الفعل. والتقدير: وباتت النار خامدة الأنفاس . . إلخ، والرفع في الجزأين على الابتدائية لا يفيد المطلوب، اللهم إلا أن تكون الواو حالية فتشير إليه كما يظهر بالتدبر. وما قيل هنا يقال في: والنهر ساهي العين . . إلخ. وعلى الوجه الأول فتقدير الفتح في ساهي للضرورة التي قيل فيها: إنها من أحسن الضرورات. وخمود النار: سكون لهبها مع بقاء جمرها، وهمودها: طفوء جمرها. والأنفاس: جمع نفس -بفتح الفاء- وهو حقيقة: دفع البخار الحار عن

(١) البيت في ديوان البوصيري ص ٢، انظر تخريج حديث تداعي الإيوان ص ٣٠٤.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب العلم باب ما يذكر في المناولة رقم ٦٢)، وهو في الشفا ٤٠٣ .

(٣) عبد الله بن حذافة: ( . . . -٣٣هـ) السهمي القرشي أبو حذافة صحابي أسلم قديماً وبعثه النبي ﷺ إلى كسرى وهاجر إلى الحبشة وقيل: شهد بدرًا وأسره الروم في أيام عمر ثم أطلقوه وشهد فتح مكة وتوفي فيها في أيام عثمان وكانت فيه دعابة وله حديث وعده الجمحي من شعراء مكة (الأعلام ٧٨/٤).

(٤) العمدة ٦٣٢/١ .

القلب، وجلب النسيم البارد إليه، وهو خاص بكل ذي رئة، ويتجاوز به فيقال: تنفس الصبح<sup>(١)</sup> أي تبلج، وتنفس النار إذا اشتد حرها، ومنه حديث: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفسين نفس في الصيف ونفس في الشتاء»<sup>(٢)</sup>. والأسف: أشد الحزن. وضمير عليه للإيوان- كما هو الظاهر-، والأسف عليه لما أصابه، وقول شيخ الإسلام: لا يصح عوده عليه؛ إذ لو حزن على نفس الإيوان لخدمت قبل انصداعه، غفلة عن مفاد التركيب، وفي القرآن المجيد: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَؤُسَفَ﴾ [يوسف: ٨٤]. والنهر- بسكون الهاء ويحرك-: مجرى الماء، والجمع أنهار، والمراد هنا: وادي السماوة، وهو نهر بين الكوفة والشام. وساهي العين: ساكنها. والسدم- بالتحريك-: الندم والحزن.

والمعنى: أن ليلة مولده الشريف باتت نار فارس خامدة، لا لهيب بها، وغار وادي السماوة، بحيث سكن جريانه. وفي البيت تشبيهان مركبان على طريقة التمثيل: الأول: في قوله: والنار خامدة الأنفاس. والثاني في: والنهر. الخ ويمكن جريان المكنية فيهما، ولا يعزب عليك تقريرها، وأن الحمل على التمثيل أولى كما في البيان.

[٦٤] وساء ساوة أن غاضت بحيرتها ورُدَّ واردها بالغَيْظِ حينَ ظَمِي

سائه يسوءه: ضد سره. وساوة: مدينة بينها وبين الري اثنان وعشرون فرسخاً. وغاض الماء غيضاً: قل ونقص. والبحيرة: بركة الماء، قالوا: وبحيرة ساوة عظيمة جداً، طولها ستة أميال وعرضها كذلك. وورد الماء: أشرف عليه دخله أو لم يدخله - كذا في القاموس<sup>(٣)</sup> - والغَيْظُ: غضب كامن للعاجز. والظماً:

(١) قال تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨].

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٣٠٢٠ كتاب بدء الخلق باب صفة النار وأنها مخلوقة)، ومسلم (رقم ٩٧٧ كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر لمن يمضي).

(٣) القاموس ٤١٥ (ورد).

العطش . وإسناد السوء إلى ساوة مجاز على حد: ﴿وَسَكَلَ الْقَرِيَّةَ﴾ [يوسف: ٨٢] إذ السوء حقيقة لأهل المدينة . وأن غاضت: فاعل ساء .

والمعنى: أن أهل ساوة وهم من الفرس ساءهم ليلة الولادة غيظ البحيرة التي يستسقون منها غيضاً لم يعهده آبائهم من قبلهم، وأن واردهم لما أشرف عليها ليستقي فوجدها غائضة، رد بدل الماء بالغيظ والغضب لما عطش لقلة الماء، فإن قلت: هلا ترك الظرف فيفيد أن الغيظ لانعكاس المطلوب، وهو أشد على النفس قلت: المعنى على ذلك ولكن لما كان انعكاس المطلوب مع الحاجة الملجئة أشد على الطالب اعتبر المصنف شدة الحاجة فأتى بالظرف المبين لذلك فافهمه .

[٦٥] كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالماءِ مِنْ بَلَلٍ حُزْناً وَبِالماءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمٍ مفرداته بينة، وانتصاب حزنناً على التعليل<sup>(١)</sup> للاستقرار. وحذف نظيره من المصراع الثاني لدلالة الأول عليه .

والمعنى: أن النار والماء لما كانا في غاية التباعد في الصفات، وكفى شدة الحرارة والبرودة، وقد تغيرت حالة كل لولادته ﷺ جعل الناظم ذلك للحزن على انصداع الإيوان، وما أدى إليه تفرس الفرس منه من توقع البؤس والنقم، ولا شك أن الحزن يغير الطبائع والأمزجة، بسبب ورود غير الملائم على الطبيعة، فالبارد تغيره بالحرارة، والحر بالعكس، وبالغ المصنف في تخالف الصفات بالتشبيه؛ فإن اتصاف النار بالبلل يوجب إذهاب معنى النارية، وكذا اتصاف الماء بالالتهاب الذي هو معنى الضرم يذهب معنى المائية أيضاً.

وما أشار إليه الناظم بهذه الأبيات ما رواه الثقات أنه ليلة مولده ﷺ ارتج إيوان كسرى أنوشروان، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وأخبره الموبدان -ومعناه: القاضي أو المفتي بلغتهم- برؤياه وهي أنه رأى تلك الليلة إبلاً صعاباً تقود خيلاً عرباً قطع دجلة وانتشرت في بلادهم، وغارت بحيرة ساوة، وكتب إلى كسرى صاحب الفرس، بأن بيوت النيران قد أخدمت تلك الليلة، ففرع

(١) أي أنه مفعول لأجله . أفاد بذلك أستاذنا الدكتور مازن .



لذلك وقال: حدث يكون من ناحية العرب. فكتب إلى النعمان بن المنذر أن يرسل إليه أعلم من في أرضه من العرب، فبعث إليه عبد المسيح بن عمرو الغساني<sup>(١)</sup>، وكان معمرًا فدلهم على خاله سطيح<sup>(٢)</sup> بالشام فأمره كسرى بالذهاب إليه فقدم عليه وقد أشفى على الموت فسلم عليه فلم يرد جواباً فأنشأ عبد المسيح يقول:

أصم أم يسمع غطريف اليمن	أم فاد فازلّم به شأو العنن
يا فاضل الخطة أعيت من ومن	أتاك شيخ الحي من آل سنن
وأمه من آل ذئب بن حجن	أبيض فضفاض الرداء والبدن
رسول قيل العجم يسرى بالوسن	لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن
تجوب بي الأرض علنداة شدن	ترفعني وجناً وتهوي بي وجن
حتى أتى عاري الجأجي والقطن	تلفه في الريح بوغاء الدمن

كأنما حثحثت من حصى تكن

فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه فقال: عبد المسيح على جمل مشيح، جاء إلى سطيح، حين أوفى على الضريح، بعثك ملك بني ساسان، لارتجاج الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبدان، رأى إبلاً صعباً، تقود خيلاً عرباً، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها عبد المسيح إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهراوة، وخدمت نار فارس، وغارت بحيرة ساوة، وغاض وادي السماوة، فليست الشام لسطيح شاماً يملك منهم ملوكاً وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه اهـ.

(١) عبد المسيح بن عمرو الغساني ( . . . - نحو ١٢هـ) معمر بن الدهاة من أهل الحيرة في العراق له شعر وأخبار يقال: إنه باني قصر الحيرة عاش زمنًا طويلاً في الجاهلية وأدرك الإسلام وظل على النصرانية واجتمع به خالد بن الوليد في الحيرة وهو ابن أخت سطيح الكاهن (الأعلام ٤/١٥٣).

(٢) سطيح: ربيع بن ربيعة ( . . . - ٥٢ق هـ) من الأزد كاهن جاهلي غساني من المعمرين كان العرب يحتكمون إليه ويرضون بقضائه وكان يضرب المثل بجودة رأيه كان أبدأً منبسطةً منسوحةً على الأرض لا يقدر على قيام ولا قعود (الأعلام ٣/١٤).

## تفسير غريب هذه القصة:

الغطريف: هو السيد الشريف. وفاد يفود: مات، وأما فاد يفيد فمعناه: تبخر، وازلم: قبض. وشأو العنن: الموت. والفضفاض من الدروع: الواسع، وجارية فضفاضة: كثيرة اللحم مع الطول. والقييل: الملك. في القاموس<sup>(١)</sup>: مِقْوَل كمنبر: اللسان، والملك، أو من ملوك حمير، يقول ما شاء فينفذ كالقييل، أو هو دون الملك الأعلى وأصله قَيْيل كفعيل اهـ. والعلندة: الناقة الشديدة. والشدن- بالدال-: القوي من شدن الظبي وجميع ولد الظلف والخف والحافر شدون: قوي واستغنى عن أمه. ويروى -بالزاي-: وهو الشدة. والوجن: جمع وجين، وهي الأرض ذات الحجارة الصغار. وفي القاموس<sup>(٢)</sup>: الوجين: شط الوادي والعارض من الأرض ينقاد ويرتفع قليلاً. والجأجي: جمع جَوْجُو -كهدهد- وهو الصدر. والقطن: -محركة- ما بين الوركين. والبوغاء: الرخوة التربة. والدمن: جمع دمنة وهي ما قرب من الديار تبول فيه المواشي وتبعر<sup>(٣)</sup>.

[٦٦] وَالْجِنُّ تَهْتَفُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنَى وَمِنْ كَلِمِ

الأظهر أن الواو حالية، والحال في المعنى من الأفعال السابقة، والمعنى وقع فيه جميع ذلك، والحال أن الجن تهتف والأنوار الخ، ويصح العطف وهو أبين إعراباً، والمعطوف عليه الجملة المضاف إليها يوم وهو مما يضاف إلى الجملتين. والجن: الخلق المستتر المعروف وهو خلاف الإنس. والتهتف: الصوت المسموع ممن يخفى عن الأبصار حال تكلمه، وهو هاتف. والنور: الضياء. وسطوعه: ظهوره وارتفاعه. ومفردات المصراع الثاني بينة، وواوه استئنافية، وهو مسوق مساق التمثيل، والاستدلال لسابقه، ومعناه أن شأن الحق أن لا يخفى وأن تتصافر الأقوال والمعاني على ظهوره فلا غرابة في وقوع تلك الخوارق الجامعة بين القول وغيره الدالة على صدق نبوته -عليه الصلاة والسلام-.

(١) القاموس ١٣٥٨ (قول).

(٢) القاموس ١٥٩٧ (وجن).

(٣) القصة في تاريخ الخميس ٢٠١/١، لكنها موضوعة انظر ص ٣٠٤.

وهذا ضرب بديع من أضرب البلاغة، جاء به الكتاب المجيد: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]. وقد أكثر فحول الشعراء منها، وأكثرهم أبو الطيب المتنبي، فإنه قلما تجد له قصيدة خلية عنها مع الحكمة البالغة، ومنه قوله في سيف الدولة<sup>(١)</sup>:

كل يوم لك احتمال جديد      ومسير للمجد فيه مقام  
وإذا كانت النفوس كباراً      تعبت في مرادها الأجسام<sup>(٢)</sup>  
ومنه قول أبي العلاء المعري:

قالت عداتك: ليس المجد مكتسباً      مقالة الهجن ليس السبق بالحضر  
وأوك بالعين فاستغوتهم ظنن      ولم يروك بفكر صادق الخبر  
والنجم تستصغر الأبصار رؤيته      والذنب للعين لا للنجم في الصغر<sup>(٣)</sup>

وأشار الناظم بهذا البيت إلى ماروي عن عثمان بن العاص<sup>(٤)</sup> أن أمه فاطمة<sup>(٥)</sup> قالت: شهدت آمنة لما ولدت رسول الله ﷺ، فلما ضربها المخاض رأيت النجوم تتدلى حتى خشيت أن تقع عليّ، فلما ولدتها خرج منها نور أضاء له

(١) سيف الدولة (٣٠٣-٣٥٦هـ) علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي الربيعي أبو الحسن الأمير صاحب المتنبي وممدوحه يقال لم يجتمع بيباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع بيباب سيف الدولة من شيوخ العلم ولد في فارقين (بديار بكر) ونشأ شجاعاً مهذباً عالي الهمة وملك واسطاً وما جاورها ومال إلى الشام فامتلك دمشق وعاد إلى حلب فملكها سنة ٣٣٣هـ وتوفي فيها ودفن في ميفارقين أخباره ووقائعه مع الروم كثيرة وكان كثير العطايا مقرباً لأهل الأدب يقول الشعر الجيد الرقيق (الأعلام ٤/٣٠٣).

(٢) ديوان المتنبي ٤/٦٣.

(٣) الأبيات في ديوان سقط الزند للمعري ص ١١٠، والحُضْر: شدة الجري، والهجين: الذي أمه غير عتيقة.

(٤) عثمان بن أبي العاص ( . . . - ٥١هـ) من ثقيف صحابي من أهل الطائف أسلم في وفد ثقيف فاستعمله النبي ﷺ على الطائف فبقي إلى أيام عمر ثم ولاء على عمان والبحرين سنة ١٥هـ ثم عزله عثمان فسكن البصرة إلى أن توفي له غزوات في الهند وفارس وفي البصرة موضع يقال له شط عثمان منسوب إليه وهو الذي منع ثقيفاً عن الردة (الأعلام ٤/٢٠٧).

(٥) فاطمة بنت عبد الله والدة عثمان بن أبي العاص ذكرها أبو عمرو فقال: شهدت ولادة النبي ﷺ (الإصابة رقم ١١٥٩٩، ٨/٦٧).

البيت الذي نحن فيه، فما شيء أنظر إليه إلا النور ثم سمعت هاتفاً يهتف على جبل الحجون:

فأقسم ما أنثى من الناس أنجبت  
كما ولدت زهرية ذات مفخر  
وهتف آخر على أبي قبيس:

يا ساكني البطحاء لا تغلطوا  
أخت بني زهرة من سركم  
واحدة منكم فهاتوا لنا  
واحدة من خيركم مثلها  
هذا هو المناسب لقصد الناظم هنا، أما قصة سواد بن قارب<sup>(٢)</sup> فإنها عند بعثته ﷺ، وذلك لا يناسب المقصود هنا.

[٦٧] عَمُوا وَصَمُّوا فَأِعْلَانُ الْبَشَائِرِ لَمْ تُسْمَعْ وَبَارِقَةُ الْإِنذَارِ لَمْ تُشَمِّمْ

ضمير الجمع لعموم الكفار الذين لم يؤمنوا به ﷺ ولم يصدقوه مع ظهور دلائل نبوته، وهؤلاء وإن لم يتقدم لهم ذكر، لكن حضورهم في الذهن ومعلوماتهم لكل أحد سوغ استعمال ضمير لفظ الغيبة، وقصر الضمير على خصوص الفرس وأصحاب كسرى وقوفاً على مقتضى ظاهر الغيبة يوجب قصوراً في المعنى. والعمى: عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيراً. والصمم: صلابة من اكتناز الأجزاء، ومن ثم قيل حجر أصم، سمي به فقدان حاسة السمع، لأن سببه قول بعض الأطباء: أن يكون صماخ الأذن مكتنزاً لا تجويف فيه فلا يكون به هواء يسمع الصوت بتموجه. والفاء: للتفريع، فرع عدم المسببات على عدم أسبابها العرفية. والإعلان: الإظهار، والبشائر: جمع بشارة - بكسر

(١) الخبر رواه الطبراني في الكبير ١٨٦/٢٥ رقم ٤٥٧ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٢٢٠: وفيه عبد العزيز بن عمر وهو متروك، والقصة في الشفاء ٤٥٩.

(٢) سواد بن قارب: ( . . . - نحو ١٥هـ) الأزدي الدوسي أو السدوسي كاهن شاعر في الجاهلية صحابي في الإسلام له أخبار عاش إلى خلافة عمر ومات بالبصرة (الأعلام ٣/١٤٤) في السيرة الحلبية ١/٣٢٢ ودلائل النبوة رقم ٦٢، ١/١١١: كان سواد بن قارب =

الباء-: وهي الإخبار بما يحدث السرور، ومن ثم لا تستعمل إلا في الخير،

= يتكهن في الجاهلية وكان شاعراً ثم أسلم فعن محمد بن كعب القرظي قال: بينا عمر بن الخطاب ذات يوم جالساً إذ مر به رجل فقيل: له يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار؟ قال: ومن هذا قالوا: سواد بن قارب الذي أتاه رثيه أي تابعه من الجن الذي يترأى له أتاه بظهور النبي ﷺ أي بعد أن قال عمر رضي الله عنه على المنبر أي منبر النبي ﷺ: أيها الناس أفيكم سواد بن قارب؟ فلم يجبه أحد فلما كان السنة المقبلة قال: أيها الناس أفيكم سواد بن قارب قال بعضهم: يا أمير المؤمنين ما سواد بن قارب؟ قال: إن سواد بن قارب كان بدء إسلامه شيئاً عجيباً قال البراء: فينا نحن كذلك إذ طلع سواد بن قارب فأرسل إليه عمر رضي الله عنه فقال له: أنت سواد بن قارب قال: نعم قال: أنت الذي أتاك رثيك بظهور النبي ﷺ؟ قال: نعم قال: فأنت علي ما كنت عليه من كهانتك؟ فغضب سواد بن قارب وقال: ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت يا أمير المؤمنين فقال له: سبحان الله ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك وفي رواية: أن عمر رضي الله عنه قال اللهم غفراً قد كنا في الجاهلية على شر من هذا نعبد الأصنام والأوثان حتى أكرمنا الله برسوله ﷺ وبالإسلام قال لسواد: أخبرني ما نبأ رثيك بظهور رسول الله ﷺ؟ وفي رواية: قال: يا سواد حدثنا ببدء إسلامك كيف كان؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رثيي فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل إنه قد بعث رسول الله ﷺ من لؤي بن غالب يدعو إلى الله عز وجل وإلى عبادته ثم أنشأ يقول:

عجبت للجن وتطلابها وشدها العيس بأقتابها  
تهوى إلى مكة تبغي الهدى ما صادق الجن ككذابها  
فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس قدمها كأذئابها

فقلت: دعني أنام فإني أُمسيت ناعساً فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله عز وجل وإلى عبادته ثم أنشأ يقول:

عجبت للجن وتخبارها وشدها العيس بأكوارها  
تهوى إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمن الجن ككفارها  
فارحل إلى الصفوة من هاشم بين روابيها وأحجارها

فقلت: دعني أنام فإني أُمسيت ناعساً فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله عز وجل وإلى عبادته ثم أنشأ يقول:

عجبت للجن وتحساسها وشدها العيس بأحلاسها  
تهوى إلى مكة تبغي الهدى ما خير الجن كأنحاسها  
فارحل إلى الصفوة من هاشم وارم بعينيك إلى راسها =

وقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> على طريق التجوز المراد به التهوين، ولا تطلق إلا على أول خبر، من حيث أن ما بعده مؤكد للسرور لا محدث له مخبر. والبارقة: من برقت السماء وأبرقت إذا لمعت بالبرق، وسحاب بارقة إذا جاءت ببرق، ومن حيث أن البرق في الغالب مقدمة مخوف كالصواعق، تجوز به -كما هنا- عن مقدمة الإنذار الذي هو الإعلام بعاقبة الأمر المخوفة. والشيم: رؤية البرق خاصة، نقل عن أبي منصور الثعالبي<sup>(٢)</sup>: أن النظر عام، والشيم خاص بالبرق، وعليه فهو ترشيح للتجوز هنا.

= فقلت: قد امتحن الله قلبي فرحلت ناقتي ثم أتيت مكة فإذا رسول الله ﷺ وأصحابه حوله فلما رأني قال: مرحباً بك يا سواد بن قارب قد علمنا ما جاء بك قلت: يا رسول الله قد قلت شعراً فسمع مقالتي يا رسول الله فقال: هات فأنشأت أقول:

أتاني نجي بعد هده ورقدة	ولم يك فيما قد تلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة	أتاك رسول من لؤي بن غالب
فأشهد أن الله لا رب غيره	وأنتك مأمون على كل غائب
وأنتك أدنى المرسلين وسيلة	إلى الله يا ابن الأكرمين الأطياب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل	وإن كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة	سواك بمغن عن سواد بن قارب

قال: وفرح النبي ﷺ وأصحابه بمقالتي فرحاً شديداً حتى رئي الفرح في وجوههم وضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: أفلحت يا سواد فرأيت عمر رضي الله عنه التزمه وقال: لقد كنت أشتهي أن أسمع هذا الحديث منك فهل يأتيك ريك اليوم؟ قال: منذ قرأت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن ولما مات ﷺ وخشي سواد على قومه الردة قام فيهم خطيباً فقال: يا معشر دوس من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم ومن شقائهم أن لا يتعظوا إلا بأنفسهم وإنه من لم تنفعه التجارب ضرّ به ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل وإنما تسلمون اليوم بما أسلمتم به أمس ولا ينبغي لأهل البلاء إلا أن يكونوا أذكر من أهل العافية للعافية ولست أدري لعله يكون للناس جولة فإن لم تكن فالسلامة منها الأناة والله يحبها فأحبوها فأجابه القوم بالسمع والطاعة.

(١) ورد التبشير بالعذاب في عدة مواضع في القرآن الكريم:

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران ٢١]، [التوبة: ٣٤]، [الانشقاق: ٢٤]، ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٧]، [الجاثية: ٨]، ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ﴾ [النساء: ١٣٨]، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التوبة: ٣].

(٢) فقه اللغة ٢٨٠.

والمعنى أن الكفار عميت أبصارهم فلم ينظروا بوارق الإنذار وصمت آذانهم فلم يعقلوا رسالته ولم يؤمنوا بها وذلك أن طريق العلم للأمة الأمية إما الإخبار أو الرؤية، ولما كانت الإدراكات الحسية تستدعي سلامة قوى المدارك وتهيئ المدرك للإدراك نبه الناظم -رحمه الله- على أن خلل الإدراك جاء من قبيل المدرك ضرورة أن المدرك بالسمع معلن به والمدرك بالبصر شبيه بالبرق في الضياء والظهور ومع ذلك لم يقع إدراكهما فليس إلا للخلل في القوى المدركة ومن حيث ما هو معلوم من حصول الإدراك لهم بالسمع للمسموع والرؤية للمرئي تعلم أن مرمى المصنف التشبيه والتنبيه على أن الإدراكات إذا لم يقع العمل بمقتضاها فهي والعدم سواء، ومن ثم كان العالم الذي لم يجر على سنن علمه كالجاهل، وقد نعى الله حال المنافقين بذلك فقال جل اسمه: ﴿صُمُّوا بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨].

ومن حكم أبي الطيب:

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم<sup>(١)</sup>

وفي البيت نشر على عكس اللف، دعا إليه مراعاة الروي. هذا ومن لطيف إشارات المصنف اختيار عنوان الإعلان في البشارة، والبارقة في الإنذار إيماء إلى أن أسبق كراماته ﷺ النفع والمسرة، وأن الجاحد جنى على نفسه بتركه حظه من ذلك، وقوله -جل اسمه-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وتقديم وصف البشير على النذير حيثما ذكرا في الكتاب المجيد<sup>(٢)</sup> أعدل شاهد لما ذكرناه، ومن ثم كانت البشارة بالتصريح والأدلة الواضحة. والإنذار بالإيماء

(١) ديوان المتنبي ٨٣/٤.

(٢) الأغلب في استعمال القرآن على ما ذكره: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩]، ﴿أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥]، [الفرقان: ٥٦]، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، لكن ورد في القرآن تقديم النذير على البشير: ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَمُبَشِّرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ﴿إِنِّي لَكُرْمَةٌ نَّذِيرٌ وَمُبَشِّرٌ﴾ [هود: ٢].

المراد للمصنف بالبارقة، وذلك تغيير أحوال الكفر من خمود النيران، وانصداع الإيوان، وغيض الماء المؤذن ذلك بسوء عاقبة الأمر كما ظنوه وكان عاقبة الأمر ما تخوفوه.

[٦٨] مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الْأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ بِأَنَّ دِينَهُمُ الْمُعْوَجَّ لَمْ يَقُمْ متعلق بقوله عموا ووصموا باعتبار المراد منهما من المخالفة والجحود - كما أشرنا إليه في شرح البيت قبله - والأقوام: الكفار عموماً - كما تقدم -. والكاهن: الذي يدعي علم الغيب، وقيل: الذي له صاحب من الجن يخبره ببعض الكائنات. وإضافته جنسية بدليل عموم المضاف إليه - كما بينا - والدين: الملة والطاعة التعبدية ويقال للطريقة الملتزمة وعليه قوله:

ولم يبق سوى العدوا ن دناهم كما دانوا<sup>(١)</sup> والمعوج: ما كان ذا عوج، وهو بكسر العين في المعاني، وبفتحها في غيرها<sup>(٢)</sup>. والقيام: الدوام، من قام الأمر إذا دام، ومنه: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٣]، [التوبة: ٧١]. أي يداومون عليها.

والمعنى: أن جحود الكفار وإنكارهم رسالته ﷺ كان بعد إخبار كهانهم الذين كانوا يصدقونهم ويتخذونهم عمداً يرجعون إليهم في أحوالهم وفيما يحدث لهم من الأمور بأن ما هم عليه من التدين الفاسد وعبادة الأوثان الذي لا يقبل عند ذي عقل قد آن اندراسه، وتزعزع أساسه ببعثته ﷺ بالدين القويم، ونعى عليهم بأشنع حالة حيث خالفوا في شأنه معتادهم من العمل على أخبار من وثقوا

(١) البيت للفند الزماني واسمه شهل بن شيان (المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية ١٠٥/٨).

(٢) قال البيضاوي في تفسير سورة الأعراف ٢٢/٣: العوج - بالكسر - في المعاني والأعيان ما لم تكن منتصبه، و- بالفتح - ما كان في المنتصب كالحائط والرمح. وقال في تفسير سورة الكهف ٤٧٤/٣: العوج - بالكسر - في المعاني كالعوج - بالفتح - في الأعيان والأجسام، وقال الراغب الأصفهاني (المفردات ٥٩٢): العُوج: العطف عن حال الانتصاب يقال: عُجَّت البعير بزمامه وفلان ما يعوج عن شيء يهم به أي ما يرجع. والعُوج: يقال فيما يدرك بالبصر سهلاً كالخشب المنتصب ونحوه. والعُوج: يقال فيما يدرك بالفكر والبصيرة كما يكون في أرض بسيط يعرف تفاوته بالبصيرة والدين والمعاش: ﴿وَلَوْ جَعَلَ لَمُ عَوْجًا﴾.



بأخباره في عامة شؤونهم. وذلك من أقوى الشواهد على اعوجاج ما هم عليه من التدين؛ إذ أول مراتب التدين الاعتماد على قول من يجعل عمدة فيه. وأخبار الكهان المشار إليها في النظم كثيرة: منها قصة خطر بن مالك: روي عن لهب بن مالك اللهبي قال: حضرت مع رسول الله ﷺ فذكرت عنده الكهانة فقلت: بأبي أنت وأمي نحن أول من عرف حراسة السماء، وزجر الشياطين، ومنعهم من استراق السمع، عند قدد النجوم، وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له: خطر بن مالك، وكان شيخاً كبيراً قد أتت عليه مائة وثمانون سنة وكان من أعلم كهاننا فقلنا: يا خطر هل عندك علم بهذه النجوم التي يرمى بها، فإننا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها فقال: ائتوني بسحر أخبركم الخبر؛ أبخير أم ضرر أو لأمن أو خطر؟ قال: فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد في وجه السحر أتينا، فإذا هو قائم على قدميه شاخص في السماء بعينه، فنادينا: يا خطر يا خطر فأوماً إلينا: أن أمسكوا فأمسكنا فانقض نجم عظيم من السماء، وصرخ الكاهن رافعاً صوته: أصابه أصابه، خامره عقابه، عاجله عذابه، أحرقه شهابه، زايله جوابه، يا ويله ما حاله، بلبه بلباله، عاوده خباله، تقطعت حباله، وغيبت أحواله، ثم أمسك طويلاً وقال: يا معشر بني قحطان أخبركم بالحق والبيان، أقسم بالكعبة والأركان، والبلد المؤمن السدان، قد منع السمع عتاة الجان، بثاقب بكف ذي سلطان، من أجل مبعوث عظيم الشان، يبعث بالتنزيل والفرقان، وبالهدى وفاضل القرآن، تبطل به عبادة الأوثان، قال فقلت: يا خطر إنك لتذكر أمراً عظيماً فما ترى لقومك؟ قال:

أرى لقومي ما أرى لنفسي      أن يتبعوا خير نبي الإنس  
برهانه مثل شعاع الشمس      يبعث في مكة دار الحمس

بمحكم التنزيل غير اللبس

فقلت: يا خطر وممن هو؟ فقال: والحياة والعيش، إنه لمن قريش، ما في حكمه طيش، ولا في خلقه هيش، يكون في جيش وأي جيش، من آل قحطان وآل هيش، فقلنا: بين لنا من أي قريش هو؟ فقال: والبيت ذي الدعائم، إنه لمن نجل هاشم، من معشر أكارم، يبعث بالملاحم، وقتل كل ظالم، ثم قال: هذا

هو البيان، أخبرني به رئيس الجان، ثم قال: الله أكبر جاء الحق وظهر، وانقطع عن الجن الخبر، ثم سكت وأغمي عليه، فما أفاق إلا بعد ثلاث فقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم مات فقال: رسول الله ﷺ: «لقد نطق عن مثل نبوة وإنه ليبعث يوم القيامة أمة وحده»<sup>(١)</sup>. وأخبار الكهان في مثل هذا كثيرة تكفلت بالإحاطة بها كتب السير<sup>(٢)</sup>.

[٦٩] وَبَعْدَ مَا عَايَنُوا فِي الْأَفْقِ مِنْ شُهَبٍ مُنْقَضَةٍ وَفَقَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَنَمٍ

عطف على بعد السابقة. وما: موصول اسمي عائده محذوف مبين بشهب. والمعانية: الرؤية بالعين ومنه قولهم: فلان لك عبد عين أي كالعبد ما دمت تراه. والأفق - بسكون الفاء وضمها -: الناحية، ومنه أفق السماء، وهو المراد هنا. والشهب: جمع شهاب، وهو شعلة نار ساطعة، والمراد هنا: ما يرى منقضاً من الكواكب كشعلة النار، واختلف في حقيقته: فذهب الحكماء وأهل الهيئة: أنه أجزاء بخارية تصعد من الأرض إلى كرة النار فتشتعل وتنزل، ولما كانت مسببة عن تسخير الكواكب نسبت إليها، وهذا الرأي مخالف لنصوص الكتاب، وأقوى ما يخالف النص: بأنها رجوم للشياطين<sup>(٣)</sup> فإنها إذا كانت طبيعية على ما يرون تحدث عندما تقتضيها الطبيعة صادفت شيطاناً أم لا، وتوجيهه: بأنه لا يبعد أن يكون حدوثها عندما يريد الله رجم الشيطان، تركيب مذهب طبيعي بمنزع شرعي، لا يقبل عند ذوي العقول.

وذهب أهل السنة إلى التمسك بظاهر النصوص القرآنية، وأن النجوم نفسها تنقض عندما يريد الله رجم الشياطين، وهو رأي حكماء العرب - كما سيجيء نقله إن شاء الله - ومنقضة: صفة لشهب، وانقض الشيء: هوى وسقط. والوفوق: الموافقة في أي شيء كان، ولفظه نصب على الحالية؛ لأن إضافته لفظية. والصنم: ما كان مصوراً من حجر، والوثن: ما كان من غيره، وقيل: هما بمعنى واحد.

(١) الخبر في تاريخ الخميس ١/٣٠، وسبل الهدى والرشاد ١/١٢٢. وانظر ص ٣٠٤.

(٢) انظر تاريخ الخميس ١/٣٠، ٢٠٠.

(٣) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥].

ومعنى البيت: أن كفر الأقوام كان أيضاً بعد معاينة الخوارق العظمى، وهي تساقط الشهب من السماء على خلاف ما يعتادون، ونكوس أصنامهم يوم ولادته ﷺ، فهذا التغيير العلوي والسفلي المتوافقان في الزمن والكثرة مما ينادي بصحة رسالته ﷺ لو أسمع حياً وقد عاينوا كلاً من الأمرين وعظما عندهم وعلموا أن ذلك لحادث عظيم.

في الكلاعية عن ابن إسحق: أول العرب فزع للرمي بالنجوم حين رمى بها: ثقيف، وأنهم جاؤوا إلى رجل منهم يقال له: عمرو بن أمية<sup>(١)</sup>، وكان أدهى العرب فقالوا له: يا عمرو أولم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم قال: بلى فانظروا فإن كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر، وتعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس في معاشهم هي التي يرمى بها فهو الله يريد طي الدنيا وإن كانت نجوماً غيرها وهي ثابتة فهذا الأمر أراد الله به هذا الخلق اهـ. وتقدم ذكر قصة لهب بن مالك مع خطر وهذان الخبران وأمثالهما يقتضيان حدوث هذا الانقراض بولادته ﷺ وما يقتضيه صنيع الناظم -رحمه الله- وهو المعنى الظاهر من الكتاب المجيد في مواضع عديدة، وذلك مما يضعف طريقة الحكماء المتقدمة، وقيل إنه كان سابقاً معلوماً عند العرب ذكروه في أشعارهم، قال عوف بن الخرع، وهو جاهلي يصف فرساً:

يرد علينا العير من دون ألفه أو الشور كالدري يتبعه الدم  
نعم، كان بقلّة فكثر عند مبعثه ﷺ، وهو الذي يقتضيه الامتلاء فيما يحكيه  
-علت كلمته- عن الجن: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾  
[الجن: ٨] وأنت لا ترضى بذلك البيت معارضاً لفزع العرب عند رؤيتها ولا  
اقتضاء في الآية -كما هو بين- وقوله: وفق إلخ ذكر إرهاب آخر من كراماته ﷺ

(١) عمرو بن أمية الضمري: ( . . . -نحو ٥٥٥هـ) شجاع من الصحابة اشتهر في الجاهلية وشهد مع المشركين بدمراً وأحداً ثم أسلم وحضر بئر معونة فأسرته بنو عامر وأطلقه عامر بن الطفيل وعاش أيام الخلفاء الراشدين وشهد وقائع كثيرة علت بها شهرته في البسالة ومات بالمدينة في خلافة معاوية له ٢٠ حديثاً (الأعلام ٧٣/٥).

على طريقة التفريع التي أشرنا إليها وسنشرحها في الآيات بعد إن شاء الله . ذكر المؤرخون: أنه لما ولد ﷺ أصبحت أصنام الدنيا كلها منكوسة<sup>(١)</sup> .

[٧٠] حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مُنْهَزِمٌ      مِنْ الشَّيَاطِينِ يَقْفُو إِثْرَ مُنْهَزِمٍ  
مفرداته بينة . وحتى : غاية لانقضاض الشهب مبينة لفائدته . ومنهزم : فاعل  
غدا<sup>(٢)</sup> . ويقفو : جملة حالية .

والمعنى : أنه ترتب على انقضاض الشهب انهزام الشياطين عن طريق الوحي بحيث صار الواحد منهم يقفو أثر الآخر في الانهزام على معنى عموم الانهزام لجميعهم . وشاهد ما ذكره الناظم : ما قص من قول النفر الجني في سورة الجن ، وما روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن نفر من الأنصار أن رسول الله ﷺ قال : ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به؟ قالوا : يا نبي الله كنا نقول : ملك ملك ، ولد مولود ، مات مولود فقال رسول الله ﷺ : «ليس ذلك كذلك ولكن الله تبارك وتعالى كان إذا قضى في خلقه أمراً أسمعته حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم لتسبيحهم فيسبح من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي إلى سماء الدنيا فيسبحون ثم يقول بعضهم لبعض : مم سبحتم؟

(١) حديث ارتجاج إيوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها ألف عام لم تخدم : في الشفا ٤٦٠ وقال محققه : رواه البيهقي وابن أبي الدنيا وابن السكن ١٠١ هـ وهو في تاريخ الخميس ١/٢٠١ والسيرة النبوية لزيني دحلان ١/٤٩ .

لكن قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله في تعليقه على حديث تسليم الغزاة : «ومثله في عدم جواز قوله وإنشاده ما يقال في بعض المدائح النبوية وغيرها نظماً ونثراً من أن ليلة المولد ارتجس - انشق - إيوان كسرى وخدمت نار فارس وغازت بحيرة ساوة ، ورأى الموبدان رؤيا وفسرها سطيح . . .

فهذا الحديث ليس صحيح ولا يجوز قوله ولا إنشاده ولا يغرنك ذكر بعض العلماء له في كتب السيرة أو التاريخ كالطبري والأصفهاني والبيهقي والقسطلاني والزرقاني والسيوطي والشامي الصالحي وغيرهم ، فإن هؤلاء يذكرون في كتبهم هذه كل ما ورد في الباب مما صح ومما لم يصح لتسجيله ومعرفته وتمحيصه» ثم ذكر أفعالهم في ذلك وختم فقال : وهذا البحث مما يستفاد ولم أر من كتب فيه من قبل ، فالحمد لله على فضل الله .

انظر المصنوع في معرفة الحديث الموضوع لعلي القاري ص ١٨ .

(٢) قال الدكتور مازن : لماذا لا يكون منهزم اسماً لغدا وجملة يقفو خبراً لغدا !!؟

فيقولون: سبح من فوقنا فسبحنا لتسبيحهم فيقولون: ألا تسألون من فوقكم لم سبحوا؟ فيقولون مثل ذلك حتى ينتهوا إلى حملة العرش فيقال لهم: لم سبحتم؟ فيقولون: قضى الله في خلقه كذا وكذا للأمر الذي يهبط به الخبر من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى سماء الدنيا فيتحدثون به فتسرقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاف ثم يأتون به الكهان من أهل الأرض فيحدثونهم فيخطئون ويصيبيون فتحدث به الكهان فيخطئون بعضاً ويصيبيون بعضاً ثم إن الله حجب الشياطين بهذه النجوم التي يقذفون بها فانقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة» .

[٧١] كَانَتْهُمْ هَرْباً أَبْطَالاً أَبْرَهَةً أَوْ عَسْكَرٌ بِالْحَصَى مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِي

ضمير الجمع للشياطين. والهرب: اسم للهروب أو مصدر غير قياسي وهو الفرار بسرعة، ونصبه على التمييز للنسبة باعتبار تعلق الناسخ به وهو التشبيه. والأبطال: جمع بطل وهو الشجاع. وأبرهة - بفتح الهمزة -: أحد ملوك اليمن وهو صاحب الفيل، ومعنى هذا اللفظ بالحبشية: الأبيض الوجه، قال الخفاجي - في حواشي التفسير وهو يؤيد القول بأن أبرهة: هذا هو ابن الصباح الحميري، وليس ابن كيسوم الحبشي اه<sup>(١)</sup>. وإلى الأول ذهب القاضي في التفسير<sup>(٢)</sup> ووجه التأييد أن بياض الوجه ينافي الحبشية، وفيه أنه إذا ثبت تسمية ابن كيسوم بذلك الاسم فلا تأييد فافهمه. والذي نقله صاحب العمدة عن ابن قتيبة<sup>(٣)</sup>: أن أبرهة بن الصباح ملك اليمن لكنه غير صاحب الفيل الأول الأسبق بقرون وبينهما ملوك كثيرون<sup>(٤)</sup> فاعرفه. والحصى جمع حصة<sup>(٥)</sup>: وهي الصلبة من صغار الحجارة، وتعريفه جنسي؛ إذ لا عهد ولا مساع للاستغراق. والظرفان يتعلقان برمي آخر البيت.

(١) حاشية الخفاجي: ٣٩٨/٨ .

(٢) تفسير البيضاوي ٥٣٠/٥ .

(٣) ابن قتيبة: (٢١٣-٢٧٦هـ) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد من أئمة الأدب ومن المصنفين المكثرين ولد في بغداد وسكن الكوفة ثم ولي قضاء الدينور مدة فنسب إليها وتوفي ببغداد من كتبه تأويل مختلف الحديث وغيره (الأعلام ١٣٧/٤).

(٤) العمدة: ٩٤٦/٢ .

(٥) علق أستاذنا محمد علي حمد الله على هذا بقوله: واحدته حصة، لأن الحصى اسم جنس.

والمعنى: أن الشياطين بعد انقضاء الشهب يشبهون أبطال أبرهة، حين أرسل عليهم الطير الأبايل من جهة هروبهم أو يشبهون الكفار يوم أحد حين ولوا هاربين لما رماهم ﷺ بالحصى . والغرض من هذا التشبيه ذكر كرامته ﷺ في قصة الفيل فإن ذلك كان من بركته، ومعجزته ﷺ يوم أحد بعد ذكر كرامته بحراسة السماء بالشهب على طريق النظائر الخاصة، وأتى بكيفية التشبيه دون تعدادها استقلالاً على طريقة التفريع المعلومة عند أهل البديع . قال ابن رشيق في العمدة: التفريع أن يذكر الشاعر وصفاً ثم يفرع عنه وصفاً آخر يزيد الموصوف تأكيداً نحو قول الكميت:

أحلامكم لسقام الجهل شافية      كما دماؤكم يشفى بها الكلب<sup>(١)</sup>  
فوصف شيئاً ثم فرع عنه شيئاً آخر لتشبيهه شفاء هذه بشفاء هذه، وقال ابن المعتز يصف ساقى كأس:

فكأن حمرة لونها من خده      وكأن طيب نسيمها من نشره  
حتى إذا صب المزاج تبسمت      عن ثغرها فحسبته من ثغره  
ما زال ينجزني مواعد عينه      فمه وأحسب ريقه من خمرة<sup>(٢)</sup>

أهـ<sup>(٣)</sup> والنظم من هذا القبيل، وإذا عرفت أن غرضه من هذا التشبيه هو التفريع لأراك تلتفت إلى كون التشبيه على حقيقته أو هو من عكس التشبيه . وقصة أبطال أبرهة ما حكاه -جل اسمه- عن مأل أمرهم بقوله: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٣-٥]. وشرحها: ما حكاه أصحاب السير والمؤرخون: أن أبرهة بنى كنيسة يقال لها القليس -مشدداً- بصنعاء اليمن لم ير مثلها في زمانها، وكان ينقل إليها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس صاحبة سليمان -عليه السلام- وكان حكمه في العامل إذا طلعت الشمس ولم يعمل قطع يده ونصب

(١) ديوان الكميت ص ٧٣ .

(٢) ديوان ابن المعتز ١٩٩/٢ وفيه: رباحها مكان نسيمها .

(٣) العمدة ١/ ٦٣٢ .

فيها صلباناً من الذهب والفضة ومنابر من العاج، ولما كمل مراده من بنائها كتب إلى النجاشي: إني بنيت لك أيها الملك كنيسة لم ير مثلها لملك قبلك ولست بمنته حتى أصرف حج العرب إليها فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي غضب رجل من النساء أي الذين ينسؤون الشهور في الجاهلية فيحلون شهراً من الأشهر الحرم ويحرمون مكانه شهراً من أشهر الحل فخرج حتى أتى القليس فأحدث فيها فأخبر بذلك أبرهة فقال: من صنع هذا؟ فقيل له: رجل من أهل هذا البيت الذي يحج العرب إليه بمكة، لما سمع قولك: أصرف حج العرب إليها فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه فتجهزت الحبشة وخرجوا بالفيل فأعظمت ذلك العرب ورأوا جهاده حقاً عليهم فخرج إليه رجل من أشراف اليمن يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة فقاتلوه وهزم أصحاب ذي نفر وأخذ أسيراً فلما هم أبرهة بقتله قال له: أيها الملك لا تقتلني عسى أن يكون بقائي معك خيراً وكان أبرهة حليماً فتركه وحبسه في وثاق عنده فلما بلغ أبرهة خثعم عرض له نفيل بن حبيب ومن تابعه من العرب فانهزموا وأسر نفيل فلما هم بقتله قال: لا تقتلني أيها الملك فإني دليلك بأرض العرب فتركه حتى إذا أتى الطائف خرج له مسعود بن معتب الثقفي في رجال ثقيف فقالوا له: أيها الملك نحن عبيدك وليس بيتنا -يعنون اللات- هو الذي تريد إنما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه أبا رغال دليلاً، فلما نزل بالمغمس مات أبو رغال، فرجمت العرب قبره قبلي رجمه سنة، ثم بعث أبرهة الأسود بن مفضود على خيل له حتى انتهى إلى مكة فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم وأضاف إليها مائتي بعير لسيدنا عبد المطلب بن هاشم كبير قريش وسيدها فهتت العرب من قريش وكنانة وهذيل ومن كان بالحرم بقتاله ثم عرفوا أن لا طاقة لهم به فتركوا ذلك فبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة وقال: سل عن سيد هذا البلد ثم قل له: إن الملك يقول لك: أي لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت فإن لم تعرضوا لي دونه فلا حاجة لي بدمائكم، فإن هو لم يرد حربي فأتني به فأتى الرجل سيدنا

عبد المطلب وبلغ له الرسالة فقال له: لا نريد حربه ولا نطيعه، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم -عليه السلام- فإن يمنعه فهو بيته وحرمه، وإن يخل بينه وبينه، فوالله ما عندنا دفع عنه فقال له: فانطلق معي إليه فانطلق حتى أتى العسكر فاستأذن عليه فأذن له، وكان سيدنا عبد المطلب أجمل الناس، فلما رآه أبرهة أجله، وأكرمه عن أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه فنزل وأجلسه على بساطه إلى جنبه ثم قال لترجمانه قل له: ما حاجتك؟ فسأله الترجمان فقال: أن يرد علي الملك مائتي بغير أصابها لي فأخبره الترجمان فقال له: قد كنت أعجبتي ثم زهدت فيك، تكلمني في الأبعرة، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك لا تكلمني فيه فقال له: أنا رب الإبل وإن للبيت رباً سيمنعه قال أبرهة: ما كان ليمنع مني فقال له: أنت وذاك، فرد عليه الإبل فأتى قريشا فأخبرهم وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعب الجبال خوفاً من مضرة الجيش، فأخذ سيدنا عبدالمطلب بحلقة الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه وعبد المطلب يقول:

رحله فامنع رحالك	لاهُمَّ إن العبد يمنع
وعابديه اليوم آلك	وانصر على آل الصليب
ومحالهم أبداً محالك	لا يغلبن صليبهم
والفيل كي يسبوا عيالك	جروا جميع عيالهم
جهلاً وما رقبوا جلالك	عمدوا حماك بكيدهم

كذا ذكره بعضهم . والمشهور في بعض السير الاقتصار على البيت الأول والثالث، ثم انطلق مع القوم إلى شعب مكة فتحرزوا بها فلما أصبح أبرهة تهيأ للدخول إلى مكة، وكان اسم الفيل محموداً فلما وجهوه إلى مكة قام بجنبه نفيل بن حبيب وأخذ بأذنه وقال: ابرك محمود أو ارجع راشداً فإنك في بلد الله الحرام، ثم أرسل أذنه فبرك الفيل فضربوه ليقوم فأبى فضربوه بالطبرزين في رأسه فأبى فوجهوه إلى اليمن فقام يهرول، وإلى الشام كذلك وإلى المشرق كذلك وإلى مكة فبرك، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طير



ثلاثة أحجار: حجر في منقاره وحجران في رجله أمثال الحمص والعدس لا تصيب أحداً منهم إلا هلك وليست كلهم أصابت وخرجوا هارين يتدرون الطريق ويسألون عن نفيل ليدلهم فقال حين رأى منازل بهم:

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب  
وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به تسقط أنامله أنملة أنملة، كلما سقطت  
أنملة تبعثها مدة قيح ودم حتى قدموا به صنعاء، وهو مثل فرخ الطائر فما مات  
حتى انصدع صدره على قلبه، ويقال: أول ما رثيت الحصبة والجدرى ومرائر  
الشجر كالحرملة والحنظل بأرض العرب ذلك العام، وما أشد هوان الله إذ  
أخذهم بأضعف خلقه لما اعتمدوا على أقواها وكانت هذه الواقعة قبل ولادته ﷺ  
بخمسين يوماً فإنها كانت في المحرم من عام ولادته<sup>(١)</sup> ﷺ ومن هنا كانت من  
كراماته ﷺ والإرهصات الدالة على نبوته -عليه السلام-.

وأما قصة رمي الحصى من كفه ﷺ فهي ما حكاه أرباب السير من وقوع  
ذلك مرتين: أولهما: في غزوة بدر الكبرى؛ وذلك أنه ﷺ لما عدل صفوف  
المسلمين يوم القتال دخل العريش ومعه أبو بكر رضي الله عنه وصار يناشد ربه  
ويقول: اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة اليوم لاتعبد وأبو بكر يقول: يا نبي الله  
بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك، ثم إن رسول الله ﷺ أخذ  
حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشاً ثم قال: شأهت الوجوه ثم رماهم بها وقال  
لأصحابه: شدوا فكانت الهزيمة على المشركين وجعل الله شأن تلك الحصباء  
عظيماً فإنها لم تترك أحداً من المشركين إلا ملأت عينيه واستولى عليهم  
المسلمين قتلاً وأسراً يجدون النفر منكباً على وجهه لا يدري أين يتوجه، يعالج  
نزع التراب من عينيه<sup>(٢)</sup>.

والثانية في غزوة حنين: روي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه  
ﷺ بعدما جمع من المسلمين من تفرق ونشب القتال قبض قبضة من الحصباء

(١) انظر قصة الفيل في: تفسير البيضاوي ٥/٥٣٠، البداية والنهاية ٢/١٦٩ .

(٢) الخبر في سبل الهدى والرشاد ٤/٧٤ .

فحصب بها وجوه المشركين ونواصيهم كلها وقال: شأهت الوجوه، فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصبهم فيها واتبعهم المسلمون يقاتلونهم وغنمهم الله نساءهم وذرائعهم وشاءهم وإبلهم اه باختصار<sup>(١)</sup>.

ولعظم شأن ذلك الرمي قال تعالى في أمره: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]. ولا أظنك تفهم من هذا النفي والإثبات ما هو عام في أفعال الخلق عند الأشاعرة؛ من أن كل فعل بخلق الله؛ وإنما المعنى أن هذا الفعل لا تصل إليه قدرة المخلوق كما تصل في سائر أفعاله فهو متمحض لكونه من الله وإن كانت الصورة من العبد فتدبره وما أطف صنيع الناظم في ضم هذه المعجزة للإرهاص الأول؛ إذ كانا من نوع واحد وهو هلاك أعداء الله بالحصباء في الحالين فافهمه.

[٧٢] نَبْذًا بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحِ بَطْنَيْهِمَا نَبْذُ الْمُسْبِحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ  
النَّبذ: الرمي من اليد كاللفظ من الفم، ونصبه في النظم على المصدرية بقوله: رُمِيَ نحو: جلست قعوداً أو بمحذوف من لفظه دل عليه المقام أي نبذ به نبذاً على طريق الاستئناف المبين لإجمال ما قبله.

وهذا هو الأصوب ليسلم الناظم من التضمين المعيب في القوافي ونبذ المسبح على معنى التشبيه، والمسبح: سيدنا يونس بن متى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - والأحشاء: جمع حشا وهو ما انطوت عليه الضلوع. والمراد بالملتقم: الحوت الذي التقم يونس - عليه السلام -.

والمعنى: أنه ﷺ نبذ الحصى من راحتيه بعدما سبحت بطنهما كما نبذ يونس من بطن الحوت بعد تسييحه.

وتسييح الحصى بكفه ﷺ من معجزاته الثابتة. والمراد به: التسييح المسموع لا التسييح الثابت لكل شيء بنص الكتاب<sup>(٢)</sup>.

وظاهر صنيع الناظم أن الحصى المرمي به سبح في كفه ﷺ قبل الرمي به،

(١) انظر السيرة النبوية لزيني دحلان ٢/٣١٢، وسبل الهدى والرشاد ٥/٤٧٨.

(٢) أي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤].

قال شيخ الإسلام ابن مرزوق: لعل الناظم اطلع على ذلك وإلا فحديث أنس أن رسول الله ﷺ أخذ كفاً من حصى فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح، ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن، ثم في أيدينا فما سبحن<sup>(١)</sup>.  
ومثله عن أبي ذر<sup>(٢)</sup>. وذكر أنهن سبحن في يد عمر وعثمان<sup>(٣)</sup>. لا يدل إلا على أن الحصى سبح في كفه على الجملة اهـ

قلت: وهو وإن كان مجملاً يحتمل بإجماله أن يكون التسبيح وقع حين الرمي، كما يحتمل أن يكون في غير ذلك الوقت إلا أن الجمع ما بين حديث التسبيح المذكور، وحديثي الرمي يقضي بالمغايرة فلا تدخل حالة الرمي تحت إجمال حديث التسبيح المذكور. والوجه صرف اللفظ عن ظاهره إلى إرادة التسبيح في غير حالة الرمي إيماء إلى معجزة تسبيح الحصى ولما كان معاد الضمير جنسياً - كما قدمنا - سهل الأمر.

وحاصل المعنى: أن ما وقع من معجزة الرمي بالحصى كان بعد معجزة تسبيحه بكفه ﷺ فإن قلت: يتوقف صحة هذا على تحقق الترتيب في الخارج والروايات لا تقتضيه قلنا: هي وإن لم تقتض صريحاً لكن أحاديث تكليم الشجر وتسبيح الطعام والحصى وسوق من ساقها يشعلان بأن ذلك كان يحدثان بعثته ﷺ وشيخ الإسلام لما لاح له السؤال ادعى أن بعد للترتيب كما تستعمل ثم لذلك أحياناً ولا أظنك ترضى عنه كما أنك لا ترضى باحتمال أن يراد التسبيح منه ﷺ

(١) الحديث في الشفا ٣٧٣ .

(٢) أبو ذر: ( . . . ٣٢- ) جندب بن جنادة من بني غفار صحابي من كبارهم قديم الإسلام يقال: أسلم بعد أربعة، يضرب به المثل في الصدق هاجر بعد وفاة النبي ﷺ إلى بادية الشام فأقام بها إلى أن توفي أبو بكر وعمر وولي عثمان فسكن دمشق وجعل ديدنه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء في أموالهم فاضطربوا فشكاه معاوية إلى عثمان فاستقدمه إلى المدينة فقدمها فدعا بدعوته في المدينة فأمره عثمان بالرحلة إلى الربذة فسكنها إلى أن مات بها كان كريماً جواداً (الأعلام ٢/١٤٠).

(٣) الحديث أخرجه البزار (٩/٤٣١ رقم ٤٠٤٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٩/٥، وقال رواه الطبراني [المعجم الأوسط ٢/٥٩، رقم ١٢٤٤] وفيه محمد بن أبي حميد وهو ضعيف.

ثم يحتمل أن يكون الغرض من التشبيه بنبذ يونس -عليه السلام- الإشارة إلى ما دلت عليه الآية التي قدمناها في شرح البيت قبله من أن عظمة أثر هذا الفعل لا تلاقي القدرة البشرية وأن الفعل وإن كانت صورته منه ﷺ فهو حقيقة من الله تعالى كتمحض نبذ يونس من أحشاء الحوت، واختصاص التشبيه بهذا بين لشدة الملاءمة في الرمي والتسبيح من المرمي وربما أيد هذا الاحتمال بناء الفعل للنائب في البيت السابق لكنه لا يليق ببلاغة النظم، ويحتمل أن يكون إيماء إلى ما هو مشهور من أن: ما من آية أوتيتها نبي إلا أوتي نبينا مثلها أو أعظم منها والأظهر: أنه إشارة إلى أن كرامة يونس بما ذكر إنما كانت من أجله ﷺ فهو من تمام التفريع المتقدم ذكره، وذلك أنه لما تحقق -كما بيناه سابقاً- أن نبوة كل نبي إنما هي له ﷺ على طريق الحقيقة، فإذا كل كرامة تثبت لذلك النبي فهي في الحقيقة لنبينا ﷺ وقد تقدم في النظم: وكل أي أتى الرسل الكرام بها . . إله ومن ثم نقل أنه ﷺ قال: «كنت مع يونس في بطن الحوت»<sup>(١)</sup>، أو ما هذا معناه، وفي شيخ الإسلام كلام في توجيه النظم لا يرضى عند التأمل.

وقصة يونس -عليه السلام- مذكورة في الكتاب المجيد في غير ما مرة<sup>(٢)</sup>.

وذلك أنه لما طالت دعوته قومه، ودامت شكيمتهم، وتمادى إصرارهم هاجر عنهم قبل أن يؤمر من الله تعالى فركب السفينة فوقف فقالوا: هاهنا عبد أبى فافترعوا فخرجت القرعة عليه فقال: أنا الآبق ورمى بنفسه في الماء فالتقمه الحوت وابتلعه فنادى في الظلمات: أي ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة أحشاء الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فكان من لطف الله: أن الحوت سار مع السفينة رافعاً رأسه ليتنفس يونس -عليه السلام- حتى انتهوا إلى البر فلفظته بإجابة دعائه بذلك الدعاء<sup>(٣)</sup>.

(١) لم أجد الحديث فيما بين يدي من المراجع.

(٢) منها ما ذكره الله في سورة يونس الآية ٩٨ وما بعدها، وفي سورة الصافات الآية ١٣٩ وما بعدها.

(٣) روى ابن جرير في تفسيره والبيزار في مسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت: أن خذه ولا تخدش له =

وقد روي عن النبي ﷺ: «ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له»<sup>(١)</sup> اهـ.

[٧٣] جاءت لِدَعْوَتِهِ الْأَشْجَارُ سَاجِدَةً تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلا قَدَمِ المَجِيءِ: الإتيان . ودعوته: أمره ونداؤه . والأشجار: ما له ساق من النبات، وتعريفه جنسي . والسجود: وضع الجبهة على الأرض خضوعاً، والمراد هنا: مطلق الخضوع على طريق التجوز . والمشي: معروف، ويروى: تسعى وهو بمعناه . وساق الشجر: جذعها . والقدم: طرف الرجل .

والمعنى: أن من معجزاته ﷺ مجيء الشجر له ﷺ حين دعاه للمجيء والشهادة له بالرسالة وثبوت ذلك من الشهرة بمكان، حيث رواه الجم الغفير من التابعين عن عدة سادة من الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - .

فمن ذلك ما روي عن ابن عمر<sup>(٢)</sup> - رضي الله عنهما - قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فدنا منه أعرابي فقال: يا أعرابي أين تريد؟ قال: إلى أهلي قال: هل لك إلى خير؟ قال: وما هو؟ قال: اشهد أن لا إله إلا الله، وأن

= لحمًا ولا تكسر له عظماً فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حساً فقال في نفسه: ما هذا؟ فأوحى الله إليه وهو في بطن الحوت إن هذا تسبيح دواب البحر قال: فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا: يا ربنا إنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة قال: ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر قالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال: نعم قال فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقفذه في الساحل كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ (قصص الأنبياء لابن كثير ٢٦١).

(١) أخرج الترمذي (٣٤٢٧) كتاب الدعوات باب ما جاء في عقد التسبيح باليد) عن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له» وأخرجه أحمد رقم ١٣٨٣ .

(٢) ابن عمر (١٠ق هـ-٧٣هـ): عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عبد الرحمن صحابي من أعز بيوتات قريش في الجاهلية كان جريئاً جهيراً في الإسلام وهاجر إلى المدينة مع أبيه وشهد فتح مكة ومولده ووفاته فيها أفتى الناس ستين سنة وغزا إفريقية مرتين مرة مع ابن أبي سرح ومرة مع معاوية بن حديج سنة ٣٤هـ وكف بصره في آخر حياته وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة له في كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثاً (الأعلام ٤/١٠٨).

محمداً عبده ورسوله قال: من يشهد لك على ما تقول؟ قال: هذه الشجرة السمرة، وهي بشاطيء الوادي، فادعها فإنها تجيبك قال: فدعوتها فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثاً فشهدت أنه كما قال، ثم رجعت إلى مكانها<sup>(١)</sup>. ومنه ما روي عن بريدة<sup>(٢)</sup>: سألت أعرابي النبي ﷺ آية فقال له: قل لتلك الشجرة: رسول الله ﷺ يدعوك قال: فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ فقالت: السلام عليك يا رسول الله فقال الأعرابي: مرها فلترجع إلى منبتها فرجعت فدلّت عروقها في ذلك الموضع فاستوت فقال الأعرابي: ائذن لي أن أسجد لك قال: لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها قال: فأذن لي أن أقبل يديك ورجليك فأذن له<sup>(٣)</sup>. وعن الحسن<sup>(٤)</sup> أنه -عليه الصلاة والسلام- شكّا إلى ربه من قومه وأنهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها أن لا مخافة عليه، فأوحى الله إليه أن: ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصناً منها يأتك ففعل فجاء يخط الأرض خطأ حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال: ارجع كما جئت فرجع فقال: يا رب علمت أن لا مخافة علي<sup>(٥)</sup> اه وإن أردت الإحاطة بالرواية في هذا المعنى فانظر الشفاء<sup>(٦)</sup>،

(١) الشفا ٣٦٣ وقال محققه: أخرجه البزار والدارمي وأبو يعلى والطبراني . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٩٢/٨ رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٢) بريدة بن الحصيب ( . . . - ٦٣هـ ) الأسلمي من أكابر الصحابة أسلم قبل بدر ولم يشهدا وشهد خيبر وفتح مكة واستعمله النبي ﷺ على صدقات قومه وسكن المدينة وانتقل إلى البصرة ثم إلى مرو فمات بها، له ١٦٧ حديثاً (الأعلام ٥٠/٢).

(٣) أخرجه البزار وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٩ وقال: رواه البزار وفيه صالح بن حيان وهو ضعيف .

(٤) الحسن بن يسار البصري أبو سعيد مولى زيد بن ثابت ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر نشأ بوادي القرى شهد يوم الدار وله ١٤ سنة كان سيد أهل زمانه علماً وعملاً توفي وله ٨٨ سنة (سير أعلام النبلاء ٥٦٣/٤).

(٥) الحديث في الشفا ٣٦٨ وقال محققه: حديث مرسل أخرجه البيهقي ويونس بن بكير .

(٦) أخرج الدارمي (رقم ١٤٢٨ كتاب الصلاة باب النهي أن يسجد لأحد) عن بريدة قال: جاء =

غير أن جميعها لا يتضمن السجود مع المجيء - كما هو ظاهر كلام الناظم -، وحديث السجود - وإن ثبت - ليس فيه سعي ومجيء، وهو ما روي عن جابر بن عبد الله: لم يكن رسول الله ﷺ يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له (١). ومن ثم حملنا السجود في النظم على معنى الخضوع، ثم السجود الثابت بحديث جابر المراد به الانخفاض إلى أن يمس الأرض لا حقيقة السجود، إذ لا يكون إلا من البشر ذي الجبهة، وبهذا يظهر أن لا منع في مثل هذا؛ إذ المختص بالله هو الحقيقي لا الانخفاض على سبيل التواضع، هذا وما ألفت قول الناظم: على ساق بلا قدم إذ يوهم الساق ذات القدم، وأن السعي عليها دونه مستغرب.

[٧٤] كَأَنَّمَا سَطَرْتِ سَطْرًا لِمَا كَتَبْتِ فَرُوْعُهَا مِنْ بَدِيْعِ الْخَطِّ بِاللَّقَمِ  
التسطير: التخطيط على الاستواء. والكتابة: حقيقتها معروفة. وفرع الشجرة: غصنها. والبديع: بمعنى المبدع على صيغة المفعول، وأصله: المفعول على غير مثال ثم توسع فيه، وأريد منه الصنع الغريب المستحسن، وهو المراد هنا. واللقم - بفتح اللام - : محجة الطريق ووسطه. وغرض الناظم: التنبيه على أن مجيء الشجر له ﷺ كان على حال اعتداله من دون ميل ولا انحراف. وذلك من تمام غرابة المعجزة؛ فإن الشجر إذا تززع منبته لعبت به الرياح، وشبه - رحمه الله تعالى - حال الشجر في مجيئها على وجه الاستقامة بحالة الكتب المبدع في سطور مستوية، والجامع الحسن والجمال، والدلالة على المعنى، فإن ذلك المجيء أفصح من الكتابة، بل ومن اللفظ في الدلالة على المراد منه، وأتبع ذلك التشبيه تشبيهه في بعض المفردات كتشبيه الفروع بالكاتب، وشقها الأرض بالكتابة، وقد أخذ هذا التشبيه في معناه من قول ليبيد بن ربيعة:

= أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي فلاسجد لك قال: «لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة تسجد لزوجها» .

وأخرج الترمذي (٣٥٦١) كتاب المناقب باب آيات في إثبات نبوة النبي ﷺ) عن ابن عباس قال جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: بم أعرف أنك نبي؟ قال: «إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله؟» فدعاه فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ ثم قال: ارجع فعاد فأسلم الأعرابي وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب. وانظر الشفا ص ٣٦٣ .

(١) الحديث في الشفا ٣٧٤ وقال محققه: رواه البيهقي في الدلائل .

وجلا السيول على الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها<sup>(١)</sup>  
فإنه شبه حالة جلاء السيول عن آثار الطلول وإظهارها بتجديد الأقلام متون  
الكتب وأتبع هذا تشبيه الطلول بالزبر، والسيول بالأقلام، والجلاء بتجديد  
الكتابة.

[٧٥] مِثْلُ الْعِمَامَةِ أَنَّى سَارَ سَائِرَةٌ تَقِيهِ حَرٌّ وَطَيْسٌ لِلْهَجِيرِ حَمِي<sup>(٢)</sup>  
مثل: مرفوع على الخبرية لمبتدأ محذوف أي شأن الأشجار فيما ذكر مثل  
العمامة في شأنها المحكي في البيت. والعمامة: السحابة. وأنى: بمعنى أين.  
وتقيه: مضارع وقاه بمعنى حفظه. والحر: ضد البرد. وأصل الوطيس: التنور  
يخبز فيه، ثم تجوز به عن الشيء الشديد الحر، ثم توسع فيه فتجوز به عن  
الشديد الحر المعنوي فيقال للحرب عند اشتدادها ومنه قوله ﷺ في هوازن:  
«الآن حمي الوطيس»<sup>(٣)</sup>. والهجير: نصف النهار. وحمي: اشتد.

ومعنى البيت: أن شأن مجيء الأشجار لدعائه ﷺ في الكون كرامة ومعجزة

(١) شرح ديوان لبيد ٢٩٩ وقال شارحه: المعنى تفاوت ما أبقت السيول من الطلول فبعضها ظاهر  
وبعضها كأنه عجوة أعيدت وجددت وقد استجد الفزدق هذا البيت حتى قيل: إنه سجد  
حينما سمعه.

(٢) قال أستاذنا علي حمد الله: تركيب هذا البيت ضعيف لأن سائرة وتقيه مرشحتان لجواب  
الشرط ولكن عائقاً منع من ذلك فالعائق في الأولى النقص والأصل: أنى سار فهي سائرة  
والعائق في الثانية أمران: ١- إثبات ياء تقيه والمطلوب جزمه بحذفها، ٢- إقحام كلمة سائرة  
في الجملة الشرطية. أما جملة سار فليست مضافاً إليه لأن الظروف الجازمة لفعلين تتعلق  
بفعل الشرط ولا يتعلق الظرف المضاف بالمضاف إليه لأنهما كالاسم الواحد وأما إعرابها  
استثنائية فممتنع لشدة اتصالها بما قبلها في المعنى وفي عائدي فاعلي الشرط والجواب فيبقى  
لنا إعرابها حالاً -على ضعف- بسبب غياب الجواب وتأويله تابعته أو إعرابها اعتراضية لأن  
الاعتراض أوثق صلة من الاستئناف وخير الحلول لولا الوزن الشعري أن نقول مثل العمامة  
حيث سار سائرة تقيه. حيث ظرف مقدم من تأخير متعلق بسائرة. جملة سار: مضاف إليه  
بعد حيث ولا نرى جواز تضمين أنى الشرطية معنى حيث الظرفية الخالية من الشرط (البردة  
شرحاً وإعراباً وبلاغة لمحمد يحيى الحلوم ومراجعة أستاذنا علي حمد الله ١٠٦).

(٣) أخرجه مسلم بلفظ: «هذا حين حمي الوطيس» (٣٣٢٤) كتاب الجهاد والسير باب في غزوة  
حنين، وفي مسند أحمد ١٦٨٠ «الآن حمي الوطيس».



له ﷺ مثل وقاية الغمام له من حر الشمس تسير معه حيثما سار. وأصله ما خرجه الترمذي عن أبي بكر<sup>(١)</sup> بن أبي موسى عن أبيه<sup>(٢)</sup> قال: خرج أبو طالب ومعه رسول الله ﷺ في أشياخ من قريش فلما أشرفوا على راهب يقال له بحيرا وحلوا رحالهم خرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمشون به فلا يخرج إليهم فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ ثم قال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ قريش: ما أعلمك بهذا فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً ولا يسجدان إلا لنبي، وإنني عرفته بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفيه مثل التفاحة ثم رجع وصنع لهم طعاماً فلما أتاهم به وكان ﷺ في رعي الإبل قال: أرسلوا إليه فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه فيينا الراهب قائم يناشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونهم، فالتفت فإذا بسبعة من الروم قد أقبلوا فاستقبلهم الراهب فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: نبئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث ملكنا إليه بأناس قال: أفرايتم أمراً يريد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده قالوا: لا فبايعوه وزود الراهب النبي ﷺ من الكعك والزيت<sup>(٣)</sup>.

[٧٦] أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ

القسم: بمعنى اليمين، وأقسمت بمعنى حلفت، واللفظ خبري، والمعنى على الإنشاء أي أنشئ بهذا اللفظ قسماً بما ذكر. والقمر: الكوكب المعروف

(١) أبو بكر بن أبي موسى الأشعري وهو عمرو بن عبد الله بن قيس سمع من أبيه (الكنى والأسماء/١/١١٤).

(٢) أبو موسى: عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار الأشعري كان سكن الرملة وحالف سعيد بن العاص ثم أسلم وهاجر إلى الحبيشة وقدم المدينة بعد فتح خيبر مع جعفر واستعمله عمر على البصرة بعد المغيرة ففتح مدناً كان خفيف الجسم قصيراً كان حسن الصوت بالقرآن شهد فتوح الشام واستعمله عثمان على الكوفة توفي سنة ٤٢هـ وهو ابن نيف وستين (الإصابة رقم ٤٩٠١، ٤/٢١٣).

(٣) أخرجه الترمذي (كتاب المناقب باب ما جاء في بدء النبوة رقم ٣٥٥٣ وقال: حسن غريب).

المقتبس نوره من ضياء الشمس، يسمى بذلك لثلاث ليال من إهلاله إلى آخر الشهر. والمنشق: اسم فاعل من الانشقاق مطاوع شقه إذا صدعه وقسمه. وجملة إن له . . إلخ جواب القسم. والنسبة: أصلها القرابة النسبية أو هي في الآباء خاصة ثم توسع فيها فأطلقت على المشاكلة ومطلق الارتباط. وذلك المراد هنا. ومبرورة على الحذف والإيصال، والأصل: مبرور فيها، من برّ في يمينه: إذا صدق فيها وأمضاها، والإسناد مجازي، وحقيقته مبرور القسم عليها مثل: ﴿عِشَّةَ رَاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]، [القارعة: ٧]. وهو كثير جداً، وكم منه في الكتاب المجيد<sup>(١)</sup>: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢] <sup>(٢)</sup> فلا تكلف في العبارة كما ادعى شيخ الإسلام.

ومعنى البيت: الحلف على أن للقمر بوصف انشقاغه انتساباً إلى قلبه ﷺ الذي شق لاريب فيه، والحالف عليه بار في يمينه، ووجه النسبة أن كلاً من الشقين له سببية في المراد من الرسالة والتبليغ، وذلك أن المراد من الرسالة تبليغ الشرائع إلى الأمة وهدايتهم بقبولها والتزام العمل بمقتضاها، وذلك يستدعي أمرين: أحدهما: من قبل المبلغ وهو استعداده لحمل أعباء الرسالة وقوة قلبه لقبولها وتمام أمانته فيما يبلغ، وما ذلك إلا بصيغة إلهية، واستعداد نوراني، وتجرد من الأوصاف النفسية إلى الكمالات الروحانية، وذلك بشق قلبه ﷺ، وغسله من الصفات البشرية، وحشوه حكمة وإيماناً - كما سيأتي إن شاء الله تعالى - ثانيهما: من قبل المبلغ إليه وهو أن يكون مقبلاً على المبلغ بكلاكله، يعي كل ما يسمع منه ويلتزمه، وذلك إنما يكون بتمام صدقه عنده فيما يدعي، والمراد من المعجزات التي من أعظمها انشقاق القمر، ذلك ولما كان الوجه الأول أعرق في المراد من الرسالة، وهو الأصل فيها - كما لا يخفى - جعل

(١) ومنه قوله تعالى: ﴿أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا ءِيمَانًا﴾ [العنكبوت: ٦٧] وقوله: ﴿أَوْلَمْ تُمْكِن لَهُمْ حَرَمًا ءِيمَانًا﴾ [القصص: ٥٧].

(٢) من دقيق تنبيهات فضيلة أستاذنا الدكتور مازن المبارك وجليل ملحوظاته ما ذكره من أن الفعل زاد: إما أن يكون متعدياً لمفعولين: ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ وإما أن يكون لازماً والمنصوب بعده تمييز: زاد الجؤ دفناً.

النسبة من القمر إلى القلب دون العكس فافهمه؛ لأنه من المواهب الربانية. هذا ومراد الناظم -رحمه الله- ذكر المعجزتين المشار إليهما: أحدهما: انشقاق القمر وهي ثابتة بنص الكتاب المجيد قال الله تعالى: ﴿أَفَرَبِّبِ السَّاعَةِ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (١) وإن يروا آيةً يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمرٌ ﴿[القمر: ١-٢]. رويانا في الشفاء<sup>(١)</sup> من طرق عديدة: أن القمر انشق على عهد النبي ﷺ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا»<sup>(٢)</sup>. وفي بعض الطرق قال كفار قريش: سحرهم محمد فقال رجل منهم: إن محمداً إن كان سحر القمر، فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها، فاسألوا من يأتي من بلد آخر: هل رأوا هذا؟ فأتوا فسألوا فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك فقال الكفار: هذا سحر مستمر<sup>(٣)</sup>. وفي بعض الطرق أن أهل مكة سألوا النبي ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر<sup>(٤)</sup>، وفي بعضها كان ذلك والنبي ﷺ وأصحابه بمنى<sup>(٥)</sup> وقيل: بمكة<sup>(٦)</sup>.

ثانيتها: شق قلبه ﷺ، وهي مما تواترت الأخبار على وقوعها، وأكثر الروايات على ثبوتها، وهو ﷺ في بني سعد.

فروى أبو يعلى وأبو نعيم وابن عساكر<sup>(٧)</sup> أنه ﷺ قال: كنت مسترضعاً في بني سعد بن بكر، فبينما أنا ذات يوم في بطن واد مع أتراب<sup>(٨)</sup> لي من الصبيان،

- (١) الشفا ٣٤٤ .
- (٢) أخرجه البخاري (رقم ٣٣٦٤ كتاب المناقب باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية)، ومسلم (رقم ٥٠١٠ كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب انشقاق القمر).
- (٣) الشفا ٣٤٥ .
- (٤) أخرجه البخاري (٣٣٦٥ كتاب المناقب باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية)، ومسلم (٥٠١٣ كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب انشقاق القمر).
- (٥) أخرجه البخاري (كتاب المناقب باب انشقاق القمر رقم ٣٥٨٠) ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب انشقاق القمر رقم ٥٠١١).
- (٦) الخبر في الشفا ٣٤٥ .
- (٧) ابن عساكر (٤٩٩-٥٧١هـ) علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم ثقة الدين الدمشقي المؤرخ الحافظ الرحالة كان محدث الديار الشامية مولده ووفاته بدمشق له تاريخ دمشق (الأعلام ٢٧٣/٤).
- (٨) أتراب جمع ترب: اللدة والسن أي من ولد في زمن ولادته أو من هو قريب من سنه (اللسان ٢٣١/١).

فإذا أنا برهط ثلاث، معهم طست من ذهب مليء ثلجاً، فأخذوني من بين أصحابي وانطلق الصبيان هرباً مسرعين إلى الحي، فعمد أحدهم فأضجعني على الأرض إضجاعاً لطيفاً ثم شق ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي، وأنا أنظر إليه لم أجد لذلك بأساً، ثم أخرج أحشاء بطني ثم غسلها بذلك الثلج، فأمعن غسلها ثم أعادها مكانها، ثم قام الثاني فقال لصاحبه: تنح ثم أدخل يده في جوفي، وأخرج قلبي، وأنا أنظر إليه فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها، ثم أشار بيده يمنة ويسرة، كأنه يتناول شيئاً فإذا خاتم من نور يحار الناظر دونه، فختم به على قلبي فامتلاً نوراً، وذلك نور النبوة والحكمة، ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرأً، ثم قال الثالث لصاحبه: تنح فمد يده بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي فالتأم ذلك الشق بإذن الله تعالى، ثم أخذ بيدي وأنهضني من مكاني إنهاضاً لطيفاً<sup>(١)</sup>، وتكرر ذلك وهو ﷺ ابن عشر سنين، روى عبد الله بن أحمد<sup>(٢)</sup> في زوائد مسند أبيه: قال أبو هريرة: يارسول الله ما أول ما ابتدئت به من أمر النبوة؟ قال: إني لفي صحراء واسعة أمشي ابن عشر حجج، إذ أنا برجلين فوق رأسي يقول أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم فأخذاني فأضجعاني لحلاوة القفا<sup>(٣)</sup>، ثم شقا بطني، وكان أحدهما يختلف بالماء في طست من ذهب، والآخر يغسل جوفي فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره، فإذا صدري فيما أرى مفلوقاً لا أجد له وجعاً ثم قال: اشقق قلبه فشق قلبي فقال: أخرج منه الغل والحسد، فأخرج شبه العلقة فنبذ به

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة رقم ٢٩٦٨) ومسلم (كتاب الإيمان باب الإسراء رقم ٢٣٨).

(٢) عبد الله بن أحمد بن حنبل (٢١٣-٢٩٠هـ) الشيباني البغدادي أبو عبد الرحمن حافظ للحديث من أهل بغداد له الزوائد على كتاب الزهد لأبيه وزوائد المسند نحو عشرة آلاف حديث (الأعلام ٤/٦٥).

(٣) في حاشية الأصل: قوله: لحلاوة القفا، في القاموس إن حلاوة القفا وسطه وذكر له موازين أخر ١. هـ قال في القاموس ١٦٤٦ (حلو): وحلاوة القفا ويضم وحلاءته وحلواؤه وحلاواؤه وحلاواه بالضم: وسطه، جمعه حلاوي .

ثم قال: أدخل الرأفة والرحمة قلبه فأدخل شيئاً كهيئة الفضة ثم أخرج ذوراً كان معه فذر عليه ثم نقر إبهامي ثم قال: اغد فرجعت بمالم أغد به من رحمتي للصغير ورأفتي للكبير<sup>(١)</sup> اهـ. ولا يخفى ما في هذه الرواية من معارضة الأولى، وروي شق الصدر عند مجيء جبريل بغار حراء<sup>(٢)</sup>، كما روي أنه شق أيضاً ليلة الإسراء<sup>(٣)</sup>، قال ابن حجر في شرح الهمزية: تواترت بها الروايات خلافاً لمن أنكرها اهـ قلت: وممن أنكرها عياض في الشفاء في حديث الإسراء فراجعه<sup>(٤)</sup> بقي أن الناظم - رحمه الله تعالى - أقسم بانشقاق القمر، وهو مبني على القول بجوازه مع الكراهة، كما في الرابع والعشرين والمائة من قواعد الشهاب القرافي<sup>(٥)</sup>، ولا يجوز تخريجه على استعمال لفظ القسم في توطئة الكلام، كما خرج عليه حديث: «أفلح وأبيه إن صدق»<sup>(٦)</sup> وقول الشاعر:

(١) زوائد المسند رقم ١٧٥، ص ٣٩٤ .

(٢) الخبر في سبل الهدى والرشاد ٨٥/٢ .

(٣) الخبر أخرجه البخاري (كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء رقم ٣٣٦) ومسلم (كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ رقم ٢٣٧)، وقال في سبل الهدى والرشاد ٨٢/٢: تكرر شق الصدر أربع مرات:

١- وهو صغير في بني سعد كما رواه مسلم وأحمد .

٢- وهو ابن عشر سنين كما رواه عبد الله بن أحمد وابن حبان والحاكم .

٣- عند المبعث كما رواه أبو داود الطيالسي والبيهقي وأبو نعيم .

٤- ليلة الإسراء كما رواه مسلم (كتاب الإيمان باب الإسراء رقم ٢٣٨).

(٤) الشفا ٢٣٠ .

(٥) الفروق الفرق ١٢٤ .

(٦) أخرج مسلم (رقم ١٢ كتاب الإيمان باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام) عن طلحة بن عبيد الله يقول: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا من رسول الله ﷺ فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ: خمس صلوات في اليوم والليلة فقال: هل عليّ غيرهن؟ قال: لا إلا أن تطوع وصيام شهر رمضان فقال: هل عليّ غيره؟ فقال: لا إلا أن تطوع وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة فقال: هل عليّ غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه فقال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق أو دخل الجنة وأبيه إن صدق». قال =

فإن تك ليلى استودعتني أمانة فلا وأبي أعدائها لا أخونها<sup>(١)</sup>  
لما أن فعل القسم والوصف بالبر آخر البيت ينافيه فتنبه له .  
[٧٧] وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي  
عطف على القسم السابق، وجواب هذا قوله: ما سامني الدهر البيتين .  
وحوى الشيء: جمعه وأحرزه. والغار: الكهف في الجبل، وأل فيه:  
لمعهود القصة المشهورة - كما ستأتي إن شاء الله - وهو في جبل ثور أسفل مكة .  
والخير - بالفتح - : ضد الشر وبالكسر: الكرم والشرف والأصل والهيئة - كذا  
في القاموس -<sup>(٢)</sup> والكرم عندي: أنه هنا اسم بمعنى التكريم والتعظيم؛ إذ لا  
يناسب المقام كونه بمعنى الجود وكرم النفس وإن أمكن أن يكون له ميسر لكنه  
يتكرر مع الخير إن كان بالكسر فالأنسب بالمقام والمعجزة هو ما ذكرناه .  
والجملة بعد حالية. والظرف: العين لا يجمع، لأنه في الأصل مصدر. والكفار:  
جمع كافر، اسم فاعل من الكفر ضد الإيمان، ويجمع على كفر وكفار. وقد  
تقدم تفسير العمى .

ومعنى البيت: وأقسم بما حواه الغار من الشرف والتكريم الإلهي والحال أن  
أعين الكفار عموا عنه، فلم يدركوا النبي وصاحبه فيه، وإن كانوا بصراء .  
وقد تقدم: أن القوة المدركة إذا لم يترتب عليها أثرها كانت والعدم سواء  
فلما لم يدرك الكفار ما في الغار مع صحة أبصارهم كانوا كأنهم عمي عن ذلك،  
وقد قيل: إن لفظة كل في البيت مخفوضة عطفاً على كلمة ما فتكون قسماً تهكمياً  
كقول الشاعر:

فإن تك ليلى استودعتني أمانة فلا وأبي أعدائها لا أخونها  
[٧٨] فَالْصُّدُقُ فِي الْغَارِ وَالصُّدِّيقُ لَمْ يَرِمَا وَهُمْ يَقُولُونَ: مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرِمٍ

= النووي في شرح صحيح مسلم ١ / ١٦٨، وابن حجر في شرح البخاري ١ / ١٠٨: لعل هذا وقع  
قبل ورود النهي أو التقدير: ورب أبيه أو كلمة جرت على اللسان من غير أن يقصد بها اليمين .  
(١) البيت لمجنون ليلى في ديوانه ٢٧٦، وروي: فلا وأبي ليلى إذن لا أخونها .  
(٢) القاموس ٤٩٧ (خير).

تفريع على ما تقدم أو استدلال على الحكم عليهم بالعمى وهو أظهر .  
والصدق: ضد الكذب والمراد به هنا: النبي ﷺ على حذف مضاف، أي ذو  
الصدق، أو هو من الوصف بالمصدر، على طريقة المبالغة في ملازمة الوصف  
لموصوفه كقولهم: رجل عدل . والصديق: -كسكيت- الكثير الصدق ولقب أبي  
بكر شيخ الخلفاء- كذا في القاموس<sup>(١)</sup> - واسمه عبد الله سماه به النبي ﷺ بعد  
إسلامه، وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة<sup>(٢)</sup>، وأبوه أبو قحافة عثمان بن  
عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب،  
أول من أسلم من الرجال، وأول من صلى مع النبي ﷺ في قول طائفة .

سئل ابن عباس<sup>(٣)</sup> -رضي الله عنهما- أي الناس أسبق إسلاماً؟ فقال: أما  
سمعت قول حسان رضي الله عنه:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة  
فأذكر أخاك أبا بكر بما فعلا  
خير البرية أتقاها وأعدلها  
بعد النبي وأفأها بما حملا  
والثاني التالي المحمود مشهده  
وأول الناس قدماً صدق الرسلا<sup>(٤)</sup>

وكان يلقب عتيقاً لعناقة وجهه أي حسنه، وقيل: لقول النبي ﷺ: «من سره  
أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى هذا»<sup>(٥)</sup>. فضائله رضي الله عنه مشحونة  
بها الدواوين، وكفى قوله ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر  
خليلاً، ولكن أخوة الإسلام، لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي  
بكر»<sup>(٦)</sup>.

(١) القاموس ١١٦٢ (صدق).

(٢) فتح الباري ٩/٧ .

(٣) الخبر في سبل الهدى والرشاد ٤٠٦/٢ حكاه عن الجوزي في صفوة الصفوة وعن المواهب .

(٤) ديوان حسان ١٢٥/١ .

(٥) أخرج الترمذي عن عائشة أن أبا بكر دخل على رسول الله ﷺ فقال: «أنت عتيق الله من  
النار» فيومئذ سمي عتيقاً قال الترمذي: حديث غريب (رقم ٣٦١٢ كتاب المناقب باب في  
مناقب أبي بكر).

(٦) أخرجه البخاري (رقم ٤٤٧ كتاب الصلاة باب الخوخة والممر في المسجد)، ومسلم (رقم  
٤٣٩٠ كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر).

لطيفة: حدثني من أتق بحديثه، عن العالم الجليل أبي الفداء الشيخ إسماعيل التميمي، عن عالم الديار التونسية أبي الفلاح الشيخ صالح الكواش<sup>(١)</sup>، أنه كان يكثر زيارة ضريح الولي الشهير أبي محفوظ سيدي محرز بن خلف الصديقي<sup>(٢)</sup> المتصل نسبه بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ويعلل ذلك بأنه لما كان صديقي النسب كان طريقاً موصلاً؛ لأن النبي ﷺ أمر بسد جميع كوى المسجد إلا كوة أبي بكر إيماءً نبوياً لطيفاً إلى أن طريقه غير منقطع اهـ. وهو منزع لطيف، واستنباط عجيب. وقول الناظم: لم يرما بمعنى: لم يبرحا، يقال: لا أريم من مكاني بمعنى: لا أبرح. وجملة: وهم يقولون.. إلخ حالية. وأريم -بفتح الهمزة وكسر الراء- بمعنى أحد، ويقال فيه: أريم -بالياء- قال أبو زيد<sup>(٣)</sup>: ما بالدار أريم، وما بها أرم أي ما بها أحد.

قال الشاعر:

دار لأسماء بالغمران مائلة كالوحي ليس بها من أهلها أرم<sup>(٤)</sup>  
وهو من الألفاظ التي لا تستعمل إلا في النفي.

ومعنى البيت: أن النبي ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه لم يبرحا بالغار، ولم يزالا مقيمين به، والحال أن الكفار حكموا بأنه ليس به أحد، وذلك بعد التثبيت والتأمل وقرب المسافة، لما روي أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله لو

(١) صالح الكواش: (١١٣٧-١٢١٨هـ) صالح بن حسن تونسي فاضل له نظم أصله من الكاف ولد وتعلم بتونس وكان أبوه كواشاً (فراشاً) ودّرس بجامع الزيتونة وخرج مختفياً أيام الباشا علي الظالم إلى طرابلس الغرب ثم إزمير ثم القسطنطينية وعاد إلى تونس بعد زوال دولة الباشا علي ونفي إلى منزل تميم بو شاية ثم أعيد إلى تونس وتوفي بها (الأعلام ٣/١٩٠).

(٢) محرز بن خلف: (٣٤٠-٤١٣هـ) التميمي من أهل تونس ومولده فيها كان رجلاً صالحاً واعظاً ذا تأثير وهيبة في النفوس ورعاً جليلاً ذا ميل إلى التصوف وكان ناثراً شاعراً (تاريخ الأدب العربي ٤/٣٥٤).

(٣) أبو زيد: (١١٩-٢١٥هـ) سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري أحد أئمة الأدب واللغة من أهل البصرة ووفاته بها كان يرى رأي القدرية وهو من ثقات اللغويين من تصانيفه كتاب النوادر والمياه (الأعلام ٣/٩٢).

(٤) البيت لزهير بن أبي سلمى وروي: بالغمرين .



أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا<sup>(١)</sup> فما ذاك إلا لعمى أبصارهم عنهما بالمعنى الذي قدمناه، فتم الاستدلال على الوجه البين، واقتبس الناظم بيته من قوله -جل اسمه-: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِٗٓ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، فقد ذهب قوم إلى أن المراد بالذي صدق به: هو أبو بكر رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>، ووجهه أنه سبق بالتصديق غيره كما تقدم.

[٧٩] ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحْمِ

ضميره للكفار. والظن: الأخذ بالطرف الراجح من الحكمين عند عدم جزم الذهن بأحدهما، والمرجوح: الوهم. والحمام -بفتح الحاء كسحاب-: طائر بري لا يألف البيوت أو كل ذي طوق -كذا في القاموس-<sup>(٣)</sup> ومراد الناظم: الأول لخصوصية الواقعة. والعنكبوت: اسم للناسجة المعروفة. والبرية: الخلق، من برأ الله الخلق، فيكون همزي اللام قلبت همزته ياء وأدغمت في الياء، أو من البري وهو التراب، فيكون يائي اللام. والنسج: معروف. والحوم: الدوران يقال: حام الطائر حول الشيء يحوم حوماً وحوماناً: دار.

ومعنى البيت: أن الكفار لما رأوا العنكبوت ناسجة على فم الغار، والحمام واقف هناك حكموا بأنه ليس به أحد لظنهم أنه لا يمكن ذلك النسج، ولا أن يتخذ الحمام وكراً بعد دخولهم وكونهما سابقين الدخول بين المنع، وذلك بحكم العادة، وعدم الالتفات إلى تكريم الله تعالى وخرقه العوائد. وقوله: لم تنسج إلخ نشر على عكس اللف، إذ الأخير ثاني مفعولي الظن الأول، والأول ثاني مفعولي الظن الثاني، وليست جملة الظن الثانية بمفعوليها معترضة بين الأولى ومفعولها الثاني -كما قال شيخ الإسلام- لأن العطف يمنع ذلك فافهمه.

(١) أخرجه البخاري (رقم ٤٢٩٥ كتاب تفسير القرآن باب قوله: ﴿ثَانِيكَ أَتَيْنَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾).

(٢) انظر تفسير الطبري ٣/٢٤.

(٣) القاموس ١٤١٧ (حمم).

فائدة: في الروض الأنف<sup>(١)</sup> للسهيلي في مسند البزار<sup>(٢)</sup>: أن حمام الحرم من نسل حمام الغار<sup>(٣)</sup>.

هذا، ومن اللطيف ما قيل في العنكبوت ما في شرح الشهاب على الشفاء من قول ابن النقيب<sup>(٤)</sup>:

ودود الخز إن نسجت حريراً  
فإن العنكبوت أجل منها  
وألطف منه قول الشهاب:

على غار ثور عنكبوت بنسجه  
لذلك دود القز يهلك نفسه  
لقد حاز فخراً فاق كل فخار  
وقد غار من نسج له بفم الغار  
[٨٠] وقاية الله أَعْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةِ  
مِنَ الدَّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِّنَ الأَطْمِ

جملة مستأنفة، يبين بها السبب الفرد في حمايته ﷺ في هذه القصة؛ وهي وقاية الله وحمايته. والوقاية: الحفظ. أَعْنَتْ: بمعنى أجزأت. والمضاعفة من الدروع: هي التي تنسج حلقتين حلقتين. والعالي: المرتفع. والأطم -بضم الهمزة والطاء-: القصر وكل حصن مبني من الحجارة، وكل بيت مربع مسطح، الجمع آطام -كذا في القاموس<sup>(٥)</sup> -.

ومعنى البيت: أن وقاية الله وحفظه إذا صادف الإنسان أغنياه عن التحصن

(١) الروض الأنف ٣١٦/٢ .

(٢) البزار ( . . . ) (٢٩٢هـ-٢٩٢هـ) أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر حافظ من العلماء بالحديث من أهل البصرة حدث في آخر عمره بأصبهان وبغداد والشام وتوفي في الرملة له مسندان أحدهما كبير سماه البحر الزاخر والثاني صغير (الأعلام ١/١٨٩).

(٣) رواه البزار كما في سبل الهدى والرشاد ٣/٣٤٠ .

(٤) ابن النقيب: (٧٠٢-٧٦٩هـ) أحمد بن لؤلؤ الرومي أبو العباس شمس الدين فقيه شافعي مصري مولده ووفاته بالقاهرة كان أبوه رومياً من نصارى أنطاكية رباه أحد الأمراء وأعتقه وجعله نقيباً فتصوف في البيروسية بالقاهرة ونشأ ولده أحمد فحفظه القرآن وتفقه وتأدب وجاور بمكة والمدينة مرات وكان مع تشده في العبادة حلو النادرة والدعابة ومات بالطاعون من كته: تسهيل الهداية وتحصيل الكفاية (الأعلام: ١/٢٠٠).

(٥) القاموس ١٣٩٠ (أطم).

بالدروع الحصينة وهي المضاعفة، والحصون العالية الشامخة، وتانك حالتا المتحصن، لأنه إما في مدافعة وحصنه في العادة الدروع وغايتها المضاعفة، وإما في ممانعة واختفاء وذلك بسكنى الحصون المانعة وغايتها العالية، ومن ثم كانت الجبال العالية من أهم مطامح العرب، إذ لا حصن لهم إلا الجبال، ألا ترى قول السموءل ممثلاً:

لنا جبل يحتله من نجيره بعيد يرد الطرف وهو كليل<sup>(١)</sup>

وإذا تدبرت قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]. تيقنت ما ذكرناه، والنبي ﷺ حين كان في الغار ليس له شيء من التحصن المعتاد بل كان في حالة هي أقرب إلى الظفر به في مجاري العادات، لكن وقاية الله التي هي عمدة المؤمنين خصوصاً أكملهم إيماناً و يقيناً كفته أعداءه وأغنته عن التحصن المعتاد. فإن قلت: الحفظ في الحقيقة على العقيدة الإسلامية ليس إلا من الله تعالى على كل حال. قلنا: هو كذلك لكن ظهور ذلك كل الظهور وخلوص اطمئنان النفس بالحقيقة إنما يكون عند انتفاء الأسباب العادية بالكلية، وما أشبه حالته ﷺ في الغار بحالة يونس -عليه السلام- إذ كان في ظلمات ثلاث منقطعاً عن أسباب النجاة العادية فنجاه الله بمحض عنايته. والقصة التي أشار إليها الناظم -رحمه الله- هي المذكورة في الكتاب المجيد بقوله -عز اسمه-: ﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٤٠] الآية. وتفصيلها ما في حديث عائشة -رضي الله عنها- وهو مخرج في الصحاح قالت: كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار إما بكرة وإما عشية حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله سبحانه فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة والخروج من مكة أتانا بالهاجرة في ساعة لا يأتي فيها قالت: فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا

(١) ديوان السموءل ٥٥، وفي الأصل: الطوى، والصواب: الطرف.

لأمر حدث، فلما دخل تأخر أبو بكر له عن سريره، فجلس عليه رسول الله ﷺ وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء فقال رسول الله ﷺ: «أخرج عني من عندك» فقال: يا نبي الله إنما هما ابنتاي، وما ذاك فداك أبي وأمي؟ فقال: «إن الله قد أذن في الخروج والهجرة» فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله فقال: الصحبة قالت: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ ثم قال: يا نبي الله إن هاتين الراحلتين، قد كنت أعددتكما لهذا، وكان أبو بكر رجلاً ذا مال فكان حين استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة قال له: لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً فطمع بأن رسول الله ﷺ إنما يعني نفسه، فابتاع راحلتين فحبسهما في داره يعلفهما ورق السم<sup>(١)</sup> إعداداً لذلك اليوم، واستأجر عبد الله بن الأريقط يدلهما على الطريق، ودفع إليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما، فلما أجمع رسول الله ﷺ على الخروج أتى أبا بكر فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته ليلاً إلى الغار، فدخل أبو بكر قبله يلتمس الغار أفيه سبع أو حية يقبى رسول الله ﷺ من ذلك، ولما فقدت قريش رسول الله ﷺ طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة أثره في كل وجه، فوجد القائف قبل ثور أثره فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى إلى ثور، وشق على قريش خروجه وجزعوا لذلك، ولما كانت ليلة بات النبي ﷺ بالغار أمر الله سبحانه شجرة فنبتت في وجه الغار، وأمر حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار، وأتى المشركون من كل بطن حتى إذا كانوا من النبي ﷺ على قدر أربعين ذراعاً، معهم قسيهم وعصيهم تقدم منهم رجل فنظر فرأى حمامتين على فم الغار فقال لأصحابه: ليس في الغار شيء رأيت حمامتين على فم الغار وقال آخر: ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف: وما أربكم إلى الغار إن فيه لعنكبوتاً أقدم من ميلاد محمد؟<sup>(٢)</sup> وعن أنس أن أبا بكر قال لرسول الله ﷺ: لو

(١) ورق السم: السم ضرب من العضاة-الشوك- وقيل: من الشجر صغار الورق قصار الشوك وله بَرَمَة صفراء يأكلها الناس وليس في العضاة شيء أجود خشباً من السم ينقل إلى القرى فتغذى به البيوت (اللسان ٣٧٩/٤).

(٢) الخبر في سبل الهدى والرشاد ٣/٣٤١ وقال: ذكر البلاذري في تاريخه وأبو سعيد في الشرف وذكره .

أن أحداً نظر إلى قدمه لرأنا فقال له رسول الله ﷺ: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟»<sup>(١)</sup> واختلف في مكث النبي ﷺ مع أبي بكر في الغار: فروي عن مجاهد<sup>(٢)</sup> ثلاثاً وهو الصحيح، قاله أبو عمرو بن عبد الله اه بنقل شيخ الإسلام. وفي الروض الأنف<sup>(٣)</sup>: أن الشجرة التي أنبت الله على الغار يقال لها: الراء، وأنها تكون مثل قامة الإنسان، ولها خيطان وزهر أبيض يحشى منه المخاد فتكون كالريش لخفته ولينه، لأنه كالقطن، قال الشاعر:

ترى ودك السديف على لحاهم كمثل الراء لبده الصقيع<sup>(٤)</sup>  
 نكتتان: الأولى: قال السهيلي: انتبه أيها العبد المأمور بتدبر كتاب الله لقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] كان معهما بالمعنى وباللفظ، أما بالمعنى فكان معهما بالنصر والإرفاد والهداية والإرشاد، وأما باللفظ فإن اسم الله تعالى كان يذكر إذا ذكر رسوله، وإذا دعي فقليل: يا رسول الله أو فعل رسول الله، ثم كان لصاحبه كذلك يقال: يا خليفة رسول الله وفعل خليفة رسول الله، فكان يذكر مع ذكرهما بالرسالة وبالخلافة، ثم ارتفع ذلك ولم يكن ذلك لأحد من الخلفاء ولا يكون<sup>(٥)</sup> ا.هـ.

(١) أخرجه البخاري رقم ٣٣٨٠ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين منهم أبو بكر، ومسلم رقم ٤٣٨٩ كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر .

(٢) مجاهد (٢١-١٠٤هـ) مجاهد بن الجبير أبو الحجاج المكي مولى بني مخزوم تابعي مفسر من أهل مكة شيخ القراء والمفسرين أخذ التفسير عن ابن عباس وتفسيره يتقيه المفسرون لأنهم يرون أنه يسأل أهل الكتاب يقال مات وهو ساجد (الأعلام ٥/٢٧٨).

(٣) الروض الأنف ٣١٦/٢ .

(٤) البيت لبشر بن أبي خازم ( . . . - ٢٢ ق . هـ / . . . - ٦٠١ م) بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأسدي، أبو نوفل . شاعر جاهلي فحل، من الشجعان، من أهل نجد، من بني أسد بن خزيمة . كان من خبره أنه هجا أوس بن حارثة الطائي بخمس قصائد، ثم غزا طيباً فجرح وأسر بنو نبهان الطائيون فبذل لهم أوس مائتي بعير وأخذه منهم، فكساه حلته وحمله على راحلته وأمر له بمائة ناقة وأطلقه، فانطلق لسان بشر بمدحه فقال فيه خمس قصائد محا بها الخمس السالفة . توفي قتيلاً في غزوة أغار بها على بني صعصعة بن معاوية، رماه فتى من بني وائلة بسهم .

(٥) الروض الأنف ٣١٩/٢ .

الثانية: ورد في غزوة بدر اجتهاد النبي ﷺ في الدعاء اجتهاداً كلياً<sup>(١)</sup> وأن أبا بكر قال له: بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك<sup>(٢)</sup>. ووجه ذلك بأن النبي ﷺ كان يومئذ في مقام الخوف، وأبا بكر كان في مقام الرجاء- هكذا في الروض الأنف عن شيخه- فيقال: ما وجه انعكاس الأمر في قصة الغار. وجوابه: أنه ﷺ في واقعة بدر هو أيقن من غيره بصادق وعده تعالى غير أنها حالة ملابسة أسباب عادية هي المدافعة بالقوة والسلاح، والكامل في المعرفة أخوف ما يكون في مقام التلبس بالأسباب، وآمن ما يكون إذا انقطعت عنه، وهو ﷺ في الغار تجرد عن سائر الأسباب العادية فكان حينئذ أعلق بالرجاء، وهكذا شأن العارفين، ولله در العالم الصالح الشيخ أحمد بن طوير الجنة الوافد على تونس في عشرة الخمسين بعد المائتين إذ يقول: إن لله عبداً أنس ما كانوا إذا استوحشوا وأوحش ما كانوا إذا أنسوا، السحر السحر اه يشير إلى خصية قيام

(١) قال أستاذنا الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص ٢٤١: لقد رأينا أن النبي ﷺ كان يطمئن أصحابه بأن النصر لهم حتى إنه كان يشير إلى أماكن متفرقة في الأرض ويقول: هذا مصرع فلان ولقد وقع الأمر كما أخبر ﷺ ومع ذلك فقد رأيناه يقف طوال ليلة الجمعة في العريش الذي أقيم له يجأر إلى الله داعياً ومتضرعاً وأشفق عليه أبو بكر . . فلماذا كل هذه الضراعة ما دام أنه مطمئن إلى درجة أنه قال: لكأني أنظر إلى مصارع القوم؟ والجواب: أن اطمئنان النبي ﷺ وإيمانه بالنصر إنما كان تصديقاً منه للوعد الذي وعد الله به رسوله ﷺ أما الاستغراق في الدعاء فتلك هي وظيفة العبودية التي خلق من أجلها الإنسان وذلك هو ثمن النصر في كل حال، فما النصر مهما توافرت الوسائل والأسباب إلا من عند الله وتوفيقه، والله لا يريد منا إلا أن نكون عبيداً له بالطبع والاختيار، وما تقرب متقرب إلى الله بصفة أعظم من صفة العبودية، فهذه العبودية هي الثمن الذي استحق به ذلك التأييد الإلهي العظيم في تلك المعركة وقد نصت عليه الآية الكريمة إذ تقول: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ربكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ [الأنفال: ٨] ثم قارن بين مظهر العبودية هذا مع مظهر الطغيان والتجبر في موقف أبي جهل حينما قال: لن نرجع عن بدر أبداً حتى ننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر لقد كانت نتيجة العبودية والخضوع لله عزة قعاء ومجداً شامخاً خضع لهما جبين الدنيا بأسرها، ولقد كانت نتيجة الطغيان والجبروت الزائفين قبراً من الضيعة والهوان وتلك هي سنة الله في الكون كلما تلاقت عبودية لله خالصة مع جبروت وطغيان زائف .

(٢) أخرجه مسلم رقم ٣٣٠٩ كتاب الجهاد والسير باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم .

السحر، وأن العبد فيه آتس بالحقيقة للاستيحاش من الخلق فاعرف ذلك والله أعلم.

[٨١] ما سامني الدهرُ ضيماً وأستجرتُ به إلا ونلتُ جواراً منه لم يضم

جواب القسم الثاني المعطوف. وسامني: كلفني وأولاني، قال في القاموس<sup>(١)</sup>: وأكثر ما يستعمل في العذاب والشر. وثاني مفعوليه ضيماً ومعناه: الظلم. والدهر: الزمن الطويل. واستجار: طلب أن يجار أي ينقذ ويعان، ومنه الجوار - بالكسر - وهو أن يعطي الرجل غيره ذمته يكون بها جاره فيجيره ولحوم المعنى على الحماية عداه الناظم بالباء.

والمعنى: أنه أخبر عن نفسه ما مسه الزمان بسوء أي أصابه فيه سوء، واحتمى بالنبى ﷺ احتماً خاصاً إلا وتخلص من ذلك السوء الدهري، وكان في ذمته التي لا ترام، وقليل ذلك في حق من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم، وبما قررنا علم أن النسبة إلى الدهر مجازية من باب النسبة إلى الظروف، وهي شائعة<sup>(٢)</sup>، وناسب الناظم - رحمه الله تعالى - بين القسم والمقسم به معنى، إذ كانت حالة القسم ذمة وجواراً لأبي بكر به ﷺ.

[٨٢] ولا التمسْتُ غنى الدارين من يده إلا استلمتُ الندى من خيرٍ مُستلم

الالتماس: الطلب. والغنى - بكسر الغين والقصر - ضد الفقر. والداران: الدنيا والآخرة. والاستلام: اللمس باليد أو الفم، ويتجاوز به عن تناول المعروف - كما فعل الناظم - إذ علقه بالندى: وهو الجود. ومستلم: على الحذف والإيصال أي خير مستلم منه.

ومعنى البيت: واضح. قال شيخ الإسلام: فإن قلت: إخباره عن نيل ما التمس من النبي ﷺ من غنى الدنيا بين مشاهد، فكيف تصحيح إخباره عن نيل غنى الآخرة؟ قلت: ذلك مشاهد بقوة يقين الإيمان بمنزله ﷺ عند ربه اه.

[٨٣] لا تُنكرِ الوحي من رؤياه إن له قلباً إذا نامت العينان لم ينم

(١) القاموس ١٤٢٥ (سوم).

(٢) هي قسم من أقسام المجاز العقلي ومنه قولهم: ليله قائم ونهاره صائم.

لا: ناهية، والخطاب لكل صالح له، والمراد بالنهي: تحقيق الأمر وتثبيته، فلا يلزم أن يكون خطاباً مع المنكر<sup>(١)</sup>. والوحي لغة: الإشارة والكتابة والمكتوب والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك، وأوحي إليه: بعثه وألهمه -كذا في القاموس<sup>(٢)</sup>- وفي عرف الشرع: إسماع كلام الله بواسطة الملك أو دونه. والرؤيا: ما يراه النائم في النوم. قال القاضي في التفسير: وهي انطباع الصورة المنحدرة من أفق المخيلة إلى الحس المشترك، والصادقة منها إنما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن أدنى فراغ، فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك، ثم إن المخيلة تحاكيه بصورة تناسبه وترسلها إلى الحس المشترك فتصير مشاهدة، ثم إن كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى، بحيث لا يكون التفاوت إلا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير وإلا احتاجت إليه اه<sup>(٣)</sup>. والنوم: معروف، وسببه في غالب العادات امتلاء الدماغ بأبخرة رطبة تتصاعد إليه من المعدة عند امتلائها بالطعام فتضعف الأعصاب وترتخي فتبطل حركات الحواس الباطنة المدركة وتتعلل أشعة نور القلب الذي هو مناط التعقل فلا يكون للنائم شعور بشيء ومن ثم قيل: إن النوم موت أصغر. وبما بينا يظهر ما في نفي النوم عن القلب من التجوز للعلاقة التي أشرنا إليها.

ومعنى البيت: أن الوحي من رؤياه ﷺ أمر ثابت لا مساغ لإنكاره ولا استبعاد فيه بناء على المعتاد من تعطيل أصل المدركات الذي هو القلب بالنوم، فإن نومه ﷺ لا يعدو عينيه ولا يعطل إدراك قلبه النوراني، بل قلبه في نومه كهو في يقظته، وأصله قوله ﷺ -كما في الشفاء-<sup>(٤)</sup>: «إن عيني تنامان ولا ينام

(١) من القواعد: الأمر لا يقتضي سابقة تركه والنهي لا يقتضي سابقة فعله والشرط لا يقتضي وقوع مضمونه فقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ أَوْ أَقَى اللَّهِ﴾ لا يقتضي أنه لم يكن ذا نقوى حتى يأمر بها، وقوله: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ لا يعني كونه منهم حتى نهى عن الاستمرار في التخلق بالغفلة. (شرح المقاصد للفتازاني ٦٠/٥).

(٢) القاموس ١٧٢٩ (وحي).

(٣) تفسير البيضاوي ٢٧٤/٣.

(٤) الشفاء ٦٨٠.



قلبي»<sup>(١)</sup>، قال الشهاب في شرح الشفاء: لذا كانت رؤياه ﷺ قسماً من الوحي لاتصاله بعالم الملكوت في نومه، وكذا سائر الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، ومن ثم كان نومه ﷺ لا يبطل وضوءه، ثم لا يخفى أن مقتضى ذلك أن يكون المراد من مرآئيه ﷺ ما كان على ظاهره دون تعبير وتأويل، كرؤياه ﷺ أنه وأصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا -كما قص ذلك في الكتاب المجيد<sup>(٢)</sup> - أما ما يؤول من مرآئيه الصادقة كرؤياه بقرأ تذبح فكانت القتلى يوم أحد فليس من الوحي وإنما هي رؤيا صادقة. وقال شيخ الإسلام: الجميع وحي، ويشهد له أصل هذا المعنى، وهو حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة من النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حيب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه -وهو التعبّد- الليالي ذوات العدد، ثم يرجع إلى خديجة<sup>(٣)</sup> فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ.. إلى آخر الحديث الصحيح المعروف في بدء الوحي المذكور أول صحيح البخاري<sup>(٤)</sup>، وبيان الشهادة أن المتبادر من قولها: إلا جاءت

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٠٧٩ كتاب الجمعة باب قيام النبي ﷺ بالليل في رمضان وغيره)، ومسلم (رقم ١٢١٩ كتاب صلاة المسافرين وغيرها باب صلاة الليل).

(٢) قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِيْنَ مُخْلِفينَ رُءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح: ٢٧].

(٣) خديجة: (٦٨-٣ق هـ) خديجة بنت خويلد من قريش زوجة رسول الله ﷺ الأولى كانت أسن منه ١٥ سنة ولدت بمكة ونشأت في بيت شرف ويسار مات أبوها يوم الفجار وتزوجت بأبي هالة بن زرارة فمات عنها وكانت ذات مال ولدت للنبي ﷺ القاسم وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة (الأعلام ٢/٣٠٢).

(٤) صحيح البخاري (كتاب بدء الوحي باب بدء الوحي رقم ٣): عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حيب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه -وهو التعبّد الليالي- ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ قال: ما أنا بقارئ قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ قلت: ما أنا بقارئ فأخذني =

مثل فلق الصبح، أن ذلك بتعبيرها ووضوح تأويلها، فهو مثل مضروب لشدة وضوح تأويل الكلام المخرج على خلاف ظاهره، ولا يعهد مثله مثلاً لصدق الإخبار البين بمطابقته الواقع، ويؤيد ما ذكرنا سوق البخاري الحديث في كتاب التعبير فافهمه<sup>(١)</sup>.

[٨٤] فذاك حين بلوغ من نُبُوتِهِ فليس يُنكَرُ فيه حالٌ مُحْتَلِمٍ الفاء: للتعليل بما لها من السببية بين سابقها ولاحقها، والثاني هنا السبب، والأول المسبب، والإشارة إلى ما سبق من كون الوحي من رؤياه ﷺ. والبلوغ: الوصول. وقد تقدم معنى النبوة. والفاء: للتفريع. وحال الإنسان: صفته وهيئته. ومحتلم - بكسر اللام-: اسم فاعل من احتلم بمعنى رأى في النوم، غير أنه اختصت الرؤيا بالخير والبشارة، والحلم بضدهما، ومن ثم ورد في الحديث الصحيح: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان»<sup>(٢)</sup> أي من تخييلاته وتشويشه، ومن ثم ورد الأمر بالاستعاذة عقيبتها، والنفث عن اليمين والشمال والتحول إلى

= فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي» فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأً قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك فقال رسول الله ﷺ: «أومخرجني هم؟» قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزرأ ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي.

(١) صحيح البخاري (كتاب التعبير باب أول ما بدئ رسول الله ﷺ رقم ٦٤٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٥٣٠٦ كتاب الطب باب النفث في الرقية)، ومسلم (رقم ٤١٩٥ كتاب الرؤيا).

الجانب الآخر، كما جاء في الحديث<sup>(١)</sup>، وكان لا اعتبار بها في التعبير، كما حكاه الله تعالى في سورة يوسف -عليه السلام-: ﴿قَالُوا أَضْغَثُ أَطْلَحَ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ [يوسف: ٤٤].

ومعنى البيت: أن ثبوت الوحي من رؤياه ﷺ كان عند ابتداء نبوته ﷺ وإبان ظهورها، فليس هناك حال محتلم استهوته التخيلات الشيطانية حتى يكون محلاً للإنكار. فمضمون البيت استدلال وتعليل لمضمون ما قبله من الحكم في البيت السابق ارتكاباً للبرهان اللمي بعد البرهان الإنسي<sup>(٢)</sup> على أبلغ وجه وأنظمه؛ فإن المراد من الأول تأكيد ما يتولد للسامع من الحكم السابق، فإنه إذا سمع الحكم بتحقيق الوحي من الرؤيا جال في خلدته: هل القلب متيقظ حال النوم حتى يمكن ذلك؟ فأجابه جواب السائل بقوله: إن له . . إلخ ليزول عنه ذلك التحجير، فليس المقام حينئذ لتعليل الحكم<sup>(٣)</sup>، وكم في الكتاب المجيد من هذا النوع قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] وعليه قول بشار:

بُكْرًا صَاحِبِي قَبْلَ الْهَجِيرِ      إِنْ ذَاكَ النَّجَاحُ فِي التَّبْكِيرِ<sup>(٤)</sup>

في المفتاح لأبي يعقوب السكاكي: روي أن بشار لما أنشد البيت قال له خلف الأحمر<sup>(٥)</sup> بمحضر أبي عمرو بن العلاء: لو قلت يا أبا معاذ مكان: إن ذلك

(١) أخرج مسلم (٤١٩٦ كتاب الرؤيا) عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه فلينبث عن يساره ثلاث مرات وليتعوذ بالله من شرها فإنها لن تضره» وفي رواية: «وليتحول عن جنبه الذي كان عليه».

(٢) البرهان الإنسي أي الجملة المبدوءة بإن المساقفة للبرهنة على ما سبقها وهو قوله: إن له قلباً . . . ، والبرهان اللمي: أي الجملة المبدوءة بظرف المساق للبرهنة على ما سبقها وسمي لمياً: نسبة للظرف لما، وهو قوله: فذاك حين . . .

(٣) ومنه قول بعض العرب:

فَغْنَهَا وَهِيَ لَكَ الْفِدَاءُ      إِنْ غَنَاءَ الْإِبِلِ الْحَدَاءُ

(دلائل الإعجاز ٢٧٣).

(٤) ديوان بشار ٢٠٣/٣ .

(٥) خلف الأحمر: ( . . . - نحو ١٨٠هـ) خلف بن حيان أبو محرز راوية عالم بالأدب شاعر من أهل البصرة كان أبواه موليين من فرغانة كان يصنع الشعر وينسبه للعرب (الأعلام ٣١٠/٢).

النجاح . . : بكرا فالنجاح في التبكير، كان أحسن فقال بشار: إنما قلتها أعرابية وحشية، فقلت: إن ذلك إلخ كما تقول الأعراب البدويون، ولو قلت: بكرا فالنجاح كان من كلام المولدين، ولا يشبه ذلك الكلام فقام خلف وقبله<sup>(١)</sup> انتهى. ثم إن الناظم لما رفع عن السامع الحيرة بالتوكيد وتقرر عنده الحكم عضده بالاستدلال اللمي بالبيت الثاني. هذا وأصل كلام الناظم ما أشرنا إليه من حديث عائشة -رضي الله عنها-. قال القاضي عياض في الإكمال في شرح ذلك الحديث: فيه حكمة من الله وتدرج لنبيه ﷺ لما أراد الله -جل اسمه- به لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا تحملها القوى البشرية فبدأ أمره بأول خصال النبوة وتباشير الكرامة من صدق الرؤيا. وما جاء في الحديث الآخر: من رؤية الضوء وسماع الصوت وسلام الحجر والشجر عليه بالنبوة<sup>(٢)</sup> حتى استشعر عظيم ما يراد به واستعد لما ينتظره فلم يأته الملك إلا لأمر عنده مقدماته وبشاراته. وفيه أن الرؤيا الصادقة إحدى خصال النبوة وجزء منها وأول منازل الوحي وأن رؤيا الأنبياء -عليهم السلام- وحي<sup>(٣)</sup> وحق صدق لا أضغاث فيها

(١) مفتاح العلوم للسكاكي ٢٦٠، والقصة في دلائل الإعجاز ص ٢٧٣، وانظر هناك البيان الشافي في الفرق بينهما.

(٢) أخرج أحمد رقم ١٦٥٢٥ أنه ﷺ قال: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء له قصور بصرى من أرض الشام» وهو في الشفا ص ٢٢٢. وأخرج الترمذي (كتاب المناقب باب في آيات في إثبات نبوة النبي ﷺ) قال علي رضي الله عنه: كنا بمكة مع رسول الله ﷺ فخرج إلى بعض نواحيها فما استقبله شجرة ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. وأخرج الترمذي (رقم ٣٥٥٦ كتاب المناقب باب في مبعث النبي ﷺ) عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بمكة حجراً كان يسلم علي ليالي بعثت إني لأعرفه الآن» قال حديث حسن غريب. وروى ابن سعد أن رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بيتاً ويفضي إلى الشعاب وبطون الأودية فلا يمر بشجر ولا حجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً (سبل الهدى والرشاد ٣٠٦/٢). وروى ابن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «يا خديجة إني أرى ضوءاً وأسمع صوتاً لقد خشيت أن أكون كاهناً» قالت: إن الله لا يفعل ذلك بك، إنك تصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتصل الرحم (سبل الهدى والرشاد ٣٠٧/٢).

(٣) انظر البخاري (كتاب الأذان، باب وضوء الصبيان، رقم ٨١٢).

ولا تخييل ولا سبيل للشيطان إليها. وقال أبو عبد الله القزاز: قوله: من الوحي، من لبيان الجنس، وليست الرؤيا من الوحي، فتكون للتبويض، ولذا قال: في النوم، نعم هي كالوحي في الصحة قال القاضي: وقد جاء في الحديث: «أنها جزء من أجزاء النبوة»<sup>(١)</sup>، وقد قدمنا أنها من جملة خصالها، والوحي أنواع وضروب، فلا يبعد أن تكون من للتبويض انتهى. قلت: في الفرق بين كونها للجنس وكونها للتبويض بإفادة الثاني كونها وحياً دون الأول توقف يعلم من معنى من التي لبيان الجنس، وكأن القزاز يفهم أنها لبيان الجنس المنطقي، ولا يخفى عدم صحته عند من مارس العربية، على أنه لا معنى للتبويض في الحديث، بل يتعين البيان لإبهام ما، ومحل الاستشهاد بالحديث على: أن الرؤيا من الوحي الحمل القاضي بالاتحاد - كما هو بين - وقال الفاضل الأبي - مرجحاً لطريقة القزاز -: النبي: من خص من البشر بالوحي إليه، والرسول: من أمر بتبليغ ما أوحى إليه، ويصح إرسال من تقدمت نبوته وإرسال من لم تتقدم، فيثبتان له معاً مزية. والأظهر فيه ﷺ وفي موسى - عليه السلام - أنهما من هذا القسم، فرؤياه من حيث إنها تقدمت إرساله ليست وحياً - كما قاله القزاز - وإنما الرؤيا التي هي وحي ما كان بعد النبوة انتهى. وفيه أنه تقدم في هذا الشرح عند قول الناظم: نبينا الأمر. . إتح عن الشهاب القرافي: ما اقتضى عدم اختصاص الوحي بالنبوة أو الرسالة وأن المختص هو الوحي بالشرع، وحينئذ لا يتم تقريره، فتدبره والله أعلم.

[٨٥] تَبَارَكَ اللَّهُ مَا وَحِي بِمُكْتَسَبٍ وَلَا نَبِيٍّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهِمٍ

تبارك: تنزه وتعالى. والمكتسب: الحاصل بالكسب والطلب، يقال كسب واكتسب أي حصل، وقيل كسب للتحصيل، واكتسب للاجتهاد في التحصيل، على قاعدة الافتعال من دلالة على التكلف في تحصيل الفعل. والغيب: يطلق على ما غاب عنك. والمتهم: المستراب.

والمعنى: تنزه الله تعالى عن أن يكون في الوجود وحي مكتسب للإنسان

(١) الحديث أخرجه البخاري (رقم ١٣٥ كتاب الوضوء، باب التخفيف في الوضوء).

باجتهاده، وأن يكون نبي من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في إخباره عن الغيب متهماً، والمقصود بذلك تحقيق ما أخبر به أولاً فإن توهم نفي الوحي من الرؤيا إنما يناسب الاكتساب في تحصيله، حيث كانت حالة النائم غير حالة كسب وطلب، فلا يتم لمكتسب شيء أن يدعى حصوله في تلك الحالة، أما إذا كان مجرد تكريم من الله تعالى لمن خصه بذلك من عباده على طريق خرق العادة فلا تختلف فيه حالتا النوم واليقظة، فعلى هذا لا يتأتى إنكار ذلك من حيث جوازه، وقد أخبر به من ثبتت نبوته وصدقه واستحال في حقه الإخبار بخلاف الواقع فلا يتأتى إنكار وقوعه بل إنكاره ملزوم لاتهام من ثبت صدقه، وذلك باطل فلازمه مثله، وقد اقتبس الناظم عجز البيت من قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤]، وأشار بصدر البيت إلى مذهب من زاغ في النبوة، وقال باكتسابها وتفصيله ورده في كتب الكلام<sup>(١)</sup>.

[٨٦] كَمْ أَبْرَأَتْ وَصَبَاً بِاللَّمْسِ رَاحَتُهُ وَأَطْلَقَتْ أَرْبَاً مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ

كم: اسم مبهم يراد به في مقام الإخبار التكثير، يحتاج إلى تمييز يرفع إبهامه، تقديره في البيت: كم مرة. وأبرأت: من برأ المريض إذا شفي من مرضه. والوصب - بكسر الصاد - : من الوصب -بفتحها- وهو المرض. واللمس: المس باليد. والراحة: الكف. والأرب - بضم الهمزة وفتح الراء - أصله صغار البهم، أريد به هنا الصبيان على سبيل الاستعارة. والريقة: عروة في حبل ذي عرى يسمى الربق يشد به البهم. واللمم الجنون.

والمعنى: كثيراً ما أبرأت وشفيت راحته الكريمة بمجرد لمسها المرضى، وأطلقت الصبيان المصابين بمس الجان من أدنى ذلك المس، وذلك من معجزاته

(١) قال الشيخ عبد السلام اللقاني: ولما جوز الفلاسفة اكتساب النبوة بملازمة الخلو والعبادة وتناول الحلال أشار [الشيخ إبراهيم اللقاني ناظم جوهرة التوحيد]:

ولم تكن نبوة مكتسبة  
بل ذاك فضل الله يؤتيه لمن  
ولو رقى في الخير أعلى عقبة  
يشاء جل الله واهب المنن  
(إتحاف المريد بجوهرة التوحيد ١٨٤).

ﷺ، فمن النوع الأول: رده ﷺ عين قتادة<sup>(١)</sup> حين أصيبت يوم أحد حتى وقعت على وجنته فصارت أحسن عينيه<sup>(٢)</sup>. ومنه رد يد معوذ بن عفراء<sup>(٣)</sup> حين قطعها أبو جهل يوم بدر فجاء يحملها إلى النبي ﷺ فبصق عليها وألصقها فلصقت<sup>(٤)</sup>. ومنه أن خبيب بن يسار<sup>(٥)</sup> أصيب بضربة يوم بدر على عاتقه حتى مال شقه فرده ﷺ ونفت عليه حتى صح<sup>(٦)</sup>.

ومن الثاني: ما رواه ابن عباس -رضي الله عنهما- أن امرأة جاءت بابن لها به جنون فمسح صدره فتع تعة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فشفي<sup>(٧)</sup>. ومثل ذلك كثير حوته كتب السير وغيرها<sup>(٨)</sup>.

[٨٧] وَأَخِيَتِ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ دَعَوْتُهُ حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً فِي الْأَعْصِرِ الدُّهْمِ أَحْيَاهُ: جعله حياً، والحياة تطلق على الخصب والمطر -كما في

- (١) قتادة بن النعمان الأوسي الظفري، يكنى بأبي عمرو، وأبي عبد الله، وأبي عثمان، روى عنه أخوه لأمه أبو سعيد الخدري، وابنه عمر بن قتادة، ومحمود بن لبيد وآخرون. مات في خلافة عمر فصلى عليه ونزل في قبره وعاش خمسا وستين سنة. انظر الإصابة ٤٥٣/٢.
- (٢) الخبر في الشفا ٣٩٣ وقال في مجمع الزوائد ٢٩٧/٨ رواه الطبراني وأبو يعلى وفي إسناد الطبراني من لم أعرفهم وفي إسناد أبي يعلى عبد الحميد الحماني وهو ضعيف، وقلبي: كان ذلك في غزوة بدر. انظر الإصابة ٤٥٣/٢.
- (٣) معوذ بن عفراء: هو معاذ بن عمرو بن الجموح الأنصاري الخزرجي السلمي شهد العقبة وبدراً فضربه عكرمة فقع يده فبقيت معلقة حتى تمطى عليها فألقاها وقاتل بقية يومه ثم بقي بعد ذلك دهنراً حتى مات في زمن عثمان (الإصابة رقم ٨٠٥٧، ١٤٣/٦).
- (٤) الخبر رواه ابن وهب (وهو في الشفا ٣٩٦).
- (٥) في الإصابة ٢٢٢١، ٢٦١/٢: خبيب بن إساف أو يساف بن عنبه الأنصاري الأوسي شهد بدرأ وقد تأخر إسلامه إلى خروجه إلى بدر فلحقه في الطريق وشهدها وما بعدها ومات في خلافة عمر وفي بدر ضُرب فمال سيفه (أو شقه) فتفل عليه النبي ﷺ ورده ولأمه.
- (٦) الخبر في الشفا ٣٩٧ وقال محققه: رواه ابن إسحق والبيهقي عنه.
- (٧) أخرجه أحمد ٢٢٩٢، ٢١٧٤، والثقة بالثناء: المرة من القيء، وفي رواية: تعة بالثناء.
- (٨) روى البخاري (كتاب المغازي باب غزوة خيبر ٣٨٨٨)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي رضي الله عنه رقم ٤٤٢٣) أنه تفل في عيني علي يوم خيبر وكان رمداً فأصبح بارئاً. وأخرج أحمد رقم ١٤٩٠٦ أنه انكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل عليه فبرئ لحيته (وانظر الشفا ٣٩٧ فقد أفاض فيها).

القاموس<sup>(١)</sup> - وهو من المجاز، إذ الحياة حقيقة صفة تقتضي الحس والحركة الإرادية وتفتقر إلى البدن والروح، تجوز بها عن إظهار بهجة الزمان وتهيج القوى النامية من النبات فيه، وهو مجاز شائع، ومنه في الكتاب المجيد كثير<sup>(٢)</sup>.  
والسنة: العام، لكنه شمسي ولفظ العام قمري، وغلب استعمال لفظ السنة في سنة القحط حتى صار علماً بالغلبة عليها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [الأعراف: ١٣٠] قال القاضي: بالسنين: بالجدوب لقللة الأمطار والمياه، والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر ويؤرخ به، ثم اشتق منه فقيل: أسنت القوم إذا قحطوا اه<sup>(٣)</sup>. وانظر ببلاغة المعجز في قصة يوسف - عليه السلام - قال: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ٤٩] حيث توخى النظم الكريم للسنة الخصبة لفظ العام، وبهذا يعرف رتبة الناظم في إيقاع الألفاظ مواقعها باختيار لفظ السنة إيماء إلى كونها مجدبة، ووصفها بالشبهاء تأكيداً لذلك. وفي القاموس<sup>(٤)</sup>: الشهب - محركة - بياض يصدعه سواد كالشبهة - بالضم - إلى أن قال: وسنة شهباء لا خضرة فيها ولا مطر اه. والدعوة: المرة الواحدة من الدعاء. وحكت: شابهت. والغرة من القوم: شريفهم، وغرة كل شيء أفضله وغرة الفرس بياض في جبهته فوق الدرهم، وهي من صفات حسنة. والأعصر: جمع عصر - بفتح العين وسكون الصاد - وقد تضم عينه مع إسكان الصاد وضمها - والدهم: جمع أدهم وهو الأسود، والمراد به هنا: العام المخصب ذو الخضرة مقابل المراد بالشهباء.

ومعنى البيت: أن من معجزاته ﷺ وكرامته على ربه نزول المطر وتزخرف الأرض بدعوته ﷺ حين أصابت الناس السنة الشهباء فأحيا شبابها حتى كانت

(١) القاموس ١٦٤٩ (حي).

(٢) ومنه: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، ﴿وَأَيُّهُمْ هُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾.

(٣) تفسير البيضاوي ٥١/٣.

(٤) القاموس ١٣٢ (شهب).



أخصب الأعوام وصارت لشهرة خصبها بالنسبة إلى غيرها من السنين المخصبة كالغرة البيئة الظهور في الفرس الأدهم .

والإشارة بهذا إلى ما رواه البخاري وغيره من حديث أنس رضي الله عنه قال: أصابت الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ فبينما رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا أن يسقينا فرفع رسول الله ﷺ يديه وما في السماء قزعة<sup>(١)</sup> فثار سحب الجبال ثم لم ينزل عن منبره ﷺ حتى رأيت المطر يتحادر عن لحيته قال: فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه إلى الجمعة الأخرى فقام ذلك الأعرابي أو رجل غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: «اللهم حوالينا ولا علينا» قال: فما جعل يشير بيده إلى ناحية السماء إلا تفرجت قال: وسال وادي قناة شهراً وما جاء أحد من ناحية إلا حدث بالجوذ اهـ<sup>(٢)</sup>. والجود- بفتح الجيم-: المطر الواسع الغزير، وروي أنه ﷺ قال بعد إجابة دعوته في الغيث: «لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره»، فقال بعض أصحابه: كأنك يا رسول الله أردت قوله: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه شمال اليتامى عصمة للأرامل<sup>(٣)</sup>

(١) قزعة: قطعة من السحاب رقيقة كأنها ظل إذا مرت من تحت السحابة الكبيرة (اللسان ٢٧١/٨).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٨٨١ كتاب الجمعة باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة)، ومسلم (رقم ١٤٩٣ كتاب الاستسقاء باب الدعاء في الاستسقاء).

(٣) الخبر في سيرة ابن هشام ومن أبيات قصيدته: (كما في السيرة النبوية ١٠٨/٢)

ولما رأيت القوم لا ود فيهم	وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى	وقد طاوعوا أمر العدو المزائل
وقد حالفوا قوماً علينا أظنة	يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمرء سمحة	وأبيض عضب من تراث المقاول
وأحصرت عند البيت رهطي	وإخوتي وأمسكت من أثوابه بالوصل
أعوذ برب الناس من كل طاعن	علينا بسوء أو ملح بباطل
وبالبيت حق البيت من بطن مكة	وبالله إن الله ليس بغافل =

فقال: «أجل»<sup>(١)</sup>، ولا يخفى على عارف بأساليب الكلام أن إشارة الناظم لا تتحمل غير القضية المذكورة والواقعة المخصوصة خصوصاً مع ضميمه الأبيات الآتية بعد على ما اشتهر بين الناس، ولا يتحمل النظم الإشارة إلى عموم إجابة استسقاؤه ﷺ، وإن كان كثيراً مشهوراً<sup>(٢)</sup> وقد عهدت بركته في ذلك قبل النبوة،

إذا اكتنفوه بالضحي والأصائل  
على قدم به حافياً غير ناعل  
وهل من معيذ يتقى الله عاذل  
ونظعن إلا أمركم في بلابل  
ولمّا نطاعن دونه ونناضل  
ونذهل عن أبنائنا والحلائل  
نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل  
يحوط الذمار غير ذرب مواكل  
ثمّال اليتامى عصمة للأرامل  
فهم عنده في رحمة وفواضل  
زهير حساماً مفرداً من حمائل  
إلى حسب في حومة المجد فاضل  
وإخوته دأب المحب المواصل  
وزيناً لمن والاه رب المشاكل  
إذا قاسه الحكام عند التفاضل  
يوالي إلهاً ليس عنه بغافل  
تجر على أشياخنا في المحافل  
من الدهر جداً غير قول التهازل  
لدينا ولا يعنى بقول الأباطل  
تقصر عنه سورة المتطاوّل  
ودافعت عنه بالذرا والكلاكل  
وأظهر ديناً حقه غير باطل  
إلى الخير آباه كرام المحاصل

= وبالحجر المسود إذ يمسحونه  
وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة  
فهل بعد هذا من معاذ لعائد  
كذبتهم وبيت الله نترك مكة  
كذبتهم وبيت الله نبزى محمداً  
ونسلمه حتى نصرّع حوله  
وينهض قوم في الحديد إليكم  
وما ترك قوم لا أبا لك سيداً  
وأبيض يستقى الغمام بوجهه  
يلوذ به الهلاف من آل هاشم  
ونعم ابن أخت القوم غير مكذب  
أشم من الشم البهاليل ينتمي  
لعمرى لقد كلفت وجداً بأحمد  
فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها  
فمن مثله في الناس أي مؤمل  
حليم رشيد عادل غير طائش  
فوالله لولا أن أجيء بسببة  
لكنا اتبعناه على كل حالة  
لقد علموا أن ابننا لا مكذب  
فأصبح فينا أحمد في أرومة  
حدبت بنفسه دونه وحميته  
فأيده رب العباد بنصره  
رجال كرام غير ميل نماهم

قال ابن هشام: هذا ما صح لي من هذه القصيدة وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها .

(١) الخبر في سيرة ابن هشام ١/ ٢٨١، انظر سبل الهدى والرشاد ٢/ ١٨٥ .

(٢) ومنها: ماروى البزار والطبراني في الأوسط عن عمر أنه أصابهم العطش في جيش العسرة حتى إن الرجل لينحر بعيه فيعصر فرثه فيشره فرغب أبو بكر إلى النبي ﷺ في الدعاء =

بل في حال صغره. روي أن أهل مكة تتابعت عليهم سنو جذبٍ فاستسقى بهم سيدي عبد المطلب فقام فاعتضد النبي ﷺ فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع ثم قال: اللهم سادَّ الخلة، وكاشف الكربة، أنت عالم غير معلم، ومسؤول غير مبخل، وهذه عبادك وإماؤك، بجدران حرمك، يشكون إليك سنتهم فاسمعني اللهم وأمطر علينا غيثاً مريعاً مغدقاً فما قاموا حتى انفجرت السماء بمائها<sup>(١)</sup>، وفي ذلك قال أبو طالب البيت السابق<sup>(٢)</sup>، وبما بيناه يتعين ما نقله شيخ الإسلام عن بعضهم وإن زيفه من أن قوله: وأحيت معطوف على كم، ولا يصح

= فرغ يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤوا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر قال الهيثمي: رجال البزار ثقات (مجمع الزوائد ٦/١٩٥).

(١) خبر استسقاء عبد المطلب بالنبي ﷺ في تاريخ الخميس ١/٢٣٩ والسيرة النبوية لزيني دحلان ٣١/١.

(٢) قال السهيلي في الروض الأنف: ٢/٢٩: فإن قيل: كيف قال أبو طالب: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ولم يره قط استسقى وإنما كانت استسقاؤه بالمدينة في سفر وحضر وشوهد فيها ما كان من سرعة إجابة الله له؟ فالجواب: أن أبا طالب قد شاهد من ذلك أيضاً في حياة عبد المطلب ما دلّه على ما قال، وروى أبو سلمان البستي النيسابوري أن رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم قالت: تتابعت على قريش سنو جذب قد أقحلت الظلف وأرقت العظم فبينما أنا راقدة للهيم أو مهدمة ومعني صنوي إذا أنا بهاتف صيت يصرخ بصوت صحل يقول: يا معشر قريش إن هذا النبي المبعوث منكم هذا إبان نجومه فحيهلاً بالحيا والخصب ألا فانظروا منكم رجلاً طوالاً عظاماً أبيض أشم العرنين له فخر يكظم عليه فليخلص هو وولده وليدلف إليه من كل بطن رجل ألا فليشئوا من الماء وليمسوا من الطيب وليطوفوا بالبيت سبعاً إلا وفيهم الطيب الطاهر لذاته ألا فليدع الرجل وليؤمن القوم إلا فغشم أبداً ما عشم قالت: فأصبحت مذعورة قد فف جلدي ووله عقلي فاقترضت رؤياي فوالحرمة والحرم إن بقي أبطحي إلا قال: هذا شيبة الحمد وتنامت عنده وانقض قريش إليه الناس من كل بطن رجل فشئوا ومسوا واستلموا واطوفوا ثم ارتقوا أبا قبيس وطفق القوم يدفون ما إن يدرك سعيهم مهلة حتى قروا بذروة الجبل واستكفوا جناييه فقام عبد المطلب فاعتضد ابن ابنه محمداً فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع أو قد كرب ثم قال: اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومسؤول غير مبخل وهذه عبداؤك وإماؤك بعدرات حرمك يشكون إليك سنتهم فاسمعن اللهم وأمطرن علينا غيثاً مريعاً مغدقاً فما راموا والبيت حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادي بشجيجه .

عطفه على : أبرأت لأن إحياء السنة بدعوته لم يتفق إلا مرة واحدة اه يريد السنة المعينة كما أوضحناه والله أعلم .

[٨٨] بعَارِضٍ جَادَ أَوْ خِلَّتِ الْبِطَاحُ بِهَا سَيِّبٌ مِّنَ الْيَمِّ أَوْ سَيْلٌ مِّنَ الْعَرَمِ الباء سببية تتعلق بأحيت . والعارض : السحاب المعترض في الأفق<sup>(١)</sup> . وجاد : بمعنى كثر مطره، ومنه ما تقدم في الحديث السابق . وأو : للغاية بمعنى إلى كما في قوله :

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر<sup>(٢)</sup> وخلت : بمعنى ظننت ، ومضارعه في الأفتح مكسور حرف المضارعة . والبطاح : جمع الأبطح على غير قياس ، والقياس الأباطح<sup>(٣)</sup> : وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى ، ويقال فيه : البطيحة والبطحاء . والسيب - بالكسر - : مجرى الماء ، - وبالفتح - مصدر ساب الماء إذا جرى وهو المراد هنا . واليم : البحر . والسيل : الماء الكثير السائل . والعرم : المطر الشديد .

والمعنى : أن إحياء السنة كان بسحابة اعترضت في الأفق بعد أن لم يكن بالسماء سحاب ، وكان مطرها غزيراً لا كما يفهم من وصف الاعتراض حتى يظن الرائي البطاح التي ليس من شأنها إمساك المياه لاتساعها وتسطيحها قطعة من بحر أو جعفرأ<sup>(٤)</sup> من واد ، لكثرة ما استقر بها من الماء .

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿ هَذَا عَارِضٌ مُّطْرًا ﴾ [الأحقاف : ٢٤] .

(٢) البيت لم ينسبه أحد ممن ذكره كابن هشام في أوضح المسالك وشدور الذهب وشرح قطر الندى . انظر المعجم المفصل في الشواهد اللغوية ٤٤١/٣ .

(٣) قال في حاشية الأصل : قوله والبطاح جمع الأبطح . . إلخ ، كأنه رحمه الله أخذ هذا من ظاهر عبارة القاموس والذي صرح به غير واحد كما في الصحاح عن الأصمعي والمحكم أن البطاح والبطحاوات جمع البطحاء والأباطح جمع بطيحة انتهى من تاج العروس ١٠ . هـ ، وعبارة القاموس (بطح) ٢٧٣ : البَطْحُ والبطيحة والبطحاء والأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى جمع أباطح وبطاح وبتطاح وتبطح السيل : اتسع في البطحاء .

(٤) الجعفر : النهر عامة وقيل : النهر الملاّن وقال ابن الأعرابي : الجعفر : النهر الصغير فوق الجدول (اللسان ١٤٢/٤) .

[٨٩] لَمَاشَكَّتْ وَفَعَهُ الْبَطْحَاءُ قَالَ لَهُ عَلَى الرُّبَا وَالْهَضَابِ أَنْهَلْ وَأَنْسَجِمِ

هذا البيت والثمانية أبيات بعده قال شيخ الإسلام: تقع في بعض نسخ النظم، وليست بثابتة في روايتنا.

وذكر بعض الثقات من أصحابنا: أن الذي زادها الفاضل أبو علي بن الحباب الأندلسي الغرناطي من مشايخ القاضي الشهير أبي العباس الشريف الحسيني شارح<sup>(١)</sup> مقصورة حازم<sup>(٢)</sup> وسمعت أنها لبعض الفاسيين، ولولا اشتهاؤها ماتصدينا لشرحها اه قلت: والمعروف عندنا بتونس أنها من القصيدة، ونظمها لم يباين النظم بوجه، مع أن فيها تمام القصة التي أشار إليها الناظم، وذلك صنيعه في الهمزية إذ قال:

ودعا للأنام إذ دهمتهم  
فاستهلت بالغيث سبعة أيا  
تتحرى مواضع الرعي والسقي  
فأتى الناس يشتكون أذاها  
فدعا بانجلا الغمام فقل في  
ثم أثرى الثرى فقرت عيون  
فترى الأرض غبه كسماء  
تخجل الدر واليواقيت من نو  
ولا يخفى أن الأبيات المدعى زيادتها في النظم تحوم حول هذا المعنى،  
فالأقرب ما هو مشهور، والله أعلم. **الواقع**: النزول والسقوط. وتقدم معنى

(١) اسم الشرح: رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة.

(٢) حازم: هو حازم بن محمد الأنصاري القرطاجني أبو الحسن ولد سنة ٦٠٨هـ كان يحسن الشعر والترسل واللغة والعروض والبيان، له مقصورة ألفها للمستنصر أبي عبد الله وقصر محاسنها على مدحه ومدح أخيه أبي يحيى ومطلعها:

له ما قد هجت يا يوم النوى  
على فؤادي من تباريح الجوى

توفي سنة ٦٨٤هـ (مقدمة ديوان حازم القرطاجني).

البطحاء . ونسبة الشكاية إليها مجازية إذ الشاكي أهلها - كما تقدم - أو أن الشكاية مجاز عن ظهور الحال السيئة . وفاعل قال ضمير المصطفى ﷺ عبر بالقول له الذي حقيقته خطابه بالأمر عن الدعاء بتحويله مجاز إيماء إلى سرعة الإجابة وقوة سببية الدعاء حتى كأنه هو الأمر للسحاب بالانجلاء . والربا : جمع ربوة وهو ما ارتفع من الأرض . والهضاب : جمع هضبة وهو الجبل المنبسط على الأرض . وانهل : من الانهلال يقال : انهل المطر إذا سال بشدة ، وقريب منه الانسجام - وقد تقدم - . وتقديم الظرف أعني على الربا إلخ على الفعلين للقصر أي لا على المدن والبطاح .

والمعنى : حين كثر وقع المطر على البطاح وخشي أهلها من الهدم فشكوا إليه ﷺ ذلك وطلبوا منه الدعاء بإمساكها عنهم ، والطالب وإن كان واحداً لكنه مراد الجمع ، فدعا الله تعالى بالدعاء السابق في الحديث الذي سقناه سابقاً وفي رواية لمسلم وهي أعلق بلفظ النظم أنه ﷺ قال : « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والهضاب وبطون الأودية ومنابت الشجر » قال الراوي : فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس اه<sup>(١)</sup> .

وبهذا يعلم أن في النظم حذفاً تقديره فانجلى - كما تقدم عنه في الهمزية - حذفه إيماء إلى لزوم وقوعه لإجابة دعائه حتى كأنه معلوم أما قوله :

[٩٠] فَأَدَّتِ الْأَرْضُ مِنْ رِزْقِ أَمَانَتِهَا بِإِذْنِ خَالِقِهَا لِلنَّاسِ وَالنَّعَمِ

فليس فرع الدعاء بالانجلاء - كما لا يخفى - وإنما هو مفرع عن الدعاء الأول الذي هو سبب الإحياء وأدت : بمعنى ردت يقال أدى الأمانة : ردها إلى مالكها . والأرض اسم جنس مؤنث ، وقياس واحده أرضة إلا أنه لم يرد ، والجمع أرضات ، وشذ في جمعه الأراضى . والرزق : ما ينتفع به مطلقاً ، وخصه المعتزلة بالحلال<sup>(٢)</sup> . والأمانة : الوديعة . والإذن : قال شيخ الإسلام : يفسر بالأمر وقال ابن

(١) رواه مسلم (كتاب صلاة الاستسقاء باب الدعاء في الاستسقاء رقم ١٤٩٣) .

(٢) قال المعتزلة : الرزق هو المملوك مطلقاً انتفع به أو لا ، وقال أهل السنة : الرزق هو ما ساقه الله تعالى فانتمتع به بالفعل فدخل فيه رزق الإنسان والدواب وغيرهما وشمل المأكول وغيره مما ينتفع به وخرج مما لم ينتفع به وإن كان السوق للانتفاع به ويفسد قول المعتزلة : =

عطية<sup>(١)</sup> في تفسيره: هو التمكين من الشيء مع العلم بما مكن منه<sup>(٢)</sup>. والنعم: اسم جنس جمعي قيل: الإبل والبقر والغنم وقيل: الإبل فقط وقيل: الإبل والشاء قال الفراء: يذكر ولا يؤنث وقال السهيلي في الروض الأنف: "النعم: الإبل فإذا قيل: الأنعام: دخل فيها البقر والغنم والشاء"<sup>(٣)</sup>.

والمعنى: أنه بسبب الإحياء أخرجت الأرض ما في قواها الطبيعية من أنواع النباتات على كثرة أصنافها وتباين صفاتها الذي به انتفاع الناس في أنفسهم ونعمهم، وهو أهم شيء عندهم في الغيث. وقوله: بإذن خالقها احتراس لطيف من توهم السببية الحقيقية، وإيماء إلى أن الغيث سبب عادي للنبات فقط، وأن السبب الحقيقي هو أمر الله تعالى وفق إرادته، ولما كان ما تخرجه الأرض بملافاة نزول المطر كامناً في قواها الباطنة وسبقت الإرادة بأن ذلك لنفع الناس والأنعام كما شهد بذلك الكتاب المجيد قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالِ أَرْسَلْنَا ﴿٣٢﴾ مَنَّاعًا لَكُمْ وَلَا تُعْمِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٠-٣٣]. وقال -جل اسمه-: ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٥٥﴾ ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَفَاقًا ﴿٥٦﴾ فَأَبْجَأْنَا فِيهَا جَبًّا ﴿٥٧﴾ وَعَبًّا وَقَضْبًا ﴿٥٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٥٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٦٠﴾ وَفِكَهْمًا وَأَبْنَا ﴿٦١﴾ مَنَّاعًا لَكُمْ وَلَا تُعْمِكُمْ﴾ [عبس: ٢٥-٣٢] حسن كل الحسن استعارة الناظم الأمانة له، ووقع ترشيحها بالأداء أجمل موقع.

= أن ملك الله لا يسمى رزقاً مع أنه مملوك له وان منتفع الدواب يسمى رزقاً وأنه -على قولهم- يتصور أن يأكل الإنسان رزق غيره وأن يأكل غيره رزقه.. فالحلال رزق على المذهبين والحرام رزق عند أهل السنة لا على رأي المعتزلة بناء على التحسين والتقبيح العقلين (إتحاف المريد ص ٢٤٨ شرح البيجوري ١٩١).

(١) ابن عطية (٤٨١-٤٥٢هـ) عبد الحق بن غالب المحاربي من محارب قيس الغرناطي أبو محمد مفسر فقيه أندلسي من أهل غرناطة عارف بالأحكام والحديث له شعر، ولي قضاء المرية وكان يكثر الغزوات في جيوش الملتئمين توفي بلورقة له: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (الأعلام: ٢٨٢/٣).

(٢) تفسير ابن عطية ٤٢٣/١: قال " بإذن الله: بعلمه وتمكينه ". قال الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن ٧١: ﴿وَلَيْسَ بِضَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قيل: معناه: لعلمه، لكن بين العلم والإذن فرق، فإن الإذن أخص ولا يكاد يستعمل إلا فيما فيه مشيئة راضياً منه الفعل أم لم يرض به.

(٣) الروض الأنف ١٨٤/٤.

[٩١] وَأُلْبِسَتْ حُلَلًا مَنْ سُنْدُسٍ وَلَوَتْ عَمَائِمًا بَرُّؤُوسِ الْهَضْبِ وَالْأَكْمِ  
 ألبست: عطفًا على أدت. والحلل: جمع حلة - بالضم - وهي إزار ورداء ولا  
 تكون حلة إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة - كذا في القاموس<sup>(١)</sup> - وفيه<sup>(٢)</sup>  
 السندس: ضرب من رقيق الديباج معرب بلا خلاف. واللي: جعل الشيء طاقاً  
 فوق طاق، ومنه لويت الحبل فتلته. والعمائم: جمع عمامة وهو ما يلف على  
 الرأس. والأكم: جمع أكمة - بالتحريك - مادون الجبال أو الموضع الشديد  
 الارتفاع مما حوله، وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً - كذا في القاموس<sup>(٣)</sup> -  
 وفي البيت تشبيهه ما كسا وجه الأرض من أنواع النبات والأزهار بالحلل بجامع  
 التجمل بكل، والإلباس ترشيح، وتشبيهه ما كان من ذلك برؤوس الربا بالعمائم  
 التي هي تيجان العرب، واللي ترشيح.

ومعنى البيت حينئذ بين، وقد لهج الشعراء بمثل هذا التشبيه وتصرفوا فيه  
 بأنواع التصرفات، فراجع ما يناسبه من أشعارهم.

[٩٢] فَالْتَحُلْ بِاسِقَةٍ تَجْلُو قَلَانِدَهَا مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى الْخَدَّيْنِ وَالْعَنَمِ  
 تفصيل لإجمال قوله: فأدت الأرض. والنخل: مبتدأ ذو خبرين بعده،  
 والنخل اسم جنس كالنخيل، واحدته نخلة. والباسقة: الطويلة، في القاموس<sup>(٤)</sup>:  
 بسق النخل بسوقاً طال وعليهم علاهم اهـ. وتجلو: أي تكشف وتوضح.  
 والقلائد: جمع القلادة، وحققتها ما يوضع في العنق للتجميل، استعير هنا  
 لعناقيد النخل، إذ بها يتم حسنهما، كما أن بالقلادة يكمل حسن المقلد. والبحار:  
 نبت جعد له نور أصفر ينبت أيام الربيع، ويقال له العرار، قال شيخ الإسلام:  
 وهو الذي يقال له ببلاد المغرب النرجس، قال الشريشي<sup>(٥)</sup> شارح المقامات: هو

(١) القاموس ١٢٧٤ (حلل).

(٢) القاموس ٧١٠ (سندس).

(٣) القاموس ١٣٩١ (أكم).

(٤) القاموس ١١٢١ . (بسق).

(٥) الشريشي: (٥٥٧-٦١٩هـ) أحمد بن عبد المؤمن كمال الدين أبو العباس ولد في شريش  
 وتطوف بالأندلس وتصدر للتدريس في شريش وبلنسية لإقراء اللغة والنحو له شرح مقامات  
 الحريري وشرح الجمل للزجاجي (تاريخ الأدب العربي ٦٢٤/٥).



نبات له قضبان خضر في رؤوسها أقماع تخرج نوراً ينبسط منها على الأقماع ورق أبيض في وسط البياض دائرة قائمة من ورق أصفر، ولذا وصفه أنوشروان بأنه: ياقوت أصفر بين در أبيض على زبرجد أخضر أخذه بعضهم فقال:

وياقوتة صفراء في وسط درة      مركبة في قائم من زبرجد  
وقال ابن المعتز:

كأن عيون النرجس الغض بيننا      مداهن در بينهن عقيق  
إذا بلهن القطر خلت دموعها      بكاء عيون كُحلهن خلوق<sup>(١)</sup>

ثم قال: وهذه الصفة التي أثبتها أهل المشرق للنرجس هي التي يصف بها أهل المغرب البهار قال القسطلي<sup>(٢)</sup>:

بهار يروق بمسك ذكي      وصبغ بديع وخلق عجب  
غصون الزبرجد قد أورقت      لها فضة نورت بالذهب<sup>(٣)</sup>

إلى هنا كلام الشريشي بنقل شيخ الإسلام. وقد تقدم لنا ذكره كالخدين والعنم صدر النظم غير أن شيخ الإسلام لم يتعرض هناك لشرح: وأثبت الوجد فلذا اتبعناه في إطالة الكلام عليه هنا غير أن الظرف أعني: على الخدين لا دخل له في التشبيه في البيت السابق، وإنما ذكر لبيان محل ظهور أثر الوجد من الدمع ولون السقم، وفي هذا البيت له اعتبار في التشبيه أو المقصود تكميل حسن النخل ونضارتها، وذلك بتشبيه حال ثمرتها المنتزع من تدلي أصفرها على خضرة ورقها بحالة البهار المعلق على الخد المعذر، فظهر الفرق بين القصدين والمراد: نوعي الثمرة من البسر والتمر، فالأول للأول والثاني للثاني، ولا يخفى - كما قرناه - أنه لا دخل للكون على الخدين في تشبيه النوع الثاني بالعنم؛ إذ ذلك ليس من شأنه.

(١) ديوان ابن المعتز ١٢١/٢ .

(٢) القسطلي: (٥٧٦-٠٠٠هـ) يونس بن محمد أبو الوليد شاعر فحل أندلسي من الكتاب المصنفين رحل إلى المشرق واستكتبه بعض الولاة وهو من قسطلة إحدى قرى الجزيرة الخضراء (الأعلام ٨/٢٦٣).

(٣) ديوان القسطلي ٣٢ برواية: لنا فضة.

ومعنى البيت واضح مما بيناه .

[٩٣] وفَارَقَ النَّاسَ دَاءَ الْقَحْطِ وَأَنْبَعَثَتْ إِلَى الْمَكَارِمِ نَفْسُ النَّكْسِ وَالْبِرْمِ  
فارق: تنحى وانجلى. والداء: المرض، وإضافته إلى القحط للبيان، أو  
حقيقية بأن يراد بالمرض ما ينشأ عن القحط من الآلام. والقحط: الجذب،  
وقحط المطر يقحط قحوطاً: احتبس، وقيل قحط -بفتح الحاء- في المطر  
و-بالكسر- في المكان. وانبعثت: أسرع مطاوع بعثه. والمكارم: جمع  
مكرمة، وهي الخصلة الحميدة المضادة لصفة اللؤم. والنكس -بكسر النون-  
الرجل المقصر عن غاية الكرم، والجمع أنكاس -كذا في القاموس<sup>(١)</sup>- والبرم  
-بالتحريك-: من لا يدخل مع القوم في الميسر، وفي المثل: "أبرماً قروناً"<sup>(٢)</sup>  
أي ثقيلاً ويأكل مع ذلك تمرتين تمرتين، والجمع أبرام -كذا في القاموس<sup>(٣)</sup>-  
قال شيخ الإسلام: وهو بخيل عند الجاهلية الأولى.

والمعنى: أن الناس لما أمطروا فارقهم القحط الذي هو أعظم داء، وفارقتهم  
الأمراض الناشئة عن القحط، وأسرع إلى تحصيل الخصال الكريمة من عرف  
بالبخل والشح واللؤم، وذلك لغلبة الخير وكثرة الخصب، وفي التعبير بالانبعاث  
الدال على ترتيبه على فعل فاعل إشارة إلى أن قوة الخصب غلبت طبيعة البخل،  
هذا إذا حملناه على حقيقته، وقد يحمل على التجوز بالنكس والبرم عن الأرض  
المجدبة، والمعنى عليه واضح لا يخفى.

[٩٤] إِذَا تَتَبَعَتْ آيَاتِ النَّبِيِّ فَقَدْ أَلْحَقَتْ مُنْفَخِمًا مِنْهَا بِمُنْفَخِمِ  
تتبع: طلبت طلب المتأمل للشيء المتكاثر فرداً فرداً. وأل: في النبي

(١) القاموس ٧٤٦ (نكس).

(٢) أبرماً قروناً: البرم: هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر لبخله، والقرون الذي يقرب بين  
الشيئين وأصله أن رجلاً كان لا يدخل في الميسر لبخله ولا يشتري اللحم فجاء إلى امرأته  
وبين يديها لحم تأكله فأقبل يأكل معها بضعتين وبضعتين ويقرب بينهما فقالت امرأته: أبرماً  
قروناً أي أراك برماً قروناً ويضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين (مجمع الأمثال  
١٠٣/١، جمهرة الأمثال ٢/٢٢٠ رقم ١٥٨٤).

(٣) القاموس ١٣٩٤ (برم).

عهدية، لا محال إذ لا مساغ لدخول غير الممدوح بهذا النظم ﷺ في هذا المقام. ولحقه ولحق به لحاقاً -بالفتح-: أدركه وألحقه به غيره، والمراد هنا اللحاق في الوصف المذكور. والمنفخم: العظيم المرتفع وتنكيره للتعظيم كإعادة لفظه.

والمعنى: إذا استقصيت آيات نبينا ﷺ ومعجزاته وجدتها على نسق واحد في الفخامة والجلالة كجلالة الآية السابقة من إبراء المرضى وإطلاق المصابين بلمس راحته الكريمة وإحياء موات الأرض بالغيث بسبب دعائه ﷺ، فما لم يذكر منها كالمذكور في صفته، والمراد أنها متماثلة في المراد منها من الدلالة على عظيم قدره ﷺ وإن اختلفت ضروبها وأصنافها.

[٩٥] قل للمحاول شاؤ في مدائحه هي المواهب لم أشدد لها زيمي

الخطاب عمومي كسابقه لكل من يتأتى خطابه على طريق التوسع في الضمير. والمحاول: المريد الطالب للشيء، اسم فاعل من حاول الأمر: أرادته حذف مفعوله المعين وهو مديحه ﷺ بقرينة ما بعده. وشاؤ: أمر من الشاؤ، وهو السبق وقد يراد منه معنى المفاعلة، ومنه شاءوت القوم سابقتهم، وهذا المراد هنا.

والمدائح: جمع مدحة<sup>(١)</sup>، في القاموس<sup>(٢)</sup>: والمديح والمدحة والأمدوحة ما يمدح به، الجمع مدائح وأماديح أه. والمدح: الثناء بالجميل من الأوصاف، وهو في لسان الأدباء غير جار على التفرقة بينه وبين الحمد باختصاصه بمقابلة الجبلي من الصفات والحمد بالاختياري منها فإنهم يسمون الثناء بالجميل مطلقاً في أشعارهم مديحاً.

والمواهب: جمع موهبة وهي العطية. والزميم: جمع زيمة -بالكسر-: قطعة من الإبل أقلها: بعيران أو ثلاثة وأكثرها خمسة عشر ونحوها، وكثيراً ما يكنى

(١) قال في حاشية الأصل: قوله والمدائح جمع. الخ في شرح القاموس أن المدائح جمع مديح على غير قياس ولم يذكر جمعاً لمدحة وقياسه مدح كسدره وسدر. ١. ه.

(٢) القاموس ٣٠٨ (مدح).

بشد الرحل عن التأهب للشيء وأخذ الحزم والجد في تحصيله، وهو المراد هنا.

والمعنى: حث المرید لمدائحه ﷺ على المسابقة في ميدانها لينال منها ما يتيسر له مما لا يقتضي الإحاطة المتعذرة بعدم حصر كمالاته ﷺ كما يلوح إلى ذلك التشبيه بالميدان والسبق القاضي بكثرة المزاحمين الطالبين، وعلل هذا الحث بالاستئناف في قوله: هي المواهب أي أنها مما تتوفر الدواعي على الرغبة فيها، لأنها هي العطايا النافعة لمن حصل عليها، وهي التجارة الرباحة وفيها تنافست الفحول الكُمَّل وتسابقت إلى تحصيلها ممن قدر ربحه وفاز قدح ككعب بن زهير وحسان بن ثابت وغيرهما ممن تقدم و تأخر، ومنهم الناظم، فقد تقدم صدر الشرح ما حصل عليه بمدحه ﷺ.

وإنما ذكر هذا المعنى عقيب البيت السابق دفعا لتوهم استقصاء مدحه ﷺ منه، فإن مضمونه - كما قدمناه - تتبع الآيات الدالة على فخامة قدره ﷺ وربما يتوهم من ذلك إمكان إدراك صفاته الفخيمة واستقصائها بالمدح كاستقصاء الآيات فدفع هذا التوهم بهذا البيت وبيّن به أن مجال مدائحه لا يمكن إدراك الغاية له، وإن تسابق فيه المتسابقون غير أن ما لا يدرك كله لا يترك قلبه، وقد صرح بهذا المعنى في همزته إذ قال:

أبذكر الآيات أوفيك مدحاً أين مني وأين منها الوفاء<sup>(١)</sup>

وتقدم قوله: لو ناسبت قدره . . البيت، وفيه إشارة إلى هذا، وسيشير بعد في قوله: فما تطاول . . . البيت إلى عجز المادحين عن استقصاء مدحه ﷺ الملوح إليه هنا، وصرح به في الهمزية إذ قال:

إن من معجزاتك العجز عن وصفك إذ لا يحده الإحصاء  
كيف يستوعب الكلام سجاياك وهل تنزح البحار الركاء  
ليس من غاية لمدحك أبغيها وللقول غاية وانتهاء

(١) البيت في همزته في ديوان البوصيري ٢٨ .

لم أطل في تعداد مدحك نطقي ومرادي بذلك استقصاء  
غير أنني ظمآن وجد وما لي بقليل من الورود ارتواء<sup>(١)</sup>  
وقوله: لم أشدد لها زيمي بذلك المعنى الذي بيناه تأسف ولوم لنفسه حيث  
لم يستعمل كل الحزم في مدائحه ﷺ مع ما بين من حالها، وإنما هي العطايا لا  
غير، هذا ما أراه في شرح هذا البيت، ولشيخ الإسلام فيه شرح لا أرتضيه  
فراجعه.

[٩٦] ولا تقل لي بماذا نلتَ جيدها فما يُقال لفضلِ الله: ذا بكم؟  
الخطاب في هذا النهي كالخطاب في الأمر السابق. والنيل: الإصابة،  
يقال: نلته أنيله وأناله نيلاً ونالاً ونالَةً أصبته - كذا في القاموس<sup>(٢)</sup> - والجيد-  
ككيس-: ضد الرديء، والجمع جيد وجيادات وجيائد. والضمير للمدائح.  
والفضل: الإعطاء بغير عوض. وذا: إشارة إلى فضل الله. وبكم: باء الجر داخلة  
على كلمة الاستفهام العددي، وهو خبر مبتدأ محذوف بعد، والتقدير: بكم هو،  
والجملة خبر ذا ولا يكون خبراً عن ذا لمكان صدارته الموجبة لتقديمه خبراً،  
ويظهر لي أنه تجوز بكلمة كم عن حقيقتها من السؤال عن الأعداد إلى مطلق  
السؤال عن عموم الأسباب ليناسب كلمة ما في صدر البيت، ولأن نفي عموم  
الأسباب أعلق بالفضل من نفي خصوصية سبب الثمن.

والمعنى: أنه لما نفي عن نفسه في البيت السابق صرف العناية واستعمال  
الحزم في تحصيل مدائحه، وقد أتى منها بما شهد بفضيلته معاصروه، وشاعت  
محاسنه بين الخاصة والعامّة كان حاله مظنة السؤال عن السبب المقتضي لهذه  
الدرجة، فأجاب بأن ذلك من فضل الله الذي لا يسع سبباً ولا يستدعي حزماً ولا  
طلباً بل بمجرد العناية الإلهية التي إذا منحها العاجز قدر كما قال:  
إن العنايات إذا صادفت ألحقت العاجز بالقادر  
وهو مضمون قوله:

(١) الأبيات في ديوان البوصيري ٢٨ .

(٢) القاموس ١٣٧٧ (نيل).

[٩٧] لولا العناية كان الأمرُ فيه على حدِّ السواءِ فذو نطقٍ كذي بكم أي لولا عناية الله تعالى وعونه لتساوى الناطق والأبكم في العجز عن المديح بإلحاق الأول بالثاني.

ولولا: حرف شرطي يربط بين امتناع الجواب، ووجود الشرط. والعناية: الاهتمام يقال: عناه الأمر يعنيه ويعنوه عناية: أهمه، والمراد به في حقه تعالى لازمه من الإعانة والإقذار على المراد. والأمر: بمعنى الشأن، والضمير المجرور بفي يعود على النيل المفهوم من الفعل في سابقه، والسواء: الاستواء، والمراد هنا: الاستواء في الفعل وعدمه بدلالة لاحقته. والبكم -بفتح الباء والكاف- مصدر بكم -بكسر الكاف- وقد جانس بينه وبين بكم في سابقه غير أن الأول مركب والثاني مفرد على حد قول الحريري:

قدم لِنَفْسِكَ زادا      مادمت مالك مالك  
من قبل أن تتفانى      ولون حالك حالك  
ومعنى البيت واضح مما قررناه.

[٩٨] دَعْنِي وَوَصْفِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ      ظَهَرَ نَارِ الْقِرَى لَيْلًا عَلَى عِلْمٍ  
دعني: بمعنى اتركني. وقد تقدم بيانه في شرح قوله: دع ما ادعته إلخ. والواو: للمعية ووصفي مفعول معه، وكونها عاطفة وما بعدها معطوف على معطوف دعني يفسد المعنى -كما لا يخفى على عارف بصياغة الكلام- والوصف: النعت، يقال وصفه يصفه وصفا وصفة: نعت. ويختلف المراد منه بحسب المقامات ففي مثل هذا المقام المراد به المديح يراد به وصف التحلية، وفي ضده ضده، وقد يراد به أصل الإيضاح فقط، وذلك مقرر في العربية. وتقدم معنى الآيات، قيل المراد هنا: خصوص آيات القرآن العزيز قال شيخ الإسلام: ولعل قائل هذا يجعل قوله بعد: آيات حق بدلاً من هذه وهذا محتمل ويحتمل العموم اهـ. والظاهر العموم لذكر آية الإسراء بعد -كما لا يخفى-. ظهرت: تبينت. وهو وصف لآيات لم يرد به تخصيص حتى يرد اقتضاؤه أن من آياته ﷺ ما لم يظهر، وإنما هو نعت لازم، إذ الظهور لازم لكل آية من آياته -عليه

السلام- كذا قال شيخ الإسلام . قلت : غفل -رحمه الله تعالى- عن وصف الظهور بالبالغ الغاية في الشهرة حتى لا يخفى على أحد المراد بقوله : ظهور نار . . إلخ ولا يعزب عن علمك أن آياته ﷺ وإن اشتركت في الظهور، لكنها متفاوتة فيه كآية القرآن المجيد، وما تضمنه من قصة الإسراء فهما من الآيات العظام بلا نكر، واقتصار الناظم عليهما بعد يقتضي اعتبار التخصيص في الوصف، كما هو شأن توصيف النكرات<sup>(١)</sup> . والقري : الضيافة . وناره : نار يوقدها الكرام من العرب، ليهتدي بها إلى منازلهم السائر ليلاً ويتمدحون بذلك من حيث الدلالة على الكرم حتى كان كناية قوية الدلالة عنه قال السموءل في لاميته المشهورة :

وما خمدت نار لنا دون قاصد ولا ذمنا في النازلين نزيل<sup>(٢)</sup>  
وللاعتناء بإظهارها يجعلونها برؤوس الجبال بحيث يهتدي إليها كل طارق،  
وصار ذلك مثلاً يضرب في شدة ظهور الأمر كما قيل :  
وإن عمراً لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار<sup>(٣)</sup>  
ومن ثم قيدها الناظم بقوله : ليلاً على علم فإن العلم هو الجبل .

وأما معنى البيت : فإنه لما لوح في الأبيات السابقة إلى أن كمالاته ﷺ لا يحيط بها المديح ولا يدرك عدها ولو توجه لها كل فصيح، وأن ما ناله من بعض مدائحه إنما ناله بعناية الله وفضله لا بحزمه وجده، وبين أن الآيات الدالة على فخامته كل منها فخيم في معناه، ولوح إلى عدم إمكان حصرها -كما شرحناه- قال هنا : اتركني مع وصفي آياته التي يمكن الإحاطة بها فأصرف الهمة نحوها دون وصف كمالاتها، فإن صرف الهمة إلى المعجوز عنه غير معقول وإن تحصل

(١) الغرض من الوصف : إما تخصيص نكرة (مررت برجل كاتب) أو توضيح معرفة (مررت بزيد الخياط) أو مدح (بسم الله الرحمن الرحيم) أو ذم (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) أو ترحم (اللهم ارحم عبدك المسكين) أو توكيد ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة : ١٩٦] (شرح قطر الندى ٣١٧).

(٢) ديوان السموءل ٥٦، وفيه : طارق بدل قاصد .

(٣) البيت في ديوان الخنساء ٥٤ بلفظ : وإن صخرأ .

منه شيء فذلك بمجرد الفضل الإلهي، وهذا معنى التعليل بعد في قوله: فما تناول.. إلخ، ثم إن الآيات وإن تساوت في العظمة فهي متفاوتة في ظهور الدلالة على عظمته ﷺ، وكان الأعظم منها أحق بالعناية والذكر بالوصف بالجميل فلذا اقتصر منها على التصريح بآية الكتاب المجيد وقصة الإسراء فافهم ذلك المراد له- رحمه الله تعالى- واعرف لطف إشارته، ودونك ما في شيخ الإسلام من الشرح فإنه غير مرضي عندي.

[٩٩] فالدرُّ يزدادُ حُسناً وَهُوَ مُنْتِظِمٌ وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مُنْتِظِمٍ الدر: اللؤلؤ، واحده درة. ويزداد: ينمو ومادته تقتضي سبقية أصل كالحسن هنا، والجملة بعده حالية. والانتظام: الاجتماع في السلك، مطاوع نظمه إذا جمعه. والنقص: الحطيطة. والقدر: مبلغ الشيء كالمقدار.

ومعنى البيت: إفصاح بالجواب عن سؤال ينتجه وصف الآيات في سابقه، وهو أن يقال: إذا كانت الآيات التي أردت وصفها مثل ما ذكرت من كونها في الظهور، كمنار على علم ليلاً بحيث لا تخفى محاسنها على أحد، فما معنى توصيفها ومدحها، إذ لا معنى للمدح والتوصيف إلا ذكر صفات الممدوح والإعلام بها؟ وحاصل الجواب: أن لخصوصية نظم المديح والإفراغ في قالب البلاغة وفنونها زيادة حسن لتلك الصفات الحسنة في ذاتها، وهذا مدرك بالبداهة، فإن وجود الصفات في الخارج وإدراكها ولو حساً لا يبلغ حسن ذكرها في الأوزان الشعرية والصيغ البلاغية والتشابه البيانية والتحسينات البديعية، كما أن ذلك الحسن النظمي يزداد بالنغمات المسموعة حسناً لا يكون مع مجرد النظم، فالحسن في ذاته تزداد كمية حسنه بإدراجه في نظم الكلام البليغ، ولا ينقص حسنه الذاتي بدونه وإن نقص حسنه العارض به، وضرب لهذا مثلاً محسوساً وهو اللؤلؤ فإن حسنه الذاتي حاصل نظم أو لم ينظم، وإذا نظم في السلك ورتب الترتيب التحسيني ازداد حسنه، وإن شئت الفرق عياناً فانظر ما عقده أبو عبد الله الشافعي التونسي في «إظهار النكات من خبايا المحوكات» وأصله كلام نثري في شرح التفتازاني على التلخيص وهو: لا تعجبوا من قصر ذوائبه، فإنها كالليل، ووجهه كالربيع، والليل في الربيع مائل إلى القصر، فعقده الشيخ المذكور نظماً بقوله:



قصرت ذوائبه كليل مسرة  
 في ليله ميل إلى قصر المدى  
 وبقوله أيضاً:

لا غرو إن قصرت ذوائب من  
 أوما محياه الربيع شمائلاً  
 فأنت ترى ما صار إليه ذلك المعنى بتلوين النظم من كمال الحسن ولذة  
 السمع .

[١٠٠] فما تَطَاوُلُ آمَالِ الْمَدِيحِ إِلَى ما فِيهِ مِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَالشَّيْمِ؟  
 الفاء: تعليلية. وكلمة ما: استفهامية في الأصل مراد بها الإنكار هنا .  
 وأصل التطاول: مد الإنسان عنقه قائماً لينظر إلى ما بعد عنه فتجوز به عن محاولة  
 غير المقدور. والآمال: جمع أمل - كَجَبَلٍ وَنَجْمٍ وَشَيْبَرٍ -: الرجاء. وإلى ما فيه:  
 يتعلق بالتطاول. والأخلاق: جمع خلق. والشيم: جمع شيمة وهما بمعنى، وقد  
 تقدم شرحه عند قول الناظم: فاق النبيين البيت والعطف هنا تفسيري.  
 ومعنى البيت: إنكار حقيقة محاولة استقصاء مدائحه ﷺ باستقصاء صفاته  
 الموجبة للمدح من أخلاقه الكريمة وكثيراً ما ينفي الشيء إذا كان لا محصول له،  
 وإن أمكن وجوده فالحقيقة هنا إنكار فائدة التطاول، لكنه بالغ فيه بإنكار  
 الحقيقة<sup>(٢)</sup> كما هو مستعمل كلمة ما، ومن اللطيف في ذم التطاول قول شيخ  
 المعرة:

(١) للشاعر التونسي (١٠٨١ - ١١٣٨ هـ / ١٦٧٠ - ١٧٢٥ م) أبي عبد الله محمد بن محمد بن  
 القاضي المعروف بالشاعر التونسي. ولد بالمنستير ودرس بتونس العاصمة فأخذ عن علماء  
 عصره وانتهت إليه رئاسة العلم بالمغرب قاطبة. قال عنه صاحب عنوان الأدب: لم ير في  
 عصره أحفظ منه. دخل المشرق فحج وجاور ودرس هناك ثم رجع من المشرق وولي  
 مشيخة المدرسة المرادية. وكان ضريراً فلذلك كان يملي مؤلفاته على تلاميذه من حفظه توفي  
 سنة ١١٣٨ هـ. من تأليفه: شرح على السلم، وشرح على البيقونية، وأتم حاشيته على تفسير  
 أبي السعود في عشرين جزءاً.

(٢) وهو ما يسمى في البلاغة بحسن التعليل: وهو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف  
 غير حقيقي كقول المعري في الرثاء:

فإن كنت تهوى العيش فابغ توسطاً فعند التناهي يقصر المتطاول<sup>(١)</sup>  
 [١٠١] آيَاتُ حَقِّ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثَةٌ قَدِيمَةٌ صِفَةُ الْمَوْصُوفِ بِالْقَدَمِ  
 برفع آيات على الابتداء، وحذف الخبر أي من آياته الدالة على نبوته آيات  
 القرآن الكريم. وهذا على ما اخترناه من إرادة العموم في الآيات السابقة، وآية  
 القرآن طائفة منه، أقلها ستة أحرف متميزة ببداية وفاصلة، وإضافتها إلى الحق من  
 إضافة الموصوف إلى الصفة؛ لأن الله وصف القرآن به فقال: ﴿هُوَ الْحَقُّ  
 مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١]، [فاطر: ٣١]. ومن الرحمن: صفة له. والرحمن: من  
 أسمائه تعالى من الرحمة. وقد شاع أن الصيغة للرحمة اللاحقة لكل موجود. قال  
 الشيخ لطف الله في المعارج: والرحمانية لكل شيء جعل ماهيته مستعدة لما  
 خلقت له مستصحبة لسببه كإطالة رقبة الإبل على التعوج، فإنه خلق لتحمل  
 الأوزار الثقيلة، ولطوله لم يمكن الحاملين منه فاحتيج إلى الإناخة، فلو كانت  
 رقبته قصيرة أو طويلة مستقيمة لشق عليه القيام، وربما عطب في مقاساته، وإذا  
 أمعنت النظر رأيت ذلك في سائر المخلوقات ناطقها وصامتها اه. ومن هنا لا  
 يصح إطلاق هذا الاسم على غيره تعالى كلفظ الله، قال بعضهم: ويدل عليه  
 قراءته به في قوله جل اسمه: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠].  
 ومن المقرر المعلوم أن أسماءه تعالى التي يستحيل إرادة معناها الوضعي في حقه  
 يعتبر فيها لازمه كإرادة الإنعام في الرحمن<sup>(٢)</sup>. والمحدث: الموجد ضد القديم.  
 والموصوف بالقدم: هو الله تعالى.

ولكنها في وجهه أثر اللطم

= وما كلفة البدر المنير قديمة

وكقول المجنون:

لعل خيالاً منك يلقي خيالياً

وإني لأستغفي وما بي نعسة

(البلاغة الواضحة ٣٤٢).

(١) البيت في ديوان سقط الزند ص ٢٣٢ .

(٢) قال الإمام الرازي في تفسيره ١/١٤٧: كل صفة ثبتت للعبد بما يختص بالأجسام فإذا  
 وصف الله تعالى بذلك فذلك محمول على نهايات الأعراض لا على بدايات الأعراض،  
 مثاله: أن الحياء حالة تحصل للإنسان لكن لها مبدأ ومنتهى، أما المبدأ فهو التغير الجسماني =

ومعنى البيت: أن من الآيات الدالة على نبوته ﷺ آيات الكتاب المجيد التي هي حق لا ريب فيه المنزلة من الله تعالى رحمة بعباده، كما وصفها به في قوله جل اسمه: ﴿الْمَ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [لقمان: ١-٣]. ومن هنا ظهر اختيار اسم الرحمن هنا، ثم وصف تلك الآيات بوصفين متضادين وهما: القدم والحدوث إيماء إلى أن لها اعتبارين كل وصف منهما لها باعتبار: الأول: الألفاظ المقررة المتلوة الواردة على أعلى طرفي البلاغة المعجزة بذلك من أراد المعارضة المسمى كلام الله والقرآن تسمية شائعة في لسان أهل الشرع، ولا مرية في حدوث ذلك ضرورة، وهذا الاعتبار مناط الوصف الأول. الاعتبار الثاني موافق تلك الألفاظ في الدلالة على المراد منها، وهو الكلام النفسي القائم بذاته تعالى الذي إذا كشف الحجاب عنه فهم منه ما يفهم من اللفظ ويسمى كلام الله وقرآناً أيضاً، غير أنه ليس من الآيات في شيء، وإنما نسبتها إليه للاشتراك في الدلالة على المراد، ولكونه المدلول الأول لها بناء على أن الألفاظ تدل أولاً على ما في النفس من المراد، وبهذا الاعتبار وصفت الآيات بالقدم وفسر بأنها صفة القديم، ولا يعزب عليك مما بيناه ما في ذلك التوصيف من التوسع، وأشار الناظم بما ذكر إلى أن الخلاف الشائع بين أهل السنة والمعتزلة في حدوث القرآن وقدمه ليس على ظاهره الشائع، ضرورة أنه لا مساغ للقول بقدم الألفاظ المنزلة، كما لا مساغ للقول بحدوث الكلام النفسي، إنما النزاع في ثبوت الثاني فأهل السنة يثبتونه ويكون قديماً لامحالة؛ لأنه صفة ذاتية، والمعتزلة ينفونه، فعند أهل السنة: لفظ القرآن له معنيان: قديم وحادث،

= الذي يلحق الإنسان من خوف أن ينسب إلى القبح وأما النهاية فهو أن يترك الإنسان ذلك الفعل فإذا ورد الحياء في حق الله تعالى فليس المراد منه ذلك الخوف الذي هو مبدأ الحياء ومقدمته بل ترك الفعل الذي هو منتهاه وغايته وكذلك الغضب له علامة ومقدمة وهي غليان دم القلب وشهوة الانتقام وله غاية وهو إنزال العقاب بالمغضوب عليه فإذا وصفنا الله تعالى بالغضب فليس المراد ذلك المبدأ أعني شهوة الانتقام وغليان دم القلب بل المراد تلك النهاية وهو إنزال العقاب فهذا هو القانون الكلي في هذا الباب .

وعند المعتزلة: لا معنى له إلا الحادث، هذا حقيقة الخلاف عند المحررين من مهرة علم الكلام فاستفده<sup>(١)</sup>.

(١) قال الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد في تحقيق جوهره التوحيد (هامش إتحاف المرید ص ١٣٢): مذهب أهل السنة والجماعة أن كلاً من كلام الله والقرآن يطلق بإطلاقين: فأما كلام الله فيطلق ويراد به الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى التي ليست بصوت ولا حرف وهذه بهذا المعنى قديم ويطلق بإطلاق آخر ويراد به القرآن الكريم الذي نتلوه بألسنتنا ويسمعه بعضنا من بعض ونكتبه بأيدينا في مصاحفنا ووجه إطلاق كلام الله على القرآن المتلو أنه دال على الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى أو أنه سبحانه هو الخالق له على هذا النظم بهذه الألفاظ وهذا الترتيب المعجز، وليس لأحد فيه شيء ما، وقد أطلق الله تعالى على القرآن الكريم كلام الله بهذا المعنى في قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ وأطلقت السيدة عائشة الصديقة كلام الله على المكتوب في المصاحف في قولها « ما بين دفعتي المصحف كلام الله » ونسب هذا إلى كثير من الصحابة وأما القرآن فيطلق أيضاً بهذين الإطلاقين فتارة يطلق ويراد به الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى وتارة يطلق ويراد به ما نتلوه ونكتبه ويسمعه بعضنا من بعض لما ذكرنا في إطلاق كلام الله فإن أطلق بالمعنى الأول وهو الصفة القديمة فهو قديم وإن أطلق بالمعنى الثاني فهو مخلوق مع أن كلاً من القرآن وكلام الله يطلق تارة على الصفة القديمة وتارة أخرى على المتلو الملفوظ به فإن الأكثر إطلاق لفظ القرآن على المتلو الملفوظ به والأكثر إطلاق لفظ كلام الله على الصفة القائمة القائمة بذاته تعالى ومع ذلك فإن أئمة هذه الأمة تخرجوا أن يصفوا القرآن بالحدوث مخافة أن يتبادر إلى أذهان العامة أن الصفة القائمة بذاته حادثة لأن القرآن لفظ مشترك بين هذين المعنيين والمعتزلة ذهبوا إلى أن القرآن وكلام الله حادثان ولا معنى لهما إلا الكلام المرتب المشتمل على الأصوات والحروف ولهذا منعوا أن يتصف الله تعالى بالكلام وقالوا إن معنى كلامهم أنه خلق الكلام في بعض الأجرام كالجبل أو الشجرة أو نحوهما ومراده أن القرآن بمعنى الصفة القديمة القائمة بذاته مما يجب على المكلف أن يعتقد قدمه وينزهه عن الحدوث كما هو مذهب أهل السنة وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرؤه فهو مخلوق ومع كونه مخلوقاً يمتنع أن يقال القرآن مخلوق، ويراد اللفظ الذي نتلوه إلا في مقام التعليم، لأنه ربما أوهم أن القرآن بمعنى كلام الله أي صفته القديمة مخلوق ولهذا الإيهام امتنعت الأئمة من القول بخلق القرآن وقد وقع في هذا الموضوع امتحان كبير لخلق كثير وأشهر من امتحن بذلك الإمام أحمد فقد حبس وضرب على أن يقول القرآن مخلوق فأبى ولم يقبل أن يقول هذه الكلمة مع أنها صحيحة بأحد المعنيين مخافة أن تحمل على المعنى غير الجائز وممن ابتلي بهذه المحنة أبو يعقوب يوسف بن يحيى المصري المعروف بالبويطي فإنه حمل من مصر إلى بغداد وطلب إليه أن يقول القرآن مخلوق فلم يجب وقال غير مخلوق فحبس =

[١٠٢] لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهِيَ تُخْبِرُنَا عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرْمٍ  
 الاقتران: الاجتماع، والضمير المستتر للآيات بالاعتبار الثاني الذي لحقها به  
 الوصف بالقدم. والزمان: الوقت المقدر بحركة الأفلاك وسير الكواكب، يطلق  
 على القليل والكثير، والضمير بعد للآيات بالاعتبار الأول، لأنه الذي به الإخبار.  
 والمعاد: المصير والمرجع، من عاد يعود عوداً: إذا رجع، والمراد هنا خصوص  
 مرجع الآخرة. وعاد: قبيلة بعث إليها هود عليه السلام سميت باسم عاد بن عوص بن  
 إرم بن سام بن نوح -عليه السلام- عاش عاد ألف سنة ومائتين ورأى من صلبه  
 أربعة آلاف ولد، وكان كافراً يعبد القمر. وإرم: جده - كما ذكر في نسبه - قال  
 الكلبي<sup>(١)</sup>: إرم هو الذي يجتمع إليه نسب عاد وشمود وأهل السواد وأهل  
 الجزيرة، كان يقال: عاد إرم وشمود إرم فأهلك عاد وشمود وبقي أهل السواد  
 وأهل الجزيرة.

ومعنى البيت: إن تلك الآيات مع كونها غير زمانية - إذ الزماني ما له أول،  
 وهي لكونها قديمة لا تصاحب الزمان الحادث - تخبرنا وتعلمنا بأحوال الماضي  
 من الأمم كعاد وإرم والمستقبل كالمعاد فهي غير زمانية تخبر عن الزمانين، وكأنه  
 -رحمه الله- يوهم التضاد كالإيهام في السابق في الجمع بين الصفتين، ومنه قول  
 أبي تمام في الشيب:

له منظر في العين أبيض ناصع ولكنه في القلب أسود أسفع<sup>(٢)</sup>

= ومات في السجن سنة ٢٣١ وخرج البخاري فاراً من الفتنة وقال: اللهم اقبضني إليك غير مفتون  
 فمات بعد أربعة أيام وسجن عيسى بن دينار عشرين سنة وسئل الشعبي عن هذا فقال: التوراة  
 والإنجيل والزبور والفرقان هذه الأربعة حادثة ورفع أصابع يده الأربعة مشيراً فتركوه وهذا من  
 المعارض التي فيها مندوحة عن الكذب ونسب مثل هذه الحكاية إلى الإمام الشافعي رضي الله  
 عنه.

(١) الكلبي: ( . . . - ٢٠٤هـ) هشام بن محمد أبي النصر بن السائب بن بشر الكلبي أبو المنذر  
 مؤرخ عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها كأيه كثير التصانيف من أهل الكوفة وفاته فيها،  
 له تصانيف منها جمهرة الأنساب مخطوط (الأعلام ٨/ ٨٨).

(٢) ديوان أبي تمام ٢/ ٣٢٤ .

وقد ذكر في الشفاء: أن من وجوه إعجاز القرآن الإخبار عن المغيبات وعن القرون الماضية والأمم البالية والشرائع الدائرة وعقد لذلك فصلين<sup>(١)</sup>.  
 [١٠٣] دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجَزَةٍ مِّنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدْمِ الضَّمِيرَ إِلَى الْآيَاتِ بِالاعتبار الأول. والدوام: الاستمرار. وفاقت: علت في الشرف. والمعجزة: أصلها اسم فاعل من أعجزني الأمر أي: فاتني ولم أستطعه، والمراد بها في حق الأنبياء: أمر خارق للعادة يقع على وفق دعوى الرسول الرسالة مقارناً للدعوى مع عدم المعارضة، وهي مُنزلة مَنزلة قول الله تعالى: صدق عبدي فيما يبلغ عني<sup>(٢)</sup>.

ومعنى البيت: إثبات مزية لمعجزة القرآن فاقت بها كل معجزة سواها وقعت على يد نبي من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وهي استمرارها من لدن نزولها إلى انقراض الدنيا، وغيرها من المعجزات تزول بحصول المراد منها، من الدلالة على تصديق الرسول الذي وقعت على يده، ووجه كون ذلك شرفاً لها على غيرها إشاعة إدراكها حساً لدى كل عصر من الأعصار ولم يدرك غيرها لغير من شاهدها إلا بالإخبار عن أحوالها، والأخبار القاطعة وإن أفادت اليقين، لكن للعيان لطيف معنى، في ذلك الإعلان بالتعجيز لا يخفى.

فمن فضل الله تعالى على نبيه أن جعل من آياته: كتاب تشريعه، المضمون حفظه<sup>(٣)</sup> لتبقى لأمته مدركة مشاهدة، وبهذا يتبين أن غيره من الكتب السماوية لا يشارك الكتاب المجيد في ذلك، إذ لم يكن إنزالها للإعجاز.

فإن قلت: ما اقتضاه صريحه من نفي الدوام عن كل معجزة عدا القرآن ينافيه

(١) الشفا ٣٢٨: الوجه الثالث من الإعجاز ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات ومنه: ﴿سَبِّحْهُمُ الْجَمْعُ وَيُؤْتُونَ الدُّبْرَ﴾ [القمر: ٤٥]. الوجه الرابع: ما أنبا به من أخبار القرون السالفة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أخبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك وكان أهل الكتاب كثيراً ما يسألونه عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكراً كقصص الأنبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر.

(٢) العقيدة الإسلامية ٢٩٩ .

(٣) بقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ما صرح به في الهمزية من دوام جميع معجزاته ﷺ حتى جعل ذلك مزية له -عليه الصلاة والسلام- دون غيره من الأنبياء حيث يقول:

لم نخف بعدك الضلال وفينا وارثو نور هديك العلماء  
فانقضت آي الأنبياء وآيا تك في الناس مالهن انقضاء (١)

قلت: المراد بالآيات: مطلق المزايا والكرامات -كما صرح بذلك الحفني (٢)  
في حواشي شرحها- أي من كراماته ومزاياه ﷺ دوام شريعته وهديه ببقاء علماء  
أمته بخلاف غيره من الأنبياء، فإن ما تميز به من الشرائع قد نسخ، ويؤيد هذا  
المحمل تفريع ذلك الكلام على مضمون البيت السابق فافهمه.

[١٠٤] مُحَكَّمَاتٌ فَمَا تُبْقِينَ مِنْ شُبِّهِ لَدِي شِقَاقٍ وَمَا يَبْغِينَ مِنْ حَكَمٍ

محكمات: جمع محكمة على صيغة المفعول، من حكّمه إذا جعله حاكماً  
فمعناه حاكمات، أو من حكمه بمعنى أحكمه إذا قيل بقياس التضعيف على  
التعدية بالهمز -كما هو رأي بعضهم- فمعناه: متقنات في نظمها وبلاغتها ممنوعة  
من تطرق الخلل إليها، وكونها من أحكمت الشيء بمعنى أوضحته حتى لا يحتاج  
إلى التأويل ينافيه: ﴿مِنَّهُ آيَاتٌ مُحَكَّمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأَخْرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧].  
وجواب شيخ الإسلام عنه غير ناهض، فراجع مع التدبر، وما يبقين: ما  
يتركن. والشبه: جمع شبهة وهي الالتباس وما يتخيل دليلاً وليس كذلك.  
والشقاق: الخلاف والعداوة. ويبغين: يطلبن من بغيت الشيء أبغيه: طلبته.  
والحكّم -بالتحريك-: الحاكم.

ومعنى البيت: أن هذه الآيات حاكمة الحكم الفصل الذي لا تبقى معه شبهة  
لمخالف من المتنازعين سواء كان النزاع في أصل التصديق وذلك بإعجازها أو  
في حادثة بين اثنين، وذلك بما تضمنته من الأحكام الشرعية، وفي الحديث في

(١) البيتان في ديوان البوصيري ٢٨.

(٢) الحفني (١١٠١-١١٨١هـ) محمد بن سالم شمس الدين فقيه شافعي من علماء العربية ولد  
بحفنة من أعمال بلبس بمصر وتعلم في الأزهر وتولى التدريس فيه وتوفي بالقاهرة من كتبه  
الثمرة البهية وحاشية على شرح الأشموني (الأعلام ٦/١٣٤).

وصف القرآن: «من حكم به عدل ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله»<sup>(١)</sup>. هذا على تفسير محكمات بأول تفسيريته .

وعلى الثاني يكون المعنى: أنها في غاية الإتقان في النظم وأعلى مراتب البلاغة بحيث لا يطرقتها شبهة معاند في كونها من عند الله، فيرجع إلى أحد قسمي الأول، وقوله: ولا يطلبن حكماً: صالح للربط بكلا التفسيرين، فإن الحاكم الذي لا يحكم عليه غيره أثبت في باب الحكم ونفوذ الأمر، ضرورة أن نفي تسلط حكم الغير عليه إنما هو لانحطاط مرتبته عنه في أدوات الحكم، ولما كانت هذه الآيات لا مرمى وراءها في معانيها وأحكامها لم يبق مسأغ لأن يتسلط عليها غيرها بحكم؛ لأن تحكيم الناقص في الكامل خلاف المعقول .  
وقد أوماً إلى هذا أبو الطيب بقوله:

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم<sup>(٢)</sup>  
وكذلك ما كان في غاية الإتقان والمنع من تطرق الخلل فإنه غني في الدلالة على المراد منه عن تصرفات الحكم، ومما لا يخفى أن المراد أن الآيات هذا وصفها في نفس الأمر، ولا ينافيه إنكار المعاند المحتوم ضلاله، وقد قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] أي ليس أهلاً لأن يرتاب فيه، وإن وقع الريب لمن أضله الله، وأتى بصيغة الجمع في الشبه إيماء إلى تعدد شبهات المبطلين، وأن القرآن ماح لجميعها .

[١٠٥] ما حُورِبَتْ قَطُّ لِإِعَادَةٍ مِنْ حَرْبٍ أَعْدَى الْأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِي السَّلْمِ  
المحاربة: في الأصل المقاتلة، ويتجاوز بها عن مطلق المنازعة والمجادلة، وهو المراد هنا. وقط: ظرف لعموم ما مضى مبني على الضم كقبل وبعد. وعاد: رجع وصار. والحرب - محركة - : مصدر حربته - بفتح الراء - : سلبته، وحرب بالكسر: اشتد غضبه. وأعدى<sup>(٣)</sup>: إن كان من العداوة بمعنى الأشد عداوة فالبناء

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٢٨٣١ كتاب فضائل القرآن باب ما جاء في فضل القرآن وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول). وانظر في تمامه ص ٣٧٠ .

(٢) ديوان المتنبي ٨٣/٤ .

(٣) قال في حاشية الأصل: قوله من العداوة ١. هـ العداوة اسم مصدر للمعاداة والمعاداة =



غير مقيس؛ لأن فعله غير ثلاثي، وإن كان من العداء أي تجاوز الحد والظلم أي أشدهم ظلماً فهو مقيس. والأعادي: جمع أعداء جمع عدو، وهو ضد الولي. والسلم -بفتحتين وسكون اللام مع فتح السين وكسرهما-: الصلح.

والمعنى: أن تلك الآيات ما قصدتها مجادل بإنكار وتكذيب ونسبتها إلى غير حقيقتها، كقولهم: إنها سحر أو أساطير الأولين أو شعر أو أنها كلام مجنون إلى غير ذلك من الأقاويل الباطلة إلا صار ذلك المجادل المكذب مسلماً لها راجعاً عما يدعيه، فمنهم من أسلم وتمت له الهداية، ومنهم من سبق عليه القضاء فدام على كفره، وإن سلم للآيات وعرف مقدارها، ومما يشهد لهذا ما تقدم لنا في مقدمة الشرح من قصة الوليد بن المغيرة. هذا ما ظهر لي في معنى البيت، وهو غير مضمون ما بعده -كما لا يخفى- ولشيخ الإسلام في شرح البيت مسالك، لا أرضى سلوك واحد منها، فراجعه وحكم فكرك السليم.

[١٠٦] رَدَّتْ بِلَاغَتِهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا رَدَّ الْغَيُورِ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحُرْمِ  
الرد: الصرف. والبلاغة: مصدر بلغ المكان إذا وصل إليه، وأما في عرف الأدباء وصاغة الكلام فقد اضطربت فيها عبارة المتقدمين، وأحسن عبارة وجيزة فيها: سر مطابقة الكلام لما يقتضيه الحال<sup>(١)</sup>، وإجمال تفسيرها: أن يتوخى في

= مصدر عاداه فهو غير ثلاثي وقوله من العداء هو بفتح العين كما يؤخذ ذلك من القاموس (حافظ) ١. ه قال في القاموس (عدو) ١٦٨٩: "وعادى بين الصيدين معادة وعداء: والى، وعداء كل شيء كسما وعدها وعدوه وعدوته بكسرها وتضم الأخيرة طواره".

(١) قال في (الإيضاح في علوم البلاغة ص ١٣): بلاغة الكلام هي مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحتها ومقتضى الحال مختلف فإن مقامات الكلام متفاوتة فمقام التنكير يبين مقام التعريف ومقام الإطلاق يبين مقام التقييد ومقام التقديم يبين مقام التأخير ومقام الذكر يبين مقام الحذف ومقام القصر يبين مقام خلافه ومقام الفصل يبين مقام الوصل ومقام الإيجاز يبين مقام الإطناب والمساواة وكذا خطاب الذكي يبين خطاب الغبي وكذا لكل كلمة مع صاحبها مقام إلى غير ذلك وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقتها للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدم مطابقتها له فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب وهذا -أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال- هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر -أي الجرجاني- بالنظم حيث يقول: النظم تأخي معاني النحو فيما بين الكلام على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام.

سر الكلام من الخواص والمزايا ما يقتضيه حال الخطاب فإذا هي أمر إضافي لا يمكن إطلاق القول في نوع من الكلام أنه بليغ على الإطلاق، فرب كلام بليغ في مقام لا يكون كذلك في مقام آخر، ومن المزايا التي بتوخيتها يتمزى الكلام: المقاطع والمطالع والمبدأ والمخرج والنهاية، ومعلوم في فن المعاني: أن لها طرفين أعلى - وهو حد الإعجاز - وهي البلاغة القرآنية. والمعارض: اسم فاعل من عارضته في الشيء: إذا أتيت بمثل ما أتى به. والغيور: صيغة مبالغة يستوي فيها المذكر والمؤنث من الغيرة - بفتح الغين - وهي حالة نفسانية تحدث عند امتداد الأيدي لخرق سياج الحماية تثير انبعاث القوة الغضبية الحامية. واليد: الجارحة المعروفة، وكثيراً ما يراد بها القدرة مجازاً - وهو الأنسب هنا - . والجاني: اسم فاعل من جنى عليه جناية إذا فعل به مكروهاً. والحرم: إما بضم الحاء وفتح الراء: نساء الرجل وما يحميه. وإما بضمهم: جمع حريم؛ وهو ما يحميه الإنسان ويقاتل عنه، والمعنيان متقاربان، وإنما الخلاف في الشكل.

والمعنى: أن هذه الآيات لكونها في أعلى طرفي البلاغة الذي هو حد الإعجاز صرفت وأبطلت دعوى المعارض لها المدعي الإتيان بمثلها بعد التحدي وطلب ذلك منه الطلب التعجيزي، كما صرحت بذلك الآيات الكريمة، فكان العجز صفتهم، والفضيحة نتيجة دعواهم، والمذلة ثمرة ما غرسه هواهم، مع تحريك حميتهم بتسفيه أحلامهم، وحط أعلامهم، وتشبث نظامهم، وذم آلهتهم وأبائهم، وهو ينادي عليها بضعباً<sup>(١)</sup> وعشرين عاماً: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَلْعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨] فلم يكن منهم إلا نكس الرؤوس ومخادعة النفوس بأنه افتراء أو سحر أو أساطير الأولين، وهم

(١) البضع: ما بين الثلاث إلى التسع، وذكر الفيروز آبادي أقوالاً كثيرة فيها لكنه ابتداء بما اخترنا وعادتهم أنهم يبدوون بما يرجحون صحته قال: "بضع: ما بين الثلاث إلى التسع أو إلى الخمس أو ما بين الواحد إلى الأربعة أو من أربع إلى تسع أو هو سبع وإذا جاوزت لفظ العشر ذهب البضع ولا يقال بضع وعشرون أو يقال ذلك، الفراء: لا يذكر مع العشرة والعشرين إلى التسعين ولا يقال بضع ومائة ولا ألف أو البضع غير معدود لأنه بمعنى القطعة" (القاموس (بضع) ٩٠٩).

إذ ذاك تجار سوق البلاغة النافقة لا يشكون أن البلاغة طوع مرادهم، وصياغة الكلام ملك قيادهم، قد حووا فنونها مع كثرة أنواعها، ولم يكن ما عجزوا عن مثله إلا على منوال لغتهم التي بها يتحاورون، ومنازعتهم التي عنها يناضلون، ومن ثم أدركوا حسن فواضله، وأذعنوا للمعجز من آياته وفواضله. ذكر أبو عبيدة أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ: ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] فسجد وقال: سجدت لفصاحته<sup>(١)</sup>، وسمع آخر رجلاً يقرأ: ﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠]. فقال: أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام اه<sup>(٢)</sup>.

وفيما ذكره الناظم إشارة إلى أن الإعجاز القرآني ببلاغته، وهو مذهب المحققين من العلماء، ومحل إشباع الكلام في هذا الخلاف غير هذا الكتاب، فليراجع<sup>(٣)</sup>.

[١٠٧] لها معانٍ كمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيمِ الضمير للآيات. والمعاني: جمع معنى وهو ما يراد من اللفظ بأي طريق من الدلالات كان. والموج: اضطراب البحر - كذا في القاموس -<sup>(٤)</sup>، وعليه اقتصر شيخ الإسلام، وأنت ترى أنه غير مناسب للمراد فلعله تجوز به عن الأمواج أعني الهيئات المتعاقبة عند اضطراب البحر. والمدد: الزيادة. وفوق: ظرف مكان

(١) الخبر في الشفا ٣٢٢ .

(٢) الخبر في الشفا ٣٢٢، وفيه: حكي أن عمر بن الخطاب كان يوماً نائماً في المسجد فإذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق واستخبره فأعلمه أنه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وأنه سمع رجلاً من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فإذا هي قد جمع فيها ما أنزل على عيسى بن مريم من أحوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ الَّذِي يَتَقَوَّى فَاُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢] .

وحكى الأصمعي أنه سمع كلاماً جارية فقال لها: قاتلك الله ما أفصحك فقالت: أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَرْسُلَنَا فَأَنْزِعْنَاهُ عَلَيْكَ فَانزِلْ عَلَى الْقَوْمِ لِيَخْتَفُوا مِنْكَ وَإِنْ يَخْتَفُوا مِنْكَ فَانزِلْ عَلَيْهِمْ جُثُوبًا مِنْ سَمَوَاتِنَا وَمَا نَزَّلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ آيَةٍ إِلَّا كُنَّا بِآيَاتِنَا أَكْبَرُ﴾ [القصص: ٧] فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين .

(٣) انظر في ذلك مثلاً الشفا ٣١٧ .

(٤) القاموس ٢٦٣ (موج).

لإحدى الجهات الست المعروفة<sup>(١)</sup>، ثم توسع فيه فأطلق على العلو في المعاني والصفات - كما هو المراد هنا- . والقيم: جمع قيمة وأصله: ما يقاوم به من العوض ثم توسع فيه بإرادة الشرف والكمال لما كان تغالي الأثمان يتبع غالباً ارتفاع صفات الكمال .

والمعنى: أن لتلك الآيات معاني كثيرة لا تحصى ولا تقف عند حد بل ما من معنى وصل إليه الذهن إلا وظهر بعده معنى وهكذا إلى أن يقف الإدراك البشري، ولا تستوفى المعاني، كما أن البحر عند اضطرابه تتولد فيه أمواج متعاقبة واحدة بعد أخرى، فهي دائمة ما دام الاضطراب في استمداد بعضها من بعض استمداداً يقف دونه الإدراك، والمراد من التشبيه كالنسبة اللاحقة له في المصراع الثاني: تمثيل المعقول بالمحسوس، تقريباً للأفهام، كما في قوله -جل اسمه-: ﴿مَثَلُ نُورٍ كَمِشْكُوفٍ﴾ [النور: ٣٥]. الآية، وقد تلطف في هذا التشبيه ما شاء، فإن أمواج البحر يتولد بعضها من بعض، كذلك المعاني البلاغية، يتولد بعضها من بعض مع مناسبة المقام، والمراد من النسبة إلى الجوهر ظاهر يعني أن شرف معاني هذه الآيات يزيد المعاني البلاغية التي هي مناط الإعجاز في شرفها وحسنها فوق الجواهر المعروفة بالشرف والحسن .

[١٠٨] فما تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْثَارِ بِالسَّامِ  
تفريع على مضمون ما قبله . والعد: الحساب . والإحصاء: الإحاطة بالشيء  
علماً، وأكثر استعماله في المعدودات، وكأن الفرق بينه وبين العد أن الأول:  
إحاطة الجملة المعدودة والثاني: تتبع أفرادها بالحساب . والعجائب: جمع  
عجبية، وهو الشيء الذي يتعجب منه كالحسن والخارق والنادر . وتسام: تطلب،  
من السوم المستعمل في البيع، يقال منه ساومته سواماً . والإكثار: المراد به كثرة  
تردادها من قولهم: أكثر الرجل أي كثر ماله، ولو قال: على التكرار لكان أنسب  
وأظهر في المراد . والسأم -بفتح الهمزة- مصدر سئمت بكسرهما- أي مللت .

(١) الجهات الست: فوق، تحت، وراء (خلف)، أمام (قدام)، يمين شمال، (انظر شرح قطر

والمعنى: إن هذه الآيات لما كانت معانيها في الكثرة التي لا تتناهى، والحسن الذي لا يباهى، لا يمكن عدها ولا الإحاطة بها، ولا تمل مع تكرارها، وهذا مما فاقت به الجواهر، فإنها وإن كانت ملائمة للطبع بحسنها، لكنها يلحقها الملل بالاكثار من تداولها، وتسامها الأنفس، وكذلك الشأن في كل كلام مكرر، وفي المثل: "أثقل من حديث معاد"<sup>(١)</sup>، وآيات الكتاب على خلاف ذلك، فإنها ما ذكرت إلا وكانت لها حلاوة ورونق مستأنفان كأنها أول ما طرقت السمع، قال القاضي في الشفاء: وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه وجوهاً كثيرة منها: أن قارئه لا يمل، وسامعه لا يمجه، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وترديده يوجب له محبة لا يزال غضاً طرياً، وغيره من الكلام - ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغاً - يمل مع التريد ويعادى إذا أعيد اه<sup>(٢)</sup>. ومن الحكم المشهورة: "من العادات معادة المعادات" فأنت ترى أن هذه الخصيصة للفظ الآيات الكريمة لا لمعانيها، وأنها ثابتة لها، فهمت معانيها أم لا، ومن هنا حملنا الإكثار على التكرار، وصرفنا النظم عن ظاهره المتبادر من جعله على حقيقته وصفاً للمعاني في البيت السابق، وحمله على الظاهر مع كونه غير مطابق للمنقول لا يستقيم في نفسه، فإن الكثرة مع تجدد الحصول الذي يقتضيه عدم التناهي ليس مظنة الملل، فلا مزية في نفيه عنه، وإنما كانت معانيه لا تستقصى، لكونها - كما تقدم - بلاغية، وقد بينا أن البلاغة: مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فالإحاطة بها تتبع إدراك ما علمه المتكلم من الأحوال ومقتضياتها، والإدراك البشري لا يساوي العلم القديم فافهمه.

[١٠٩] قَرَّتْ بِهَا عَيْنٌ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ: لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ اللَّهِ فَاغْتَصِمِ

أصل قرور العين: جريان الدمع البارد منها بسبب الفرح والسرور، وقدمنا

(١) المثل في (معجم الأمثال العربية ١/١٤٨ رقم ١٤٨) قال: الحديث: الخبر، والمعاد: الذي سمعته ثم أعيد عليك مرة أخرى فهو يثقل على السمع فالنفس تستثقل الكلام المعاد وتمل منه ولو كان في نفسه بليغاً، وعدم الملل في القرآن مع معاودته على مرور الأيام معجزة ظاهرة للعيان ومن ثم قيل فيه: كل مكرر ملول إلا القرآن .

بيانه أول الشرح، ثم شاع التكنية به عن السرور وارتياح النفس بحصول الملائم .  
والقاري: اسم فاعل من قرأت الكتاب قراءة أتبعته بعضه بعضاً . وظفرت -بكسر  
الفاء في الماضي وفتحها في المستقبل - من الظفر وهو: الفوز بالمطلوب .  
والمراد بالحبل هنا: العهد مجازاً . والاعتصام به: الامتناع به من المؤذيات .

والمعنى: أن قارئ تلك الآيات الكريمة حصل من السرور والفرح وما يلائم  
روحه ما أوجب نشاط نفسه وانبساطها، وأنه جدير بأن يهنأ بذلك ويقال له: لقد  
فزت بمطلوبك، وهو حبل الله المتين وعهده الوثيق، فاعتصم به من كل مخوف  
في الدنيا والآخرة .

وشواهد هذا كثيرة: منها قوله ﷺ: «إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله  
حبل ممدود بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا  
على الحوض»<sup>(١)</sup>، قال شيخ الإسلام: وخرّج أبو عيسى عن الحارث الأعور  
قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الحديث فدخلت على علي  
رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين إن الناس قد خاضوا في الأحاديث قال:  
وقد فعلوا؟ قلت: نعم قال: أما إني لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنها  
ستكون فتنة» فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله، فيه نبأ ما  
كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من  
تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الحكم والهدى من غيره أضله الله، وهو  
حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ  
به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة  
الترداد، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به  
عدل، ومن دعا به هدي إلى صراط مستقيم، خذها يا أعور»<sup>(٢)</sup> . ١. هـ

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٣٧٢٠ كتاب المناقب باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ)، وقال: حديث  
حسن غريب)، وأحمد رقم (١٠٦٨١).

(٢) أخرجه الترمذي (رقم ٢٨٣١ كتاب فضائل القرآن باب ما جاء في فضل القرآن) وقال: حديث  
غريب وإسناده مجهول، والدارمي (رقم ٣١٩٧ كتاب فضائل القرآن باب فضل من قرأ القرآن).

وكان الناظم اقتبس أبياته هاته من هذا الحديث الشريف .

[١١٠] إِنْ تَتْلُهَا خَيْفَةً مِنْ حَرِّ نَارٍ لَطَى أَطْفَأَتْ حَرَّ لَطَى مِنْ وَرْدِهَا الشَّبِيمِ

التلاوة: القراءة. والخيفة: الخوف. والحر: ضد البرد. واللظى: النار، أو لهيبها، ولظى - معرفة-: جهنم - كذا في القاموس<sup>(١)</sup> - ولإرادتها هنا أضيفت النار إليها. وأطفأت: من طفئت النار: -كسمع- طفواً: ذهب لهبها، كانطفأت وأطفأتها، وهو متجاوز به هنا عن النجاة من أذاها، ضرورة أنها لا تطفئ ذاتها وإنما يمنع التالي من إيلام حرها، وتعلقه بالحر قرينة على المراد، وإظهار الحر ولظى لإرادة التهويل والتعظيم. والورد - بكسر الواو-: الماء الذي يورد - كذا في تكملة القاموس للمرتضى - والشبم - بكسر الباء-: البارد.

والمعنى: أن هذه الآيات الكريمة إذا تلاها الإنسان تقرباً إلى الله بها بقصد النجاة من عذاب النيران يوم القيامة كانت نجاة له منها. وشواهد هذا من السنة كثيرة: منها ما رواه مسلم من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»<sup>(٢)</sup>، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حلّه فيلبس تاج الكرامة ثم يقول: يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول: يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقال له: اقرأ وارق وتزداد بكل آية حسنة»<sup>(٣)</sup> اهـ . ومن لطيف تلويحات الناظم -رحمه الله- الإيماء بجعل ثمرة القراءة النجاة من النيران الذي هو من لوازم الكرامة الواردة بها الأحاديث إلى أن حظ المكلف من العبادة الخروج من المخالفة والأمن من العقاب، وأما الجزاء فهو بمحض الفضل فتنبه له .

(١) القاموس ١٧١٥ (لظى).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ١٣٣٧ كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة).

(٣) أخرجه الترمذي (رقم ٢٨٣٩ كتاب فضائل القرآن باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح).

[١١١] كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبَيَّضُ الْوَجْوهُ بِهِ مِنْ الْعَصَاةِ وَقَدْ جَاؤُوهُ كَالْحُمَمِ الضمير للآيات. والحوض: معروف، وهو مجتمع الماء ذو الحافات. وأل فيه عهدية، والمعهود حوضه ﷺ. وتبيض الوجوه: كناية عن التنعم الظاهر أثره بحسن البشرة، وتخصيص الوجه: إما لكونه يظهر فيه التنعم وضده، أو هو مجاز عن الذات. والعصاة: جمع عاص. ومن: بيانية على الأول، أو تبعية على الثاني. والحُمَم -كَصُرْدٍ<sup>(١)</sup>-: الفحم واحده بهاء، والمراد من التشبيه: التكنية عن بلوغ الشدة ولهب العطش حتى يتغير البدن، وتسطو حرارة الدم فيسود. والمعنى: أن هذه الآيات في ارتياح القارئ لها، وانسراح صدره بها، وانزياح ظلمة الجهالة عن صدره بتلاوتها، كأنها حوضه ﷺ في تنعم أمته بالورود منه حين يردونه، وقد اشتد بهم عطش الموقف حتى تتغير بشرتهم، فيشربون منه، وقد صار سوادهم بياضاً وبؤس ما يجدونه تنعماً، فالمقصود بيان مزية تلاوة هذه الآيات بما يظهر على تاليها من التنوير في الدنيا، بعد بيان مزيتها في الأخرى، وفي التشبيه استتباع غير خفي -كما قدمناه في خلال الشرح- وتشبيه الانتفاع بالحكم، والمعارف بالري من الماء كثير شائع، ومن السحر فيه قول الشيخ عارف شيخ الإسلام بمحروسة القسطنطينية العظمى:

إن الأئمة كالمناهل في الهدى والناس مثل الوارد الظمان  
والنفس إن رويت بأول مشرب عنيت بلا كره لشرب الثاني<sup>(٢)</sup>

وأحاديث الحوض كثيرة.

(١) قال في القاموس (صرد) ٣٧٤: والصُرْد -بضم الصاد وفتح الراء-: طائر ضخم الرأس يصطاد العصافير، أو هو أول طائر صام لله تعالى، جمعه صردان.

(٢) البيت نسب لأحمد عزت العمري (١٢٤٤ - ١٣١٠ هـ / ١٨٢٨ - ١٨٩٢ م) أحمد عزت باشا بن محمود الفاروقي العمري. شاعر، باحث، من أهل الموصل، رحل إلى الأستانة وولي بعض الأعمال، ثم عين (متصرفاً) في شهرزور فمتصرفاً في الأحساء -وكانت قاعدة نجد- فمتصرفاً في تعز (باليمن) وعاد إلى الأستانة فعكف على التأليف فجمع شعره في (ديوان-خ) كبير (في الخزانة التيمورية) توفي بالأستانة. له: (العقود الجوهريّة -ط) وفيه تراجم بعض شعراء عصره ممن مدحوا أبا الهدى الصيادي، (أحكام الأراضي -ط).



ففي صحيح البخاري عن ابن عمر قال النبي ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه<sup>(١)</sup> كنجوم السماء، من شرب منه لا يظماً أبداً»<sup>(٢)</sup>.

وعن سهل بن سعد<sup>(٣)</sup>: «أني فرطكم على الحوض، من مر عليّ شرب، ومن شرب لا يظماً أبداً، ليردّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم»<sup>(٤)</sup>، قال النعمان بن أبي عياش: وزاد فيها أبو سعيد الخدري<sup>(٥)</sup>: «فأقول إنهم مني فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي»<sup>(٦)</sup> أهـ. والورود على حوضه ﷺ قبل الحساب - كما هو ظاهر الروايات - وفيه أمان من النار - كما لا يخفى -.

هذا وقد حمل شيخ الإسلام قوله: وقد جاؤوه كالحمم على حالة خروج العصاة من النار بالشفاعة وقوفاً مع ظاهر اللفظ ومع المروي في ذلك<sup>(٧)</sup>، فتحرير في بيان مراد الناظم، وشرحه شرحاً غير ملتئم الأطراف فراجعه.

[١١٢] وَكَالصَّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدَلَةٌ فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمْ الصَّرَاطُ: الطريق. والميزان: معروف. والمعدلة - بفتح الدال وتكسر -:

- (١) كيزانه: جمع كوز (أي: إناء)، وهو مشتق من كاز الشيء كوزاً: جمعه (اللسان ٥/٤٠٢).
- (٢) أخرجه البخاري (رقم ٦٠٩٣ كتاب الرقاق باب في الحوض).
- (٣) سهل بن سعد: ( . . . ٩١هـ) الخزرجي الأنصاري من بني ساعدة صحابي من مشاهيرهم من أهل المدينة عاش نحو مائة سنة له في كتب الحديث ١٨٨ حديثاً (الأعلام ٣/١٤٣).
- (٤) أخرجه البخاري (رقم ٦٠٩٧ كتاب الرقاق باب في الحوض).
- (٥) أبو سعيد الخدري: (١٠هـ - ٧٤هـ) سعد بن مالك الخدري الأنصاري الخزرجي صحابي كان من ملازمي النبي ﷺ وروى عنه أحاديث كثيرة غزا (١٢) غزوة وله ١١٧٠ حديثاً توفي بالمدينة (الأعلام ٣/٨٧).
- (٦) في صحيح البخاري (رقم ٦٠٩٧ كتاب الرقاق باب في الحوض).
- (٧) أخرج البخاري (رقم ٦٠٧٥ كتاب الرقاق باب الجنة والنار) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار الناريقول الله: من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حمماً فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل أو قال: حمية السيل وقال النبي ﷺ، ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتوية». وأخرجه مسلم (رقم ٢٧٠ كتاب الإيمان باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار).

العدل، وانتصابه على التمييز المبين لوجه الشبه، والأظهر اختصاصه بالثاني، لاشتهار صفة العدل من الميزان دون الصراط، ومن ثم أعاد أداة التشبيه وحذف وجه الأول لظهوره، وهو الوصول إلى المقصود. والفاء: للتفريع على الثاني على الأظهر. والقسط - بكسر القاف -: العدل، وبفتحها: الجور، تقول: أمر الله بالقسط، ونهى عن القسط<sup>(١)</sup>. وقيام العدل: ظهوره.

والمعنى: أن هذه الآيات الشريفة طريق موصل إلى الهدى لمن تمسك به وعمل بما فيه كالطريق المحسوس الموصل إلى المقصود الذي لا يضل سالكه، وهي المبينة للحقوق والأحكام بياناً عادلاً لا يقع حيف ولا جور به كالميزان المحسوس الذي لا يكون باعتباره جور لكونه أضبط المقادير وأعدلها. وقوله: فالقسط من غيرها إلخ تفريع على التشبيه بالميزان في العدل والمراد بالغير: المغاير لها في جملة أوصافها التي منها أنها كالميزان معدلة، والمراد بالناس: الأمة المخاطبة بها، ولا يخفى أنه لا يمكن العدل فيهم إلا من هذه الآيات.

وشاهده نص الحديث المتقدم في شرح: قرت بها عين قاريها... البيت، ولا يرد عليه السنة والإجماع والقياس من الأدلة الشرعية لرجوع جميعها إلى الكتاب المجيد، إذ هو الأصل الذي بني عليه التشريع، فاندفعت سائر الشكوك. وقد ورى<sup>(٢)</sup> الناظم - رحمه الله تعالى - بالصراط والميزان اللذين في الآخرة، وأحسن في التورية ما شاء خصوصاً مع تقدم الحوض.

(١) القسط: أوسط يُقسط: فهو مقسط إذا عدل، وقسط يُقسط فهو قاسط إذا جار فالهمزة في أوسط للسلب فقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَأَنَّهُمْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥] فهم الجائرون والكفار، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢] فهم العادلون المسلمون (اللسان ٣٧٨/٧).

(٢) التورية لغة: الإخفاء والستر. وفي الاصطلاح: أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد البعيد منهما كقول الشاعر:

رفقاً بخل ناصح      أبليته صداً وهجراً

وأفأك سال دمععه      فرددته في الحال نهراً

فكلمة نهر له معنى قريب وهو النهر الجاري، وبعيد وهو النهر والزجر والطررد وهو المراد (البلاغة العربية ٣٠٩).

ومن الجيد في ذلك ما ذكره في سمط اللاآلي:  
من أعذب ما وقفت عليه فيما للشعراء في ذكر اللمى ما في رفع الإزار عن  
محاسن الجوار:

تقول لما قلت: هذا اللمى أسكرني لما ترشقت فاك:  
سواك ما ذاق لى مسمى أستغفر الله ذكرت السواك  
[١١٣] لا تَعَجَبَنَّ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا تَجَاهُلاً وَهُوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ الْفَهْمِ  
الحسود: صيغة مبالغة من الحسد، وهو تمنى زوال نعمة المحسود ووصولها  
إلى الحاسد.

وقيل: تمنى زوالها وإن لم تصل إليه وهذا أقبح الحالين<sup>(١)</sup>. وراح: بمعنى  
صار، وأصله المصير عشية ثم استعمل في المطلق. والتجاهل: أن يظهر الإنسان  
من نفسه الجهل، وليس بذى جهل، والجهل: ضد العلم. والحاذق: اسم فاعل  
من حذق الرجل عمله - بكسر الذال - حذقاً وحذاقة: أحكمه. والفهم - بكسر  
الهاء - بمعنى العالم، من فهمت الشيء: علمته.

والمعنى: لا غرابة في إنكار من غلب على قلبه الحسد لتلك الآيات الكاملة  
الباهرة البالغة الدرجة العليا في الكمال أي إنكار كونها آية من عند الله توصلاً  
بذلك إلى إنكار تصديق من جاء بها ﷺ، وذلك لما انطبعت عليه النفوس من  
حسد كل ذي نعمة<sup>(٢)</sup> حتى قال أبو تمام:

(١) قال الغزالي في الإحياء ١٦٦/٣: الحسد أربعة:

- ١- أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لا ينتقل إليه وهذا غاية الخبث .
- ٢- أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة فمطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه  
فقد النعمة لا تنعم غيره بها .
- ٣- أن لا يشتهي عينها لنفسه بل يشتهي مثلها فإن عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر  
التفاوت بينهما .
- ٤- أن يشتهي لنفسه مثلها فإن لم تحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا هو المعفو عنه إن كان في  
الدنيا، والمندوب إليه إن كان في الدين . والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية أخص من  
الثالثة والأولى مذموم محض .

(٢) إشارة إلى حديث: «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود» قال =

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود  
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود<sup>(١)</sup>  
اهـ. وقد تلتف ما شاء من أخذ معنى الثاني فقال:

بني جهور أحرقتم بجفائكم جناني فما بال المدائح تعبق  
تعدونني كالعنبر الورد إنما تطيب لكم أنفاسه حين يحرق<sup>(٢)</sup>

اهـ. ثم من لازم الحسد: العلم بالنعمة، ولذا قال: تجاهلاً أي مع أنهم  
تجاهلوا عن حقيقتها، وتعاموا عن رؤية أشعتها، مع كونهم ليسوا من أهل الغفلة  
والجهالة، بل من أهل الفطنة والعلم، وذلك أن المنكر إما العرب أو اليهود، أما  
الأول: فإنهم من النباهة وإدراك الكتاب بالمرتبة التي شهدت بها أخبارهم المتقدم  
نبذة منها، بحيث شهدت أنباؤهم بتسليم إعجازه باطناً وتصديقه ﷺ وأظهروا  
النكير حسداً وعناداً؛ روي أن أبا جهل قال: والله إن محمداً لصادق، ولكن كنا  
وبنو هاشم يطعمون ونطعم، وما فعلوا خصلة إلا وفعلنا مثلها حتى إذا كنا  
كفرسي رهان، قالوا: إنه يأتينا الوحي من السماء، فمن لنا بهذه؟! لا نؤمن به  
أبدأ<sup>(٣)</sup> وأما القسم الثاني: فهم من أهل العلم بالكتاب المبين به مبعثه - عليه  
السلام - وصفته ووقته ومع ذلك أنكروه حسداً لذهاب النبوة من بني إسرائيل<sup>(٤)</sup>

= العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ٣/ ١٦٢: أخرجه ابن أبي الدنيا والطبراني من حديث معاذ بسند ضعيف .

(١) ديوان أبي تمام ٣٩٧/١ .

(٢) البيتان لابن زيدون في ديوانه ص ٦٠ .

(٣) الخبر في سبل الهدى والرشاد ٢/ ٤٧٠ وقال: روى ابن إسحق والبيهقي عن الزهري والذهلي عن سعيد بسند صحيح وذكر نحوه .

(٤) أخرج البخاري كتاب التفسير باب قوله ﴿مَنْ كَانَتْ عِدْوًا لِيَجْزِيلَ﴾ رقم ٤١٢٠: عن أنس قال: سمع عبد الله بن سلام بقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف (يجني) فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي فما أول أشراف الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرني بهن جبريل أنفأ قال: جبريل؟ قال: نعم قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية: ﴿مَنْ كَانَتْ عِدْوًا لِيَجْزِيلَ فَإِنَّهُ نَزَلُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أما أول أشراف الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما =

وقد نعاهم الله بقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

[١١٤] قد تُنكَرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ وَيُنْكَرُ الفَمُ طَعْمَ المَاءِ مِنْ سَقَمٍ  
تعليل لنفي الغرابة والتعجب من حال المنكرين الحاسدين المضمن بالبيت  
قبله. والرمد: داء يصيب العين معروف، يؤذيه مقابلة كل ذي شعاع. والطعم: ما  
يؤديه الذوق. والسقم: المرض.

والمعنى: أن العين الرمداء تنكر ضوء الشمس لعدم إدراكها، والمريض  
لانحراف مزاجه ينكر طعم الماء، وليس ذلك لعدم ضوء الشمس، وعدم طعم  
الماء، وإنما ذلك لسلب الإدراك عن المدرك بسبب العارض، فلا يكون ذلك  
قادحاً فيهما، وما أحسن ما قيل:

ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر<sup>(١)</sup>

= أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا  
سبق ماء المرأة نزعت قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله يا رسول الله إن  
اليهود قوم بهت وإنهم إن تعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني فجاءت اليهود فقال النبي  
ﷺ: أي رجل عبد الله فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال: أرايتم إن أسلم  
عبد الله بن سلام فقالوا: أعاده الله من ذلك فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن  
محمداً رسول الله فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال: فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله.  
(١) نسب البيت لعلي الغراب الصفاقسي، ولمنصور الفقيه؛ علي الغراب (١١٨٣ - ١١٨٣ هـ /  
١٧٦٧ م) علي الغراب الصفاقسي، أبو الحسن. شاعر خلاعي له علم بفقهاء المالكية  
من أهل صفاقس. انتقل إلى تونس واتصل بالأمر علي باشا بن محمد، وصار من خواصه  
ولما قتل علي باشا تحول إلى علي بن حسين باي. ومدحه فعفا عنه وقربه وتوفي بتونس.  
له (مقامات أدبية) و (ديوان شعر - ط) في تونس. أما منصور بن إسماعيل الفقيه ( . . . )  
- ٣٠٦ هـ / . . . - ٩١٨ م) فهو شاعر وفقيه شافعي، ضرير، أصله من رأس العين  
(بالجزيرة) سافر إلى بغداد في شبابه، ومدح بها الخليفة والمعتز ثم سكن مصر وتوفي بها.  
وكان خبيث اللسان في الهجو، ونقل عنه كلام في الدين، وشهد عليه بذلك شاهد، فقال  
القاضي (أبو عبيد) إن شهد عليه ثان ضربت عنقه. فاستولى عليه الخوف ومات. له كتب  
منها: (الواجب)، (المستعمل)، (والهداية) في الفقه، (وزاد المسافر).

والبيت في حاشية البيجوري ص ٣٥ وقبله:

عاب الكلام أناس لا خلاق لهم وما عليه إذا عابوه من ضرر

والمراد: ضرب المثل لإنكار الآيات من الحاسدين، فإن إنكارهم لا يضر رفعة شأنها وعلو رتبها لعارض الحسد، كما لا يضر إنكار الأرمذ للشمس، والسقيم لطعم الماء، وقد: هنا للتحقيق، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] وقوله: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

قال شيخ الإسلام: ولحملها على التعليل معنى لطيف؛ وهو الإيماء إلى قلة الإنكار لأجل الحاسد بالنسبة إلى التصديق من سليم الصدر، كما أن إنكار العين للشمس قليل لقلة الرمذ بالنسبة إلى صحتها، وكذلك ما بعد، ولا يعزب عليك أن المحكوم بقلته هو إنكار العين والفم والرمذ والسقم لبيان محل القلة لا أنهما وصفان معتبران في محل القلة حتى تنكر حينئذ فافهمه، وما ألطف تمثيل الناظم فإن الحسد من الأمراض العظيمة الناشئة عن انحراف المزاج فتسليط القوة الشهوانية مؤثر في هوان البدن أشد تأثير، وذلك بكثرة الهموم والأحزان الواردة كلما التفتت النفس إلى نعم المحسود فيتضاعف الغضب من غير ما ضرر يعود على المحسود، ولا نفع يكون للحاسد، مع ما في ذلك من الخسران الديني من الاعتراض على الحكمة الإلهية وعدم الرضا بقسمة الفاعل المختار، فالحاسد جانٍ على حدقة التوحيد<sup>(١)</sup>، وعلى نفسه بما يجز إليها من الكمد والأحزان،

(١) قال الشاعر:

ألا قل لمن بات لي حاسداً: أتدري على من أسأت الأدب؟!  
أسأت على الله في حكمه إذا أنت لم ترض لي ما وهب  
فكان جزاؤك أن خصني وسد عليك طريق الطلب

قال ابن المعتز:

اصبر على مر الحسود: فإين صبرك قاتله  
فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله  
ولربما نال الفتى بالصبر ما لم يأمله

(ديوان ابن المعتز ٢/٤٠٣ لكن بلفظ: حسد العدو).

وأخرج أبو داود (كتاب الأدب باب في الحسد رقم ٤٢٥٧) أن النبي ﷺ قال: «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب».

وعلى المحسود بما يتمناه له من زوال النعمة، ومن هنا كان الحاسد أظلم الناس، كما قال أبو الطيب:

وأظلم خلق الله من بات حاسداً لمن بات في نعمائه يتقلب<sup>(١)</sup>  
على أحد احتمالين في البيت يظهر ثانيهما لعود ضمير بات على الحاسد فافهمه.

[١١٥] يا خيرَ مَنْ يَمَمَ العافُونَ ساحتَه سَغياً وفَوْقَ مُتُونِ الأيْنُقِ الرُّسْمِ

التفات من الغيبة إلى الخطاب، وتلويح للنظم من باب إلى باب، تحريكاً لنشاط السامع وتنبهياً على أن المعروف بتلك الآيات العظام الدالة على رفعة شأنه جدير بأن يكون نصب عين كل مؤمل، وفيه إيحاء إلى التنويه بأية الإسراء، حيث مهد لها الخطاب، وذكر الأوصاف المناسبة تلويحاً إلى أنه لا تنبغي حكايتها والخطاب في شأنها إلا لصاحبها، واستعمال حرف البعد للدلالة على علو رتبته. ويممته وتيممته: قصدته، ومنه تيمم الصعيد للصلاة. والعافون: جمع عاف وهو طالب المعروف. والساحة: الناحية والفضاء بين الدور. والسعي: المشي. والمتون: جمع متن وهو الظهر وأصله ما يكتنف الصلب عن يمين وشمال فهما متنان أيمن وأيسر. والأينق - بتقديم الياء -: جمع ناقة، والأصل أنوق - بألف فنون فواو مضمومة استثقلوا ضمها فقدموها ساكنة ثم قلبوها ياء -. والرسم - بضم الراء والسين -: جمع رسوم وصف الناقة التي تؤثر في الأرض من شدة الوطاء.

والمعنى: وصفه ﷺ بأنه أفضل مقصود للسؤال لتحقيق أنه بحر الفضل والنوال وأنه أكرم من يمم أعتابه، ورجيت لنيل المراد أبوابه.

والمراد من ذكر قسمي العافين من المشاة والركاب تعميم الإحاطة القاضي بأن أَل في الجمع للاستغراق، فلا يلزم اعتبار حقيقة الحركة الظاهرية وقصر المزية عليها، بل المعنى على إرادة كل أمل ورجاء، سواء بالحركة الظاهرة أو

(١) ديوان المتنبي ٣/٣٠٩ بلفظ: أظلم أهل الظلم.

التوجه القلبي وصرف الهمة إليه، وإن راعيت خصوصية المناسبة للآية المذكورة بعد حملت اللفظ على ظاهره لتمام المناسبة.

وفيه إيماء لطيف إلى أن نيل فضيلة الإسراء وما حصل فيها من المزايا والمكارم مناسبة لما تخلق به ﷺ من أعلى رتبة الكرم البشري حتى كان حقيقاً بأن يسعى إليه كل مؤمل، ومن جنس العمل الجزاء، ولا يعزب عنك تخصيص عموم من بالمخلوق بقريئة المقام.

أما إذا حملنا اللفظ على ظاهره من السعي والساحة وركوب النوق فهو القرينة الواضحة فتنبه.

[١١٦] وَمَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ وَمَنْ هُوَ النَّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُعْتَمِنٍ

الكبرى: تأنيث الأكبر. والمعتبر: اسم فاعل من اعتبرت الشيء إذا صرفت فكرك إليه. والنعمة: رغد العيش واليد والمنة. والعظمى: تأنيث الأعظم. والمعتنم: اسم فاعل من اغتنمت الشيء أخذته غنيمة، وهي الشيء الذي تفوز به.

والمعنى: أنه - عليه الصلاة والسلام - الآية الكبرى الدالة على توحيد الله تعالى وتوحده بصفات الجلال والجمال، وأنه المستحق للعبادة، وذلك أن المراد من بعثة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - الدلالة على توحيد الله تعالى وهداية الخلق لعبادته وإظهار ما أظهر على أيديهم من المعجزات تدعيماً للمراد منهم، ولما كانت آياته ﷺ أعظم الآيات وأكبرها كان هو الآية الكبرى الدالة على ذلك المراد، ثم لما كانت بعثة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - مجرد تفضل من الله ونعمة - كما هو مذهب أهل الحق - كان كل رسول نعمة، ولا محالة فيكون أشرف الرسل وأكرمهم هو النعمة العظمى، وهو مضمون المصراع الثاني، ولا يخفى عليك أن صيغتي التفضيل تقتضيان بالمشاركة في الأصل، والانفراد بالتمزي، وللتنصيص على هذا المراد أعاد كلمة مَنْ للإيماء إلى أن العطف على مدخول حرف النداء فيؤدي المراد، فما توهمه بعضهم من عطف من هنا على من السابقة المسلط عليها لفظ خير مفسد للمعنى؛ إذ التقدير: ويا خير من هو الآية



الكبرى إلخ . وقد علمت أنه خلاف المراد فافهمه، وفي الوصف في البيت مناسبة أيضاً لما يذكر بعد من آية الإسراء، وذكرني قول الناظم: الآية... إلخ قول أبي الطيب في ذم كافور<sup>(١)</sup>، وقد أبدع ما شاء:

ولله آيات وليست كهذه      أظنك يا كافور آيته الكبرى  
لعمرك ما دهر به أنت طيب      أيحسبني ذا الدهر أحسبه دهرا  
[١١٧] سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ      كما سَرَى البَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ  
سرى وأسرى بمعنى سار ليلًا، هذه طريقة جمهور أهل اللغة.

وقال السهيلي<sup>(٢)</sup>: سرى لازم، وأسرى متعد، لكن كثر حذف مفعوله، فظن أهل اللغة أنهما بمعنى واحد، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١] أي أسرى البراق بعبده، فحذف المفعول استغناء عنه، لأن المقصود بالخبر ذكر محمد ﷺ أو حذف لقوة الدلالة عليه.

قال: واتفق الرواة على تسميته إسراء، ولم يقل أحد منهم سرى، واتفق القراء على ﴿أسرى﴾، ولم يقل أحد منهم سرى اه بنقل شيخ الإسلام. والحرم: مكة المعروفة بحرم الله الشامل للمسجد منها وغيره، واختاره عن المسجد الذي ورد به الكتاب ليأتي على كلتا الروايتين في الإسراء، فقد روي عنه -عليه السلام- أنه قال: «بينا أنا في المسجد في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق»<sup>(٣)</sup> الحديث .

وروي أنه ﷺ كان نائماً في بيت أم هانئ بنت أبي طالب<sup>(٤)</sup> بعد صلاة العشاء

(١) كافور الإخشيدي: (٢٩٢-٣٥٧هـ) كافور بن عبد الله أبو المسك الأمير المشهور صاحب المتنبى كان عبداً حبشياً اشتراه الإخشيدي ملك مصر فنسب إليه وأعتقه فترقى عنده حتى ملك مصر كان فطناً ذكياً حسن السياسة أخباره كثيرة (الأعلام ٥/٢١٦).

(٢) الروض الأنف ٢/١٨٧ .

(٣) أخرج البخاري (٢٩٦٨) كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة): بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان وفي رواية (٣٥٩٨) كتاب المناقب باب المعراج): بينما أنا في الحطيم .

(٤) أم هانئ بنت أبي طالب (فاخته أو عاتكة أو فاطمة) الهاشمية أخت علي كانت زوج هبيرة بن عمرو المخزومي ثم فرق بينهما الإسلام وخطبها النبي ﷺ فقالت: والله إني كنت لأحبك =

فأسري به<sup>(١)</sup>، فعلى هذه الرواية يتأول ما في الكتاب المجيد بإرادة الحرم أجمع من لفظ المسجد، إذ كله مسجد. وليلاً: نصب على الظرفية، وتنكيره لإرادة الوحدة، دفعاً لتوهم أن يكون الإسراء لعظمته في ليال ذوات عدد. والمراد بالحرم الثاني: بيت المقدس. والبدر: القمر عند كماله. والداجي: اسم فاعل من دجا الليل دجواً ودجواً: أظلم. ومن الظلم: صفة له للتأكيد.

والمعنى: أن من آياته البينة التي لا سترة في كونها آية: قضية المعراج الثابتة بنص الكتاب المجيد<sup>(٢)</sup>، وأنها متضمنة لآيات كثيرة، فبدأ حكايتها من مبدئها بقوله: سریت أي أنه ﷺ سار في الليل من حرم مكة إلى المسجد الأقصى، الذي لا يتيسر في المعتاد بلوغه إلا بليال ذوات عدد، كسير البدر في الليل الشديد الظلمة، وما ألطف هذا التشبيه، وقد أخذ المصراع الأول من قول نجم الدين عمارة بن أبي الحسن الحكمي حين قدم من مكة إلى مصر يمدح ملكها عيسى بن الظافر العبيدي والعيس التي حملته إليه:

ورحن من كعبة البطحاء والحرم      وفداً إلى كعبة المعروف والكرم  
فهل درى البيت أني بعد فرقته      ما سرْتُ من حرم إلا إلى حرم  
وقد أخذه عبد الحكيم بن الخطيب القرافي إذ قال في رجل وجب عليه  
القصاص فرماه المستوفى له بسهم أصاب كبده:  
أخرجت من كبد القوس ابنها فغدت      تئن والأم قد تحنو على الولد

= في الجاهلية فكيف في الإسلام ولكني امرأة مصيبة فأكره أن يؤذوك فقال: «خير نساء ركبنا الإبل نساء قريش» قال الترمذي وغيره: عاشت بعد علي (الإصابة: رقم ٢٢٨٥، ٨/٣١٧).

(١) عن أم هانئ: ما أسري برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء الآخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر أمهنا رسول الله ﷺ فلما صلى الصبح وصلينا قال: يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون (الشفاء: ٢٤٠) قال المحقق: أخرجه ابن إسحق والطبري ولا يخلو من قده لأن الصلاة فرضت ليلة المعراج فكيف يصلي معهم العشاء والغداة.

(٢) دليل المعراج من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ولقد رآه﴾ (رأى محمد جبريل) ﴿نزلة أخرى عند سدرة المنتهى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر ما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ [النجم: ١٣-١٨].

وما درت أنه لما رميت به ما سار من كبد إلا إلى كبد  
 [١١٨] وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرِكْ وَلَمْ تُرْمِ  
 بات يفعل كذا: فعله ليلاً كما يقال: ظل يفعله إذا فعله نهاراً. وترقى: تصعد  
 من رقيت السلم - بكسر القاف - إذا صعدت فيه، وهو من الأفعال التدريجية - كما  
 رأيت - . والمنزلة: المرتبة. ومن: بيانية. وقاب قوسين: بيان لها، والقاب:  
 المقدار أي مقدار قوسين، وهي كلمة يكنى بها عن شدة القرب كقولهم: هو مني  
 مقعد القابلة، وهو مني معقد الإزار. وإدراك الشيء: بلوغه. ورومه: طلبه.

والمعنى: أنه - عليه الصلاة والسلام - لما بلغ المسجد الأقصى عرج به إلى  
 السماء فبات يصعد في درج الارتفاع إلى أن بلغ مرتبة القرب التي لم يبلغها  
 أحد، ولم تخطر ببال أحد، لعلو شأنها، وبعد شأوها، قال شيخ الإسلام: إنما  
 اقتصر على نفي الماضي، ولم يتعرض لنفي المستقبل اكتفاءً بأن هذا الكلام في  
 تفضيله على من ثبتت نبوته، ولما ثبت بالبرهان كونه نبياً لزم صدقه قطعاً وقد  
 أخبر أنه «لا نبي بعده»<sup>(١)</sup> فلم يشتغل الناظم بالإخبار عن المستقبل اهـ. ثم صريح  
 النظم أن الذي كان قاب قوسين: هو النبي ﷺ وهو الداني المتدلي في آية  
 النجم<sup>(٢)</sup>، روي عن ابن عباس: محمد دنا فتدلى من ربه<sup>(٣)</sup>، وروي أنه - عليه  
 الصلاة والسلام - قال: «فارقني جبريل وانقطعت عني الأصوات وسمعت كلام  
 ربي»<sup>(٤)</sup>، وفي الصحيح: دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين  
 أو أدنى فأوحى إليه بما شاء<sup>(٥)</sup>، وقال جعفر بن محمد<sup>(٦)</sup>: والدنو من الله لا حد

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٦) كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل) ومسلم (٣٤٢٩)  
 كتاب الإمارة باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول).

(٢) قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم: ٩].

(٣) الخبر في الشفا ٢٥٥ وقال: رواه عن الرازي.

(٤) أخرجه البخاري ٦٩٦٣ كتاب التوحيد باب قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (الشفاء ٢٥٤).

(٦) جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين الهاشمي القرشي أبو عبد الله (٨٠-١٤٨هـ)  
 سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية كان من أجلاء التابعين وله منزلة رفيعة في العلم أخذ عنه  
 أبو حنيفة ومالك ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط (الأعلام ٢/١٢٦).

له، ومن العباد بالحدود، وقال أيضاً: وانقطعت الكيفية عن الدنو، ألا ترى كيف حجب جبريل - عليه السلام - عن دنوه، ودنا محمد ﷺ إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان، فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه، وزال عن قلبه الشك والاشتباه، قال القاضي أبو الفضل عياض -رحمه الله تعالى-: اعلم أن ما وقع من إضافة القرب من الله أو إلى الله فليس بدنو مكان، وقرب بدن، وإنما دنو النبي من ربه وقربه منه: إبانة عظيم منزلته، وتشريف رتبته، وإشراق أنوار معرفته، ومشاهدته أسرار غيبه وقدرته، ومن الله تعالى مبرة، وتأنيس وبسط وإكرام<sup>(١)</sup> اهـ.

[١١٩] وَقَدَّمْتُكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا وَالرُّسُلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ قَدَمَتِكَ: أي اعترفت بتقديمك وأذعنت له، وأصله التقدم في الحس، ثم استعمل كثيراً في السبق إلى مراتب العز والشرف، وهو المراد هنا، والضمير في بها للمنزلة في البيت السابق، والباء للسببية. والرسول: عطف على الأنبياء -كما هو الظاهر- وتقديم مخدوم إلخ نصب على المصدرية لبيان النوع، وفيه دلالة على إرادة تقديم الشرف والرتبة والمراد بالمخدوم على خدم الأشرف على الشريف.

والمعنى: أن جميع الأنبياء والرسول اعترفوا بتقديمه ﷺ بتلك المنزلة التي نالها من ربه ليلة الإسراء، وعلموا بها أنه أشرفهم وأكرمهم عند ربه، وذلك بإطلاعهم على منزلته تلك، وما أعلمهم الله بها، كما أشار إلى ذلك أخذ العهد في قوله جل اسمه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ إلى قوله ﴿قَالُوا أَقْرَبْنَا﴾ [آل عمران: ٨١]، وقد وقع في بعض روايات حديث الإسراء: أن جماعة من النبيين أثنوا على الله تلك الليلة فقال النبي ﷺ: «كلكم أثنى على ربه، وأنا مثن على ربي، الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيراً ونذيراً، وأنزل عليّ الفرقان، وفيه تبيان كل شيء، وجعل أمتي خير أمة، وجعل أمتي أمة وسطاً، وجعل أمتي هم الأولون والآخرون، وشرح لي صدري، ورفع لي

ذكرى، وجعلني فاتحاً وخاتماً، فقال إبراهيم عليه السلام: «بهذا فضلكم محمد»<sup>(١)</sup> اهـ. فأقرار إبراهيم بفضيلته وتفضيله على الأنبياء الحاضرين، وهم أفضل بقية الأنبياء -على جميعهم الصلاة والسلام- والأفضل من الأفضل أفضل الجميع، وإذا تذكرت قول الناظم: وكل آي... البيت وقوله: فإنه شمس فضل... البيت وما تقدم في شرحهما انشرح صدرك لما شرحناه به، فإن قيل: هلا حمل التقديم على التقديم في الصلاة، لما ورد في بعض روايات حديث الإسراء أنه ﷺ: صلى بجماعة من الأنبياء<sup>(٢)</sup> فالجواب: أن لفظ جميع زيد لدفع إرادة هذا فافهمه. فإن قيل: قول إبراهيم -عليه السلام- في تلك الرواية: «بهذا فضلكم محمد» إشارة إلى ما حمد به ربه، ربما نافي إرادة التفضيل بالمنزلة. فالجواب: أن ما ذكر من توابع المنزلة التي نالها فلا منافاة. فإن قيل: ما وجه الاختصار على مزية تلك المرتبة، وأن الأنبياء ليقرون بأفضليته مطلقاً؟ فالجواب: أن في اقتصار الناظم على ذلك إيماء لطيفاً إلى أن اعتبارها مزية تفضيل لا ينافي قوله ﷺ: «لا تفضلوني على يونس بن متى» المحمول عند بعض العلماء على معنى نفي المزية بكوني قاب قوسين، وكونه في ظلمات ثلاث، إذ ليس القرب حسياً، وإن كلاً بالنسبة إلى علمه تعالى سواء، ووجه عدم المنافاة أن استواء الرتبين بالنسبة إلى علمه تعالى وقدرته لا ينافي التشريف بالنسبة إلى ما تقتضيه إحدى الرتبين من إظهار الشرف، وإعلان التمزي فافهمه.

(١) رواه البزار وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٧١: رجاله موثوقون إلا أن الربيع بن أنس قال: عن أبي العالية أو غيره فتابعه مجهول. انظر سبل الهدى والرشاد ٣/ ١٢٩.

(٢) أنكر حذيفة بن اليمان أنه ﷺ صلى وقال: ما زايلا ظهر البراق حتى رأيا الجنة والنار ووعد الآخرة أجمع ثم رجعا (الترمذي كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة بني إسرائيل رقم ٣٠٧٢ وقال: حسن صحيح). وفي حديث أبي هريرة في صحيح مسلم (كتاب الإيمان باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال رقم ٢٥١) فحانت الصلاة فأمتهم. قال في سبل الهدى والرشاد ٣/ ١٥٨: تظافت الروايات على أنه ﷺ صلى بالأنبياء قبل العروج فإن قيل: كيف يصلي بهم وهم أموات أجيب أولاً أنهم كالشهداء والشهداء أحياء فلا يبعد أن يحجوا أو يصلوا، ثانياً: المنقطع في الآخرة هو التكليف وقد تحصل الأعمال من غير تكليف على سبيل التلذذ والخضوع.

[١٢٠] وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطَّبَاقَ بِهِمْ فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعِلْمِ  
 الواو: للحال. وأصل مادة الاختراق: من خرق الثوب: شقه ومزقه، وتجاوز  
 به فقيل: خرقت المفازة قطعتها، واخترقت الأرض مررت بها عرضاً على غير  
 طريق - كذا في الأساس -<sup>(١)</sup> والظاهر: الحمل على المجاز بتشبيهه مجاوزة أجرام  
 السماوات بشق الثياب، لما أنها أجسام غير حاجبة، وفي اختياره المادة إيماء إلى  
 خرق العادة في ذلك - بناء على رأي الحكماء في الأفلاك من أنها لا تقبل الخرق  
 والالتئام - والسبع الطباق: السماوات السبع، لكونها واحدة فوق أخرى. وبهم:  
 باؤه للمصاحبة، والضمير للأنبياء، لا بقيد الجميع، إذ المراد خصوص الأنبياء  
 الذين تلقوه في السماوات الآتي ذكرهم في حديث الإسراء - إن شاء الله - كما  
 أن المراد المصاحبة لهم فرادى - كما يدل عليه الحديث الآتي - . والموكب:  
 الجماعة ركبناً أو مشاة أو ركاب الإبل للزينة. والعلم: الراية. وصاحب العلم:  
 كناية عن الرياسة.

والمعنى: وقدمتكم جميع الأنبياء في حال كونك مجاوزاً السماوات السبع في  
 جماعة من الملائكة الكرام اجتمعوا اجتماع زينة اهتماماً بقدمك، كما يفعل  
 بملاقة العظماء، واحترس بقوله: كنت فيه إلخ عن كونه ﷺ في ذلك الموكب  
 أجنبياً منه تلقى به تعظيماً فأفاد بأنه أصيل فيه بل هو عماده، وبه احتفلت زينته،  
 وبهذا يستفاد من النظم أنه أفضل من الملائكة<sup>(٢)</sup>، كما استفيد مما قبله أنه أفضل  
 من الأنبياء، فله دره ما أمتن نظمه - رحمه الله - .

[١٢١] حَتَّى إِذَا لَمْ تَدْعُ شَأوًا لِمُسْتَبِقٍ مِّنَ الدُّنُوِّ وَلَا مَرَقَى لِمُسْتَنِمٍ  
 حتى: غاية لترقى، إذ هو الأصل في الأخبار، ولأنه أعلق بالتدرج من  
 تخترق، مع أنه ذكر قيماً. والشأو: الغاية والأمد. والمستبق: المسابق. والدنو:  
 القرب. والمرقى: جمع مرقاة<sup>(٣)</sup> وهي الدرجة. والمستنم: اسم فاعل من استنم

(١) الأساس ١٠٨ (خرق).

(٢) انظر إتحاف المريد ص ١٨٤ عند قول اللقاني:

وأفضل الخلق على الإطلاق نبينا فمل عن الشقاق

(٣) في حاشية الأصل: قوله والمرقى جمع .. الخ المرقى كما في كتب اللغة موضع الرقي =

أي علا، والمعروف تسنم يقال: تسنم الحائط أي علاه -كذا قال شيخ الإسلام- وهو موافق لما في كتب اللغة<sup>(١)</sup>، فلعل أصل رواية النظم لمستنم بالنون، وكلمة إذا شرطية جوابها خفضت في قوله:

[١٢٢] خَفَضَتْ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ نُودِيَتْ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ

الخفض: الحط ضد الرفع، وعند النحاة: اللفظ المعروف أو الحالة المدلول عليها به. وأصل المقام: موضع القيام، ويتجوّز به عن الرتبة -كما هنا- والإضافة: في الأصل الإمالة إلى الشيء والإسناد إليه، قال امرؤ القيس:

فلما دخلناه أضفنا ظهورنا إلى كل حاري حديد مشطب<sup>(٢)</sup>

وتجوّز به عن الإسناد المعنوي -كما هنا- ومنه الإضافة عند النحاة بمعنى النسبة المخصوصة. نوديت بمعنى دعيت. والرفع: ضد الخفض، وعند النحاة: الحركة أو الحالة المعروفتان. ومثل: كلمة تسوية. والمفرد: الذي لا يماثله أحد في جنسه، من استفرد الشيء أخذه فرداً لا ثاني له ولا مثل، واختار المفرد عن الفرد الشائع في ذلك المراد تكميلاً للتورية. والعلم: سيد القوم والجمع أعلام.

ومعنى البيتين: أنه ﷺ لم يزل راقياً في مقامات العلا حتى إذا بلغ منها المرتبة التي لم تبق بعدها مرتبة وغاية يطمع فيها المتسابق، ويحدث نفسه بها المتسنم الطالب للعلو، ظهر انحطاط كل مقام بسبب تلك النسبة والإسناد الذي بلغه، إذ دعي في ذلك المقام دعاء مصاحباً لرفعة شأنه، وهو الفرد الذي ساد قومه، فلفظة مثل هنا مثلها في قولهم: مثلك لا يبخل، والمراد بالنداء نداؤه للمعراج وللدخول إلى حيث لم يصل له نبي غيره وخصوص النداء بصيغته، فقد روي أنه -عليه السلام- لما وصل إلى العرش، وهو منتهى الكون والمكان، قيل له: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فقال: السلام علينا وعلى عباد الله

= لا جمع مرقاة فإن جمعها مراقي وقوله: فلعل أصل رواية . . الخ هو الذي كتب عليه الشيخ خالد وغيره .

(١) في الأساس (سنم) ص ٢٢١ قال: تسنمت الحائط علوته، وفلان قد تسنم ذروة المعجد ورجل سنيم: عالي القدر وهو سنم قومه .

(٢) ديوان امرئ القيس ٥٣ .

الصالحين، وعن ابن عباس في قوله: ﴿دنا فتدلى﴾ قال: فارقني جبريل فانقطعت الأصوات فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن، ادن اه<sup>(١)</sup>. ودخل في قوله: كل مقام: مقام النبيين والملائكة، وبما بينا من أن المراد به إظهار ذلك لعلو مرتبته يعلم أن ليس المراد الظاهر، وهو حدوث الخفض كما ظهر أن لا حقيقة للنداء النحوي ولا للمفرد العلم المراد من أقسامه عند أرباب صناعته كما ظن شيخ الإسلام فأوسع الكلام في البناء على ذلك فراجعه - إن شئت -.

نعم أحسن الناظم كل الإحسان في التورية بتلك الألقاب الاصطلاحية مع مراعاة النظير، والتورية ظاهرة في تلك الألقاب الاصطلاحية، وهي بجمعها مرشحة، كل واحدة ترشح الأخرى، ومن جيد التورية بألقاب الصناعات النحوية، وإن لم تبلغ حسن هذا النظم فيها<sup>(٢)</sup> قول أبي الحسن الغراب أحد الشعراء التونسيين:

غدا الشوق من دمعي وسقمي مظهراً  
عليّ ولكن فاعل الشوق مضمراً  
وكانت له اليد الطولى في هذا النوع حتى كاد أن يكون غالب شعره إيهاماً  
وتورية بلا تكلف، فمن جيد قوله في ذلك في مליح يجمع حب الزيتون:  
جمعت هوى ظبي وقد كان جامعا  
لزيتونة من فوق أغصانها التوى  
أيا جامع الزيتون الفاتن الورى  
تفضل بمعروف على جامع الهوى

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (الشفاء ٢٥٤).

(٢) مما ورد من ذلك قول ابن عنين يشكو تأخره:

كأنني من أخبار إن ولم يجز  
له أحد في النحو أن يتقدما  
(شرح قطر الندى ١٨٥).

وكقول ابن حزم الظاهري (المغني ٢/٦٦٧):

تجنب صديقاً مثل (ما) واحذر الذي  
فإن صديق السوء يزري وشاهدي  
وكقول الآخر (المغني ٢/٦٦٧):

عليك بأرباب الصدور فمن غدا  
مضافاً لأرباب الصدور تصدرا  
وتنحط قدراً من علاك وتحقرا  
فإياك أن ترضى بصحبة ناقص  
يسين قولي مغرباً ومحذرا  
فرفع (أبو من) ثم خفض (مزمّل)



ومن جيد مراعاة النظر ما تقدم صدر الشرح من قول ابن رشيق:  
 أصح وأقوى ما سمعناه في الندى من الخبر المأثور منذ قديم  
 أحاديث ترويهما السيول عن الحيا عن البحر عن كف الأمير تميم<sup>(١)</sup>  
 [١٢٣] كَيْمًا تَفُوزَ بَوْصِلِ أَيِّ مُسْتَتِرٍ عَنِ الْعُيُونِ وَسِرِّ أَيِّ مُكْتَتَمِ  
 كي: حرف جر، معناه التعليل كاللام، والفعل بعدها منصوب بأن مقدره،  
 وقد تدخل عليها اللام فتكون مصدرية ناصبة بنفسها. وما: زائدة. والفوز: الظفر  
 بالمطلوب. وأي: صفة دالة على الكمال، تضاف إلى مثل موصوفها تقول:  
 مررت برجل أي رجل، أي كامل في وصف الرجولية، وقد يحذف موصوفها -  
 كما هنا- إذ التقدير بوصل مستتر أي مستتر تميمياً لأصل استعمالها، ولا يلزم  
 هذا التقدير في أي مكتم، فإن السر مما يماثل معنى الكتمان والمماثلة ولو معنى  
 كافية في صحة استعمالها يقال: مررت برجل أي فتى. والاستتار: الاحتجاب.  
 وعن العيون: يتعلق به. والمكتم: المخفي.

والمعنى: كان ما كان من الترقى ونيل المنزلة والوصول إلى مرتبة انحطت  
 عنها جميع الرتب، لتنال الوصل المستتر أكمل استتار عن عيون كل الأغيار،  
 وتظفر بالسر المكتوم الذي لم يطلع عليه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فيتحقق  
 مقام المحبوبة بلا ريب، فإن شأن وحال المحبوب الاستتار لإظهار مكانته  
 بالانفراد، ولله در الفارضي، إذ يقول على لسان الحضرة المحمدية:  
 ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا سر أرق من النسيم إذا سرى<sup>(٢)</sup>

(١) ديوان ابن رشيق ١٧٠ .

(٢) ديوان ابن الفارض ١٩٦ قال فيها:

وإزحم حشئ بلظى هواك تسعرا  
 فاسمخ ولا تجعل جوابي لن ترى  
 صبراً فحاذر أن تضيق وتضجرا  
 صيباً فحقتك أن تموت وتعدرا  
 بعدي ومن أضحى لأشجاني يرى  
 وتحذثوا بصبابتي بين الورى  
 سر أرق من النسيم إذا سرى =

زذني بفرط الحب فيك تحيرا  
 وإذا سألتك أن أراك حقيقة  
 يا قلب أنت وعدتني في حبتهم  
 إن الغرام هو الحياة فمئت به  
 قل للذين تقدموا قبلي ومن  
 عني خذوا وبني اقتدوا ولي اسمعوا  
 ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا

وقد وقع التصريح بما أفاده ذلك التلويح عن الوصول إلى سدرة المنتهى، كما في رواية أبي هريرة رضي الله عنه من طريق الربيع بن أنس<sup>(١)</sup> رضي الله عنه قال الله تعالى للنبي ﷺ: سل فقال: «إنك اتخذت إبراهيم خليلاً وأعطيته ملكاً عظيماً، وكلمت موسى تكليماً، وأعطيت داود ملكاً عظيماً، وألنت له الحديد، وسخرت له الجبال، وأعطيت سليمان ملكاً عظيماً، وسخرت له الجن والإنس والشياطين والرياح، وأعطيته ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل، وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص، وأجرته وأمه من الشيطان الرجيم، فلم يكن له عليهما -عليهما السلام- سبيل فقال له ربه: قد اتخذتك حبيباً، فهو مكتوب في التوراة: محمد حبيب الرحمن، وأرسلتك إلى الناس كافة، وجعلت أمتك هم الأولون وهم الآخرون، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي، وجعلت أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً، وأعطيتك سبعاً من المثاني لم أعطها نبياً قبلك، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي، لم أعطها نبياً قبلك، وجعلتك فاتحاً وخاتماً»<sup>(٢)</sup>. فكانت أول مزية في هذا الحديث مزية المحبوبة التي شهد لها الحال، وروي أنه ﷺ لما عبر بكى موسى -عليه السلام- وقال: صُدَّ شيخ، ورُفِعَ شاب فقيل له:

= وَأَبَاحَ طَرْفِي نَظْرَةَ أَمَلْتُهَا  
فَدُهُشْتُ بَيْنَ جَمَالِهِ وَجَلَالِهِ  
فَأَذِرْ لِحَاظِكَ فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهِ  
لَوْ أَنَّ كُلَّ الْحُسْنِ يَكْمُلُ صُورَةَ  
فَعَدَوْتُ مَعْرُوفاً وَكُنْتُ مُنْكَرًا  
وَعَدَا لِسَانُ الْحَالِ عَنِّي مُخْبِرًا  
تَلَقَى جَمِيعَ الْحُسْنِ فِيهِ مُصَوِّرًا  
وَرَأَهُ كَانُ مَهْلَأًا وَمُكَبَّرًا

(١) الربيع بن أنس: من بكر بن وائل وكان من أهل البصرة وقد لقي ابن عمر وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وكان هرب من الحجاج فأتى مرو فسكن قرية منها يقال لها برز ثم تحول إلى قرية أخرى منها يقال لها سدور فكان فيها إلى أن مات وقد كان طلب أيضاً بخراسان حين ظهرت دعوة العباس فتغيب فتخلص إليه عبد الله بن المبارك وهو مختف فسمع منه أربعين حديثاً وكان عبد الله يقول: ما يسرني بها كذا وكذا لشيء سماه ومات الربيع بن أنس في خلافة أبي جعفر المنصور. (الطبقات الكبرى ٣٦٩/٧).

(٢) رواه البزار وقال الهيثمي ٧١/١: رجاله موثوقون إلا أن الربيع بن أنس قال: عن أبي العالية أو غيره فتابعه مجهول.

إنه الحبيب<sup>(١)</sup>، وأما السر المشار إليه في البيت فهو العلوم الربانية والأسرار القدسية التي ملأ ربه بها قلبه حتى صار مدينة العلم<sup>(٢)</sup>، ولتهويل شأن ذلك جاء الإبهام في قوله جل اسمه: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيَّ عَبْدِي مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]. روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «علمني ربي ليلة الإسراء علوماً شتى، فعلم أخذ عليّ كتمانها، وعلم خيرني فيه، وعلم أمرني أن أبلغه» وهو قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وكان ﷺ يسر إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي -رضي الله عنهم- ما خيره فيه ربه، كما كان يسر إلى حذيفة رضي الله عنه من علم الحدثن وعلم المنافقين<sup>(٣)</sup>، وفي الصحيح من حديث حذيفة رضي الله عنه: حفظت من رسول الله ﷺ علمين: أما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم<sup>(٤)</sup>. وأنت تعلم بتقسيم حديث ابن عباس أن لا إشكال فيما أخفى ﷺ فاندفعت الظنون التي ذكرها شيخ الإسلام.

[١٢٤] فَحُزَّتْ كُلُّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرِكٍ وَجُرَّتْ كُلُّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمٍ

حوز الشيء: ضمه إلى النفس. والفخار -بفتح الفاء-: مصدر فخر يفخر فخراً إذا تمدح، وبالكسر مصدر فاخرته ففخرته إذا صرت أكثر منه فخراً. ومشارك - بفتح الراء-: اسم مفعول صلته محذوفة أي غير مشترك فيه. وغير: نصب على الحال من ضمير الفاعل. والجواز: تعدي الشيء وقطعه، والمراد هنا

(١) في سبل الهدى ١٢٦/٣: فلما جاوزه النبي ﷺ بكى فقال له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث من بعدي يدخل الجنة معه أمته أكثر مما يدخل الجنة من أمتي ويزعم بنو إسرائيل أنني أكرم بني آدم على الله وهذا رجل من بني دم خلفي في دنيا وأنا في آخرة فلو أنه بنفسه لم أبال ولكن معه كل أمته.

(٢) إشارة إلى حديث: «أنا مدينة علم وعلي بابها» رواه الحاكم في المستدرک ١٣٧/٣، رقم ٤٦٣٧.

(٣) قال أبو الدرداء في البخاري (كتاب المناقب باب مناقب عمار وحذيفة ٣٤٦٠): أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره يعني حذيفة.

(٤) الحديث في صحيح البخاري (١١٧ كتاب العلم باب حفظ العلم) لكنه مروى عن أبي هريرة لا عن حذيفة.

لازم ذلك، وهو الحلول. وازدحم القوم على كذا: تضايقوا، والصيغة كمشترك.

ومعنى هذا البيت: كالفذلكة<sup>(١)</sup> لما تقدم والنتيجة له، ولهذا صدره بالفاء، ومعناه: أنه علم مما تقدم أنه ﷺ نال كل فخار من دون مشاركة، ووصل كل مقام من غير مزاحم، ولا يخفى تقييد كل بما يلائم المخلوق، هذا ظاهر النظم، غير أنه يرد عليه أن نفى الشركة في كل فرد من أفراد الفخار، ونفي المزاحمة في كل فرد من أفراد المقامات بين المخالفين للواقع، فكثيراً ما شاركه غيره من الأنبياء والملائكة في بعض أفراد الفخار والمقامات. وأجاب شيخ الإسلام: بحمل الكلية على المجموع، كما يقال: كل الناس يحمل الصخرة العظيمة، وهو وإن كان مصححاً لكنه خلاف الظاهر مع أنه لا كبير مدح عليه، وعندني أن قوله: غير في الأول: صفة فخار، وفي الثاني: صفة مقام، والضمير المستكن عائد على الموصوف على طريق الحذف والإيصال، والمعنى حزت كل فخار لا اشتراك فيه، وجزت كل مقام لا ازدحام فيه، فيكون مدحاً عالياً، إذ يقتضي المشاركة والانفراد، وهو المراد، فتدبره فإنه الملاقي لما تقدم، وما ذكره بعد في قوله:

[١٢٥] وَجَلَّ مَقْدَارُ مَا أُوْلِيَتْ مِنْ رُتَبٍ وَعَزَّ إِذْرَاكُ مَا أُوتِيَتْ مِنْ نِعَمٍ  
 جلّ: عظم. ومقدار الشيء: مبلغه. وولي الأمر: ولاية صار والياً عليه.  
 والرتبة: المنزلة وكذا المرتبة. وعز الشيء يعز عزاً وعزة وعزازة: قلّ، لا يكاد يوجد، فهو عزيز. وأوليته الإحسان: أوصلته إليه.

ومعنى البيت: واضح وهو مضمون سابقه على عكس ترتيبه، إلا أن الأول أفاد أنه ﷺ حصل على الأمرين فيه، وأفاد بهذا الإنباء عن عظم شأن دينك الأمرين فكان لكل معنى.

وأصل قصة الإسراء التي عقد الناظم فيها هذه الأبيات ثابت بنص الكتاب قال -جل ثناؤه-: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ

(١) الفذلكة: النتيجة، مأخوذة من قولهم: فذلك.

الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴿١﴾ [الإسراء: ١]. وفي الصحيح عن ثابت البناني عن أنس بن مالك - وهو أجود طريق في رواياتها- أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل: اخترت الفطرة، ثم عرج بي إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال محمد قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا بآدم ﷺ فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا -صلى الله عليهما وسلم- فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فذكر مثل الأول ففتح لنا فإذا أنا بيوسف -عليه السلام- وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة وذكر مثله فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فذكر مثله فإذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فذكر مثله فإذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فذكر مثله فإذا أنا بإبراهيم -عليه السلام- مسنداً ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا أوراقها كأذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب حط عن

أمتي فحط عني خمساً فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمساً قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف قال: ولم أزل أرجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرأ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه شيئاً فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله ﷺ قلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه<sup>(١)</sup> انتهى قال القاضي عياض -رحمه الله تعالى- لم يأت أحد غير ثابت بأصوب من هذا، وقد خلط فيه غيره عن أنس تخلیطاً كثيراً اه<sup>(٢)</sup> وقد وقعت في أحاديث الإسراء زيادات كثيرة ذكرنا ما أشار إليه الناظم منها في شرح أبياته المتقدمة.

واعلم أن مذهب معظم السلف والمسلمين: أن الإسراء بجسده ﷺ يقظة قال عياض<sup>(٣)</sup>: وهو الحق وهو قول ابن عباس -رضي الله عنهما- وكثير من الصحابة، وقيل: بالروح مناماً، ومن حجتهم: ما حكوا عن عائشة -رضي الله عنها-: ما فقدت جسد رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup> وهي حكاية موهونة، إذ لم تكن عائشة -رضي الله عنها- زوجة له ﷺ زمن الإسراء، لأنه وقع قبل الهجرة قيل: بخمسة أعوام، قال عياض<sup>(٥)</sup>: وهو الأشبه، وقيل: قبلها بعام، وكانت عائشة في الهجرة بنت ثمانية أعوام، ولم يدخل بها ﷺ إلا بالمدينة، قال عياض: وهذا كله يوهن المنقول عنها بل الذي يدل على صريح قولها: أنه بجسده لإنكارها أن تكون رؤياه لربه رؤيا عين، ولو كانت عندها مناماً لم تنكره انتهى<sup>(٦)</sup>.

(١) الحديث في صحيح مسلم (رقم ٢٣٤ كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات).

(٢) الشفا ٢٢٩ .

(٣) الشفا ٢٣٩ .

(٤) أخرجه ابن إسحق في السيرة لكنه سند فيه جهالة (الشفا ٢٣٧).

(٥) الشفا ٢٤٤ .

(٦) الشفا ٢٤٤ .

تنبيهه: وقع للقاضي عياض في القول بأن الإسراء بجسده ﷺ بعدما نسبه لجماعة ما نصه: "وهو دليل قول عائشة -رضي الله عنها-"<sup>(١)</sup> انتهى.

فوقع في الوهم أن المراد بذلك في المحكي عنها بقولها: ما فقدت جسد رسول الله ﷺ فاعترض قوله: وهو دليل قول عائشة -رضي الله عنها- إلخ بقوله: كيف يكون إسراء يقظة دليل قول عائشة: ما فقدت جسده الشريف الدال على أنه منام<sup>(٢)</sup> لا يقظة، وهذا عجيب، فهذا سهو منه بلا ريب. قال الشهاب: لاشك أنه وارد، وأن كلامه لا يخلو من إشكال اهـ<sup>(٣)</sup>.

وأنت تعلم أن ليس المراد بقول عائشة ما وهموا فيه، ومراده هو قولها بإنكار الرؤية البصرية -كما أوضحه القاضي- فله الكمال. وفي بعض طرق حديث الإسراء أنه ﷺ قبض على يديه فنودي: يا محمد افتح يدك فقال: إلهي في إحدى يدي حسنات أمتي وفي الأخرى سيئاتهم فنودي: يا محمد افتح يدك فقد قبلنا حسناتهم وغفرنا سيئاتهم. ولما أراد الانصراف قال: رب إن لكل قادم من سفره تحفة فما تحفة أمتي؟ قال: أنا لهم ما عاشوا، وأنا لهم إذا ماتوا، وأنا لهم في القبور، وأنا لهم في النشور<sup>(٤)</sup> انتهى. فهنيئاً لنا بهذه التحفة العظمى، وكانت لنا بهذا المصطفى المزية الكبرى، فحق لنا إظهار كمال السرور والإعلان بالبخارة أداء لحق النعمة. وكان من أجمل الكلام موقعاً قوله عقيب هذا:

[١٢٦] بُشْرَى لَنَا مَعْشَرَ الْإِسْلَامِ إِنْ لَنَا مِنَ الْعِنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِمٍ

بشرى: مصدر بشرته وبشرته -مخففاً ومشدداً- إذا أخبرته أولاً بما يسره، فلا تكون إلا في الخير، ولا تطلق على الإخبار الثاني، وأما: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]، [التوبة: ٣٤]، [الانشقاق: ٢٤]. فعلى التجوز. والمعشر: الجماعة. والإسلام لغة: الانقياد، وفي الشرع: ما تضمنه حديث

(١) الشفاء ٢٤٤.

(٢) في الأصل منام والصواب: منام كما لا يخفى.

(٣) شرح الشفاء ٢/٢٨٢.

(٤) لم أجد الحديث فيما بين يدي من المراجع.

جبريل الثابت في الصحيحين<sup>(١)</sup>، وفي كونه مرادفاً للإيمان أم لا الكلام الطويل المعروف في أصول الدين وأصول الفقه<sup>(٢)</sup>.

(١) في صحيح البخاري (رقم ٤٤٠٤ كتاب تفسير القرآن باب قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾) وفي صحيح مسلم (رقم ٩ كتاب الإيمان باب الإيمان والإسلام والإحسان) عن عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً قال: صدقت قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه قال: فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال: صدقت قال: فأخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال: فأخبرني عن الساعة قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل قال: فأخبرني عن أمارتها قال: أن تلد الأمة ربثها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان قال: ثم انطلق فلبث ملياً ثم قال لي: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم .

(٢) قال الشيخ محي الدين عبد الحميد في حاشية إتحاف المرید ص ٥٧: يختلف العلماء اختلافاً طويلاً في الإيمان والإسلام: لفظان يدلان على معنى واحد أم أن لكل واحد من هذين اللفظين حقيقة شرعية تغاير حقيقة اللفظ الآخر ونريد أن نبين لك مذاهب العلماء في هذه المسألة ونبين لك مع ذلك أرجحها بدليله في كلام واضح الدلالة على ما نريد فنقول: ذهب جمهور العلماء إلى أن الإيمان والإسلام لفظان مأل معناهما إلى شيء واحد منهما وإن لم يكونا مترادفين بالمعنى المفهوم من الترادف يصيران إلى معنى واحد وبيانه أن الموضوع لنحو قولك آمنت بما جاء به محمد ﷺ أنك صدقت به وأذعنت له ولم يكن في قلبك شك في صحته، والمعنى الموضوع لنحو قولك أسلمت بما جاء به محمد ﷺ أنك أسلمت به وأنقذت له وخضع له قلبك وخشعت له جوارحك ولا يظهر بين هذين المعنيين كبير فرق لأن المعنيين جميعاً يرجعان إلى معنى الاعتراف والانقياد والإذعان والقبول والرضا وبالجملة لا يعقل بحسب الشرع وجود مؤمن ليس بمسلم ولا وجود مسلم ليس مؤمن فإن عبر واحد من الناس عن الإيمان والإسلام بأحداهما مترادفان فإنما يريدان هذا المعنى. وذهب الجمهور من الأشاعرة والحشوية وبعض المعتزلة إلى أن حقيقة الإيمان شرعاً غير حقيقة الإسلام. والذي نختاره في هذا الموضوع أن الإيمان والإسلام متحدان على معنى أن المراد منهما في الشرع شيء واحد وأنها متساويان في الوجود فكل من اتصف بأحدهما فهو متصف بالآخر وهو الذي قررناه أولاً ويدل لصحة هذا المذهب ثلاثة أمور: الأمر الأول: أننا نجد النصوص =



الشرعية في القرآن الكريم والحديث النبوي تضع لفظ الإيمان في موضع الإسلام وبالعكس وهذا يدل على اتحاد اللفظين في المراد منهما شرعاً وذلك نحو قوله تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ آسَلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وقوله جل ذكره ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَنَحْنُ لِمُؤْمِنُونَ﴾ . الأمر الثاني: أنه لو كان الإيمان غير الإسلام لم يصح استثناء أحدهما من الآخر لكنه قد صح في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ دلت هذه الآية على كون المراد منهما متحداً ولولا ذلك لم يستقم الاستثناء لأن المراد من المسلمين والمؤمنين رجل واحد وهو لوط فإن هذه الآية نزلت في حق قوم لوط حين أراد إهلاكهم فأمر الملائكة بأن يخرجوا لوطاً قبل إيقاع العذاب بقومه . الأمر الثالث: لو كان الإيمان غير الإسلام لم يكن الإيمان مقبولاً ممن يبتغيه لقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ وقد أجمعت الأمة على الإيمان مقبول ممن يبتغيه فكان هذا دليلاً على أن المراد بالإيمان والإسلام واحد . وقال الذين ذهبوا إلى أن الإيمان والإسلام متغايران: الدليل على ما ذهبنا إليه من ثلاثة وجوه: الوجه الأول: أن النبي ﷺ قد بين حقيقتيهما لجبريل بمشهد من الصحابة وجعل لكل واحد منهما حقيقة تخالف حقيقة الآخر فقال «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء القدر» وقال «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً» . ويجاب عن هذا الوجه: بأن اختلاف البيان لأن السؤال الثاني إنما كان عن شرائع الإسلام أحكامه المشروعة التي هي الأساس وهي بعينها شرائع الإيمان وعلى هذا يكون الإيمان والإسلام معناهما واحد وهو ما ذكره لجبريل في بيان حقيقة الإيمان وتكون شرائعهما ما ذكره في الجواب ويدل لهذا أمران: الأول أن النبي ﷺ فسر الإيمان لقوم وفدوا عليه بما فسر به الإسلام لجبريل وذلك قوله «أتدرون ما الإيمان بالله وحده» قالوا: الله ورسوله أعلم فقال «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس» ، ومثل هذا قوله ﷺ «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق» ، والثاني: أن النبي ﷺ قال لعمر بعد بيانه «هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم» . الوجه الثاني: من أدلتهم أن القرآن قد عطف أحدهما على الآخر والمعطوف غير المعطوف عليه وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ وقوله سبحانه ﴿فَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ فدل ذلك على أن الإيمان والإسلام متغايران وهذا ويجاب عن هذا بأننا نسلم تغايرهما في المفهوم منهما بحسب الأصل وهذا التغاير هو الذي صحح عطف أحدهما على الآخر لكن ذلك لا يفيدكم لأننا نقول بتغايرهما بحسب الأصل نذهب إلى أنهما متحدان في المآل وفيما تقصد الشريعة من كل منهما . الوجه الثالث: من أدلتهم أن الله أثبت الإسلام =

وركن الشيء: جانبه الأقوى، ويتجاوز به عن العز والمنعة، يقال: فلان يأوي إلى ركن شديد<sup>(١)</sup> أي إلى عز ومنعة.

والمعنى: لما تبين من رتبته ﷺ ما تبين، وشرح من مقامه وما فضله الله به مما شملته قصة الإسراء الذي منه إظهار فضله وتمزيه على كل نبي مرسل وكان من البين أن شرف المتبوع يستدعي شرف التابع، فلا جرم كانت أمة الإجابة، وهم معاشر الإسلام، جديرين بالبشرى والسرور، وحقيقين بالفرح والحبور، حيث كان انتسابهم إلى ذلك المقام المعظم شأنه الدال ذلك الانتساب على كمال عناية الله بهم، ولله در الإمام الشافعي إذ يقول:

ومما زادني شرفاً وتيهاً      وكدت بأخمصي أطأ الثريا  
دخولي تحت قولك: يا عبادي      وأن صيرت أحمد لي نبيا<sup>(٢)</sup>  
[١٢٧] لَمَّا دَعَا اللّٰهَ دَاعِيَنَا لِطَاعَتِهِ      بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ

دعا: ساق. وداعينا: ما يدعونا إلى الخير أو الشر، من العقل أو النفس، شبه حمل أحدهما الإنسان على إحدى الحالتين: بالداعي إليها، وقد شاع: لفلان داع لكذا إذا كان له باعث من نفسه عليه، وضمير المتكلم مع غيره مراد به معشر

= لبعض الناس ونفى عنهم الإيمان وذلك قوله سبحانه: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلٌّ لِّمَ تُوْمِنُوْا وَلَكِن قُوْلُوْا أَسْلَمْنَا﴾ ولو كان الإيمان والإسلام يدلان على شيء واحد لكان نفي أحدهما نفيًا للآخر وإثبات أحدهما إثباتاً للآخر. ويجب عن هذا بأن لا نسلم أن الله أثبت لهؤلاء الأعراب الإسلام الذي نقول إنه متحد من الإيمان لأن الإسلام الذي ندعي أنه متحد مع الإيمان هو المعتبر شرعاً في الدنيا والآخرة وهو الإسلام ظاهراً وباطناً وأما الإسلام الظاهر فلا نقول باتحاده مع الإيمان ولا نقول إنه نافع منج من عذاب الآخرة ألا ترى أن الزنديق قبل الاطلاع على حاله يحكم بإسلامه وإيمانه وبعد الاطلاع على حاله يحكم بنفي الإسلام والإيمان عنه والذي أثبتته الله لهؤلاء الأعراب هو الإسلام الظاهري فقط وهو يتنافى مع كل من الإيمان والإسلام المعتبر شرعاً ولو قيل لا تقولوا آمنا ولا أسلمنا إسلاماً نافعاً منجياً من عذاب الآخرة ولكن قولوا أسلمنا إسلاماً ظاهرياً غير نافع ولا منج لما تناقض والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم.

(١) ومنه قول إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم: ﴿أُوْىِٕ إِلَى رُكْنٍ شَدِيْدٍ﴾ [هود: ٨٠].

(٢) لم أجده في ديوان الشافعي.

الإسلام المتقدم الذين هم أمة الإجابة وضمير الغيبة المضاف إليه الطاعة للنبي ﷺ، وبأكرم إلخ يتعلق بالفعل بعده، والمراد بأكرم الرسل هو المراد بالضمير، أعاده بالظاهر على خلاف مقتضى الظاهر تصريحاً بوصفه الذي هو سبب وصف أمته بعد.

والمعنى: لما ساق الله الباعث من أنفسنا، الذي هو مناط التكليف، وهداه إلى طاعته ﷺ التي هي طاعة الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨] كنا معشر الإسلام المجيبين المطيعين بإجابة أكرم الرسل أكرم الأمم، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] وأما كونه -عليه الصلاة والسلام- أكرم الرسل فمما لا يحتاج إلى دليل، وفي قوله: داعينا إيماء لطيف إلى سبقية العناية الربانية بمن أراد الله هدايته، وأن ما برز للخارج تابع للقدر السابق، وأن كلاً ميسر لما خلق له -كما صرح به الحديث الصحيح-. هذا ولشيخ الإسلام محمل للبيت تنافرت به معانيه وأشكلت عليه مبانيه فراجعه مع التأمل لتعلم ما فيه.

[١٢٨] رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَا أَنْبَاءً بِعَثْتِهِ كَنْبَاءً أَجْفَلَتْ عُفْلًا مِنَ الْغَنَمِ  
 راعه يروعه روعاً: أفزعه . وأل في العدا جنسية . والأنباء: الأخبار . والبعثة  
 -بكسر الباء-: الإرسال . والنبأة: الصوت، وقيل: الخفي . وجفلت الغنم  
 وأجفلت: أسرع في الهروب، وأجفلها غيرها: صيرها جافلة . والغفل: جمع  
 غافل . والغنم: اسم جنس مؤنث، يطلق على الذكر والأنثى .

والمعنى: أن أخبار مبعثه ﷺ التي صدرت من الكهان والمنجمين وغيرهم أفزعت قلوب الأعداء لدينه لما كانوا يسمعون أن دينه سيظهر على كل دين وأنه يسفه أحلامهم، ويبيد ضلالهم، ويضع السيف في رقاب مخالفه، فتحيروا لذلك أشد التحير، وذهبوا كل مسلك يروونه منجياً من أمره، مذبذبين لا يدرون أين المقصد النافع، كما هو شأن غفل الغنم إذا سمعت صوتاً مفزعاً فتنفر شذر مذر<sup>(١)</sup> ولات حين مفر، ومصداق قوله: حكايات كثيرة تضمنتها كتب السير والحديث:

(١) قال في القاموس (شذر) ٥٣١: تفرقوا شذرمذر ويكسر أولهما: ذهبوا في كل وجه.

منها ما في صحيح البخاري من حديث أبي سفيان<sup>(١)</sup> حين أرسل إليه هرقل في ركب من قريش، وسأله عن أمر رسول الله ﷺ قال أبو سفيان: فلما فرغ هرقل من قراءة كتاب رسول الله ﷺ الذي بعثه إليه مع دحية<sup>(٢)</sup>، وأخرجنا كثر عنده الصخب، وارتفعت الأصوات فقلت لأصحابي: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة<sup>(٣)</sup> - يعني النبي ﷺ - كناه بذلك، لأن بعض أجداده لأمه يسمى أبا كبشة، - إنه ليخافه ملك بني الأصفر<sup>(٤)</sup> قال أبو سفيان: فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام اه<sup>(٥)</sup>.

(١) أبو سفيان (٥٧هـ - ٣١هـ) صخر بن حرب صحابي من سادات قريش في الجاهلية وهو والد معاوية رأس الدولة الأموية وهو من رؤساء المشركين في حرب الإسلام عند ظهوره قاد قريشاً وكنانة يوم أحد والخندق وأسلم يوم فتح مكة سنة ٨هـ وأبلى بعد إسلامه بلاء حسناً وشهد حنيناً والطائف فقتل عينه يوم الطائف ثم الأخرى يوم اليرموك فعُمي وكان من الشجعان الأبطال وتوفي في المدينة (الأعلام ٣/٢٠١).

(٢) دحية: (... - نحو ٤٥هـ / ... - ٦٦٥م) دحية بن خليفة صحابي بعثه النبي ﷺ برسالته إلى قيصر يدعو إلى الإسلام وحضر كثيراً من الوقائع وكان يضرب به المثل في حسن الصورة وشهد اليرموك فكان على كردوس ثم نزل دمشق وسكن المزرة وعاش إلى خلافة معاوية (الأعلام ٢/٣٣٧).

(٣) قال ابن حجر في فتح الباري ١/٤٠: ابن أبي كبشة أراد به النبي ﷺ لأن أبا كبشة أحد أجداده، وعادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جد غامض، قال أبو الحسن النسابة الجرجاني: هو جد وهب جد النبي ﷺ لأمه. وهذا فيه نظر، لأن وهباً جد النبي ﷺ اسم أمه عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال، ولم يقل أحد من أهل النسب: إن الأوقص يكنى أبا كبشة. وقيل: هو جد عبد المطلب لأمه، وفيه نظر أيضاً لأن أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد الخزرجي ولم يقل أحد من أهل النسب: إن عمرو بن زيد يكنى أبا كبشة. ولكن ذكر ابن حبيب في المجتبى جماعة من أجداد النبي ﷺ من قبل أبيه ومن قبل أمه كل واحد منهم يكنى أبا كبشة، وقيل: هو أبوه من الرضاة واسمه الحارث بن عبد العزى قاله أبو الفتح الأزدي وابن ماكولا، وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن أبيه عن رجال من قومه أنه أسلم وكانت له بنت تسمى كبشة يكنى بها، وقال ابن قتيبة والخطابي والدارقطني: هو رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان فعبد الشعري فنسبوه إليه للاشتراك في مطلق المخالفة، وكذا قاله الزبير، قال: واسمه وجز بن عامر.

(٤) بنو الأصفر: هم الروم، ويقال: إن جداهم روم بن عيص تزوج بنت ملك الحبشة فجاء لون ولده بين البياض والسواد فقيل له: الأصفر، حكاه ابن الأنباري. وقال ابن هشام في التيجان: إنما لقب الأصفر لأن جدته سارة زوج إبراهيم حلتها بالذهب. (فتح الباري ١/٤٠).

(٥) أخرجه البخاري (رقم ٦ كتاب الإيمان باب بدء الوحي) ومسلم (رقم ٣٣٢٢ كتاب الجهاد والسير باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل) عن عبد الله بن عباس أن أبا سفيان أخبره أن هرقل =

أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مآذ فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسباً فقال: أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبتني فكذبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأتروا علي كذباً لكذبت عنه ثم كان أول ما سألتني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا قال: فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا قال: فهل يغدر؟ قلت: لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال يئال منا وننال منه قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واركعوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة فقال لترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول فذكرت أن لا فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت: رجل يأتي من بقول قيل قبله، وسألتك هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت: رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله وسألتك أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل وسألتك: أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم وسألتك: أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب وسألتك: هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر وسألتك: بم يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قديمي هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أني أعلم أنني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا: أشهدوا بأننا مسلمون» قال أبو =

وكان ابن الناظور<sup>(١)</sup> صاحب إيلياء يحدث أن هرقل حين قدم على إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك، وكان ينظر في النجوم، فقال: رأيت الليلة حين نظرت أن ملك الختان قد ظهر فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبرهم عن خبر رسول الله ﷺ فنظروه فوجدوه مختتناً وسألوه عن العرب فقال: يختتنون فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر ثم كتب لصاحبه برومية نظيره في العلم وسار إلى حمص فأتاه كتاب صاحبه بما يوافق على خروج النبي ﷺ، فجمع هرقل عظماء الروم وغلق الأبواب وقال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد ويثبت ملككم؟ فتبايعوا هذا النبي، فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى نفرتهم وأيس من إيمانهم قال: ردوهم فقال لهم: إني قلت مقالتي أخبر بها شدتكم على دينكم وقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه<sup>(٢)</sup> اه وقد تقدم ذكر شيء من ذلك في أخبار مولده ﷺ.

[١٢٩] ما زال يَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ حَتَّى حَكَّوْا بِالْقَنَا لَحْمًا عَلَيَّ وَصَمَّ

ما زال: كلمة دوام وضميرها له - عليه السلام - وضمير الجمع بعد للعدا. وحكوا: شابهوا. والقنا: جمع قناة وهي الرمح. وبأوه سببية متعلقة بحكوا. والوضم: ما يوضع عليه اللحم من الخشب ونحوه ليتوقى به الأرض، قال الشاعر:

ليس براعي إبل ولا غنم .....

= سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة إنه يخافه ملك بني الأصفر فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام.

(١) ابن الناظور - بالطاء المهملة، وقيل: ابن ناظورا، وقيل الناظور - بالطاء المعجمة وهو بالعربية - حارس البستان وكان أسقفاً أي رئيساً من رؤساء دين النصارى وقد أسلم بعد (فتح الباري ٤٠/١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان باب بدء الوحي رقم ٦).

ولا بجزار على ظهر وضم<sup>(١)</sup>

ويقال للحقير الذليل: لحم على وضم على طريقة الاستعارة، ومنه يتبين وجه التشبيه في النظم.

والمعنى: أن الكفار الذين روعتهم أنباء بعثته ﷺ شاهدوا ما خافوه، ولحقهم ما تطيروا منه<sup>(٢)</sup> من وقع السيف فيهم، وإصابة الرماح لهم حتى جرعوا كأس المذلة، وكسوا لباس الهوان، فصاروا لغاية مذلتهم كاللحم على الوضم، وفي اختيار هذا التشبيه للمذلة مناسبة تامة للتشبيه في البيت السابق، أي كما أن نفرة الغنم وفزعها من الصوت غير مانع من استئصالها ومآلها أن تكون لحماً على وضم، كذلك نفرة الكفار عند سماع مبعثه لم يكن نافعاً ومآلهم بعنادهم المذلة والهوان.

[١٣٠] وَدُّوا الْفِرَارَ فَكَادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ أَشْلَاءَ شَالَتْ مَعَ الْعِقْبَانِ وَالرَّحِمِ  
ودوا: تمنوا والضمير للعدا. والفرار: مصدر فر يفر إذا هرب. وكاد يفعل  
كذا: قارب ولم يفعل، ومن ثم كان إيجابها نفياً ونفيها إيجاباً كما قيل في: ﴿فَذَبَّحُوهَا  
وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] ولا يخفى ما فيه، وأن المراد بـ﴿ما كادوا﴾ الآية  
تأسيس معنى الإخبار بعسر الأمر قبل الفعل، كما صرح به في التسهيل<sup>(٣)</sup>.

(١) أوله:

باتوا نياماً وابن هند لم ينم      بات يقاسيها غلام كالزلم  
خدلج الساقين خفاف القدم      ليس براعي إبل ولا غنم  
ولا بجزار على ظهر وضم

وهو لرشيد بن رُميض العنزي . في اللسان باب حطم، والمعجم المفصل ٢١/١٢ .

(٢) قال ابن الأثير في النهاية ١٥٢/٣: التطير هو: التشاؤم بالشيء وأصله فيما يقال: التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه وأخبر عنه أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضرر .

(٣) التسهيل ٤٠٠/٢ . وقال الجرجاني (دلائل الإعجاز ٢٧٥) الذي يقتضيه اللفظ إذا قيل: لم يكذب يفعل أن يكون المراد أن الفعل لم يكن من أصله ولا قارب أن يكون ولا ظن أنه يكون وكيف بالشك في ذلك وقد علمنا أن (كاد) موضوع لأن يدل على شدة قرب الفعل من الوقوع وعلى أنه قد شارف الوجود وإذا كان كذلك كان محالاً أن يوجب نفيه وجود الفعل لأنه يؤدي إلى أن يوجب نفي مقاربة الفعل الوجود وجوده وأن يكون قولك مقارب أن يفعل مقتضياً على البت أنه قد فعل .

والغبطة: تمني مثل حال المغبوط من غير إرادة زواله. وأشلاء: جمع شلو - بكسر الشين وسكون اللام - وهو العضو من اللحم، وأشلاء الإنسان: أعضاؤه بعد البلا والتفريق، وهم أشلاء في بني فلان أي بقايا فيهم. وشالت: ارتفعت. والعقبان: جمع عقاب وهو الطائر المعروف. والرخم جمع رخمة وهو طائر معروف أيضاً، ويقال له الأنوق، وعشه لا ينال حتى قيل في المثل: "أعز من بيض الأنوق" (١).

والمعنى: أن العدا بسبب ما لحقهم من المذلة والهوان تمنوا الفرار والنكوس بالأدبار، وذلك من أقبح الصفات عند العرب التي بها يتشائمون، وبضدها يفتخرون، قال بشامة بن حزن النهشلي:

إني لمن معشر أفنى أوائلهم  
لو كان في الألف منا واحد فدعوا:  
إذا الكماة تنحوا أن ينالهم  
وقال قطري بن الفجاءة المازني (٣):

قول الكماة: ألا أين المحامونا؟  
من فارس؟ خالهم إياه يعنوننا  
حد الظبابة وطئناهم بأيدينا (٢)

(١) قالوا: الأنوق: الرخمة، وعز بيضها لأنه لا يظفر به لأن أوكارها في رؤوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة (مجمع الأمثال ٤٤/٢، جمهرة الأمثال ٦٤/٢، رقم ١٢٣٦).

(٢) نسبت لبشامة بن حزن وللمرقش الأكبر في ديوانه ص ٨١ والمرقش الأكبر: (... - ٧٢ ق. هـ / ٥٥٢ م) هو عوف (وقيل عمرو) بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس من بني بكر بن وائل. شاعر جاهلي من المتييمين الشجعان عشق ابنة عم له اسمها (أسماء) وقال فيها شعراً كثيراً، يحسن الكتابة وشعره من الطبقة الأولى، ضاع أكثره، ولد باليمن ونشأ بالعراق واتصل مدة بالحارث بن أبي شمر الغساني واتخذ الحارث كاتباً له. والمرقش لقب غلب عليه لقوله:

الدار قفر والرسوم كما  
رقش في ظهر الأديم قلم

وتزوجت عشيقته برجل من بني مراد فمرض المرقش زمناً ثم قصدها فمات في جيبها. وهو عم المرقش الأصغر (ربيعة بن سفيان). انظر مقدمة ديوان المرقشين ص ١١.

(٣) قطري بن الفجاءة: (... - ٧٨ هـ) قطري أبو نعام بن الفجاءة (جعونة) الكناني المازني التميمي من رؤساء الأزارقة (الخوارج) وأبطالهم من أهل قطر كان خطيباً فارساً استفحل أمره في زمن مصعب بن الزبير اختلف المؤرخون في مقتله فقول: عشر به فرسه فاندقت فخذة وقيل: قتله سفيان بن الأبرد الكلبي في معركة (الأعلام ٥/٢٠٠).



لا يركننُ أحد إلى الإحجام      يوم الوغى متخوفاً لحمام  
فلقد أراني للرماح دريئة      من عن يميني مرة وأمامي<sup>(١)</sup>  
ومن تتبع وقائع العرب وأيامها علم يقيناً أن الموت عندهم أهون من الفرار،  
وأنة من السمات المؤسسة للعار، وأن الموت عندهم في المعارك هو الحياة،  
كما قال الحصين بن الحمام<sup>(٢)</sup> :  
تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد      لنفسي حياة مثل أن أتقدما<sup>(٣)</sup>  
فما حملهم على تمنيه مع عدم الفوز به إلا الهوان الأعظم، وبعض الشر  
أهون من بعض<sup>(٤)</sup>، ففي حكاية التمني عنهم إشارة إلى شدة ما لحقهم من المذلة  
والحطيطة، وكفى أنه بلغ بهم الحال إلى تمنى عدم البقاء على تلك الحالة ولو  
بالقتل، كما أشار إليه: فكادوا... إلخ أي أنهم غبطوا الأموات منهم الذين  
طارت العقبان والرخم بأعضائهم، ولا يخفى ما في ذلك من الاستتباع اللطيف إذ  
كان بصدد الإخبار عما لحق الأعداء من المذلة، فأوماً إلى أن ذلك مختص  
بالأحياء منهم، أما من سبق إليه السيف فقد صار نهبة الطيور، وفي عنوان جمع  
الكثرة في العقبان إيماء إلى كثرة هذا النوع، فإذا كانت حالة أعدائه المرتاعين  
ببعثته ما بين حي في قيد الهوان، وما بين ميت صار نهبة للرخم والعقبان، فله  
در الناظم ما أبدع لطائفه، وهو مأخوذ من قول أبي الطيب:  
يطمع الطير فيهم طول أكلهم      حتى تكاد على أحيائهم تقع<sup>(٥)</sup>

(١) ديوان الخوارج ص ٤٥ .

(٢) الحصين بن الحمام: المري كان سيد بني سهم ومقدمهم ولقب مانع الضيم وكان من أوفياء العرب كان معاصراً للناطقة ثم أدرك الإسلام وأسلم ولعل وفاته كانت في مطلع خلافة عمر كان من الشعراء المقلين لكن المجيدين (تاريخ الأدب العربي ١/ ٢٦٥).

(٣) وقال أحد الخوارج (ديوان الخوارج ١١٠):

تعست ابن ذات النوف أجهز على امرئ      يرى الموت أبقى من حياة وأكرما

(٤) هو بعض بيت لطرفة بن العبد في ديوانه ص ١٧٣ وصدرة:

أبا مالك أفنيت فاستببق بعضنا      فبعض الشر أهون من بعض

(٥) ديوان المتنبي ٢/ ٢٢٥ .

[١٣١] تَمْضِي اللَّيَالِي وَلَا يَدْرُونَ عِدَّتَهَا مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ  
 تمضي: بمعنى تذهب. والليالي: جمع، واحده ليلة، ولما كان أصل التاريخ  
 الليل اعتبرت الليالي في الاستعمال مراداً بها ما يشمل أيامها، وفي عنوان الجمع  
 إيماء إلى ذلك لتوسط الأيام بين الليالي، وفيه أيضاً تنبيه على شدة الروع  
 والخوف، وأنهم لا يأمنون في الأوقات التي شأنها السكون والراحة، فكيف  
 الحال في أوقات النهار. والدراية والعلم بمعنى. والعدة: العدد. والأشهر الحرم:  
 ذو القعدة والحجة والمحرم ورجب، وسميت حرماً لحرمة القتال فيها في  
 الإسلام، وكذا في الجاهلية عند عامة العرب إلا خثعماً وطيباً فإنهما يستحلانها،  
 ومن ثم كان صاحب النسيء<sup>(١)</sup> يقول: حرماً عليكم القتال في هذه الأشهر الحرم  
 إلا دماء المحلين.

ومعنى البيت: أن المشركين لشدة ما دخل قلوبهم، وخامر نفوسهم، وشغل  
 بواطنهم من الرعب والفرع من أهوال مواقع قتال الصحابة -رضي الله عنهم-  
 انتفى عنهم الإدراك، حتى كأنهم لا يدركون أول المدركات، وهو عدد الأيام  
 الذي يستوي في العلم به النبي والغبي، فما الظن بإهمال مشاعرهم، وإقامة  
 مواسمهم المنوطة بتعيين الأيام، وتعطيل سائر ضرورياتهم، والروع إذا استولى  
 على القلب حجب الإدراك، وأثبت شبه الوله، وحيير الأفكار، وربما تفاقم أمره  
 حتى يعقبه الموت، وقوله: ما لم تكن إلخ يعني به أنهم إذا أمنوا من الصولة  
 والدفاع في تلك الأشهر، واطمأنت قلوبهم بعض الاطمئنان رجع إليهم إدراكهم،  
 فتنبهوا لمعرفة الأيام وعددها، وفيه إيماء لطيف إلى أنهم لا يرجعون إلى الإدراك  
 الكلي لما يتوقعونه من عود الأمر بعد انقضاء تلك الأيام، بل هذه الحالة عليهم  
 أشد - كما هو بديهي - . هذا وتحريم القتال في الأشهر الحرم كان من عهد

(١) النسيء: شهر كانت تؤخره العرب وذلك أن العرب إذا صدروا عن منى يقوم رجل منهم من  
 كنانة فيقول: أنا الذي لا أعاب ولا أجاب ولا يرد لي قضاء فيقولون: صدقت، أنستنا شهراً  
 أي أخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر وأجل المحرم لأنهم كانوا يكرهون أن يتوالى  
 عليهم ثلاثة أشهر حرم ولا يغيرون فيها لأن معاشهم كان من الغارة فيحل لهم المحرم فذلك  
 الإنساء (اللسان ١/١٦٧).

إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- وذلك لما دعا إبراهيم -عليه السلام- لذريته بمكة إذ كانوا بواد غير ذي زرع أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم<sup>(١)</sup> فكان فيما فرض على الناس من حج البيت قوام لمصلحتهم ومعايشهم، ثم جعل الأشهر الحرم أربعة: ثلاثة سرداً وواحداً فرداً وهو رجب، أما الثلاثة فللحجاج واردين إلى مكة وصادرين عنها، شهراً قبل شهر الحج، وشهراً بعده، قدر ما يصل الراكب من أقصى بلاد العرب ثم يرجع، وأما رجب فللعمار يأمنون فيه مقبلين وراجعين نصف شهر للإقبال ونصفه للرجوع، إذ لا تكون العمرة من أقصى بلاد العرب كما يكون الحج، وأقصى بلاد المعتمرين خمسة عشر يوماً فكانت الأقوات تأتيهم في المواسم، أبقى هذا الأمر من ملة إبراهيم إلى أن جاء الإسلام، فكان القتال فيه محرماً صدرأ من الإسلام ثم أباحت آية السيف<sup>(٢)</sup>، وبقيت حرمة الأشهر الحرم لم تنسخ قال الله تعالى: ﴿مِنَهَا أَرْبَعَةٌ حَرَّمَ ذَلِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْقِيَمَ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦] فتعظيم حرمتها باق، وإن أبيع القتال فيها، وقد روي عن عطاء<sup>(٣)</sup> أن تحريم القتال فيها حكم ثابت لم ينسخ -كذا في الروض الأنف-<sup>(٤)</sup>.

[١٣٢] كَأَنَّمَا الَّذِينَ ضَيَّفَ حَلَّ سَاحَتِهِمْ بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ الْعِدَا قَرِمٍ حل بالمكان يحل -بالضم-: نزل. والقرم - بكسر الراء<sup>(٥)</sup> -: السيد،

(١) هو قول الله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفئدةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [٣٧] [إبراهيم: ٣٧].

(٢) آية السيف هي الآية التي أذن فيها بالقتال وهي قوله تعالى: ﴿إِذَا سَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْبِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ لَّيْن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

(٣) عطاء بن دينار: ( . . . ١٢٦هـ) الهذلي مولا هم المصري من رجال الحديث له كتاب في التفسير يرويه: عن سعيد بن جبير توفي بمصر (الأعلام ٤/ ٢٣٥).

(٤) الروض الأنف: ٤٧/٣ .

(٥) في حاشية الأصل: القرم -بفتح أوله وسكون ثانيه- هو السيد كما هو مصرح به في القاموس وغيره فقوله بكسر الراء صوابه بسكون الراء والأوفق حمل ذلك على سهو الطبع حافظ ا. هـ وانظر القاموس (قرم) (١٤٨١).

وأصله من أقرمت البعير فهو مقرم إذا أكرمته ولم تحمل عليه شيئاً، والقرم -بكسر الراء- صفة من قرم إلى اللحم أي اشتهاه، وضمير الجمع لما دلت عليه الضمائر قبل وهم العدا.

والمعنى: كأن دين الإسلام لما نزل بساحة ديار العدا من الكفار ضيف بمعشر من السادة كل منهم يشتهي لحوم العدا حل بديارهم وهم أقرى الناس للضيف، وأبعد من معرة اللؤم، فلا جرم ينيلون ضيفهم -خصوصاً إذا كان سيداً- ما يشتهي، والمراد التلميح بسرعة وقع سهام الإسلام فيهم، وسهولة استئصالهم حتى كأنه أمر وقع عن طيب أنفسهم بل وقع لتشييد مكارمهم المألوفة وطباعهم المعروفة، كأن لم يكن موقع دفاع، ولا مظنة قراع، وفيه استتباع بمدح نوع العرب بذلك الوصف الذي خصهم الله به، سواء فيه مسلمهم وكافرهم<sup>(١)</sup>. هذا ولشيخ الإسلام في شرح البيت وما قبله محمل ردي، وكلام عند العارف غير مرضي فراجع إن شئت.

[١٣٣] يَجْرُ بِحَرِّ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الْأَبْطَالِ مُلْتَطِمٍ  
يجر: يقود، وضميره للنبي ﷺ أو إلى الدين، وهو أقرب وأرشق معنى - كما سيأتي في بيان المعنى إن شاء الله - والخميس: الجيش، سمي به لأنه مخمس: مقدمة وقلب وميمنة وميسرة وساق، وإضافة البحر إليه من إضافة المشبه به إلى المشبه. وسابحة: وصف للفرس مراد به الجنس يقال: فرس سابح إذا مد يده للجري، وهو مأخوذ من السباحة في الماء بمعنى العوم، ولا يخفى ما في التركيب من الغرابة، إذ شأن البحر السبح فيه، وكونه فوق السابحة من المستغرب. والأبطال: جمع بطل -بالتحريك- وهو الرجل الشجاع. والتظام الأمواج: ضرب بعضها ببعض.

والمعنى: أن الدين يقود إلى الكفار جيشاً كالبحر في اتساعه وعظم أهواله متعاقبة أبطاله في الإقدام تعاقب أمواج البحر تحملهم سابحة أي جنسها الشامل للوحدة والتعدد المراد هنا، ولا بد من الحمل على التغليب، ويقرب أن سابحة

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

مستعار للعزيمة النافذة التي يعقبها الفعل، فيبقى مدلول وحدة اللفظ على ظاهره، والنسبة إلى الجميع كذلك، والمعنى أن ذلك الجنس مع كثرته واتساعه محمول لعزيمة واحدة، وذلك مما يوجب شدة قوته ونفوذ شأنه، بحيث إن القلة مع اتحاد العزيمة لا تقابلها الكثرة مع تعدد العزائم، كما هو الشأن في غزواته ﷺ، ومن هنا ورد الحث على الاجتماع وعدم التفرق<sup>(١)</sup>، وجاء: «يد الله مع الجماعة»<sup>(٢)</sup> ويؤيد هذا المحمل نسبة الجر إلى الدين المفيد أن ذلك الجيش لا محرك له إلا الدين، وأن تكون كلمة الله هي العليا، والباعث إذا كان دينياً كان أشد وحدة، وأبعد شيء عن التفرق، ومن ثم كان مركز الاجتماع المأمور به في قوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، واختيار صيغة المضارع للدلالة على التجدد، على معنى أن ذلك الجر يتجدد مرة بعد أخرى.

[١٣٤] مِنْ كُلِّ مُتَنَدِّبٍ لِلَّهِ مُحْتَسِبٍ يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكَفْرِ مُصْطَلِمٍ  
بيان للأبطال. المنتدب: اسم فاعل انتدب للأمر أجاب إليه، وهو مطاوع ندبه إليه إذا دعاه. ولله: متعلق به على تقدير مضاف أي لدعاء الله. ومحتسب: صفة لمنتدب، من احتسب فعلاً قدمه وادخره، ومتعلقه معتبر نظير الأول. والسطو: القهر بالبطش. والمستأصل: القالع يقال: استأصله: قلعه. وللكفر: مفعوله. والمصطلم: من الصلم بمعنى القطع أو قطع الأذن والأنف - كذا في القاموس<sup>(٣)</sup> -.

والمعنى: أن أولئك الأبطال كل منهم مسرع لدعاء الله تعالى ورسوله إلى القتال والجهاد محتسب أجره في ذلك عند الله أي جاعل قتاله ذخراً عند الله، وذلك بكمال إخلاص العمل لله دون شائبة غرض آخر، وإن كلاً منهم ذو آلة قاطعة للكفر قالعة له، وحيث كانوا في الإخلاص بذلك الوصف ولهم من

(١) كقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

(٢) أخرجه الترمذي، وقال: حديث غريب (رقم ٣٠٩٢ كتاب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة)، والنسائي (رقم ٣٩٥٤ كتاب تحريم الدم باب قتل من فارق الجماعة).

(٣) القاموس ١٤٥٨ (صلم).

الآلات ما شرح حاله، فما الظن بمواقعهم في العدو فهو كالدليل المؤيد لما قبله.

[١٣٥] حَتَّىٰ غَدَتْ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ وَهِيَ بِهِمْ مِنْ بَعْدِ غَرْبَتِهَا مَوْصُولَةَ الرَّحْمِ  
حتى: غاية ليجر باعتبار ما يقتضيه من التكرار - كما تقدم - وغدت: بمعنى  
صارت. فاعله ملة الإسلام. وجملة: وهي إلخ حال هو مناط الفائدة. وموصولة  
الرحم: خبر الضمير. وبهم ومن بعد: متعلق به. والغربة: البعد. والرحم:  
القرابة.

والمعنى: ما زال الإسلام يقود الجيوش من أولئك الأبطال المرة بعد المرة،  
وسيوفهم ونبالهم تفعل بالعدا ما تفعل حتى نصر الله الدين، وأظهر ملة الإسلام،  
وصارت في حمية من عصابتهم ومنعة من عشائريهم، بعد أن كانت في جهالة  
وغربة وخمول لقلة الأنصار، ففيه تشبيه حالة الإسلام بحالة من يكون غريباً لقلة  
عشائره، ثم كثر أهلوه وأقاربه، فظهر أمره وعز نصره، وذلك لما في الطباع من  
حماية الأقارب وذوي الأرحام ذباً عن الحوطة الجامعة والقدر المشترك، فإن  
إهانة الإنسان توجب هواناً وذلة في عشيرته، فالباعث على الحماية فيها لما كان  
غريبياً كان أقوى من الباعث لعارض من الأسباب الخارجية، ومن هذه القضية  
الطبيعية كان من حكمة الله تعالى أن سبق الإيمان برسول الله ﷺ من أبعد الناس  
نسباً به وتأخر إسلام قومه وبني عمه، فإنه لو بادر أهله بالإسلام لقليل: قوم  
أرادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له عصبية قرابة، فلما بادر الأبعد، وقاتلوا  
على حبه من كان من عشيرتهم ومن غيرهم، وهم من العرب المعروفين بشدة  
الحمية والتعصب، علم أن ذلك عن بصيرة صادقة ويقين قد تغلغل في قلوبهم  
ورهبة من الله أزلت صفة قد كانت كامنة بنفوسهم لا يستطيع إزالتها إلا الذي  
فطر الفطرة الأولى، وهو القادر على ما يشاء - كذا في الروض الأنف<sup>(١)</sup> وهو من  
نفائسه -.

[١٣٦] مَكْفُولَةٌ أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبِي وَخَيْرِ بَعْلِ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَمِّ

مكفولة<sup>(١)</sup> -بالنصب- حال من الضمير في موصولة، ويجوز رفعه على أنه خبر ثان، والكفالة: القيام بحق المكفول وضرورياته. والأبد: الدوام. والبعل: الزوج. وتيتم -بفتح التاء الثانية- من يتم الصبي -بالكسر- إذا مات أبوه، واليتم في الناس من قبل الأب، وفي البهائم من قبل الأم. وآمت المرأة تيتم: إذا خلت عن زوج.

والمعنى: أن ملة الإسلام صارت في كفالة أبدية من حماية أولئك الأبطال كفالة لا يتطرقها خلل لأنها فيهم ما بين شفقة الأبوة القاضية طبعاً بجلب الكمال، وغيره البعولة القاضية بدفع الصائل المرید هتك الحرمة، وليس في الطباع البشرية أقوى من هاتين. والمراد أن جملة أولئك الأبطال حصل منهم لحماية الملة مجموع ما يحصل من حماية الأب والزوج، هذا معنى كلام الناظم -رحمه الله- وهو معنى لطيف، وتشبيه غريب، وأسلوب عربي، فإن حماية الحرم من طبيعة العرب التي عليها يتناضلون، وبها يتمادحون، يقول الفرزدق<sup>(٢)</sup>:

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي<sup>(٣)</sup>  
غير أن في كلام المصنف إشكالاً وإبهاماً، أما الأول ففي جعل الكفالة أبدية، وهي إنما تدوم ببقائهم في دار الدنيا، فإذا انقرضوا انقرضت كفالتهم، وأما الثاني فإن المتفرع على أبدية الكفالة نفي اليتيم والأيم في الاستقبال ونفيه في

(١) قال أستاذنا محمد علي حمد الله في حاشية البردة إعراباً ١٧٠: في قوله: مكفولة منهم: تركيب عامي، ومعناه بعبارة فصيحة: والملة مكفولة وكفالتها حاصلة منهم وعبارة الشاعر عامية لأن التقدير عندئذ: مكفولة من قبلهم أي إنه كُفل منهم وبذلك نكون قد بنينا الفعل المبني للمجهول وغيينا الفاعل ثم جئنا بالفاعل مجروراً بمن في قوله: منهم ولو حذفنا كلمة منهم لاستقامت العبارة فصيحة.

(٢) الفرزدق: ( . . . ١١٠هـ) همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي أبو فراس شاعر من النبلاء من أهل البصرة عظيم الأثر في اللغة يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب له أخبار مع جرير، وكان الفرزدق شريفاً عزيز الجانب ولقب بالفرزدق لجهامة وجهه وعظمه (الأعلام ٨/٩٣).

(٣) ديوان الفرزدق ص ٥٢ برواية:

أنا الضامن الراعي عليهم وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

الماضي يوهم أن لا يكون المستقبل كذلك ويمكن الجواب عن الأول بأنه لما كان أهل الصدر الأول هم الذين أظهروا الإسلام وناضلوا عليه حتى عز أمره، وارتفع شأنه كان كل ذاب عنه بعد تبعاً لهم سالكاً مسالكهم فحماية المتأخر المباشر تأسّ بحمايتهم وتشديد لها، فصح أن تلك الكفالة دائمة ما دام الإسلام قائماً، ولما كان السبب في أصل الحماية شبه الأبوة والبعولة، وهو منقطع جاء التعبير بالماضي في محله وهو الجواب عن الثاني، وفي ذلك إيماء خفي إلى أن حماية مَنْ بَعْدَ العصر الأول دون حمايته، وهكذا يضعف الأمر بتضاعف القرون حتى يعود الإسلام إلى غربته - كما جاء في الحديث الشريف<sup>(١)</sup> - فافهمه .

[١٣٧] هُمُ الْجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ      ماذا رأى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُصْطَدِمٍ  
بيان لحال أولئك الأبطال، وشرح لمواقعهم على طريق الإجمال أتى به على طريقة الاستئناف جواباً لما يقتضيه السابق من تشوف نفس السامع إلى معرفتهم، ولو بالسمة والوصف، فالضمير إلى الأبطال والجبال جمع جبل وهو معروف الحقيقة، استعير هنا للأبطال لشدة وطأتهم على الكفار وقوة ثباتهم في الحروب، بحيث إنهم في الوقوف في المعارك كأنهم الجبال الرواسي، أو لكونهم ثبتوا الإسلام بعد تزلزله، كما ثبتت الأرض بالجبال بعد أن كانت تميد فحصل الاستقرار عليها والانتفاع بما فيها، والتركيب من قبيل: هو البطل المحامي أي هم من سمعت بهم، وعرفت حالتهم في الحروب حالة الثابت الذي لا يتزحزح .  
والمصادم: اسم فاعل من صادمه إذا ضاربه وقارعه . والمصطدم: محل الفعل .  
والفاء: في فسل فصيحة، أي إذا أردت معرفة صدق ما ذكرناه فسل إلخ وقوله: ماذا إلخ جملة استفهامية مراد بها التهويل والتفخيم .

والمعنى: أنهم كالجبال في شدة الوطأة والثبات، فسل من وقف لهم في المعارك، وذاق طعم بأسهم، فإنه عليم بذلك، إذ قد شاهد منهم في كل معترك أمراً هائلاً، وكونه في الكل شاهد على أنه الديدن حتى لا يكون اتفاقاً في بعض

(١) أخرج مسلم (رقم ٢٠٨ كتاب الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يبدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء» .



المواقع . هذا ما يظهر لي في معنى البيت، وفيه نوع ما من التعقيد، ثم المراد من السؤال استطلاع أخبارهم من التواريخ المشهود بصحتها، نزل مطالعتها منزلة السؤال والإخبار المضمنة بها منزلة المخبر عنه، وهو تجوز مشهور مستملح، وقصر السؤال بالمصادم، لأنه الأعلم بحال مصادمه، لما ذاقه من طعم بأسه قال أحد بني سعد:

فلو سألت سراة القوم سلمى      على أن قد تلون بي زماني  
لخبرها ذوو أحساب قومي      وأعدائي فكل قد بلاني<sup>(١)</sup>  
وأنت تعلم أن النكات البلاغية والتلميحات الأدبية مقامها مقام الخطابة  
الشعرية المبنية على التحسين والاعتبارات اللطيفة لا تقبل التحقيق المنوط بمقام  
الاستدلال والوقوف على الحقيقة، وبالتفاتك إلى ذلك تعلم ما وقع لشيخ الإسلام  
هنا .

[١٣٨] وَسَلُّ حُنَيْنًا وَسَلُّ بَدْرًا وَسَلُّ أَحَدًا      فُضُولَ حَتْفٍ لَهُمْ أَذْهَى مِنَ الْوَحْمِ  
حنين: واد قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً، سمي بذلك  
باسم حنين بن قاتية بن مهيائل - كذا ذكر السهيلي عن البكري<sup>(٢)</sup> - ويسمى أيضاً  
أوطاس من وطست الشيء إذا كدرته وأثرت فيه - قاله السهيلي<sup>(٣)</sup> - يؤنث لفظه  
ويمنع من الصرف إن أريد به البقعة، وعليه قول بعضهم:

نصروا نبيهم وشدوا أزره      بحنين يوم تواكل الأبطال  
ويذكر ويصرف باعتبار المحل، وعليه جاء قوله جل اسمه: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾  
[التوبة: ٢٥] . وبدر: اسم بئر بينه وبين المدينة من طريق مكة ثمانية وعشرون

(١) البيت لسوار بن المضرب السعدي، سعد بني تميم، وقيل سعد بني كلاب . شاعر إسلامي ذكر المبرد أنه هرب من الحجاج . سمي بالمضرب لأنه شبب بامرأة فحلف أخوها ليضربه بالسيف مائة ضربة، فضربه فغشي عليه، فسمي مضرب لذلك له شعر في الأصمعيات .

(٢) البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد ( . . . . - ٤٨٧هـ ) الأندلسي مؤرخ جغرافي ثقة علامة بالأدب له معرفة بالنبات توفي في قرطبة عن سن عالية، له كتب جليلة منها معجم ما استعجم (الأعلام ٩٨/٤).

(٣) الروض الأنف ٢٠٥/٤ .

فرسخاً، حفرها رجل من غفار اسمه بدر، وقيل: هو بدر بن قريش بن يخلد بن النضر الذي سميت قريش به -قاله السهيلي<sup>(١)</sup>- . وأحد: جبل بالمدينة، سمي بهذا الاسم لتوحده وانقطاعه عن جبال آخر هناك، وورد فيه قوله ﷺ: «هذا جبل يحبنا ونحبه»<sup>(٢)</sup>، وروي أنه يوم القيامة حين تبس الجبال بساً فتكون هباءً منبثاً يكون عند باب الجنة من داخلها<sup>(٣)</sup>، وحب النبي له بحب أهله وهم الأنصار، وقيل بحب اسمه المشتق من الأحدية، وفيه قبر هارون أخي موسى -كذا في الروض للسهيلي<sup>(٤)</sup>- وإعادة العامل في العطف مع كل إيماء إلى استقلال كل من الوقائع الثلاث في إفادة الجواب المحصل للمراد. وفصول: جمع فصل مراد به الضرب والنوع على التجوز، وهو المفعول الثاني للسؤال، أي المسؤول عنه. والحتف: الموت. ولهم: صفة للحتف، وضميره للعدا، وهم الكفار. وأدهى: صيغة تفضيل من دهاه الأمر: أصابه بدهاية، وهي الأمر العظيم. والوخم: مرادف للوباء، وهو فساد جوهر الهواء الذي هو مادة الروح ومدده، فتحدث عنه الأمراض البوائية المختلفة تبعاً لاختلاف تأثير التعفن الموجب للفساد في أحد الأخلاط الأربعة، وإذا كان السبب فساد الهواء تكون أمراضه عامة.

والمعنى: سل تلك الأماكن التي هي مواقع مشهورة لبعض حروب الصحابة -رضي الله عنهم- عن أنواع الحتوف التي لحقت الكفار بسبب تلك الحروب ما بين طعن بالنبال وضرب بالسيوف وغيرهما مما عم جميعهم أمره حتى كان عليهم أدهى وأعظم من الوباء، إذ قد ينجو منه من لم يكن مزاجه قابلاً للانفعال، أو

(١) الروض الأنف ٤٨/٣ .

(٢) أخرجه البخاري (رقم ١٣٨٧ كتاب الزكاة باب خرص الثمر)، ومسلم (رقم ٢٤٢٨ كتاب الحج باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة).

(٣) في سبل الهدى والرشاد ٣٥٦/٤: روى الطبراني بسند ضعيف عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «أحد ركن من أركان الجنة»، وروى عمر بن شبة عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أحد على باب من أبواب الجنة فإذا مررتم به فكلوا من شجره ولو من عضاهه» (شوكه) وروى عبد الرزاق عن أبي ليلى أن رسول الله ﷺ قال: «أحد على ترعة من ترع الجنة» .

(٤) الروض الأنف ٢٤٢/٣ .

يتحرز عنه بما ينفع في تأثيره من الأدوية والتمايم بخلاف وقع الصحابة، فإنه لا تنفع فيه تميمة غير تميمة الإسلام، وسؤال الأماكن والديار أمر مشهور مستعذب في الأدبيات، وزاده الناظم هنا حسناً بوصف الحنف بكونه أدهى من الوخم، فإن فساد الهواء أعلق بالأمكنة - كما هو معلوم - واقتصار الناظم على هذه الوقائع، لأنها أشهر غزواته ﷺ، وبها ظهر عز الإسلام، ونزل في شأنها الآيات القرآنية وترتيبها في الوجود على غير ترتيب النظم .

فأولها بدر: كانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان، عام اثنين من الهجرة، وكانوا على غير تواعد للحرب، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال ٤٢]، وإنما القصد للرسول ﷺ والصحابة - رضي الله عنهم - وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر - التعرض لغير لقريش قدم بها أبو سفيان من الشام، وأعلم ﷺ أن الكفار يخرجون من مكة لحمايتها، ووعده الله أن يظفره بالغير أو ناصرها، فلما بلغ رسول الله ﷺ الصفراء أرسل بسبس بن عمرو الجهني<sup>(١)</sup> وعدي بن أبي الزغباء<sup>(٢)</sup> يتجسسان أخبار العير فحلاً بمحل أعقبهما فيه أبو سفيان فوجد بعير عيرهما ففتته فوجد فيه نواة فقال: هذا تمر يثرب فعدل إلى طريق الساحل، وقد كان أنذر بخروج رسول الله ﷺ والمؤمنين إليه، فأرسل إلى أهل مكة يستنجدهم لحماية العير، ثم لما علم أن قد نجا بعيره لأخذه طريق الساحل أرسل إلى قومه: أن ارجعوا فقال أبو جهل عند ذلك - وقد حاوله أصحابه على أن يرجع فأبى - وقال: لا نرجع حتى نصل بدرأ فنقيم به وننحر فتسمع بنا القبائل ويرهبنا الناس، وكان عدد المسلمين - رضي الله عنهم - ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر وعدد المشركين ألفاً أو تسعمائة، ولما علم المسلمون بنجاة العير استشارهم رسول الله

(١) بسبس بن عمرو الجهني: حليف بني طريف شهد بدرأ باتفاق وفي الإصابة سماه بسبسة بن عمرو ثم قال: ويقال له: بسبس بغير هاء وهو قول ابن إسحق وغيره (الإصابة رقم ٦٤٠، ٢٨٨/١).

(٢) عدي بن أبي الزغباء (سنان) الجهني حليف بني النجار شهد بدرأ وما بعدها توفي في خلافة عمر بن الخطاب (الإصابة رقم ٥٤٨٦، ٤/٤٧٤).

ﷺ في اللحاق بالقوم ومقاتلتهم فتكلم المهاجرون وإنما أراد النبي ﷺ ما عند الأنصار فقال المقداد<sup>(١)</sup>: يا رسول الله، لا نقول كما قالت بنو إسرائيل: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون<sup>(٢)</sup> ولكن إنا مقاتلون، فسر رسول الله ﷺ ذلك وقال: «امضوا على اسم الله تعالى»، وأخبرهم بما وعد الله تعالى من النصر على القوم فساروا نحو بدر، ونزل رسول الله ﷺ دون ماء بدر فقال بعض الصحابة<sup>(٣)</sup>: يا رسول الله نزلك هذا المنزل بوحى أم هو الرأي والمكيذة؟ فقال: بل هو الرأي فقال: يارسول الله الرأي أن نقطع القوم عن الماء فننزل وراءه فنبرد ولا يردون، وذلك عون عليهم ففعل رسول الله ﷺ، وكان من نعم الله على المسلمين أن نزل المطر فلبد طريقهم، وثبت أقدامهم، لأن ذلك الموضع تسوخ فيه الأرجل، ويصعب فيه المشي قال الله تعالى مذكراً بهذه المنة: ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١] ولما اجتمع القوم أقبل رسول الله ﷺ على الدعاء والاجتهاد فيه حتى سقط رداؤه عن منكبه، وجعل أبو بكر يقول: يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فإنه منجز لك ما وعدك<sup>(٤)</sup>، ومن دعائه ﷺ يومئذ وهو ساجد: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»<sup>(٥)</sup> ثم تلا ﷺ: ﴿سُبْحٰنَ سُبْحٰنِ

(١) المقداد بن الأسود (واسمه عمرو) البهراني أسلم قديماً وتزوج ضباعة بن الزبير بن عبد المطلب ابنة عم النبي ﷺ وهاجر الهجرتين وشهد بدرًا والمشاهد بعدها وكان فارساً يوم بدر ولم يثبت أنه كان فيها على فرس غيره فيقال: هو أول من قاتل على فرس مات سنة ٣٣ وهو ابن سبعين سنة (الإصابة رقم ٨١٨٩، ٦/٢٠٢).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَمْوَسَّىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

(٣) هو الحباب بن المنذر ( . . . ٢٠هـ) الأنصاري الخزرجي ثم السلمي صحابي من الشجعان الشعراء يقال له: ذو الرأي كانت له في الجاهلية آراء مشهورة مات بخلافة عمر وقد زاد على الخمسين (الأعلام ٧/١٦٣). وقصة الحباب ومشورته في سيرة ابن هشام ٢/٦٢٠.

(٤) روى أحمد رقم ٢١٦: فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه .

وروى الترمذي (رقم ٣٤٤٦ كتاب الدعوات) عن أنس قال: كان النبي ﷺ إذا كربه أمر قال: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث» .

(٥) أخرجه مسلم (٥١٢٠) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

أَجْمَعُ وَيُؤْتُونَ الدُّبْرَ ﴿ [القمر: ٤٥] . وقال: هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، فما أخطأ أحد منهم المصرع الذي عين له، وتلك من آيات بدر، ومنها أنه -عليه السلام- رمى بكف من تراب في وجوه القوم وقال: شأهت الوجوه، فما غادرت أحداً إلا وقد أصابت عينيه<sup>(١)</sup> قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧] . ومنها قتال الملائكة ذلك اليوم<sup>(٢)</sup>، فإن كثيراً من الصحابة -رضي الله عنهم- يريد أن يضرب الكافر فيسبق ضربته زوال رأسه بضرب الملك، وكانوا في غير هذه الواقعة يحضرون ولا يقاتلون على المختار من الأقوال، ومنها أن عكاشة<sup>(٣)</sup> اندق حسامه فناوله ﷺ عوداً ليقاتل به فعاد في يده سيفاً صقيلاً، ولقد فاز أهل بدر بأكرم المزايا: في البخاري من حديث رفاعة بن رافع<sup>(٤)</sup> وكان أبوه بدرياً قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال: كذلك من شهد بدرًا من الملائكة<sup>(٥)</sup>، وفيه: من حديث علي حين بعثه النبي ﷺ مع أبي مرثد<sup>(٦)</sup> والزيبر بن العوام -رضي الله عنهم- في طلب المرأة التي حملت كتاب حاطب بن أبي بلتعة<sup>(٧)</sup> يخبر كفار قريش ببعض أمر رسول الله ﷺ، وفي آخر الحديث قال عمر

(١) أخرجه مسلم (رقم ٣٣٢٨).

(٢) أخرج البخاري (رقم ٣٦٩٤ كتاب المغازي باب شهود الملائكة القتال) عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال يوم بدر: « هذا جبريل أخذ برأس فرسه، وعليه أداة الحرب » .

(٣) عكاشة بن محصن: ( . . . -١٢هـ) الأسدي من بني غنم صحابي من أمراء السرايا يعد من أهل المدينة شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ وقتل في حرب الردة ببزاحة بأرض نجد قتله طليحة بن خويلد الأسدي (الأعلام ٤/٢٤٤).

(٤) رفاعة بن رافع ( . . . -٤١هـ) الأنصاري الزرقني أبو معاذ صحابي شهد بدرًا وصحب علياً فشهد معه الجمل وصفين له في كتب الحديث ٢٤ حديثاً (الأعلام ٣/٢٩).

(٥) أخرجه البخاري (رقم ٣٦٩٢ كتاب المغازي باب شهود الملائكة بدرًا).

(٦) أبو مرثد الغنوي: كنان بن الحصين وقيل: اسمه حصين بن كنان وقيل: أيمن والمشهور الأول سكن الشام صحابي جليل (الإصابة رقم ١٠٥١٦، ٧/٣٦٩).

(٧) حاطب بن أبي بلتعة (٣٥ق هـ - ٣٠هـ) اللخمي صحابي شهد المواقع كلها كان من أشد الرماة من الصحابة وكانت له تجارة واسعة بعثه النبي ﷺ بكتابه إلى المقوقس صاحب الإسكندرية مات في المدينة وكان أحد فرسان قريش وشعرائها (الأعلام ٧/١٥٩).

رضي الله عنه: دعني يا رسول الله فلاضرب عنقه فقال: «أليس من أهل بدر، لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم» فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم<sup>(١)</sup> قال شيخ الإسلام: ومن آيات بدر الباقية ما كنت أسمع من غير واحد من الحجاج أنهم إن اجتازوا بذلك الموضع يسمعون كهيئة طبل ملك، وربما أنكرت ذلك، أو تأولته بأن الموضع صلب يستجيب لحوافر الدواب، فيقال لي: إنه دهس رمل، وغالب ما يسير في ذلك الإبل وأخفافها لا تصوت في الأرض الصلبة، فكيف بالرمال؟! ولما من الله علي بالوصول إلى ذلك الموضع المشرف اتفق أن نزلت عن الراحلة أمشي وقد كان في يدي عود طويل من شجر السعدان المسمى بأم غيلان، وقد نسيت ذلك الخبر، فما راعني، وأنا أسير في الهاجرة، إلا وواحد من عبيد الأعراب الجمالين الذين كانوا معنا يقول: أسمعون الطبل، فأخذتني لما سمعت كلامه قشعريرة، وتذكرت ما كنت أخبرت به، فسمعت الطبل سماعاً محققاً وذلك عن ناحية اليمن، ونحن سائرون إلى مكة المشرفة ثم نزلنا ببدر المذكور، فظلللت أسمع ذلك الصوت يومي أجمع، المرة بعد المرة، وقد أخبرت أن ذلك الصوت لا يسمعه كل أحد من الناس، فله المنة والفضل<sup>(٢)</sup> انتهى .

تمتة: قال السهيلي في الروض الأنف: اجتهد ﷺ في الدعاء، لأنه رأى الملائكة تجتهد في القتال، وجبريل على ثنياه الغبار، وأنصار الله يخوضون غمار الموت، والجهاد على ضربين: جهاد بالسيف وجهاد بالدعاء، ومن سنة الإمام أن يكون من وراء الجند لا يقاتل معهم، فكان الكل في اجتهاد وجدّ، ولم يكن يريح نفسه من أحد الجدين والجهادين انتهى .

الثانية غزوة أحد: كانت في شوال، عام ثلاث من الهجرة، وذلك أن قريشاً لما رجعوا من بدر على الحال الخسيصة قالوا لأبي سفيان ومن كان له في العير مال: إن محمداً قتل خياركم فأعينونا بهذا المال لعلنا ندرك بعض الثأر ففعلوا،

(١) أخرجه البخاري (كتاب المغازي باب فضل من شهد بدرًا رقم ٣٦٨٤)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر رقم ٤٥٥٠).

(٢) الروض الأنف ٧٠/٣ .

وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية [الأنفال: ٣٦]. واجتمعت قريش بأحابيشها، ومن أطاعها من كنانة وغيرهم، وحملوا معهم النساء لئلا يفروا، فلما قربوا من المدينة قال رسول الله ﷺ: «إني رأيت والله خيراً رأيت بقرأ تذبج ورأيت في ذباب سيفي ثلماً ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة، فأما البقر فناس من أصحابي يقتلون، وأما الثلم فرجل من أهل بيتي يقتل، والدرع المدينة»، ثم قال رسول الله ﷺ: «فإن رأيتم أن أقيم بها وندعهم حيث هم فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن نزلوا علينا قاتلناهم فيها» فاختلف آراء الصحابة في ذلك، ولا زال من أحب لقاء الله منهم، ممن فاتهم بدر برسول الله ﷺ حتى دخل بيته، ولبس لأمته، وذلك يوم الجمعة بعد الصلاة، فلما خرج ﷺ قالوا: يا رسول الله استكرهناك ولم يكن لنا ذلك فإن شئت فاقعد فقال ﷺ: «ما كان لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل» فخرج ﷺ في ألف من أصحابه، فلما كان بين المدينة وأحد انخزل ابن أبي<sup>(١)</sup> بثلث الناس ممن أطاعه من المنافقين، وسار ﷺ حتى جعل ظهره إلى جبل أحد، ونهى عن القتال حتى يأمر به، وأمر ﷺ على الرماة، وهم خمسون، عبد الله بن جبير<sup>(٢)</sup> وقال: «انضح الخيل عنا بالنبل، لا يأتونا من خلفنا، واثبت مكانك، كانت لنا أو علينا» وظاهر ﷺ بين درعين، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير<sup>(٣)</sup>، وقريش ثلاثة آلاف، معهم مائتا فرس، على ميمنتهم خالد بن

(١) ابن أبي ( . . . - ٩٠هـ) عبد الله بن أبي بن مالك أبو الحباب المشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه من خزاعة، رأس المنافقين في الإسلام من أهل المدينة وكان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر تقيّة، وكان كلما نزل بالمسلمين نازلة شمت بهم ولما مات صلى عليه النبي ﷺ فنزلت: ﴿وَلَا تَصْلَىٰ عَلَيَّ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا﴾ وكان عملاقاً (الأعلام ٦٥/٤).

(٢) عبد الله بن جبير: ( . . . - ٣٠هـ) الأنصاري صحابي شهد العقبة وبدراً وكان أمير الرماة يوم أحد فاستشهد فيها (الأعلام ٧٦/٤).

(٣) مصعب بن عمير ( . . . - ٣٠هـ) القرشي من بني عبد الدار صحابي شجاع من السابقين إلى الإسلام أسلم في مكة كتم إسلامه فعلم به أهله فأوثقوه وحبسوه فهرب مع من هاجر إلى الحبشة ثم رجع إلى مكة وهاجر إلى المدينة فكان أول من جمع الجمعة فيها وعرف فيها =

الوليد<sup>(١)</sup>، وعلى مسيرتهم عكرمة بن أبي جهل<sup>(٢)</sup> وقال ﷺ: «من يأخذ هذا السيف بحقه؟» فقام إليه رجل فأمسكه عنه، وأعطاه أبا دجاجة سماكاً الساعدي<sup>(٣)</sup> قال: وما حقه يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «أن يضرب به في العدو حتى ينحني» فأخذه وكان رضي الله عنه شجاعاً، له عصابة حمراء، إذا لبسها علم أنه مقاتل، فلبسها وجعل يتبخر بين الصفين فقال ﷺ: «إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن»<sup>(٤)</sup> وأبلى في ذلك اليوم بلاء شديداً، ووفى بما ضمن لرسول الله ﷺ، وقاتل حمزة رضي الله عنه في ذلك اليوم قتالاً شديداً حتى ضربه وحشي<sup>(٥)</sup> غلام جبير بن مطعم، كان يقذف بالحربة فلا يخطئ، قال

= بالمقريء شهد بدرأ وحمل اللواء يوم أحد فاستشهد وكان في الجاهلية فتى مكة شاباً وجمالاً ونعمة ولما ظهر الإسلام زهد بالنعيم وكان يلقب مصعب الخير (الأعلام ٧/٢٤٨).

(١) خالد بن الوليد (..-٢١هـ) المخزومي القرشي سيف الله الفاتح الكبير الصحابي كان من أشرف قريش في الجاهلية وشهد مع مشركهم حروب الإسلام إلى عمرة الحديبية فأسلم قبل فتح مكة سنة ٧هـ فسر به النبي ﷺ ففتح كثيراً من البلاد له ١١٨ حديثاً وأخباره كثيرة (الأعلام ٢/٣٠٠).

(٢) عكرمة بن أبي جهل: (..-١٣هـ) المخزومي القرشي من صناديد قريش في الجاهلية والإسلام كان هو وأبوه من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ وأسلم عكرمة بعد فتح مكة وحسن إسلامه فشهد الوقائع وولي الأعمال لأبي بكر واستشهد في اليرموك أو يوم مرج الصفر وعمره: ٦٢ سنة (الأعلام ٤/٢٤٤).

(٣) أبو دجاجة (..-١١هـ) سماك بن خرشة الخزرجي البياضي الأنصاري صحابي كان شجاعاً بطلاً له أثار جميلة في الإسلام شهد بدرأ وثبت يوم أحد وأصيب بجراحات كثيرة واستشهد باليمامة كانت له مشية عجيبة في الخيلاء يضرب بها المثل، كان يقال له: ذو المشهرة، وهي درع يلبسها في الحرب وذو السيفين لقتاله يوم أحد بسيفه وسيف رسول الله ﷺ (الأعلام ٣/١٣٨).

(٤) الخبر في سيرة ابن هشام ٦٨/٣ وفيها: فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل

ألا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف الله والرسول

والكيول: آخر الصفوف، وليس في صحيح مسلم: «إنها لمشية يبغضها الله» (كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أبي دجاجة رقم ٤٥١٦).

(٥) وحشي: (..- نحو ٢٥هـ) وحشي بن حرب الحبشي أبو دسمة مولى بني نوفل صحابي من سودان مكة، كان من أبطال الموالى في الجاهلية، وهو قاتل حمزة يوم أحد ثم وفد على =



له جبير حين أراد الخروج: إن قتلت حمزة بعمي طعيمة - وكان قتله حمزة رضي الله عنه يوم بدر- فأنت عتيق، وقتل يومئذ حنظلة بن عامر<sup>(١)</sup> الذي يدعى الغسيل لقوله ﷺ: «إن صاحبكم لتغسله الملائكة فما شأنه؟» فقالت زوجته: خرج وهو جنب، ثم نصر الله المسلمين فحسوه<sup>(٢)</sup> بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر، وكانت الهزيمة لا شك فيها، وأخذ المسلمون يتبعونهم، فصرخ الشيطان: ألا إن محمداً قتل، فرجع أول المسلمين، واجتلدوا مع آخرهم، وانكشفوا فأصاب منهم العدو، وكان يوم بلاء، أكرم الله فيه من المسلمين بالشهادة من شاء، وكسرت رباعيته<sup>(٣)</sup> ﷺ وشج وجهه، وكلمت شفته، فجعل يمسح الدم ويقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم»<sup>(٤)</sup> فنزل قوله -جل اسمه-: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية [آل عمران: ١٢٨]، وظهر منه ﷺ في ذلك اليوم من الشجاعة ما ليس في مقدور البشر، رمى عن قوسه حتى اندقت، وقتل أبي بن خلف -لعنه الله-، وصدق الله مقالته ﷺ فيه: «أنا أقتلك إن شاء الله»<sup>(٥)</sup> وصلى رسول الله ﷺ الظهر قاعداً من الجراح، وصلى المسلمون

= النبي ﷺ مع وفد أهل الطائف بعد أخذها وأسلم فقال له النبي ﷺ: غيب عني وجهك يا وحشي لا أراك، وشهد اليرموك وشارك في قتل مسيلمة وزعم أنه رماه بحرته التي قتل بها حمزة وكان يقول: قتلت خير الناس وشر الناس، وسكن حمص ومات بها في خلافة عثمان (الأعلام ١١١/٨).

(١) حنظلة بن أبي عامر الأنصاري الأوسي المعروف بغسيل الملائكة كان أبوه يعرف في الجاهلية بالراهب ولكنه لم يسلم وأسلم ابنه حنظلة فحسن إسلامه واستشهد بأحد، قتله شداد بن شعوب، غسلته الملائكة لأنه خرج وهو جنب لما سمع الهيعة (الإصابة رقم ١٨٦٥، ١٣٧/٢).

(٢) فحسوه: الحس: القتل الذريع، وحسناهم: استأصلناهم قتلاً (اللسان ٥١/٦) ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾.

(٣) رباعيته: الرباعية: إحدى الأسنان الأربع التي تلي الثنايا بين الثنية والناب (اللسان ١٠٨/٨).

(٤) أخرجه ابن ماجه (رقم ٤٠١٧ كتاب الفتن باب الصبر على البلاء) وأخرجه أحمد رقم ١٢٦٦٣.

(٥) قال في الشفا: ص ١٦٠: ولما رآه أبي بن خلف يوم أحد وهو يقول: أين محمد لا نجوت إن نجا وقد كان يقول للنبي ﷺ حين افتدي يوم بدر: عندي فرس أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها فقال النبي ﷺ «أنا أقتلك إن شاء الله» فلما رآه يوم أحد شد أبي على فرسه على رسول الله ﷺ فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي ﷺ «هكذا» أي خلوا طريقه =

خلفه قعوداً<sup>(١)</sup> وكانت هذه الغزوة ابتلاء للمؤمنين وتمحيصاً، كما قال تعالى: ﴿إِن يَمَسَّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتَكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيَمَّحَصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمَّحَقَ الْكٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠-١٤١]. ومن المعجزات الواقعة فيها: رده ﷺ عين قتادة بن النعمان حين أصيبت، فكانت أحسن عينيه وأحدهما، وقد وفد رجل من ذريته على عمر بن عبد العزيز<sup>(٢)</sup> فسأله من أنت؟ فقال:

أنا ابن الذي سألت على الخد عينه      فردت بكف المصطفى أيما رد  
فعدت كما كانت لأول أمرها      فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد  
فوصله عمر وأحسن جائزته .

الثالثة غزوة حنين: وتسمى غزوة أوطاس باسم الموضع الذي كانت فيه الوقعة، من وطست الشيء إذا أثرت فيه، والوطيس: التنور، وفي هذه الغزوة قال ﷺ: «الآن حمي الوطيس» وذلك حين استعرت الحرب، قال السهيلي في

= فتناول حربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله النبي ﷺ فطعنه في عنقه تدأداً منها عن فرسه مراراً فرجع إلى قريش يقول: قتلني محمد وهم يقولون: لا بأس بك فقال: لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم أليس قد قال: أنا أقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم إلى مكة، قال محققه: رواه ابن سعد والبيهقي وعبد الرزاق والواقدي .

(١) الخبر في سيرة ابن هشام ٨٧/١، قال النووي في شرحه على صحيح مسلم ٤ / ١٣٢: أما قوله ﷺ: «وإذا صلى قاعداً فصلوا قعوداً» فاختلف العلماء فيه فقالت طائفة بظاهره، وممن قال به أحمد بن حنبل والأوزاعي رحمهما الله تعالى، وقال مالك رحمه الله تعالى في رواية: لا يجوز صلاة القادر على القيام خلف القاعد لا قائماً ولا قاعداً، وقال أبو حنيفة والشافعي وجمهور السلف رحمهم الله تعالى: لا يجوز للقادر على القيام أن يصلي خلف القاعد إلا قائماً واحتجوا بأن النبي ﷺ صلى في مرض وفاته بعد هذا قاعداً وأبو بكر رضي الله عنه والناس خلفه قياماً وإن كان بعض العلماء زعم أن أبا بكر رضي الله عنه كان هو الإمام والنبي ﷺ مقتد به لكن الصواب أن النبي ﷺ كان هو الإمام.

(٢) عمر بن عبد العزيز (٦١-١٠١هـ) الأموي القرشي أبو جعفر الخليفة الصالح والملك العادل وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيهاً له بهم وهو من ملوك الدولة مروانية الأموية بالشام ولد ونشأ بالمدينة وولي إمارتها للوليد ثم استوزره سليمان بالشام وولي الخلافة بعهد=

الروض الأنف<sup>(١)</sup>: وهذه الكلمة في المثل لم يسبق إليها ﷺ، كقوله: «مات حتف أنفه»<sup>(٢)</sup>، و«لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»<sup>(٣)</sup>، وكان رئيس المشركين في هذه الغزوة: مالك بن عوف بن سعد النضري، وذلك أنه لما سمع فتح مكة اجتمع فيه مع هوازن ثقيف وجشم وسعد بن بكر وناس من بني هلال، وحمل الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، وكان معهم دريد بن الصمة الجشمي<sup>(٤)</sup>، وكان يومئذ له مائة وستون سنة، وقيل: مائة وعشرون، فلما نزلوا بأوطاس قال دريد: بأي موضع أنتم؟ قالوا: بأوطاس قال: نعم مجال الخيل، لا حزن ضرر، ولا سهل دهس، ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاء؟ قالوا: مالك فعل ذلك فقال: يا مالك هذا يوم كائن له ما بعده، فلم سقت مع الناس المال والعيال؟ قال: أردت أن يقاتل كل رجل عن ماله وأهله فقال دريد: راعي ضأن والله، وهل يرد المنهزم شيء؟ إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيف أو رمح، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك، أرجع من معك إلى عليا بلادهم، ثم ألق الصبابة على متون الخيل، فإن كانت لك لحقك

= منه سنة ٩٩ فبويج في مسجد دمشق وسكن الناس في أيامه فمنع من سب علي رضي الله عنه ولم تطل مدة خلافته فتوفي بدير سمعان في المعرة ومدة خلافته سنتان ونصف وأخبار عدله وحسن سياسته كثيرة (الأعلام ٥/٥٠).

(١) الروض الأنف ٤/٢٠٦ .

(٢) أخرج أحمد رقم ١٥٨١٨ عن عبد الله بن عتيك قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «فمن خرج من بيته مجاهداً في سبيل الله ثم قال بأصبعه الثلاث الوسطى والسبابة والإبهام فجمعهن وقال أين المجاهدون؟ فخر عن دابته فمات فقد وقع أجره على الله أو لدغته دابة فمات فقد وقع أجره على الله أو مات حتف أنفه فقد وقع أجره على الله - والله إنها لكلمة ما سمعتها من أحد من العرب قبل رسول الله ﷺ - ومن مات قعصاً فقد استوجب المآب» .

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٥٦٦٨ كتاب الأدب باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)، ومسلم (رقم ٥٣١٧ كتاب الزهد والرفائق باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين).

(٤) دريد بن الصمة: ( . . . ٨٠هـ) الجشمي البكري من هوازن شجاع من الأبطال السفراء المعمرين في الجاهلية كان سيد جشم وفارسهم وقائدهم وغزا نحو مائة غزوة لم يهزم في واحدة منها وعاش حتى سقط حاجباه عن عينيه وأدرك الإسلام ولم يسلم فقتل على دين الجاهلية يوم حنين وكان أعمى والصمة لقب أبيه معاوية (الأعلام ٢/٣٣٩).

من وراءك، وإن كانت عليك أحرزتها، فأبى مالك، وقال: كبرت وكبر عقلك، وكره أن يكون لدريد فيها ذكر، ثم قال: يا معشر هوازن لتطيعنني، أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري فقال دريد: هذا يوم لم يفتني ولم أشهده، ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم، وشدوا شدة رجل واحد، وبعث عيوناً فأتوه، وقد تفرقت أوصالهم رعباً فقال: ويلكم ما شأنكم؟ قالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خيول بلق، فلم يرده ذلك، وخرج رسول الله ﷺ في اثني عشر ألفاً، عشرة آلاف من أصحابه الذين فتحوا معه مكة، وألفان من أهل مكة، واستعمل على مكة عتاب بن أسيد<sup>(١)</sup>، وقد استعار ﷺ من صفوان بن أمية<sup>(٢)</sup> مائة درع بما يكفيها، محمولة له فقال: أغضباً يا محمد فقال ﷺ: «بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك» فقال: ليس بهذا بأس، وأعاره وحملها، ولما استقبل الناس وادي حنين في عماية الصبح<sup>(٣)</sup>، وكان الكفار سبقوا إلى الوادي، وكنوا في مضايقه فشدوا على المسلمين شدة رجل واحد، وهم منحدرين، فرجع المسلمون لا يلوي بعضهم على بعض، وانحاز ﷺ ذات اليمين يقول: «هلم إلي أيها الناس» ولم يبق معه إلا نفر من المهاجرين والأنصار، منهم العباس رضي الله عنه، قال: لما رأى ﷺ الناس لا يلوون على شيء، وأنا أخذ بحكمة لجام بغلته البيضاء، أمرني أن أصرخ: «يا معشر الأنصار، يا معشر أصحاب السمرة»<sup>(٤)</sup> فصرخت فأجابوا: لبيك لبيك، فيذهب

(١) عتاب بن أسيد أبو عبد الرحمن وال أموي قرشي مكّي من الصحابة كان شجاعاً عاقلاً من أشرف العرب في صدر الإسلام أسلم يوم فتح مكة واستعمله النبي ﷺ عليها عند مخرجه إلى حنين وكان عمره ٢١ سنة وأقره أبو بكر فاستمر فيها إلى أن مات يوم مات أبو بكر وقيل إنه عاش إلى أواخر أيام عمر (الأعلام ٤/١٩٩).

(٢) صفوان بن أمية ( . . . - ٤١هـ) الجمحي القرشي المكّي أبو وهب صحابي فصيح جواد كان من أشرف قريش في الجاهلية وقنطر أبوه أي صار له قنطار ذهباً أسلم بعد الفتح وكان من المؤلفة قلوبهم وشهد اليرموك ومات بمكة له في كتب الحديث ١٣ حديثاً (الأعلام ٣/٢٠٥).

(٣) عماية الصبح: أي ظلمته وبقية ظلمة الليل في الصبح (اللسان ١٥/٩٨).

(٤) السمرة: هي الشجرة التي بايع المسلمون تحتها بيعة الرضوان فمعنى أصحاب السمرة: أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية.

الرجل ليثني بغيره، فلا يقدر على ذلك، فيقتحم عن بغيره، ويأخذ سلاحه، ويؤم الصوت حتى إذا اجتمع منهم مائة اقتتلوا، فنظر ﷺ إلى القوم فقال: «الآن حمي الوطيس»، فوالله ما رجع الناس من الهزيمة حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ، وفي ذلك اليوم قال ﷺ: «من قتل قتيلاً له عليه بيعة فله سلبه»<sup>(١)</sup>، ونهى ﷺ عن قتل المرأة والوليد حين مر بامرأة قتلها خالد بن الوليد.

وحدث ابن إسحق عن أبيه عن جبير بن مطعم قال: لقد رأيت قبل هزيمة القوم مثل البجاد الأسود، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فنظرت فإذا نمل أسود مبعوث قد ملأ الوادي لم نشك أنها الملائكة، وفي هذه الغزوة قال النبي ﷺ:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب<sup>(٢)</sup>

ثم جمعت إليه ﷺ سبايا القوم وأموالهم فأمر بها فحبست بالجعرانة حتى فرغ ﷺ من غزوة الطائف، ورجع إلى الجعرانة، فلحقه وفد هوازن بها، وقد أسلموا وقالوا: يا رسول الله إنا أهل وعشيرة، وقد أصابنا ما لا يخفى عليك، فامنن علينا من الله عليك، وإنما في الحضائر عماتك وخالاتك وحضائتك اللاتي كن يكفلنك، ولئن نزل بنا هذا مع غيرك من الملوك لرجونا عطفه، فأنت خير المكفولين، فقال ﷺ: «اختاروا إما النساء والأولاد أو المال» فاختاروا السبي فقال ﷺ: «ما كان لي ولعبد المطلب فهو لكم وإذا صلينا الظهر فقولوا: إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله ﷺ في أبنائنا ونسائنا» ففعلوا فقال رسول الله ﷺ: «أما ما كان لي ولعبد المطلب فهو لكم» فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ وقال الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وتمسك ناس فقال ﷺ: «أما من تمسك فله بكل إنسان ست فرائض من أول ما يفيء الله علينا فردوا إلى الناس أبنائهم ونساءهم» ثم قسم ﷺ

(١) أخرجه مسلم (٣٣٢٤) كتاب الجهاد والسير باب في غزوة حنين).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير باب من صف أصحابه عند العزيمة رقم ٢٧١٣)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير باب في غزوة حنين رقم ٣٣٢٥)، وانظره في الشفا ١٥٧.

المال في الناس، ولم يعط الأنصار شيئاً، فوجد بعضهم في نفسه من ذلك، فجمعهم رسول الله ﷺ وقال: «يا معشر الأنصار أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير، وتذهبون برسول الله ﷺ إلى رحالكم، لو سلك الناس وادياً أو شعباً لسلكت وادي الأنصار أو شعبها، الأنصار شعار، والناس دثار»<sup>(١)</sup> اهـ. من نقل شيخ الإسلام. وفيه أمران: الأول: ظاهره أن طلب هوازن المنّ كان قبل قسم السبايا، والذي في الروض الأنف<sup>(٢)</sup>: أنه كان بعد، ومن ثم استطاب ﷺ نفوس القوم، وعوض من لم تطب نفسه، ولو كان قبل القسم لكان له الخيار بين الفداء والقتل والمنّ والاسترقاق، وهو الصواب فيصرف ظاهر كلام شيخ الإسلام إليه. الثاني: أن ظاهر قوله: ثم قسم ﷺ المال إلخ أنه قسم رأس الغنيمة، ومن ثم تكلم الأنصار وقالوا: يعطي صنديد<sup>(٣)</sup> العرب ولا يعطينا، وأسيافنا تقطر من دمائهم، ومن ثم استطاب ﷺ نفوسهم بما عوضهم به، وألان لهم القول، وأظهر لهم مزاياهم، وأنهم أعلق الناس به، كما استطاب نفوسهم في رد السبايا، ولعل هذا هو الصواب في محمل فعله ﷺ، وقال السهيلي في الروض الأنف: إن للعلماء في ذلك ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أعطاهم من خمس الخمس، وهذا مردود، لأن خمس الخمس ملك له، ولا كلام لأحد فيه. الثاني: أنه خصهم بالغنيمة، وأن ذلك خاص بالنبي ﷺ لقول الله: ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١]، وهو مردود بنسخ هذه الآية، غير أن بعض العلماء احتج لهذا القول: بأن الأنصار لما انهزموا يوم حنين فأيد الله رسوله، وأمده بملائكته فلم يرجعوا حتى كان الفتح رد الله أمر مغانمها إلى رسوله ﷺ من أجل ذلك. قلت: ولا يخفى على كل ذي لب فساده، فإن الهزيمة لا توجب منع استحقاق الغنيمة، ولو كان الأمر كذلك لما احتاج ﷺ إلى استطابة نفوسهم، وذلك بين. القول

(١) أخرجه البخاري (رقم ٣٩٨٥ كتاب المغازي باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان)، ومسلم (رقم ١٧٥٨ كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفه قلوبهم على الإسلام).

(٢) الروض الأنف ٤/٢٦٥.

(٣) صنديد جمع صنديد وهو الملك الفخم الشريف وقيل السيد الشجاع (اللسان ٣/٢٦٠).

الثالث: وهو الذي اختاره أبو عبيد: أن إعطاءهم كان من الخمس، وأنه جائز للإمام أن يصرفه عن الأصناف المذكورة في الآية<sup>(١)</sup> حيث يرى أن فيه مصلحة للمسلمين اهـ. وفيه أنه لو كان كذلك لما كان قول الأنصار مقبولاً، إذ لم يدلوا في الاستحقاق بصفة أحد الأصناف المذكورين في آية الخمس، كما هو بين، ولما استطاب نفوسهم ﷺ، فالوجه ما ذكرناه - إن شاء الله - والله أعلم.

[١٣٩] الْمُضْطَرِيُّ الْبَيْضُ حُمْرًا بَعْدَ مَا وَرَدَتْ مِنْ الْعِدَا كُلِّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللَّمَمِ  
الإصدار: الإرجاع، يقال: صدر عن الماء إذا رجع عنه، وأصدره غيره: أرجعه وذلك بعد ريه منه، واسم المجرد الصادر، والمزيد المصدر، والجمع المصدرين، حذفت نونه للإضافة، ونصبه بتقدير العناية تفسيراً لصفة الصحابة التي تنوعت منها فصول وأنواع المقاتلة - كما أشرنا إليه قبل - . والبيض: جمع أبيض مراداً به هنا السيف. والحممر: جمع الأحمر، ونصبه على الحال. والورود: ضد الصدور. واللمم: جمع لمة، وهي الشعر المجاوز شحمة الأذن، فإذا بلغ المنكبين فهو الجممة.

والمعنى: أعني بالموصوفين بتنويع الحتوف في تلك الوقائع الذين يصدرون السيوف البيض حمراً من دم الكفار بعد ما وردت أعناقهم وفعلت في لممهم ورؤوسهم ما هو فعلها.

وفي اختيار الإصدار والورود إيحاء إلى أن للسيوف رغبة في دم أعدائهم بحيث تردها، وإن لم تورد، وأنها لشدة رغبتها فيها لا تصدر عنها بنفسها، ولا ترجع إلا بالإصدار، ولا يخفى ما في البيت من التضاد، ومراعاة النظر، وهو مأخوذ من قول عمرو بن كلثوم الثعلبي<sup>(٢)</sup>:

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَصَدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْفَتْرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

(٢) عمرو بن كلثوم ( . . . - ٤٠٠ ق هـ) من بني تغلب أبو الأسود شاعر جاهلي من الطبقة الأولى ولد في شمالي جزيرة العرب في بلاد ربيعة وتجول فيها وفي الشام والعراق ونجد وكان عزيزاً من الفتاك الشجعان ساد قومه وهو فتى عمر طويلاً وهو الذي قتل الملك عمرو بن هند، وهو من أصحاب المعلمات، مات في الجزيرة الفراتية (الأعلام ٨٤/٥).

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقيناً  
 فإننا نورد الرايات بيضاً ونصدرهن حمراً قد رويناً<sup>(١)</sup>  
 [١٤٠] وَالكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الْخَطِّ مَا تَرَكَتْ أَقْلَامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ  
 الكاتيبين: جمع كاتب، من كتب، بمعنى خط، مستعار هنا لتخطيط الأجسام  
 بأسنة الرماح. والسمر: جمع أسمر بمعنى الرمح. والخط: بمعنى الكتاب،  
 والمراد هنا: موضع باليمامة تجلب إليه الرماح من الهند فتقوم، وإليه تنسب  
 الرماح الخطية، ففيه تورية مرشحة. والأقلام: جمع قلم، الكتاب: مستعار هنا  
 للأسنة. وحرف كل شيء: طرفه، وسميت حروف التهجي بذلك، لأنها تقع  
 أطراف الكلمات. والجسم في المتعارف: هو الجوهر المركب الممتد في  
 الجهات. ومنعجم: اسم فاعل من انعجم مطاوع أعجم بمعنى أزال عنه العجمة،  
 فالهمزة للسلب.

والمعنى: والموقعين سهامهم في جميع أطراف العدا موقع الإعجام  
 في حروف التهجي، بحيث إنه ما أصابت سهامهم إلا مقاصدهم بالرمي، ولم  
 تكن الإصابة اتفافية، وذلك شأن الكاتب المعجم للحروف، ولا يخفى حسن  
 استعارة الكتابة لفعالهم وترشيحها بملائمات الكتابة مع حسن الإيهام في الخط  
 والحرف، ومن معنى البيت قول أبي العشائر:

أخا العشائر لو رأيت واقعي والخييل من تحت الأسنة تنحط  
 لرأيت منها ما تخط يد الوغى والبيض تشكل والأسنة تنقط  
 [١٤١] إن قام في جامع الهيجاء خاطبهم تصاممت عنه أذنا صمّة الصمم

الجامع: المكان يجتمع فيه القوم يدعوهم لذلك أمر يعم، ومنه جامع  
 الصلاة. والهيجاء: الحرب. والخاطب والخطيب من خطب كطلب خطبة  
 -بالضم- وهي كلمات تتضمن طلب شيء، فإن كان المطلوب نكاح امرأة كسرت  
 الخاء، والضمير للصحابة -رضي الله عنهم- والتصامم: تطلب الصمم وإظهاره

(١) ديوان عمرو بن كلثوم ٨٢.



ممن ليس به صمم . وأذنا: تثنية أذن، والإسناد مجازي . والصمة - بكسر الصاد وتشديد الميم -: الشجاع، ومنه دريد بن الصمة، وجمعه صمم .  
 والمعنى: أنه إذا قام في ميدان الحرب واحد من الصحابة - رضي الله عنهم - يدعو الكفار إلى البراز والمقاتلة بما يثير الحمية، ويبعث النفوس الأبية أعرض عنه أشجع الشجعان من الكفار، وأظهر من نفسه الصمم عن سماع كلامه، ورضي بمعرة التقاعد لما ملأ قلوبهم من الرعب، وقاسوه من مواقعهم المشروحة قبل .  
 ولا يخفى حسن استعارة الخطبة للدعاء إلى البراز بجامع أن كلاً شأنه التأثير .

[١٤٢] شَاكِي السَّلَاحِ لَهُمْ سَيِّمًا تَمَيَّزُهُمْ وَالْوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسَّيِّمَا مَنِ السَّلْمِ  
 شاكِي السِّلَاحِ: تامه أو حاده، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي السِّلَاحِ التام أو الحاد . والسِّيْمَا - بالقصر والمد -: العلامة . والتمييز: البيان والإيضاح . والورد: الزهر المعروف . والسلم: شجر له شوك يشابه شجر الورد .  
 والمعنى: أن السِّلَاحِ التام الحاد مختص بالصحابة - رضي الله عنهم - حتى صار علامة لهم يمتازون بها عن غيرهم من الكفار .  
 واختصاصه بهم من حيث ظهور أثره، فإن المراد من حمل السِّلَاحِ العمل به، والإظهار بسببه، وترتب الغلبة على فعله .  
 وقد تقدم من حال الصحابة - رضي الله عنهم - في الوقائع المتعددة ما دل على أن السِّلَاحِ بيدهم سلاح، وأن وجوده بيد الكفار كالعدم وقد قيل:  
 كل السِّلَاحِ جميع الناس تحمله      وليس كل ذوات المخلب السبع  
 وقيل:  
 وعادة السيف أن يزهو بجوهره      وليس يعمل إلا في يدَي بطل  
 وحمل السِّلَاحِ بدون عمل يرونه مشقة وشغلاً بلا فائدة، قال عمرو بن معد يكرب:

علام تقول الرمح يثقل عاتقي      إذا أنا لم أطعن إذا الخيل كرت<sup>(١)</sup>

وشرح المثل في عجز البيت بين بما شرحناه .

[١٤٣] تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَّاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمْ فَتَحَسَّبُ الزَّهْرَ فِي الْأَكْمَامِ كُلِّ كَمِي

تهدي - بضم التاء - مضارع أهدى إليه هدية، وهي اسم ما يعطى . والنصر: التأييد . وفي كليات الكفوي<sup>(١)</sup>: هو أخص من المعونة، لاختصاصه بدفع الضرا<sup>(٢)</sup>ه .

والنشر: الرائحة الطيبة . والأكمام: جمع كم - بكسر الكاف - وهو وعاء الزهر . والكمي: الشجاع المتكمي في سلاحه، واستعار الرياح للأحاديث، بجامع أن كلاً منهما يصور البعيد قريباً، والنشر لمدحهم بأفعالهم الجميلة ومواقعهم الجليلة بجامع التذاذ النفس وارتياحها بكل، والتشبيه على مقتضى إلف العادة وتمثيل المعنى بالمحسوس، كما في قوله - جل اسمه -: ﴿مَثَلُ نُورٍ كَمِشْكُورٍ﴾ الآية [النور: ٣٥]، وإلا فارتياح النفس بالأحاديث الجميلة أشد من ارتياحها بالروائح الطيبة، ولقد أحسن من قال:

وليس فتيق المسك ما تجدونه  
وقال أبو الطيب في سيف الدولة:

ألذ من الصهباء بالماء ذكره  
وأحسن من يسر تلقاه معدم<sup>(٣)</sup>  
وفي قوله: فتحسب الزهر إلخ تشبيهه معكوس إن كان إعرابه على ترتيبه فافهمه .

ومعنى البيت: واضح مما بيناه، واختيار صيغة المضارع، للدلالة على التجدد - كما لا يخفى - .

[١٤٤] كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبْتُ رَبًّا مِنْ شَدَّةِ الْحَزْمِ لَا مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ

(١) الكفوي: ( . . . - ١٠٩٤م) أيوب بن موسى الحسيني القريني أبو البقاء كان من قضاة الأحناف عاش وولي القضاء في كفة بتركيا وبالقدس وببغداد وعاد إلى استنبول فتوفي بها ودفن في تربة خالد، له كتب بالتركية (الأعلام ٣٨/٢) .

(٢) الكليات ٩٠٩ .

(٣) ديوان المتنبي ٢٠٨/٤ .

الظهور: جمع ظهر خلاف البطن. والنبت: النبات. والربا: جمع ربة -بالضم والفتح- وهي ما ارتفع من الأرض. والشدة -بكسر الشين- القوة، من شد اللئ أسره: قواه. والحزم: ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة. والشدة -بالفتح وأظنه مولداً- من شده: أوثقه. والحزم: جمع حزام -ككتب جمع كتاب- وهو هنا ما يشد به سروج الخيل ونحوها.

والمعنى: أن الفرسان من الصحابة -رضي الله عنهم- في حال القتال ثابتون في ظهور خيلهم ثابتاً لا تغيره صواعق الحرب وبقوارقها، كأنما هم في تلك الحالة نبت في ربا، لا تغيره السيول، ولا تدفعه المياه، وذلك الأمر من قوة الحزم والضبط، وليس من شدة وثاق الحزم، فإنه مع عدم الحزم غير نافع، ولله در أبي الطيب حيث يقول في ذلك:

ولكن إذا لم يحمل القلب كفه      على حالة لم يحمل الكف ساعد<sup>(١)</sup>  
وما ألطف ما جانس به الناظم في هذا البيت.

[١٤٥] طَارَتْ قُلُوبُ الْعِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقًا      فَمَا تَفَرَّقَ بَيْنَ الْبُهْمِ وَالْبُهْمِ  
طارت قلوب العدا: اضطربت اضطراباً شبيهاً بخفقان أجنحة الطائر. والبأس: العذاب والشدة. والفرق -بالتحريك-: الخوف. والتفريق: التمييز. والبهم -بفتح الباء وسكون الهاء- أولاد الضأن، وقيل: أولاد الضأن والمعز والبقر. والبهم -بضم الباء وفتح الهاء- جمع بهمة -بضم فسكون- قال أبو عبيدة: هو الفارس الذي لا يدري من أين يؤتى من شدة بأسه.

والمعنى: أن الكفار لشدة ما نزل بهم من بأس الصحابة -رضوان الله عليهم- امتلأت قلوبهم رعباً فاضطربت اضطراب الطائر، وزال عنها انبعاث أشعة الإدراك، فلم تميز أصحابها بين الضدين، أضعف المخلوق -وهو ولد الضأن- وأقواها -وهو الشجاع الباسل-، وفيه إيماء لطيف إلى سوء ما خامر عقولهم في معاودتهم الحروب وعدم الإذعان من ترقبهم الغلبة، وما ذلك إلا لاحتقارهم

(١) ديوان المتنبي ١/٣٩٤.

حال المحارب الناشئ عن اختلال العقول بما أدهشها من الخوف، ولا يخفى دقته، وإن لم يهتد إليه شيخ الإسلام، فتحير في تصحيح معنى البيت.

[١٤٦] وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نُصْرَتُهُ إِنَّ تَلْقَهُ الْأَسَدُ فِي آجَامِهَا تَجِمُ  
النصرة - بضم النون - اسم للنصر - وقد تقدم - والأسد - بضم الهمزة وسكون السين وتضم - جمع أسد. والآجام: جمع أجمة وهي مغيض الماء ينبت فيه الشجر ملتفاً بعضه ببعض، تأوي إليه الأسود. وتجم: تسكت فلا يسمع لها صوت خوفاً من أن يفتن بها، وخص الأسد بكونها في الآجام، لأنها فيها أخبث وأشجع، إذ هي محل منعته ومسكن صولتها.

ومعنى البيت: أن الصحابة لما كانوا يقاتلون عن رسول الله ﷺ، وعن دين الله القويم وصراطه المستقيم، وأن ما وقع لهم من النصر سببه التام هو ذلك، فلا عجب أن تمتلئ القلوب منهم رعباً، فلو دخلوا مساكن الأسود بذلك الوجه وأنتهم فيها لسكتت خوفاً من بأسهم. وتعقيب ما تقدم بهذا المعنى لرفع إيهام أن ما وقع من النصر كان سببه ما حكاه من حالة الصحابة في حزمهم وقوة أسلحتهم وتمام شجاعتهم، فإن ذلك وإن كان من الأسباب العادية إلا أن السبب الحقيقي هو القتال لإعلاء كلمة الله ونصرة نبيه ودينه، فلا يعتمد العاقل على قوة عُدده، وكثرة عُدده، إنما الاعتماد الحقيقي على إخلاص النية الصالحة، فلو لم يكن نصر من الله تعالى، وكان العمدة هو العدد والعدد، لكان في المقابل مقاومة، ولله در أبي تمام، إذ يقول في مدح المعتصم<sup>(١)</sup> بفتح عمورية:

رمى بك الله برجيتها فهدمها      ولو رمى بك غير الله لم يصب  
من بعد ما أشبوها واثقين بها      والله مفتاح باب المعقل الأشب<sup>(٢)</sup>

(١) المعتصم بالله (١٧٩-٢٢٧هـ) محمد بن هارون الرشيد بن المهدي، المعتصم بالله خليفة من أعظم خلفاء هذه الدولة بوبع بالخلافة سن ٢١٨هـ يوم وفاة أخيه المأمون وبعهد منه وكان بطرسوس وعاد إلى بغداد بعد سبعة أسابيع وكان قوي الساعد وكره التعليم في صغره فنشأ ضعيف القراءة يكاد يكون أمياً وهو فاتح عمورية وهو باني سامراء سنة ٢٢٢، خلافته ٨ سنين، وثمانية أشهر وخلف ٨ بنين و ٨ بنات وعمر ٤٨ سنة توفي بسامرا (الأعلام ١٢٧).

(٢) ديوان أبي تمام ٥٩/١.

وتأمل السر الإلهي والحكمة الربانية في تداول الحرب بين الصحابة والكفار، ووقوع الهزيمة في بعض المواقف - كما تقدم - إعطاء لحكم الأسباب العادية، وكان مآل الأمر الظفر والغلبة والنصر اعتباراً بالسبب الحقيقي ﴿وَمَا أَلْتَصُرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران ١٢٦] .

[١٤٧] وَلَنْ تَرَى مِنْ وُلِيِّ غَيْرِ مُنْتَصِرٍ بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرِ مُنْقَصِمٍ  
الولي: ضد العدو. والمنتصر: من انتصر مطاوع نصر. والمنقصم: من انقصم مطاوع قصمه.

والمعنى: أن كل من والاه ﷺ بالإيمان به واتباع سنته ونصر شريعته والذب عنها فهو منصور بالتأييد الإلهي على ضده، وكل من عانده وعاداه - والعياذ بالله - فهو منقصم مغلوب، فنفي الرؤية جعلها الناظم كناية عن نفي الوجود، وفيه تصريح بأن النصر بسببه ﷺ غير خاص بمن شاهده وقاتل معه، بل هو عام لكل ناصر له، وولي في كل زمان، ولذا أردفه بقوله:

[١٤٨] أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الْأَشْبَالِ فِي أَجْمِ  
أحل: أنزل، من حل بالمكان: نزل به. والأمة: الجماعة من الناس، والمراد أمة الإجابة الذين آمنوا به واتبعوه ﷺ. والحرز: الموضع الحصين. والملة: الدين والشريعة. والليث: الأسد. والشبل: ولده. والأجم: جمع قلة للأجمة - وتقدم معناها -.

والمعنى: أنه ﷺ أنزل أمته حصناً من ملته الزكية لا يرام، وعصمهم بحبل الله الذي ليس له انفصام، وضمهم إليه باتباعه في ذلك الحصن ضم الليث لأشباله في محل منعته، وهذا حكم عام، كما يقتضيه لفظ الأمة، وذكره عقب البيت السابق العام الحكم في كل موال شاهد بذلك، فما دامت الأمة في ذلك الحصن الحصين، والحرز الشامخ المتين، لا يضرهم من ناوأهم، فإذا خرجوا منه وأهملوا في التمسك به صاروا نهبة كل ناهب، ومطمع كل طالب<sup>(١)</sup>، وفي

(١) أخرج أبو داود (كتاب الملاحم باب في تداعي الأمم على الإسلام رقم ٣٧٤٥)، وأحمد (رقم ٢١٣٦٣) عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير =

الحديث الشريف من معالم نبوته ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»<sup>(١)</sup>، وتلك الطائفة هي المتمسكة بحصن الملة، فلا يشكل على مدلول البيت ما لحق بعض الأمة من الهوان: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وبهذا يتضح شأن دعائه ﷺ المجاب: «أن لا يسلط على أمته عدواً من سوى أنفسهم»<sup>(٢)</sup>.

[١٤٩] كَمْ جَدَلْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ مِنْ جَدِيلٍ فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ الْبُرْهَانَ مِنْ خَصِمٍ  
 كم: خبرية مراد بها الكثير، وهي مفعول جدلت - بالتشديد والتخفيف -  
 بمعنى صرعت على الجدالة أي الأرض، وهو استعارة من صورة الغلبة الحسية  
 إلى الغلبة المعقولة. وكلمات الله تعالى: آياته القرآنية. والجَدِيل - بالتحريك -  
 اللدد في الخصومة، وخصمه: غلبه في الخصومة. والبرهان: الحجة الواضحة،  
 قال شيخ الإسلام: وفي بعض الشروح القرآن بدل البرهان. والخصم - بكسر  
 الصاد -: الشديد الخصومة.

والمعنى: كثيراً ما أرغمت أي الكتاب أنوف المعاندين المجادلين، فتركتهم  
 صرعى الغلبة، وكثيراً ما خاصمت البراهين الواضحة، والمعجزات الباهرة من  
 خاصمه في دعوى النبوة حتى غلبته وأفحم، ولما كانت مخاصمة أي الكتاب

= ولكنكم غناء كغناء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم  
 الوهن فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من  
 أمتي ظاهرين» رقم ٦٧٦٧)، ومسلم (كتاب الإمارة باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي  
 ظاهرين على الحق» رقم ٣٥٤٤).

(٢) أخرج مسلم (رقم ٥١٤٤ كتاب الفتن باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض): عن ثوبان قال:  
 قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربتها وإن أمتي سيبلغ  
 ملكها ما زوي لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي أن لا  
 يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال:  
 يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن  
 لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال  
 من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً».

أقوى من مخاصمة غيرها من المعجزات، نسب إلى الأولى التجديل الذي هو أقوى غلبية، وإلى الثانية مطلقها، فإن قلت: على نسخة القرآن بدل البرهان، ما الفرق بين الأول والثاني؟ قلت: الفرق باعتبار ما نطقت به الآيات من نبوته وبعثته وتصديقه وذكره في التوراة والإنجيل وغير ذلك، وباعتبار البلاغة المعجزة، فيحمل الأول على الأول، والثاني على الثاني، وظهر سر الفرق في التعبير في الأول بالكلمات، وفي الثاني بالقرآن - كما لا يخفى على ذي لب سليم - فيكون حاصل المعنى أن آي القرآن جدلت بمدلولاتها ومعانيها وبحالتها البلاغية التي هي نهاية الإعجاز، غير أن نسخة البرهان أوضح وأشمل لعمومه جميع المعجزات، وبه ينتظم الكلام، ويظهر ربط البيت بقوله:

[١٥٠] كفاك بالعلم في الأميِّ مُعْجَزَةً في الجاهليَّةِ والتَّأْدِيبِ في اليُّثمِ كفاك: بمعنى حسبك. والخطاب عمومي - كما تقدم غير مرة - وبالعلم:

فاعله زيدت فيه الباء على ما هو الكثير. والأي: صفة لمحذوف تقديره النبي الأمي، وهو منسوب إلى أمة العرب، إذ كانوا ليسوا من أهل الكتابة والعلم، قال - جل ثناؤه -: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢]. أو منسوب إلى الأم أي أنه على الحالة التي ولدته عليها، وهي حالة الجهالة، والمعنى به الذي لا يقرأ ولا يكتب، وهو في غيره ﷺ من الصفات الذميمة، أما فيه ﷺ فهو من كمالاته الخارقة، لأن ذم وصف الأمية لما يقتضيه من كمال الجهالة، وحيث صحب في ذاته الشريفة كمال العلم البشري ونهايته، كان من أعز الصفات وأشرفها، ومن ثم كان من المعجزات. والجاهلية<sup>(١)</sup>: هي أمة العرب، وهو زيادة تأكيد للإعجاز.

(١) من إملاءات أستاذنا الدكتور أحمد حالو في مادة الأدب الجاهلي عام ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، بحث دقيق في تحديد معنى الجاهلية قال: " تعددت الآراء، واختلفت في تحديد معنى الجاهلية وبيان المقصود منها، فمن ذلك أن الجاهلية مشتقة من الجهل بمعنى السفه والنزق (شدة الغضب) فهي ضد الحلم، وقد تشير إلى الجهل من الناحية الدينية، فقد كان العرب قبل بعثة النبي ﷺ في ضلال ديني وظلام دامس في العقيدة، فلما جاء الإسلام أخرجهم من الظلمات إلى النور فأزاح عنهم جهل العقيدة وأسبغ عليهم نور العلم بحقيقة الله، وفيما يلي سنتناول =

والتأديب: مصدر أدبه فتأدب أي صار ذا أخلاق حسنة وشيم جميلة. واليتم

هذه الآراء بشيء من التوضيح محاولين الوصول إلى تحديد معنى الجاهلية بما يطابق حال العرب وما كانت عليه حياتهم في العصر الجاهلي . أولاً فالجاهلية فيمن قال إنها نقيض العلم مأخوذة من الجاهلي نسبة إلى الجاهل المشتق من الجهل . والجهل في اللغة نقيض العلم، ويقول الآلوسي في كتابه: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: هو عدم العلم أو عدم اتباع العلم . . فمن قال خلاف الحق عالماً أو غير عالم فهو جاهل . وعلى هذا الرأي فالعرب كانوا جاهليين أي غير عالمين أو غير متبعين ما يقتضيه العلم، وهل كان العرب قبل الإسلام حقاً كذلك؟ إن هذا الرأي يقتضي أن العرب قبل الإسلام لم يكن لديهم علم ألبتة، أو كان لديهم علم، ولكن سلوكهم كان على غير مقتضاه ويبدو أن الاحتمال الثاني هو الأقرب إلى الصواب بل هو الصواب، فلم يكن العرب في ذلك الوقت جاهلين جهلاً بيناً في العلم فقد ثبت:

أ- أنهم كانوا أهل ذكاء ودراية وخبرة (كعلم الأنساب والفلك وتبع الآثار ودراسة الأعشاب ومعرفة أوقات المطر والسحب) وكان فيهم أذهان صافية، ونظرات صادقة في الطبيعة وأحوال الإنسان بما لا يقل عن بعض نظرات الفلاسفة والباحثين والمفكرين .

ب- وما يروى لهم من الشعر يدل على صفاء نفوسهم وصدق عواطفهم ووصول شعرهم إلينا وهو على هذه الحال من النضج والكمال يدل على أنهم استعملوا عقولهم وتفكيرهم وأذواقهم في مجال التعبير والتصوير حتى وصلوا بفنهم إلى هذه الدرجة العليا من الدقة والعدوية والجمال .

ج- ثم إن القرآن الكريم دل دلالة واضحة على ما كان عليه العرب من تقدم ورسوخ في ميادين البلاغة ومجالات التعبير فقد كانوا يفهمونه ويدركون مقاصده وأكثرها من الجدل والمناقشة حوله، وذلك لا يتسنى لجاهل ليس لديه شيء من علم أو معرفة، ثم إن الله تحداهم والتحدي لا يكون بين جاهل وعالم . .

د- ولا ننسى في هذا المجال آثارهم العظيمة التي تحدث عنها التاريخ من مدن فخمة ومبان شاهقة وأعمال هندسية ونظم في المعيشة والسياسة والتجارة والحروب ولا سيما عند عرب الجنوب وما قيل عن معارفهم وخبراتهم في نواح متعددة تدل على تفكير سليم وإدراك صحيح . هذا إذا فسرنا الجاهل الذي وصف به العربي قبل الإسلام بغير العالم أما إذا فسرناه بأنه من يفعل فعل غير العالم فإن هذا الوصف ينطبق على العربي بوجه عام قبل البعثة، فما أثر عن العرب من أقوال وحكم ونصائح وأعمال يتنافى مع ما أثر عنهم من سلوك في بعض مآثر الحياة كالعنف والظلم وسيادة القوة والسلاح والإسراف إلى حد الإلتلاف وتقديس ما لا يملك لهم نفعاً ولا ضرراً، فهذا ما يمكن أن يقال عن الجاهل الذي وصف به العرب إذا فسر الجاهل بأنه نقيض العلم .

ثانياً: ولكن للجاهلية معنى آخر وهو ما أشار إليه الدكتور شوقي ضيف بقوله: وينبغي أن تعرف أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم =



- بسكون التاء، وضمت في النظم إتباعاً لضممة الياء لضرورة النظم - وهو في الناس فقد الأب، وفي البهائم فقد الأم.

= ونقيضه إنما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق فهي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله عز وجل وما يطوى فيها من سلوك خلقي كريم .  
ولا شك أن التفسير للجهل بأنه ضد الحلم تفسير صحيح سليم مطابق تماماً لحال العرب قبل البعثة النبوية فالحلم سيد الأخلاق وتندرج تحته جميع الخصال الحميدة والجهل الذي ينافي الحلم معناه: السفه والحمق والتهور وعدم القدرة على ضبط النفس واشتداد ثورة الغضب والاندفاع من غير تريث ولا صبر ولا تفكير وهذه كلها صفات منتشرة بين العرب قبل الإسلام، إذ كان العربي يثور لأنفه الأسباب ويشعر نار الحرب وإذا ما توهم إساءة من غيره وقد ورد استعمال لفظة الجهل ومشتقاتها في هذا المعنى كثيراً ففي سورة الفرقان: ٩٣ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَلَى الْآرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ وفي الحديث النبوي أن الرسول ﷺ قال لأبي ذر رضي الله عنه وقد عير رجلاً بأمه: «إنك امرؤ فيك جاهلية»، وفي معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فالجهل هنا مقصود به السفه وعدم ضبط النفس وعدم السلوك السليم . ولكن ينبغي ألا يغيب عن أذهاننا أن ذلك كان حال القوم في مجموعهم، لأنه لم يكن كل واحد منهم موصوفاً بهذه الصفات التي تتنافى مع العقل والحكمة والاتزان، فقد كان هناك أفراد اشتهروا بالعقل السديد والرأي الصائب وبعد النظر وحسن السلوك والسيرة، حتى إن العرب اتخذوهم حكاماً يستشيرونهم في شؤونهم فمنه هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر: أكتم بن صيفي وحاجب بن زرارة التميميان، وهاشم بن عبد مناف وعبد المطلب بن هاشم القرشيان، وضمرة بن ضمرة النهشلي، وذو الأصبع العدواني، وغيلان بن سلمة الثقفي، وسانن بن أبي حارثة المري، وحاتم الطائي، ولم يقتصر الأمر على الرجال بل كان من نساء الجاهلية من اشتهرن بالحكمة وحدة الذكاء وقوة العقل وسداد الرأي ومنهن ابنة الخس الإيادية وصُحِب بنت لقمان وحذام بنت الريان وسفانة بنت حاتم الطائية والخنساء السلمية وغيرهن . وبهذا يكون الجهل الذي به وُصِم على وجه العموم الجهل الديني أو الجهل الذي يتنافى مع صفات العالم الرشيد وما ليس من سلوك الحليم الموصوف بالعقل السديد والرأي الصحيح . ولو اعترض على هذا بأن الله وصفهم بالأميين فنقول الأمي هو من لا يقرأ ولا يكتب فالنبي ﷺ وصف بالأمي ولا يدل هذا على أنه جاهل . وأخيراً لا يفوتنا أن نحدد زمنها وقد نجد في ذلك شيئاً من الصعوبة لاختلاف الآراء حول هذا الموضوع:

١- فمن قائل: إنه الزمن الفاصل بين الرسولين الكريمين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وبهذا التحديد أخذ الألووسي ودائرة المعارف الإسلامية .

والمعنى: يكفي من معجزاته الدالة على صدق نبوته ما له من العلوم والمعارف التي بعضها علم اللوح والقلم، كما سيقول الناظم -رحمه الله- مع كونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ونشأ في أمة جاهلية لا يمكن حصول العلم بالسمع منها قال -جل ثناؤه-: ﴿وَمَا كُنْتَ تَسْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِأَرْتَابِ الْمُبْتَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] كما يكفي من كراماته الخارقة للعادات: ما نشأ عليه من مكارم الأخلاق، وحسن الشيم المشهود له به في الكتاب والسنة -كما تقدم في شرح قوله: أكرم إلخ- مع صفة اليتيم التي شأنها في مجال العادة الإهمال وعدم اكتساب المحامد، وما ذاك إلا بتأديب الله عز وجل. ولقد قال له ﷺ أبو بكر رضي الله عنه يوماً من أدبك يا رسول الله؟ فقال: «أدبني ربي»<sup>(١)</sup>، وتقدم معنى قول عائشة -رضي الله عنها-: كان خلقه القرآن. فتذكره.

[١٥١] خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ أَسْتَقِيلُ بِهِ ذُنُوبَ عُمَرِ مَضَى فِي الشَّعْرِ وَالْخِدْمِ  
الخدمة: معروفة، ومفعوله ضمير النبي ﷺ، والمديح: المدح، وهو الثناء الحسن مطلقاً وإن كان في الأصل خاصاً بالسجايا، وتنكيره للتقليل. والاستقالة: طلب الإقالة، وهي في الأصل: فسخ البيع، استعيرت هنا للخلاص من الذنوب،

٢- وذهب آخرون إلى أن بداية الجاهلية لا يمكن تحديدها ولكن نهايتها ظهور الإسلام وقطع الدكتور شوقي ضيف بأنها في حدود قرن ونصف من آخر الزمن الذي سبق الإسلام ملاحظاً ما ذكره الجاحظ حول هذا الموضوع إذ يقول: "أما الشعر -العربي- فحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس ومهلهل بن أبي ربيعة. فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار مائتي عام". ويقول الدكتور شوقي ضيف: وهي ملاحظة دقيقة لأن ما قبل هذا التاريخ في الشعر العربي مجهول ونفس تاريخ العرب الشماليين يشوبه الغموض منذ قضى الرومان على دولتيهم في بترها وتدمر إلا بعض أخبار فارسية وبيزنطية قليلة وبعض نقوش عثر عليها علماء السمايات وتشير تلك النقوش والأخبار إلى إمارات الغساسنة في الشام والمناذرة في الحيرة ومملكة كندا في شمالي نجد، غير أن معلوماتنا عن هذه الإمارات فيما وراء القرن السادس الميلادي محدودة وهي إنما تتضح في العصر الجاهلي الذي نتحدث عنه بحدود مائة وخمسين عاماً قبل الإسلام.

(١) قال العجلوني (كشف الخفا ٧٠/١): الحديث معناه صحيح لكن لم يأت من طريق صحيح كما في اللآلئ.

كأنها لما اكتسبت باختيار العبد أشبهت المشتري. والعمر: مدة الحياة. ومضى: ذهب. والشعر: تقدم شرحه أول الكتاب. والخدم - بكسر الخاء وفتح الدال - جمع خدمة، مصدر خدمته.

والمعنى: خدمت جنابه ﷺ وتقربت إليه بهذا المديح المشتمل على النزر من صفاته الكاملة أطلب بذلك التوسل بجنابه المرفع إلى الله أن يتجاوز عما مضى من الذنوب في الزمن السالف، الذي الباقي بالنسبة إليه كالعدم، كما هو مقتضى تسميته عمراً، ومن جملة تلك الذنوب قول الشعر ومدحه الناس به، فإن ذلك وإن كان فيه المباح، لكنه تضييع لحصة من العمر في غير المطلوب منه. ولقد أحسن - رحمه الله - ما شاء، إذ ذكر من الذنوب: الشعر والخدم، فناسب الوسيلة التي هي خدمته ﷺ بمديح الشعر.

وقد جاء في الشريعة: أن بعض السيئات يكفر بحسنة من جنسها. كقوله<sup>(١)</sup> ﷺ: «من حلف بالللات والعزى<sup>(٢)</sup> فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال: تعال أقامرك فليتصدق»<sup>(٣)</sup>. ولله در الناظم إذ جعل ما ذكره من المدح خدمة وتقرباً لما طبعت عليه النفوس الكريمة من ارتياحها إلى المديح، وإقبالها على صاحبه، وقد عهد ذلك منه ﷺ، كما تقدم أول الكتاب، فقصده بذلك نفع نفسه لا المديح المجرد، وهذا شأن كل مادمح له، إذ مقامه ﷺ يجعل عن أن يظهر شمائله مخلوق، ولله در محمد بن هانئ<sup>(٤)</sup> إذ يقول:

(١) في الأصل: لقوله والصحيح ما أثبتناه .

(٢) اللات: صخرة مربعة كان سدنتها من ثقيف وكانت بالطائف وكانت قريش وجميع العرب تعظمها وهدمها المغيرة بن شعبة وحرقتها بالنار.

والعزى: شجرة اتخذها ظالم بن أسعد وكانت بوادي نخلة بنوا عليها بيتاً وقد بعث النبي ﷺ خالداً بعد فتح مكة فعضد الشجرة وقتل سادنها واسمه ذبيبة (تفسير القرطبي ١٧/٩٩).

(٣) أخرجه مسلم رقم ٣١٠٧ كتاب الأيمان باب من حلف بالللات والعزى، والبخاري (رقم ٤٤٨٢ كتاب تفسير القرآن باب ﴿أَفْرَيْتُمْ أَلَلَّتْ وَالْعُرَى﴾).

(٤) محمد بن هانئ الأندلسي (٣٢٦-٣٦٢هـ) الأزدي أبو القاسم أشعر المغاربة على الإطلاق وهو عندهم كالمتمني عند أهل المشرق وكانا معاصرين ولد بإشبيلية واتهمه أهلها بنزعة إسماعيلية طوف في البلاد ثم أراد أن يأخذ بأهله إلى مصر حيث المعز العبيدي فقتل ببرقة غيلة (الأعلام ١٣٠/٧).

أغير الذي قد خط في اللوح أبتغي مديحاً له إنني إذا لعنود  
وما يستوي مدح من الله منزل وقافية في الغابرين شرود<sup>(١)</sup>

[١٥٢] إذ قلداني ما تُخشى عواقبه كأنني بهما هدي من النعم

قلده الأمر: جعله له قلادة، وهي ما يوضع في العنق، ثم كثيراً ما يستعار للمعاني اللازمة - كما هنا - . وضمير التثنية للشعر والخدم. وتُخشى: من خشي<sup>(٢)</sup> الأمر: خافه. والعواقب: جمع عاقبة وهو ما يؤول إليه الأمر، والشأن فيه أن يكون على خلاف المترقب، كما في قوله تعالى: ﴿فَالْقَطْعَةُ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، والمراد بما تخشى عواقبه: ما لا يسلم منه الشاعر المادح من زخرف القول. والهدي: ما يهدى إلى الحرم. والنعم: اسم جنس يقال على الإبل، قال السهيلي في الروض الأنف في شرح قول حسان رضي الله عنه:

وكانت لا يزال بها أنيس خلال مروجها نعم وشاء<sup>(٣)</sup>  
"النعم: الإبل، فإذا قيل الأنعام: دخل فيه البقر والغنم والشاء<sup>(٤)</sup>". والباء في بهما سببية. وإذ في صدر البيت: تعليلية.

والمعنى: إنما طلبت بمديحه ﷺ الخلاص من مواقع الشعر والخدم، لأنهما وسماني سمة مخوفة العواقب الدنيوية والأخروية، حتى صرت بسببهما كالهدي المقلد الذي مآله النحر، وحاله غير خفي بشعاره مما يعلق في عنقه للدلالة على كونه هدياً ولا يهتدي إلى وجه الخلاص، وفي هذا التشبيه إيماء إلى أن تعاطي ذلك وإن كان قصدياً لكن صاحبه لما لم يتدبر في العواقب كان بالأنعام أشبه، وقد ضرب الله المثل لمن لا يهتدي بنور عقله بالأنعام في قوله - جل اسمه - : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

(١) ديوان ابن هاني ٩٨ .

(٢) هو من خشي لا من خشي .

(٣) ديوان حسان بن ثابت ١٧/١ .

(٤) الروض الأنف ١٨٤/٤ .

[١٥٣] أَطَعْتُ غِيَّ الصُّبَا فِي الْحَالَتَيْنِ وَمَا حَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الْآثَامِ وَالنَّدَمِ

أطاعه: انقاد إليه. والغى: الضلال. والصبأ-بالكسر-: جهلة الفتوة والشباب. والحالتين: الشعر والخدم. والآثام جمع إثم. والندم: الأسف.

ومعنى البيت: اعتذار عن ارتكاب الحالين مع كونهما مؤديين إلى عدم النجاة، فإن ضلالة الشباب وجهل الفتوة دعياه<sup>(١)</sup> إلى ارتكاب ما ارتكب منهما، لأن الشباب «شعبة من الجنون»<sup>(٢)</sup>، إذ لم يكمل العقل حينئذ، وبه يقوى داعي الهوى، لوجود القوة والبطالة وطول أمل العيش وتزيين الباطل بصورة الحق وتخيل الشهوة ما في الفعل من الحسن، حتى إذا أدركه الكبر، ورجع إلى حكم العقل وجد ما كان يخيل حسناً قبيحاً، وألفى مطامعه نار حباحب<sup>(٣)</sup>، ولم يحصل له من آثار ما فعل إلا ما يسوء منه من ترتب الآثام والتأسف على الفئات، حيث اتضحت عواقبه، وفي ضمن هذا الاعتذار إقرار وتوبة، وفيه إيماء لطيف إلى أن المعصية وإن كانت في نفسها معصية إلا أنه ربما يعذر صاحبها في مجاري العادات، وذلك بتوفر الدواعي وقوة الأسباب حتى لا يكون الوقوع فيها بمجرد المخالفة، كاتباع الشهوات في زمن الشباب -كما قدمنا- ومن ثم عظم شأن الطاعة فيه حتى عد صاحبه من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله<sup>(٤)</sup>، وعظم أمر المعصية في غيره، كما ورد في الشيخ الزاني، وأنه لا يكلمه الله، كما في حديث: «ثلاثة لا يكلمهم الله»<sup>(٥)</sup> الحديث.

(١) يقال: دعواه لا دعياه. أفادني بذلك فضيلة أستاذنا الدكتور مازن المبارك.

(٢) إشارة للحديث: «الشباب شعبة من الجنون»، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٠٦/٧، رقم ٣٤٥٥٢ وهو في مسند الشهاب ٦٦/١ رقم ٥٤، والديلمي في الفردوس ٣٧٣/٢ رقم ٣٦٦٥.

(٣) نار حباحب: ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة وقيل ذباب يطير بالليل كأنه نار (اللسان ٢٩٧/١).

(٤) أخرجه البخاري (رقم ٦٢٠ كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة)، ومسلم (رقم ١٧١٢ كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة).

(٥) أخرج مسلم (١٥٦ كتاب الإيمان باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر».

[١٥٤] فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسْمِ

الفاء: للتفريع. والخسارة في التجارة: الغبن فيها والنقص. والتجارة: البيع والشراء. ولفظ النفس روي بالإضافة إلى ياء المتكلم يعني نفسه، وعليه فجملة لم تشتري بيان لوجه الخسارة، ويروى بالتنكير على معنى أي نفس كانت، وعليه فجملة لم تشتري حال هي مناط التعجب من الخسارة، وفيه تأكيد لحكم نفسه في ذلك لنفي احتمال الخصيصة الشخصية. والسوم: بذل الثمن لإرادة الشراء.

والمعنى: عظمت خسارة نفس، وضل سعيها حالة كونها متمسكة بزهرات الدنيا ولذاتها، ولم تبدلها بالدين<sup>(١)</sup> والطاعة، ولا أخذت في مسالك ذلك، واختارت اتباع الشهوات واستبدلتها من المطلوب منها من أنواع العبادات، فشبه هذه الحالة بحالة الخسارة في البيع بسوء تدبير التاجر واستعار لها تركيبها اقتباساً من قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ بِحَدِيثِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦]، وفيه إيماء لطيف إلى أن حالة الحياة الدنيا غير مقصودة لذاتها، إنما المقصود منها بذلها في الطاعات واكتساب الحسنات، كما تبذل الأموال في شراء ما ينمي المال، ويكثر المكاسب، ويقول: لم تسم يترجح عندي رواية الإضافة في نفسي، إذ على التنكير تتعين الحالية في جملة لم تشتري - كما أشرنا إليه - فيلزم أن يكون عظم الخسران من مجموع عدم الشراء والسوم، وفساده بين، كما أنه يلزم التكرار في عموم الحكم في البيت بعده، وقد تبين بما شرحناه أن النفس باعت واشترت وسعت في المكاسب، وتاجرت غير أنها ارتكبت طريق الغبن والخسران واستبدلت ما يوجب العز بموجب الهوان - كما صرح بذلك في البيت بعده - ولشيخ الإسلام هاهنا كلمات غير ملتزمة، فتدبرها مع ما ذكرناه.

[١٥٥] وَمَنْ يَبِيعُ أَجْلاً مِنْهُ بِعَاجِلِهِ يَبِئْ لَهُ الْعَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمٍ

البيع: معروف ويطلق على الشراء، قال الجوهرى: ومنه قوله ﷺ: «ولا يبيع

(١) يجب التنبيه إلى ما وقع فيه ابن عاشور من السهو في استعمال الباء كما أشرنا إليه سابقاً وقد

تكرر هذا السهو كثيراً في جل باءات الاستبدال.

على بيع أخيه»<sup>(١)</sup> أي لا يشتر، لأن النهي للمشتري لا للبائع<sup>(٢)</sup>. والآجل: المتأخر. والعاجل: ضده. والغبن في البيع: المخادعة فيه. والسلم: أصله لغة: السلف، وفي عرف أهل الشرع: بيع ما ليس بحاضر يتقرر في ذمة البائع مع تعجيل الثمن على شروطه المقررة في كتب الفروع.

والمعنى: كل من استبدل الآجل بالعاجل، ورضي بما يحصل له عاجلاً عوض ما يؤول إليه آجلاً فلا بد من غبن له ونقص، ضرورة أنه لا بد للتأخير من فرط، فالبائع يخدع ويغتر بلذة ما يحصل بيده من الثمن الحال، ويغفل عما ينقص له لو باعه في وقته الذي لم يفته فيه إلا عدم تعجيل تلك اللذة الآنية، ثم إنه يدخل في مخاطرة حيلولة العوائق بينه وبين حصول المبيع في آجله فتجرع مع مرارة الغبن حرارة الطلب، وربما كان عاقبة ذلك سوءاً، ولما كان هذا البيع يتأخر قبض المبيع فيه مع تنجيز الثمن كان سلباً فعطف على البيع السلم للبيان.

وضرب الناظم هذا المعنى مثلاً لمن يغتر بزهرات الدنيا معرضاً بها عن الطاعات المحمودة العواقب، والضمائر في البيت عائدة على مَنْ، ونسبة العاجل والآجل لما صدقت عليه لا سترة فيه.

[١٥٦] إِنْ آتٍ ذَنْبًا فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ مِّنَ النَّبِيِّ وَلَا حَبْلِي بِمُنْصَرِمٍ

آت: مضارع أتى الشيء جاءه. والفاء: جزائية. والعهد: رعاية الحرمة والأمان والذمة. ومنتقض: منكوث، من النقض ضد الإبرام. والحبل: معروف، استعمل هنا في الوصلة، وهي استعارة شهيرة. والمنصرم: المنقطع.

ومعنى البيت: أني وإن كنت أجرمت، ومن كؤوس المآثم تجرعت، فلا يوجب ذلك إياسي من المغفرة، ولا يقطع مني رجاء العفو والرحمة، لأن لي

(١) أخرج البخاري (رقم ١٩٩٦ كتاب البيوع باب لا يبيع على بيع أخيه)، ومسلم (رقم ٢٥٣٢ كتاب النكاح باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه حتى يأذن أو يترك) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد ولا تناجشوا ولا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إناها .

(٢) الصحاح ١/١٣١. بيع .

عهداً محكماً، وصلة وثيقة بالنبي ﷺ لا يئس معهما صاحبهما، ولو كان صاحب اجترام، وحيث تعين أن المراد من الشرطية بيان أن الذنب لا يسطو على عهده ﷺ، ولا يخفى أن ذلك حكم لذات عهده ﷺ فلا اعتبار حينئذ بما تقتضيه الشرطية من الاستقبال وترتب إشكال في النظم، وتكلف الجواب كما وقعوا فيه، ويعني بالعهد: ما بيته البيت بعده، ومن العجب أن شيخ الإسلام حملة على عهد الإيمان مع تكفل الناظم ببيانه، وأنه تكلف ربطه به بما لا ينبغي من مثله، وفيه مع ذلك بعد عن مرامه، فإنه مقر بتدنيس عهد الإيمان بارتكاب المخالفات، ومن ثم التجأ إلى الوصلة بكونه سميّاً له ﷺ حيث قال:

[١٥٧] فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَّتِي مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذَّمِّ  
فإنه استدلال على إحكام العهد، وبيان لطريقه. والذمة: العهد - كما تقدم -  
وضمير منه للنبي ﷺ. والتسمية: مصدر سماه يسميه إذا جعل له اسماً. والوفاء  
بالذمة: اعتبارها وأداء حقها.

والمعنى: أن لي ذماماً منه ﷺ لا يخفر واعتلاقاً لا يجحد اعتباره ولا ينكر، وهو التسمية باسمه الشريف، والتطفل بها على خصيصية النسبة إلى مقامه الشامخ المنيف، إذ المقصد من التسمية بأسماء العظماء التعلق بهم والانتساب بذلك إليهم، إذ ذلك أدنى ما يمكن من مراتب الاشتراك، وهو عند النفوس الكاملة يستدعي اعتباره نسبة وذمة واعتلاقاً يوجب رعاية لصاحبه وحرمة، ولما كان الوفاء بالذمم من مكارم الأخلاق، وقد ثبت ثبوتاً لا يعتريه ريب أنه ﷺ حصل من تلك الصفة على ما لا مطمع لمخلوق فيه، كان ﷺ أوفى الناس بالذمم وأحقهم بمراعاتها، ومن أحسن ما قيل في منزع الناظم من الاعتماد على العهد والذمة قول أبي نواس يمدح المهدي محمداً:

أخذت بحبل من حبال محمد      أمنت به من نائب الحدثان  
تغطيت من دهري بظل جنبه      فعيني ترى دهري وليس يراني  
فلو تسأل الأيام باسمي ما درت      وأين مكاني ما عرفن مكاني<sup>(١)</sup>



ويعجبني في المدح بذلك قول إبراهيم بن العباس بن صول<sup>(١)</sup>:  
ولكن الجواد أبا هشام وفي العهد مأمون المغيب  
بطيء عنك ما استغنيت عنه وطلاع إليك مع الخطوب  
وفيه إشعار بأن الإغاثة عند الخطوب من الوفاء بالعهد، وهو ملاق لمعنى  
البيت بعد.

وفي صنيع الناظم ترغيب في التسمية باسمه ﷺ تيمناً وذمة.  
وفي الإكمال للقاضي عياض: روي عن جعفر بن محمد: إذا كان يوم  
القيامة نادى مناد: ألا ليقم من اسمه محمد، فيدخل الجنة بكرامة اسمه ﷺ،  
وفي لفظ آخر: ينادى يوم القيامة: يا محمد، فيرفع رأسه في الموقف كل من  
اسمه محمد فيقول الله -جل جلاله-: أشهدكم أنني قد غفرت لكل من اسمه  
على اسم محمد نبيي<sup>(٢)</sup>.

وروي ابن وهب في جامعه عن مالك: سمعت أهل مكة يقولون: ما من  
بيت فيه اسم محمد إلا رزقوا<sup>(٣)</sup>.  
وقد ذهب طائفة إلى منع التسمية بمحمد صوناً له عن الأذى اللاحق في  
الخطاب<sup>(٤)</sup>.

(١) إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول (١٧٦-٢٤٣هـ) أبو إسحق كاتب العراق في عصره  
أصله من خراسان وكان جده محمد من رجال الدولة العباسية ودعاتها ونشأ إبراهيم في بغداد  
فتأدب وقربه الخلفاء فكان كاتباً للمعتصم والواثق والمتوكل وتنقل في الأعمال والدواوين إلى  
أن مات متقلداً ديوان الضياع والنفقات بسامراء (الأعلام ١/ ٤٥).

(٢) في الشفاء ٢٢٥: روي عن جعفر بن محمد عن أبيه: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ألا ليقم  
من اسمه محمد فيدخل الجنة لكرامة اسمه ﷺ. وانظر فيما سيأتي تخريجه ص ٤٤٦.

(٣) في الشفاء ٢٢٤: روي عن سريج بن يونس: أنه قال: إن لله ملائكة سياحين عيادتها كل دار  
فيها أحمد أو محمد إكراماً منهم لمحمد ﷺ. وانظر تخريجه ص ٤٤٦.

(٤) نهى النبي ﷺ عن التكني بأبي القاسم لمن اسمه محمد فقد روى البخاري (كتاب البيوع باب  
ما ذكر في الأسواق رقم ١٩٧٨)، ومسلم (كتاب الآداب باب النهي عن التكني بأبي القاسم  
رقم ٣٩٧٤): عن أنس رضي الله عنه دعا رجل بالقيع: يا أبا القاسم فالتفت إليه النبي ﷺ  
فقال: لم أعنك قال: «سموإباسمي ولا تكنوا بكنيتي». والعلماء في حكم التكني بأبي =

وهو ظاهر مذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذ قال لمن تسمى باسمه: لا أسمع محمداً يسب بك أبداً<sup>(١)</sup> وهذا من باب سد الذرائع.

= القاسم على أربعة أقوال:

- ١- لا يجوز التكني بأبي القاسم لمن اسمه محمد أو غيره .
  - ٢- لا يجوز التكني بأبي القاسم لمن اسمه محمد ويجوز لغيره .
  - ٣- يجوز التكني مطلقاً وأحاديث النهي منسوخة وهو مذهب المالكية .
  - ٤- التكني كان ممنوعاً في حياة النبي ﷺ وهو جائز بعد وفاته ولعل هذا هو الراجح . (الشفاء ٧٦١ وقال: هذا هو مذهب الجمهور، التربية الإيمانية والنفسية للأولاد ص ٩٥).
- (١) روى أحمد ١٧٢٢٣: عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: نظر عمر إلى أبي عبد الحميد وكان اسمه محمداً وأرجل يقول له: يا محمد فعل الله بك وفعل وفعل قال: وجعل يسبه قال: فقال أمير المؤمنين عند ذلك: يا ابن زيد ادن مني قال: ألا أرى محمداً يسب بك، لا والله لا تدعى محمداً ما دمت حياً فسماه عبد الرحمن ثم أرسل إلى بني طلحة ليغير أهلهم أسماءهم وهم يومئذ سبعة وسيدهم وأكبرهم محمد قال: فقال محمد بن طلحة: أنشدك الله يا أمير المؤمنين فوالله إن سمانى محمداً إلا محمد، يعني إلا محمد ﷺ فقال عمر: قوموا لا سبيل لي إلى شيء سماه محمد ﷺ.

قال في سبل الهدى والرشاد/٥٠٩: لم يصح في فضائل التسمية به ﷺ حديث بل قال ابن تيمية: كل ما ورد فيه فهو موضوع ولا بن بكير جزء معروف في ذلك كل أحاديثه تالفة، قال الحافظ وأصحها ما رواه ابن بكير عن أبي أمامة مرفوعاً: «من ولد له مولود فسماه محمداً حباً لي وتبركاً باسمي كان هو ومولوده في الجنة» قال: وإسناده لا بأس به وحسنه في موضع آخر قلت: وليس كذلك فإن في سنده أبا الحسن حامد بن حماد شيخ ابن بكير قال الذهبي: خبره هذا موضوع وهو آفته . والوارد في ذلك حديث عبد الله بن أبي رافع عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سميتوه محمداً فلا تضربوه ولا تحرموه» رواه البزار من طريق أبي غسان بن عبد الله وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات وحديث أنس مرفوعاً تسمونهم محمداً ثم تسمونهم رواه أبو داود الطيالسي وحديث جابر بن عبد الله مرفوعاً: «ما أطعم الطعام على مائدة ولا جلس عليها وفيها اسمي إلا قدسوا كل يوم مرتين» رواه ابن عدي من طريق أحمد بن كنانة الشامي وقال: منكر الحديث وقال الذهبي: إنه حديث مكذوب وحديث ابن عباس: «من ولد له ثلاثة أولاد فلم يسم أحدهم محمداً فقد جهل» رواه ابن عدي والطبراني وفيه ضعيفان وهذان الحديثان أمثل ما روي في هذا الباب وإسنادهما واهيان وما يروى: من أراد أن يكون حمل زوجته ذكراً فليضع يده على بطنها وليقل: إن كان هذا الحمل ذكراً فقد سميت محمداً فإنه يكون ذكراً قال السخاوي: لم يرد في المرفوع ورواه ابن الجوزي في الموضوعات . وقال (سبل الهدى ٥١٥/١): أما حديث أنس بن مالك مرفوعاً: يوقف عبدان بين يدي الله فيؤمر بهما إلى الجنة =

[١٥٨] إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي فَضلاً وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ  
 المعاد: النشأة الثانية، وهو الحشر يوم يقوم الناس لرب العالمين. والأخذ  
 باليد كناية عن التخليص من الأوحال والشدائد. والفضل: الإحسان، وانتصابه  
 كما بعده على التعليل. وإلَّا-بالتنوين والنصب- عطفاً على العلة الأولى. والإل  
 -بكسر الهمزة-: العهد والحلف والقراية، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا  
 وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨]، والعجب من شيخ الإسلام أنه عدل عن هذا، وزعم أن  
 إلا في النظم: إن الشرطية ولا النافية، وتكلف لصحة المعنى تقدير جواب الشرط  
 مناسباً للأخذ باليد، وهو تعسف لا داعي إليه، مع ما فيه من تضييع ما مهده  
 الناظم قبل من الذمة. والخطاب في قوله: قل: لنفسه. والنداء: للتهويل  
 والتعظيم وإدراج القول للدلالة على كونه على ذلك جديراً بذلك القول حقيقاً به.  
 وزلة القدم: كناية عن الوقوع في المهالك.

والمعنى: أنه ﷺ إن لم يكن مخلصاً له يوم القيامة من جزاء ما اقترفه من  
 الآثام، وضيع فيه عمره مما لم يحصل منه إلا على الندم، فقد وقع في المهالك  
 وظلمة ليل آثامه الحالك.

وتقديم الفضل على الذمة تبعيد للإدلاء بالاستحقاق، والاعتماد على

= فيقولان ربنا بم استأهلنا الجنة ولم نعمل عملاً تجازينا به الجنة فيقول الله تعالى: عبدتي ادخلا  
 الجنة فإني آليت على نفسي ألا يدخل النار من اسمه أحمد ولا محمد» فهو حديث باطل كما  
 قال الذهبي ١. هـ

أقول: هذه الأحاديث وإن لم يصح منها شيء لكن كثرتها أولاً ثم عدم الاعتراض على أصل  
 المعنى المأخوذ منها وهو التسمية باسمه ﷺ، ثم اتفاقهم على أن اسم محمد هو من الأسماء  
 المحمودة التي أمرنا بانتقائها لأبنائنا. . تدل بالإشارة إلى أن التسمية ليست بذاتها محمودة إنما  
 الحال التي قد تنشأ عنها التسمية، فإن من يسمي ابنه محمداً وهو لا يريد به إلا سيدنا محمداً  
 ﷺ لا يسوقه إلى هذه التسمية إلا حال المحبة وفيض الحب للنبي ﷺ، فالمحمود الذي يقصده  
 من يقول باستحباب التسمية باسم النبي ﷺ ليس مجرد التسمية إنما سببها والدافع إليها وهو  
 محبة النبي ﷺ، إذ الغالب أن الإنسان يسمي أبناءه وقلذات أكباده باسم أحب الناس إليه.  
 وفي حديث أبي داود وأحمد والنسائي: «تسموا بأسماء الأنبياء». انظر المصنوع ٢٤٨، والله  
 أعلم.

الأسباب، ووقوف عند باب المنحة والإحسان، وذلك من آداب الاستعطاف، قال علي بن الجهم:

ليس عندي وإن تغضبت إلا طاعة حرة وقلب سليم  
وانتظار الرضا فإن رضا السادا ت عز وعتبتهم تقويم<sup>(١)</sup>  
[١٥٩] حاشاه أن يخرم الراجي مكارمه أو يرجع الجار منه غير مُحترَم

حاشا: كلمة تستعمل بمعنى التنزيه والتبرئة. وحرمة الشيء: منعه إياه.  
والراجي: اسم فاعل من رجا يرجو إذا أمل. والمكارم: جمع مكرمة من الكرم  
ضد اللؤم. والجار هنا: المستجير من مس المكاره، ومنه قوله الهذلي:

وكنت إذا جاري دعا لخصومة أشمر حتى ينصف الساق مئزري<sup>(٢)</sup>  
ومنه: يتعلق بيرجع على أن من ابتدائية. ومحترم: اسم مفعول من احترمه:  
جعل له حرمة.

والمعنى: أنزه مقامه الرفيع وحماه السامي المنيع أن يمنع مكارمه ممن  
يرجوه، أو أن لا ينال حرمة من استجار به.

كيف وإن حماية المستجير وتحقيق رجاء المؤمل من الشيم التي جبلت عليها  
النفوس الكريمة والطباع السليمة حتى كانت أعلى المفاخر وأسنى المآثر، وفيهما  
تتنافس الهمم خصوصاً النشأة العربية، فإن ذلك عندهم من أجل ما به يتمادحون،  
وأنفس ما به يتفاخرون، قال السموءل:

وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل  
لنا جبل يحتله من نجيره بعيد يرد الطرف وهو كليل  
رسا أصله تحت الثرى وسحابه إلى النجم فرع لا ينال طويل<sup>(٣)</sup>  
وقال الأقرع بن معاذ:

ونجعل للجار القليل سوامه سواماً ونحمي سره أن يفزعا

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٧٨ .

(٢) ديوان الهذليين وهي لأبي جندب الهذلي ٩٢/٣ .

(٣) ديوان السموءل ٥٥ .

وقال ابن الرومي:

إذا تيممك العافي فكوكبه سعد ومرعاه في واديك سعدان<sup>(١)</sup>  
وقد قام البرهان القاطع على أنه ﷺ حاز من المكارم ما لا طمع فيه  
لمخلوق، فكيف لا يحترم جاره، ويمنع راجيه؟!، ولله در من يقول:

قرأنا في الضحى ولسوف يعطي فسر قلوبنا ذاك العطاء  
وحاشا يا رسول الله ترضى وفينا من يعذب أو يساء<sup>(٢)</sup>

[١٦٠] وَمُنْذُ الزَّمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ وَجَدْتُهُ لِحَلَاصِي خَيْرَ مُلْتَزِمٍ

منذ: كلمة يراد بها ابتداء غاية الزمان، وتستعمل اسماً مبتدأ، خبرها الزمان بعده، وحرف جر تجرّ لفظ الزمان، فهو مقدر في النظم أي منذ زمن مخفوض أو مرفوع. والإلزام: جعل الشيء ملازماً لا ينفك. والأفكار: جمع فكر - بكسر الفاء - إعمال النظر في الشيء، وجمعه باعتبار أنواعه والمدائح: جمع مديح، وهو ما يتمدح به من أنواع الثناء الجميل، ولفظه ثاني مفعولي ألزم. ووجد هنا: بمعنى علم، مفعوله الأول الضمير العائد على المدح المفهوم من المدائح أو هو ضمير النبي ﷺ. وخير ملتزم: مفعوله الثاني، وملتزم بصيغة المفعول: إن كان الضمير للمدح أو للنبي ﷺ على تقدير: وجدت مديحه يصح أن يكون بصيغة اسم الفاعل، والضمير للنبي ﷺ.

والمعنى: أنه من حين ما توجه بفكره لمديحه ﷺ وصرف كل همته إليه علم يقيناً أنه متخلص من أحوال ما قلده الشعر والخدم وأوجب له الآثام والندم، وذلك لما قام عليه البرهان، وبلغ مبلغ المشاهدة والعيان، أنه ﷺ أكرم الخلق سجية وأوسعهم رحماً وعطية، وأنه لا يخيب قاصده وسائله، ولا ترد على مؤمله

(١) ديوان ابن الرومي ٢٤٣٢ قال المحشي: سعدان: مرعى يضرب به المثل في الطيب .

(٢) البيتان للشبراوي (١٠٩١ - ١١٧١ هـ / ١٦٨٠ - ١٧٥٨ م) عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي . فقيه وشاعر مصري، تولى مشيخة الأزهر . له كتب ومؤلفات عدة في التاريخ والأدب وقد ذكر الجبرتي أن وفاته كانت يوم الخميس ٦ ذي الحجة ١١٧١ هـ . له: (شرح الصدر في غزوة بدر)، (منائح الألفاظ في مدائح الأشراف)، (عنوان البيان)، (الإتحاف بحب الأشراف). انظر معجم المؤلفين ٦/ ١٢٤ .

وسائله، علم ذلك يقيناً من شمائله<sup>(١)</sup> وأخباره، وتواترت به الوقائع الجمة من آثاره<sup>(٢)</sup>، كيف لا وأنه صاحب الخلق العظيم<sup>(٣)</sup>، والمشهود له بأنه: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>، وإذا كان المتطبع بالمكارم من غيره من البشر تأخذه حمية الحماية عند الالتجاء إليه، ويصرف عنان همته لمن عول عليه، فكيف بمنبع الكرم والجود ﷺ، وبهذا يظهر أن حمل ملتزم على اسم الفاعل أنسب بمراد الناظم، أي أنني التزمت مدائحه، فالتزم ﷺ خلاصي من أوحالي حتى تيقنت منه بلوغ آمالي.

له نعم تؤوب بآمليه إذا آبت إلى أحلى مآب  
ألد من انتصار بعد ظلم وأحلى من دعاء مستجاب  
[١٦١] وَلَنْ يَفُوتَ الْغِنَى مِنْهُ يَدَا تَرَبَّتْ<sup>(٥)</sup> إِنَّ الْحَيَا يُنْبِتُ الْأَزْهَارَ فِي الْأَكْمِ  
فات الشيء يفوت فوتاً: سبق فلم يدرك. والغنى - بكسر الغين مقصور -  
اليسار. وتربت يده: افتقر، وأصله من ترب إذا لصق بالتراب لفاقته. والحيا -

- (١) منها ما أخرجه البخاري (كتاب الأدب باب حسن الخلق والسخاء رقم ٥٥٧٤)، ومسلم (كتاب الفضائل باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا رقم ٤٢٧٤) عن جابر قال: ما سئل رسول الله ﷺ عن شيء فقال: لا .
- (٢) منها ما أخرجه مسلم (كتاب الفضائل باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا، رقم ٤٢٧٥) عن أنس: أن رجلاً سأله فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى بلده وقال: أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى فاقة بل كان إذا جاءه رجل وما عنده شيء يأمره بأن يستقرض عليه . وعن عمر قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: ما عندي شيء أعطيتك ولكن استقرض حتى يأتينا شيء فنعطيك، فقال عمر: ما كلفك الله هذا، أعطيت ما عندك فإذا لم يكن عندك فلا تكلف قال: فكره رسول الله ﷺ قوله حتى عرف في وجهه فقال رجل: يا رسول الله بأبي أنت وأمي فأعط ولا تخش من ذي العرش إقللاً فتبسم رسول الله ﷺ وقال: بهذا أمرت (قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٢٤٢ رواه البزار وفيه إسحق بن إبراهيم وقد ضعفه الجمهور ووثقه ابن حبان وقال: يخطئ).
- (٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].
- (٤) قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].
- (٥) في الأصل: ترتب والصواب تربت.

بالقصر-: المطر والخصب. والأزهار: جمع زهر- بالفتح- وهو زهر النبت - وقد تقدم- ونسبة الإنبات إليه تجوز<sup>(١)</sup>. والأكم: جمع أكمة وهي الجبال الصغار.

والمعنى: أني وإن لم أفعل من الطاعات ما أرجو معه نيل الثواب، كما قال صدر النظم: ولا تزودت البيت فلا أكون آيساً من نيل الإحسان والتنعم بالنعيم الأكبر بجاهه ﷺ، فإن عظيم الجاه يكسب المعدوم، وينعم المحروم، كالمطر النافع، فإنه ينبت المحل الذي ليس من شأنه الإنبات لصلابته وعدم قبوله الماء حق القبول، وهو ﷺ أعظم نفعاً من الحيا، بل الحيا فرد من أفراد أنواع نفعه<sup>(٢)</sup>، ولقد أجاد كل الإجادة في ضرب هذا المثل لنفسه، وقد علمت بما بيناه أن المراد الغنى يوم القيامة، وأن المراد بالفقر المكني عنه بترب اليد هو الفقر من الطاعات، وقد رفع توهم إرادة الغنى الدنيوي بالبيت بعده.

واعلم أن الناظم -رحمه الله- أمل من النبي ﷺ أمرين: الأول: الخلاص من مهالك ما كسبت يمينه من الآثام، وهو مضمون الأبيات السابقة. الثاني: نيل النعيم المقيم، وهو مضمون هذا البيت، ولما كانت النجاة من العقاب والتخلية منه أسبق اعتباراً من التنعم والتحلية به قدم الأول مصرحاً به، وجاء بالثاني على طريقة التعريض، الذي هو اللطف في باب الاستعطاف.

(١) تجوز: لأن المنبت الحقيقي هو الله وإنما المطر سبب ظاهر فهو من المجاز العقلي وعلاقته السببية.

(٢) أخرج الترمذي (رقم ٢٢٤٧ كتاب الزهد باب ما جاء في مثل الدنيا مثل أربعة نفر)، ورواه أحمد (رقم ١٧٣٣٩) عن أبي كبشة الأنماري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه قال: ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزاً ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر وأحدثكم حديثاً فاحفظوه قال: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخيط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقاً فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

[١٦٢] وَلَمْ أَرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَفْتُ      يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَتْنَى عَلَى هَرَمٍ  
أرد: مضارع أراد بمعنى شاء. وزهرة الدنيا: زخرفها. واقتطفت: معناه  
قطفت. وزهير: هو ابن أبي سلمى، أبو السيد كعب صاحب: بانث سعاد، وهو  
أحد الشعراء الثلاثة المتقدمين في الشعر، ثانيهم امرؤ القيس، وثالثهم النابغة  
الذبياني<sup>(١)</sup>. وروي عن عمرو بن عبد الله الليثي قال: قال لي عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه: هل تروي لشاعر الشعراء شعراً؟ قلت: ومن هو؟ قال: الذي  
يقول:

ولو أن حمداً يخلد الناس خُلدوا      ولكنَّ حمدَ الناس ليس بمُخلد<sup>(٢)</sup>  
قلت: ذلك زهير قال: هو شاعر الشعراء<sup>(٣)</sup>. وهرم: هو ابن سنان بن  
حارثة المزني، كان ممدوح زهير، وكان يصله بالصلوات الجزيلة، حتى إنه أقسم  
أن لا يسلم عليه زهير إلا أعطاه غرة عبداً أو أمة، فلما كثر ذلك على زهير صار  
إذا مر بالنادي، وفيه هرم قال: أنعموا صباحاً عدا هرماً، وخيركم تركت، فكان  
فعله هذا أمدح له من شعره.

والمعنى: لم يكن قصدي من التوسل بجاهه ﷺ زخرف الحياة الدنيا الذي  
نال زهير بمدح هرم، وإنما القصد النفع بذلك في الأخرى التي لا يفنى نعيمها،  
وقدمنا أنه دفع بهذا ما يوهمه البيت قبل من إرادة الحياة الدنيا، كيف وإنه فزع  
إلى ذلك الجناب الرفيع للتخلص مما أوقعته فيه إرادة زهرات الدنيا؟!  
وفيه إيماء إلى أن العظيم لا يلجأ إليه إلا في عظيم، وإلا كان تنقيصاً في  
عظمته.

(١) ذكر ابن رشيح القيرواني في العمدة ١/ ٢٠٤: وكان الحداق يقولون: الفحول في الجاهلية  
ثلاثة وفي الإسلام ثلاثة يتشابهون: زهير والفرزدق، النابغة والأخطل، والأعشى وجريز.  
وحكى الأصمعي عن ابن أبي طرفة: كفاك من الشعراء أربعة: زهير إذا رغب، والنابغة إذا  
رهب، والأعشى إذا طرب، وعنترة إذا كلب، وزاد قوم: وجريز إذا غضب، ثم ذكر أقوالاً  
أخرى في التفضيل بينهم.

(٢) ديوان زهير ١٩٠ برواية:

فلو كان حمد يخلد الناس لم تمت      ولكن حمد الناس ليس بمخلد  
(٣) الخبر في أخبار عمر ٢٥٣ وفيه: أنه قال: وبم كان أشعر الشعراء؟ فقال: لأنه كان لا يعاضل  
في الكلام وكان يتجنب وحشي الشعر ولم يمدح أحداً إلا بما فيه.



ثم لا يخفى أن المراد بالنفي مال الدنيا وشهواتها من الجاه والذكر ونحوهما مما لم يكن مقصوداً من عبودية العبد، فلا ينافي أن من مقاصده بهذا النظم الشفاء من داء الفالج - كما تقدم صدر هذا الشرح - فإن سلامة الجسم مطلوب الشارع<sup>(١)</sup> ومن ثم ورد الأمر بالتداوي<sup>(٢)</sup> فافهمه .

[١٦٣] يا أكرمَ الخلقِ مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادثِ العميم  
لما حظ أحماله عند باب المصطفى الكريم، وأيس في نيل مطالبه من كل وسيلة سوى جانبه العظيم، توجه بكليته إليه، وناداه نداء المضطر المعتمد عليه، فالتفت من غيبته إلى شهوده، وشافهه بمرامه ومقصوده، واستعمل كلمة البعد تحقيراً لنفسه وتعظيماً للجناب المرفع . والأكرم: أفعل من الكرم ضد اللؤم، ويراد به العزيز، ومنه:

يا أكرم الخلق على ربه يا خير من فيهم به يسأل<sup>(٣)</sup>  
وكل من المعنيين صالح للمقام، ويؤيد الأول: فإن من جودك . . . البيت  
ويؤيد الثاني: ولن يضيق . . . البيت . ولاذ بالشيء: التجأ إليه . وسواك: بمعنى غيرك . والحلول: النزول . والحادث في الأصل: المسبوق بالعدم ثم كثيراً ما

(١) من المعلوم اتفاق الشرائع كلها على المبادئ الخمسة: حفظ الدين والعقل والعرض والجسم والمال . وأخرج الترمذي (كتاب الزهد باب في التوكل على الله رقم ٢٢٦٨) وابن ماجه (كتاب الزهد باب القناعة رقم ٤١٣١): أن النبي ﷺ قال: «من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا» قال الترمذي: حديث حسن غريب .

(٢) في مجمع الزوائد ٨٥/٥: إن رسول الله ﷺ قال «إن الله عز وجل حيث خلق الداء خلق الدواء فتداواوا» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح خلا عمران العمى وقد وثقه ابن حبان وغيره وضعفه ابن معين وغيره، وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله عز وجل داء إلا أنزل له دواء علمه من علمه أو جهله من جهله» رواه ابن ماجه وأحمد والطبراني ورجال الطبراني ثقات . وعن رجل من الأنصار قال: عاد رسول الله ﷺ رجلاً به جرح فقال رسول الله ﷺ: «ادع له طبيب بني فلان» قال: فدعوه فجاءه فقالوا: يا رسول ويغني الدواء شيئاً؟ فقال: «سبحان الله وهل أنزل الله تبارك وتعالى من داء في الأرض إلا جعل له شفاء» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٣) البيت للورغي .

يستعمل في الأمر الهائل كهول يوم القيامة المراد للناظم هنا. والعمم - بكسر الميم الأولى - اسم فاعل من عم الشيء إذا لم يخص.

والمعنى: يا أكرم الخلق على ربه، أو يا أمنحهم ليس لي غيرك ملاذ إذا حل هول يوم القيامة الذي يعم كل أحد.

[١٦٤] وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ بِي إِذَا الْكَرِيمُ تَجَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ ضَاقَ الشَّيْءُ عَنِ الشَّيْءِ: لم يسعه. والجاه: القدر والمنزلة.

والكريم: من أسمائه تعالى، قال الشيخ لطف الله: كرم الله تعالى صفة كمال يعبر عنها بالفيض، تسوق خزائن آلائه إلى المستحق وغيره، سواء طلب وانتفع وشكر، أم لا، وقال أبو حامد: الكريم: هو الذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجا، ولا يبالي كم أعطى، ولا لمن أعطى، وإذا رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى<sup>(١)</sup>، ولا يضيع من لاذ به، ويغنيه عن الوسائل والشفعا، فمن اجتمع له ذلك فهو الكريم المطلق، وذلك لله تعالى عز وجل فقط اه<sup>(٢)</sup>. والتجلي: الظهور. وإضافة اسم لمنتقم للبيان، والمعنى باسم هو منتقم، ومعنى التجلي به انكشافه وظهوره بإظهار آثاره، فإنه تعالى متصف بجميع صفاته التي هي على قدم واحد في الثبوت والحكم، ولها مظاهر وتجليات بحسب الحكمة البالغة، وإرادة إظهار بعض الآثار يعبر عن ذلك تارة بالظهور، وأخرى بالتجلي، وآونة بالتعلق بالفضل والإحسان مظهر وتجلٍ لاسمه تعالى الكريم، والعقاب والمؤاخذة مظهر وتجلٍ لاسمه المنتقم، وهكذا سائر الأسماء الكريمة. وهذا وإن كان بحيث لا يخفى فقد خفي على شيخ الإسلام، فأكثر الكلام والاعتراض. والمنتقم: المؤاخذ لمن خالف الأمر والنهي بأشد سطوة وأعظم عقوبة، قال لطف الله: وذلك حكمة بالغة، فلو لم يؤاخذ لأفضى إلى شر

(١) قال الشاعر:

وسل الذي أبوابه لا تحجب  
وترى ابن آدم حين يُسأل يغضب

لا تسألن بُنيَّ آدم حاجة  
الله يغضب إن تركت سؤاله

(٢) المقصد الأسنى للإمام الغزالي ١١٧.

ونوابب أمر وأدهى مما وجد، وقهر الله تعالى بعض عباده، وانتقامه منهم عين لطفه، ومحض عنايته في نظر التحقيق، فلا يوهم شيئاً في سبق رحمته على غضبه، ورأفته المتزايدة في حق عباده.

ومعنى البيت: يا رسول الله إن جاهك ومكانتك عند الله تسعني ويشملني حماها يوم لا حمى إلا حماك، وهو اليوم الذي يتجلى فيه من عود عباده مظاهر الكرم والجود بإظهار الانتقام والعقوبة، وهو اليوم الذي يقول فيه جميع الأنبياء سواه ﷺ: «إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، نفسي نفسي»<sup>(١)</sup>.

[١٦٥] فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللُّوحِ وَالْقَلَمِ  
الفاء: للتعليل. والجود: السخاء. وضرة الدنيا: الآخرة لتضاددهما وتنافيهما، كالضرائر. واللوح: هو اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه ما كان وما هو كائن<sup>(٢)</sup>. والقلم: هو القلم الوارد فيه: «أنه أول ما خلق الله»<sup>(٣)</sup>.

والمعنى: كيف يضيق جاهك بي؟! وأنت أكرم الخلق على ربك، قد خصك بالمزايا العظام الدالة على مكانتك عنده، منها أنه خلق الدنيا والآخرة لأجلك - كما قدمه الناظم وتقدم شرحه - ومنها أنه علمك ما لم يحط به غيرك علماً حتى أن ما في اللوح والقلم بعض علومك، وقد قدمنا شرح هذا في شرح قوله: وكلهم... إلخ عن لطف الله محرراً فراجعه هناك. ومن كانت هذه مكانته عند ربه فلا يرجى للوسيلة سواه، ولا يخيب من وقف بباب فضله وعلاه، وبما شرحنا تعلم ما وقع لشيخ الإسلام في شرحه.

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (رقم ٣٠٩٢ كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾)، ومسلم (رقم ٢٨٧ كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها).

(٢) قال اللقاني ٢٣٧: اللوح: جسم نوراني كتب فيه القلم بإذن الله ما كان وما هو كائن إلى قيام الساعة نمسك عن الجزم بتعيين حقيقته، والقلم: جسم عظيم نوراني خلقه الله تعالى وأمره يكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة نمسك عن الجزم بتعيين حقيقته.

(٣) أخرج الترمذي (كتاب القدر باب ما جاء في الرضا بالقضاء رقم ٢٠٨١)، وأبو داود (كتاب السنة باب في القدر رقم ٤٠٧٨ وأحمد رقم ٢١٦٤٧) أن النبي ﷺ قال: «أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد».

[١٦٦] يَا نَفْسِ لَا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ إِنَّ الْكِبَائِرَ فِي الْغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ  
 نفس - بكسر السين-: منادى مضاف إلى ياء المتكلم حذف لفظاً لدلالة  
 الكسر عليها. والقنوط: اليأس من قنط - بفتح النون<sup>(١)</sup> - يقنط - بالضم والكسر- .  
 والزلة: الذنب. وعظمت: كبرت. والكبائر: جمع كبيرة وهي من الذنوب ضد  
 الصغائر منها، وقد ورد في الكتاب المجيد: الإشارة إلى تنوع الذنوب إلى  
 الكبائر والصغائر في قوله -جل اسمه-: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِّرْ  
 عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] والإجماع على أن أكبر الكبائر الشرك بالله<sup>(٢)</sup>  
 وفي تعيين ما عداه اضطراب كثير شحنت به كتب الكلام وغيرها<sup>(٣)</sup> بلا طائل .  
 والذي أخذ بزمام ضبطها حبر هذه الأمة أبو حامد الغزالي في كتاب  
 الإحياء<sup>(٤)</sup>، فإنه ضبطها بضبط المقصود للشارع من العبد، وهو معرفة الله،  
 ومعرفة رسله، وحياة النفوس، وما به قوام المعيشة في الدنيا، فكل ما يرجع إلى  
 هدم واحدة من هذه الثلاث فهو كبيرة وإن شئت [ ]<sup>(٥)</sup> فراجع كتاب التوبة  
 منه، فإن فيه شفاء الغليل<sup>(٦)</sup>. والغفران: ستر الذنب وعدم المؤاخذة به. واللمم  
 -بفتح اللام-: صغائر الذنوب.

- (١) في حاشية الأصل: قوله بفتح النون . الخ هو مثلث النون في الماضي والمضارع وانظر  
 القاموس ١ . ه قال في القاموس (قنط) ٨٨٤: قَنَطَ كَنَصَرَ وَضَرَبَ وَحَسِبَ وَكُرِمَ قَنَوطاً بِالضَّمِّ  
 وَكَفَرَحَ قَنَطاً وَقَنَاطَةً وَكَمَنَعَ وَحَسَبَ وَهَاتَانِ عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَ اللَّغَتَيْنِ يَسُّ فَهُوَ قَنَطٌ كَفَرَحَ .  
 (٢) انظر تفسير القرطبي ١٦٥/٥، وشرح كتاب الفقه الأكبر ص ١٠٠ .  
 (٣) المرجع السابق .  
 (٤) إحياء علوم الدين ١٥/٤ .  
 (٥) بياض في الأصل .  
 (٦) قال الغزالي: نعم لنا سبيل كلي يمكننا أن نعرف به أجناس الكبائر وأنواعها بالتحقيق، وأما  
 أعيانها فنعرفها بالظن والتقريب ونعرف أيضاً أكبر الكبائر فأما أصغر الصغائر فلا سبيل إلى  
 معرفته . وبيانه: أنا نعلم بشواهد الشرع وأنوار البصائر جميعاً أن مقصد الشرائع كلها سياق  
 الخلق إلى جوار الله تعالى وسعادة لقاته وأنه لا وصول لهم إلى ذلك إلا بمعرفة الله تعالى  
 ومعرفة صفاته وكتبه ورسله وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾  
 أي ليكونوا عبيداً لي ولا يكون العبد عبداً ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية ولا بد أن  
 يعرف نفسه وربه فهذا هو المقصود الأقصى ببعثة الأنبياء ولكن لا يتم هذا إلا في الحياة =

ومعنى البيت: تطمين نفسه بباب الرجاء وعزائم التوسل والالتجاء وصدق الوعد الذي لا خلف فيه، وعموم الفضل الذي لا حجر<sup>(١)</sup> عليه، كي لا يسوقها شدة الخوف إلى اليأس من الرحمة، فتقع في مهلكته الدهماء المذكورة في الكتاب المجيد قائلاً لها: إن الذنوب وإن عظمت فهي بالنسبة إلى مغفرته تعالى تساوي الصغائر، فإذا صادفت العبد النفحة الصمدية كانت كبائر العبد في سعة رحمته كالصغائر، حيث يعمها الغفران، وفي الكتاب المجيد، والوعد الذي ليس عن وجوب صدقه محيد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨/١١٦]. وقال -جل ثناؤه-: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] وقد قال

= الدنيا فصار حفظ الدنيا أيضاً مقصوداً تابعاً للدين لأنه وسيلة إليه، والمتعلق من الدنيا بالآخرة شيان: النفوس والأموال، فكل ما يسد باب معرفة الله تعالى فهو أكبر الكبائر، ويلييه ما يسد باب حياة النفوس، ويلييه باب ما يسد المعاش التي بها حياة الناس، فهذه ثلاث مراتب، فحفظ المعرفة على القلوب، والحياة على الأبدان، والأموال على الأشخاص ضروري في مقصود الشرائع كلها. فحصل من هذا أن الكبائر على ثلاث مراتب الأولى: ما يمنع من معرفة الله تعالى ومعرفة رسله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر. ثم. . . الأمن من مكر الله والقنوط من رحمته. ثم. . . البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته. . . المرتبة الثانية: النفوس إذ ببقائها وحفظها تدوم الحياة وتحصل المعرفة بالله فقتل النفس لا محالة من الكبائر. . . ثم. . . الزنا واللواط لأنه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالذكر في قضاء الشهوات انقطع النسل ودفع الموجود قريب من قطع الوجود. المرتبة الثالثة: الأموال فإنها معاش الخلق فلا يجوز تسلط الناس على تناولها كيف شاؤوا. . . وذلك بأربع طرق: أحدها: الخفية وهي السرقة فإنه إذا لم يطلع عليه غالباً كيف يتدارك الثاني: أكل مال اليتيم. . . الثالث: تفويتها بشهادة الزور الرابع: أخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس. . . وهذه الأربعة جدية بأن تكون مرادة بالكبائر وإن لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن أكثر الوعيد عليها وعظم في مصالح الدنيا تأثيرها. . . إلى آخر ما قاله الإمام أبو حامد في إحياء علوم الدين: ١٧/٤.

(١) جمع بعضهم معاني (حجر) بقوله [كما في حاشية الشراوي ٢/١٦٥]:

ركبت حجراً وطفت بالبيت خلف الحجر وحزت حجراً عظيماً ما دخلت الحجر

لكنه حجر منعني من دخول الحجر ما قلت حجراً ولو أعطيت ملء الحجر

فالأول: الفرس، والثاني: حجر إسماعيل، والثالث: العقل، والرابع: حجر ثمود،

والخامس: المنع، والسادس: حجر ثمود، والسابع: الكذب، والثامن: الثوب.

القاضي عياض في الإكمال: مذهب السلف الصالح وأهل الحديث والفقهاء والمتكلمين على مذهبهم من الأشعريين أن أهل الذنوب في مشيئة الله، وأن كل عاص لا يقطع في أمره بتحريمه على النار ولا باستحقاقه لأول حالة الجنة، بل يقطع أنه لا بد من دخول الجنة آخرأ وحاله قبل في ظهر المشيئة وبرزخ الرجاء والخوف اه وبما بينا يعلم أن المراد كبائر المؤمن فإنه خطاب لنفسه المؤمنة فلا يرد على عمومه كبيرة الشرك، ولله دره ما ألطف نكاته، فإنه خاطب نفسه بهذا بين بيان جاهه ﷺ ومنزلته عند ربه وبيّن عموم غفرانه تعالى، فكأنه يقول: كيف يكون الخوف والحذر من عواقب الذنوب بين غفران عميم، وجاه حبيب كريم، وقد أجاد من يقول:

ما بين حرمة ورحمة ربنا تمحى الذنوب عن العصاة وتمحق  
وإذا رجعت بمعنى هذا البيت والذي بعده من الرجاء إلى ما صدر به نظمه  
من حالة خوفه تيقنت الإشارة منه -رحمه الله تعالى- إلى أن العبد ينبغي أن  
يكون في أول أمره على الخوف، ويختم عمله بالرجاء، فقد جمع في نظمه بين  
الحالتين المطلوبتين من العبد على الترتيب المأمور به .

[١٦٧] لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا تَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعِضْيَانِ فِي الْقِسْمِ  
لعل: كلمة ترجّ وهو طلب محبوب مطموح في حصوله . والرحمة: رقة  
القلب، وفي حقه تعالى كمثلها مما يستحيل حقيقته محمولة على: إرادة الإنعام  
أو نفس الإنعام<sup>(١)</sup>. والرب: المالك، والمراد مالك الملك -جل جلاله- .  
والحسب -بفتح الحاء والسين-: القدر . والقسم -بكسر القاف وفتح السين-:  
مصدر قسمت الشيء<sup>(٢)</sup> وزّعه .

والمعنى: أنه -رضي الله عنه- ترجى أن تكون رحمة الله تعالى وقت تعلقها

(١) قال الشيخ عبد الله سراج الدين (التقرب إلى الله ١٩٤): (عسى) من الله فيها إطماع ووعد وفتح رجاء للعبد، والكريم إذا أطمع لم يمنع فكيف والله أكرم وأجل فلذلك كانت عسى ولعل من الله واجبة التحقق إذا دخلت على فعله سبحانه .

(٢) في حاشية الأصل: قوله: مصدر قسمت . الخ كذا في الأصل وليس مصدرأ بل هو جمع قسمة كما هو ظاهر ا هـ .

بالعباد يوم القيامة الذي ادخرت له، كما في حديث: «إن لله مائة رحمة وضع منها رحمة واحدة في الدنيا فبها يتراحمون ويتعاطفون، حتى إن البهيمة لترفع حافرها عن ولدها خشية أن تطأه، وآخر تسعة وتسعين رحمة رحم الله بها عباده يوم القيامة»<sup>(١)</sup> تعم أنواع الآثام والمعاصي بحيث لا تذر ذنباً إلا شملته، فلا يخشى صاحبه عاقبته. وهذا وإن كان مما لا يخفى فقد خفي على كثيرين - كما في شيخ الإسلام - وفيه إيماء لطيف إلى كمال كرمه تعالى. وحديث: «لو لم تذنبا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم»<sup>(٢)</sup>، إذ مواقع الذنب مظاهر غفرانه، وقليل الأعمال موقع فضله وإحسانه، وإذا كان الكريم من الحوادث يحب إظهار تجاوزه وعفوه عن المسيء ويضطرب للمديح به حتى كان ذلك من أنفس المدائح، قال السري الرفاء<sup>(٣)</sup>:

تلك المكارم لا أرى متأخراً  
أولى بها منه ولا متقدماً  
عفو أظلم ذوي الجرائم كلهم  
حتى لقد حسد المطيع المجرماً<sup>(٤)</sup>  
فما الظن بأكرم الكرماء، وأرحم الرحماء، القائل في كتابه المجيد:  
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾<sup>(٥)</sup> [الأعراف: ١٥٦].

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٥٤١ كتاب الأدب باب جعل الله الرحمة مائة جزء). وأخرجه مسلم (رقم ٤٩٤٢ كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٤٩٣٦ كتاب التوبة باب سقوط الذنوب بالاستغفار).

(٣) السري الرفاء ( . . . ٣٦٦هـ) السري بن أحمد الكندي أبو الحسن شاعر أديب من أهل الموصل كان في صباه يرفو ويطرز في دكان بها فعرف بها ولما جاد شعره قصد سيف الدولة بحلب فمنعه وأقام عنده مدة ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد فمدح جماعة ونفق شعره إلى أن تصدى له الخالديان محمد وسعيد ابنا هاشم فهاجياه حتى ضاقت دنياه فاشتغل نساخاً حتى مات وقد ركبته الدين (الأعلام ٨١/٣).

(٤) ديوان السري الرفاء ٤٠٠ .

(٥) ولعل البوصيري في هذا البيت يشير إلى الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الجنة باب أدنى أهل الجنة منزلة رقم ١٩٠ طبعة دار إحياء التراث) عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها؛ رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: (عملت يوم كذا وكذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا وكذا فيقول: نعم، لا =

[١٦٨] يَارَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمٍ

الرجاء: الأمل بالشيء. والمنعكس منه: ما لا يحصل به المؤمل.  
والحساب: بمعنى الظن، من حسبه كذا: ظنته إياه ومنه:

حسبتك في الوغى برداً حروباً

وقوله:

وَإِخْوَانٌ حَسَبْتَهُمْ دَرُوعاً فَكَانُوهَا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي<sup>(١)</sup>

وهو مراد الناظم هنا، والواو في: واجعل للعطف على جملة مقدره.

والمعنى: يا رب حقق ظني واجعل رجائي عموم الرحمة بجميع ذنوبي محققاً غير خائب، واجعل ظني بك ظناً تاماً بتحقيق جميع مظنوني، كما قال نبيك فيما يرويه عنك: «أنا عند ظن عبدي بي»<sup>(٢)</sup> فإن قيل: مع هذا الإخبار الصادق كيف يصح للناظم طلبه؟ قلت: المطلوب ما يرجع إلى صحة الظن وعزيمته، وتام ذلك ونقصه من قبل الطالب، فافهمه.

[١٦٩] وَاللِّطْفُ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الْأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ

اللطيف: الرفق، ومنه تعالى بعباده: الإنعام وترك المؤاخذه، وبمراعاة ما يقتضيه، اللطف لغة من: الدقة يختص الإنعام في اللطف بما دق منه، كرزق الجنين وغيره من الإنعامات التي لا تدرك إلا بالتأمل مع موافقة الظاهر منها الباطن، واللفظ الخفي: ما كان ظاهره غير ملائم كجميع الشرور والمضرات الخلقية ووقائع العالم وفتنها كما أشار إليه في قوله العزيز: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ

= يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا» فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه.

(١) في الإيضاح ٢١٦ وبعدها:

وخلتهم سهاماً صائبات

وقالوا: قد صفت منا قلوب

لقد صدقوا ولكن من ودادي

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٦٨٥٦ كتاب التوحيد باب قول الله: ﴿وَيَعِزُّكُمْ اللَّهُ تَفْسُكُمُ﴾)، وأخرجه مسلم (رقم ٤٨٣٢ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب الحث على ذكر الله).



النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴿ [البقرة: ٢٥١] كذا قال لطف الله، واختار عنوان العبد للاستعطاف. والصبر: حبس النفس عن الجزع. والأهوال: جمع هول، وهو الأمر العظيم الشأن. والانهازم في الجيوش: انكسارها استعير هنا لتضعع الصبر عند مظنته، وهو حلول الأهوال المعبر عنه بالدعاء مجازاً.

والمعنى: أطلب منك يا رب أن تعاملني بلطفك في الدنيا بالعافية وتيسير الرزق ودفع المؤلمات كالمرض الذي توسل بهذا النظم لدفعه وغير ذلك، فإنه لا طاقة لي على تحمل المشاق والصبر عليها، فإن ما عندي من الصبر على حرف، بحيث ما نازلته الأهوال إلا وتضعع، فإن لم يكن منك اللطف وقعت في الجزع المخوف العاقبة، كما أطلب منك اللطف في الدار الآخرة بمعاملتني بالعمو والغفران.

وبما بيّنا علم أن قوله: إن له يتعلق باللطف في الدنيا، وأن مطلوبه اللطف الظاهر، فإن الخفي - كما بينا - محمول للأهوال والمشاق، فيقع لو كان فيما خاف منه، وقد سلك - رحمه الله - في هذا الطلب الأدب النبوي، فإنه ﷺ كثيراً ما حث على سؤال العافية، إذ قال: «إذا سألتم الله شيئاً فاسألوه العافية»<sup>(١)</sup>، وقال للصحابي الذي رآه كالفرخ من المرض: «ما كنت داعياً به؟» قال: كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال له ﷺ: «لو سألت الله العافية فإنك لا تطيق ذلك»<sup>(٢)</sup>، وسمع ﷺ رجلاً يقول: اللهم هب لي

(١) روى البخاري (٦٦٩٦ كتاب التمني باب كراهية تمني لقاء الموت)، ومسلم (٣٢٧٦ كتاب الجهاد والسير باب كراهية تمني لقاء العدو) أن النبي ﷺ قال: «لا تمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية». وروى الترمذي (رقم ٣٤٣٧ كتاب الدعوات) عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما سئل الله شيئاً أحب إليه من أن يسأل العافية» قال الترمذي: حديث غريب. وأخرج الترمذي (رقم ٣٤٣٤ كتاب الدعوات): عن أنس بن مالك أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الدعاء أفضل؟ قال: «سل ربك العافية والمعافة في الدنيا والآخرة» ثم أتاه في اليوم الثاني فقال: يا رسول الله أي الدعاء أفضل؟ فقال له مثل ذلك ثم أتاه في اليوم الثالث فقال له مثل ذلك قال: «فإذا أعطيت العافية في الدنيا وأعطيتها في الآخرة فقد أفلحت». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٢) أخرجه الترمذي (كتاب الدعوات باب ما جاء في عقد التسييح باليد رقم ٣٤٠٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

الصبر فقال له: «طلبت من الله البلاء فاطلب العافية»<sup>(١)</sup>. قلت: وهذا الحديث الأخير مأخذ ما يقوله علماء الأسرار من أن أعمال ذي الخاصية للدفع من الأسماء والآيات قبل حلول المدفوع جلب له فافهمه.

[١٧٠] وَأَثَدْنُ لِسُحْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍ وَمُنْسَجِمِ  
الإذن: من الله يكون بمعنى التمكين من الشيء، ويكون بمعنى الأمر به، وهو المراد هنا. والسحب -بضم السين والحاء وسكن في النظم للضرورة- جمع سحابة بمعنى الغيم. والصلوة: لغة: الدعاء، ومن الله: رحمته، ومن المخلوق: الدعاء. ومنهل: يتعلق بائذن، وهو اسم فاعل من انهل المطر: اشتد انصبابه. والمنسجم: السائل.

والمعنى: ائذن يا رب لخزائن صلواتك ورحمتك أن يصل منها على رسولك ﷺ الحظ الوافر الكثير الدائم، وهذا الطلب منه هو الصلاة المطلوبة من العبد عليه ﷺ، كما علمها أصحابه حين سألوه<sup>(٢)</sup>.

وختم الناظم مطالبه بها، لكونها مرقاة الدعاء، روي عن علي -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من داع إلا بينه وبين الله حجاب حتى يصلي على محمد وعلى آل محمد فإن فعل انخرق ذلك الحجاب ودخل الدعاء وإن لم يفعل رجع ذلك الدعاء»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٥٠) كتاب الدعوات، وقال: حديث حسن.

(٢) أخرج البخاري (٣١١٨) كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله: ﴿وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، ونحوه في مسلم (كتاب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد): عن حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

(٣) أخرج الترمذي (كتاب الصلاة باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ رقم ٤٤٨) عن عمر قال: «إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك ﷺ».

وقال ابن عطاء الله: للدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات، فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواعите فاز، وإن وافق أسبابه أنجح، فأركانه: حضور القلب والرقّة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب وقطعه عن الأسباب، وأجنحته: الصدق، ومواعيته: الأسحار، وأسبابه: الصلاة على النبي ﷺ.

[١٧١] ما رَنَّحَتْ عَذْبَاتِ الْبَانِ رِيحٌ صَبًّا وَأَطْرَبَ الْعَيْسَ حَادِي الْعَيْسِ بِالنَّغَمِ ما: مصدرية ظرفية. ورنحت: أمالت، من رنحته الريح فترنح: أمالته فتمايل. وعذبات البان: أغصانه، من عذبة اللسان بمعنى طرفه. والبان والريح: تقدما في النظم، وقدمنا هناك مسمى الصبا منه، وهي الريح الشرقية. والطرب: خفة في النفس سببها: إدراك الملائم وشدة السرور به. والعيس: جمع أعيس للذكر، وعيساء للأنثى، وهي الإبل البيض التي يخالط بياضها شقرة. والحادي: سائق الإبل بالغناء. والنغم - بفتح النون - : ترنم الأصوات.

والمعنى: أصلي على النبي ما دام الصبا يهب على أغصان البان فيميلها، ومادام الحادي يحدو العيس بنغماته فيطربها، ولا يعزب عن ذي مخالطة للمعاني الأدبية والأغراض الشعرية أن الغرض من مثل هذا التكنية عن التجدد والدوام وعدم الانقطاع، فلا يرد أن ذينك الأمرين غير لازمين في الوجود، إذ كثيراً ما يخلو الزمان عنهما، واختارهما عن غيرهما في التكنية ليكون نسجه بدوياً، فإن السير والحداء واعتبار الريح والأشجار البدوية مناط نظر العربي القح، وقد طابق بذلك بين بداية نظمه ونهايته، إذ بنى تغزله على ذكر المنازل العربية والأشجار البدوية من البان والعلم وجيران كاظمة وذو سلم، وختم بمثل ذلك، فكان فيه شبه رد العجز على الصدر، وللحداء تأثير قوي في الإبل، وقد أكثر الشعراء من ذكر العيس والحداء وتنوعوا فيه طرائق قديماً، ومما يعجبني من ذلك قول إدريس بن أبي حفصة:

أما لنا منك نور يستضاء به      ومن رجائك في أعجازها حادي  
لنا أحاديث من جدواك تذهلها      عن الربوع وتلهيها عن الزاد

وقال الآخر:

وحثحث العيس حاد صوته غرد  
 حدا بهم ثم حيا عيسهم مرحاً  
 ليت التحية كانت لي فأشكرها  
 مكان يا جمل حييت: يا رجل<sup>(١)</sup>

وقال: سر مسرعاً حييت يا جمل  
 وهنا أبيع لليراع أن يلف عنان جواده، حيث ساعده القدر ببلوغ مراده، ونال من التعلق بالجناب المرفع مقصوده، وبذل في الخدمة مقدوره ومجهوده، ولولا فضل الرحيم الرحمن، ما كان يأمل أن يجري في ذلك الميدان، لكن العناية التي ليس عليها حاجر، إذا صادفت ألحقت العاجز بالقادر، والمرجو من جناب المصطفى ﷺ والمسؤول، أن يكون هذا الشرح كأصله في الرضا والقبول، فإن ذا الخلق الكريم، يلحق لديه الحقير بالعظيم، نسأل الله تعالى أن يجعله من التجارة الرابحة، والأعمال المقبولة الصالحة، والوسائل النافعة الناجحة، بجاه حبيبه سيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين<sup>(٢)</sup>.

### [خاتمة مصحح نسخة الأصل]

يقول المتوسل إلى الله بخير من وطئ البساط: طه بن محمود قطرية المنسوب إلى دمياط: إن أفصح مجال تسابقت فيه جياذ البراعة وفرسانها، وأفصح فناء تحط به رحال البلاغة وأظعانها، وأشهى سلافة أترعت منها كؤوس الإطراء والأطراب، وأثبت وتد مجموع تشد به أطناب الإطناب، حمد الله على ما أسغ من غيوث النعم، وأسبل من أذيال الكرم، وشكر المنعم الواجب، فهو الذي يسكن إليه كل قلب واجب.

(١) الأبيات لصفي الدين الحلبي في ديوانه ٣٥١ التي مطلعها:

في مثل حبكم لا يحسن العذل وإنما الناس أعداء لما جهلوا

(٢) يوجد في بعض النسخ أبيات لم يشرح عليها أحد من الشارحين، لكن لا بأس بها. «شرح البردة للباجوري، ص ١٣٢» اهـ. وقد ذكرناها في بداية الكتاب.

نحمده الحمد المطلوب، ونشكره ونذكره وبذكره تطمئن القلوب، ونشهد أن لا إله إلا هو، ونقدسه عما لهج به المبطلون وفاهوا .

ونشهد أن سيدنا محمداً درة تاج الأنبياء وواسطة عقدهم، وفص خاتم المرسلين ومطلع سعدهم، فاقض لنا اللهم بالاستظلال بظل رعايته الوارف، وامن علينا بالدخول تحت كنفه يوم تراكم المخاوف، وصل وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه وكل منتسب إليه .

أما بعد: فإن من الله وإن كانت كلها عظيمة، ونعمه وإن كان أيسرها أدوم من الديمة، متباينة المزايا والأقدار، متفاوتة الفضل في التجدد والاستمرار، وعلى حسب وظائفها يكون وقعها في النفوس، ويكاثر بقليل الرخاء عند اشتداد البوس، وإن أعظم نعمة بعد الإيمان وقرّة العين بصحة الأبدان، نعمة العلم والبيان، ولما كان السيد الرسول هو الواسطة في كل نعمة، وجب على القلوب والألسنة أن تثابر على وظائف حبه ومدحه المهمة، بل افترض علينا إثارة بالنفس والولد<sup>(١)</sup>، وقد سبق أعيان الإسلام إلى ذلك فأنجز الله لهم ما وعد، وناهيك من الصدر الأول بكل ذي قدم راسخة وجأش ثابت، مثل عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت، ممن نافح بلسانه بعد سنانة، وناضل ببيانه إثر بنانه، ونشر مكارم أخلاقه المرضية، وخلد عقائل مدحه في مقاصير القصائد والمقاطع الشعرية، وكان مديحه منجى من الهم والضير، وجواراً لا يخفر لكعب بن زهير، فقد استنشده قصيدته، وأجازه عليها بردته، وقد نسج على منوال هذه البردة شرف الدين البوصيري الذي بذل في المدح جهده بقصيدته التي هي غنية عن المدح، فقد كفاني مؤونة ذلك هذا الشرح،

(١) أخرج البخاري (رقم ٦١٤٢ كتاب الإيمان والندور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ) عن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يارسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك» فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر» .

الذي استخرج من قشر ألفاظها لباب المعاني، ولم يحوج من وقف عليه إلى أن يعالج فهمها ويعاني، فله در مؤلفه المؤلف لشمل الأدب، المتمسك من المعارف بأقوى سبب، المحقق الماهر الشيخ محمد بن عاشور الطاهر، وقد سعدت بمقدمه إليها الديار المصرية، وعني بطبعه بالمطبعة الوهبية، الفاضل الأمثل ذو السعي المشكور، نجل حضرة المؤلف المذكور، وقد بذلت في تصحيحه الوسع بما ليس عليه مزيد، وكانت عمدتي فيه نسختين بعث بهما إلينا هذا النجل الرشيد، حفظه الله وأبقاه، ورعاه من المكاره ووقاه، مشاركاً لحضرة أنيسي، الشيخ محمد البليسي، وكمل طبعه لخمس بقين من جمادى الأولى سنة ١٢٩٦ هجرية، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية، وعلى آله الكرام، وصحبه مناهج الإسلام، ولما بزغت شمس تمامه، انثج صدري للإدلاء بخدمة مدحه مؤرخاً طبعه بعامه فقلت:

ملء عيني من لأوج الحسن يرقى	مد جفاني بات دمعي ليس يرقا
بان عن عيني ولكن لم يبن	عن فؤادي وعصا صبري شقا
عاذلي فيه ملح والهوى	أمرناه لقلب ضل عشقا
راعني من بعد صفو العيش أن	قيل: قد آن حثيث العيس سوقا
ياحداة العيس قرت عينكم	بالقوارير ارفقوا بالله رفقا
يا بروحي يوسفياً حسنه	مصره قلبي وإن أذكاه شوقا
ليته لما كسا جسمي الضنى	بردة طوقني بالصبر طوقا
ليس للعاري من الصبر سوى	بردة المدح لخير الناس خلقا
سيد لو عاش يطري مدحه	ألف عام أفصح الأقوام نطقا
لم ينل من وصفه إلا كما	شام في الأفق كليل الطرف برقاً
قامت البردة من أعبائه	بالذي عز على الغير وشقا
يالها بردة مدح حاكها	شرف الدين الذي أحرز سبقا
واقترضت شرحاً لها من فاضل	يكشف السر الذي رق ودقا

والذي استخرج منها كنزها  
شرحها الوافي المسمى بالشفاء  
هاكه شرحاً بديعاً طبعه  
تم طبعا فانجلى تاريخه: في شفا

فاتحاً من بابها ما كان غلقا  
آخر الطب وما أحلاه ذوقا  
من يسوي بصناع الكف خرقا  
القلب الشفا للطبع حقاً<sup>(١)</sup>

-----  
-----  
١٠٩    ١٤١    ٤١٢    ١٦٣    ٣٨١    ٩٠  
-----  
= سنة ١٢٩٦ .

[انتهى الكتاب بحمده تعالى]<sup>(٢)</sup>

(١) طريقة حساب الجمل هي على ترتيب حروف (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ) عدواً واحداً ثم عشرات ثم مئات ثم آلافاً: أ: ١، ب: ٢، ج: ٣، د: ٤، هـ: ٥، و: ٦، ز: ٧، ح: ٨، ط: ٩، ي: ١٠، ك: ٢٠، ل: ٣٠، م: ٤٠، ن: ٥٠، س: ٦٠، ع: ٧٠، ف: ٨٠، ص: ٩٠، ق: ١٠٠، ر: ٢٠٠، ش: ٣٠٠، ت: ٤٠٠، ث: ٥٠٠، خ: ٦٠٠، ذ: ٧٠٠، ض: ٨٠٠، ظ: ٩٠٠، غ: ١٠٠٠ .

(٢) وقد تم إعداده والتعليق عليه ومراقبته وتدقيقه: في ليلة الجمعة الثامن من ذي القعدة ١٤٢٦ هـ الموافق للثامن من كانون الأول ٢٠٠٥ م، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.





## مسرد المراجع والمصادر

- ١- أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، عني بتحقيقها د. شكري فيصل مطبعة جامعة دمشق ١٣٨٤/١٩٦٥ م.
- ٢- الإتيان في علوم القرآن للسيوطي وبهامشه إعجاز القرآن، المكتبة الثقافية بيروت ١٩٧٣ م.
- ٣- إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي، دار المعرفة بيروت .
- ٤- أخبار عمر رضي الله عنه وأخبار عبد الله بن عمر رضي الله عنه، تأليف علي الطنطاوي، ناجي الطنطاوي، المكتب الإسلامي، بيروت ط ٨، ١٤٠٣/١٩٨٣ .
- ٥- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا دار المعرفة بيروت ١٤١٨/١٩٩٧ م.
- ٦- الأعلام، خير الدين زركلي، دار العلم، ط ٥، ١٩٨٠ .
- ٧- الأغاني للأصفهاني، تحقيق: عبد أ. علي مهنا، الكتب العلمية بيروت ط ١، ١٤٠٧/١٩٨٦ م.
- ٨- الإيضاح للقرظيني، مكتبة محمد علي صبيح، بميدان الأزهر بمصر .
- ٩- البدر الطالع في حل جمع الجوامع، لجلال الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد المحلي، تحقيق مرتضى علي بن محمد الداغستاني، مؤسسة الرسالة ناشرون ط ١، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م.
- ١٠- البردة إعراباً وبلاغة، ليحيى الحلو، مراجعة فضيلة أستاذنا محمد علي حمد الله .
- ١١- البلاغة الواضحة، علي الجازم، مصطفى أمين، تقديم عبد الكريم العطا، دار العلم الحديث، ١٩٩٩ م.
- ١٢- بيان المختصر، وهو شرح مختصر ابن الحاجب، للإمام محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني دراسة وتحقيق أ. د. علي جمعة، دار السلام ط ١، ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٤ م.
- ١٣- تاريخ الخلفاء للسيوطي، تقديم عبد الله مسعود، دار القلم العربي حلب . طبعة عام ١٤١١/١٩٩١ م.
- ١٤- تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، للشيخ حسن بن محمد الديار بكري، مؤسسة شعبان، بيروت .
- ١٥- التربية الإيمانية والنفسية للأولاد في ضوء علم النفس والشريعة الإسلامية، للشيخ يوسف خطار محمد، دار التقوى، دمشق، دار الفقيه، الإمارات، دار الفتح الأردن، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

- ١٦- التصوف الإسلامي وأثره في الأخلاق، لفضيلة شيخنا وأستاذنا الدكتور أحمد عيسى محمد، دار الملاح دمشق، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.
- ١٧- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، تحقيق د. محمد إبراهيم الحفناوي، ود. محمود حامد عثمان، دار الحديث القاهرة ط ٢، ١٤١٦/١٩٩٦م.
- ١٨- التفسير الكبير، للفخر الرازي، دار الكتب العلمية طهران، ط ٢.
- ١٩- تلخيص المفتاح، محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني، ومعه مختصر المعاني للفتنازاني، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- ٢٠- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي.
- ٢١- حاشية الشرقاوي، عبد الله بن حجازي الشرقاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٢- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المكتبة الإسلامية، محمد أزدمير ديار بكر، تركيا.
- ٢٣- الحلاج شهيد التصوف الإسلامي، طه عبد الباقي سرور، دار نهضة مصر، القاهرة.
- ٢٤- خصائص الخطبة والخطيب، تأليف نذير محمد مكتبي، دار البشائر الإسلامية، ط ٣، ١٤٢٢/٢٠٠١.
- ٢٥- دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصفهاني، تحقيق د. محمد رواس قلعجي، عبد البر عباس، دار النفائس، ط ٤، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- ٢٦- ديوان ابن الدمينة، صنعة أبي العباس ثعلب، ومحمد بن حبيب، تحقيق أحمد راتب النفاخ، دار العروبة، ١٣٧٨/١٩٥٩.
- ٢٧- ديوان ابن الرومي، تحقيق د. حسن نصار، الهيئة المصرية العلمية للكتاب، ١٩٩٣م.
- ٢٨- ديوان ابن الفارض، دار صادر، بيروت.
- ٢٩- ديوان ابن الفارض، تحقيق صلاح الدين أبو الجهاد نكه مي، دار الكتاب النفيس، ط ١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
- ٣٠- ديوان ابن المعتز، شرحه مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٥/١٩٩٥م.
- ٣١- ديوان ابن النبيه المصري، تحقيق د. عمر محمد الأسعد، دار الفكر، ط ١، ١٩٦٩م.
- ٣٢- ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. سيد غازي، دار المعارف، الإسكندرية، ط ٢، ١٩٧٩م.

- ٣٣- ديوان ابن دراج القسطلبي، (٤٢١هـ) تحقيق. د. محمود علي مكّي، طبعة عام ١٣٨٩، المكتب الإسلامي .
- ٣٤- ديوان ابن زيدون، رسائله، أخباره، شرح وضبط كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة، مصطفى الباي الحلبي، ط١، ١٣٥١/١٩٣٢م.
- ٣٥- ديوان ابن زيدون، طبعة الباي الحلبي، شرح وضبط كامل الكيلاني، وعبد الرحمن طليعة، ط١، ١٣٥١هـ ١٩٣٢م.
- ٣٦- ديوان ابن سهل الإسرائيلي، جمع وتحقيق محمد قوبعة، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨٥م.
- ٣٧- ديوان ابن سهل، شرح وتقديم إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٠/١٩٨٠ .
- ٣٨- ديوان ابن منير الطرابلسي، جمع د. عمر عبد السلام تدمري، دار الجليل، بيروت، مكتبة السائح، طرابلس، ط١، ١٩٨٦م.
- ٣٩- ديوان ابن نباتة المصري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٤٠- ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة أبي سعيد الحسن السكري، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، مؤسسة ايف للطباعة والتصوير، ط١، ١٤٠٢/١٩٨٢ .
- ٤١- ديوان أبي الفتح البستي، تحقيق الأستاذين درية الخطيب ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية، بدمشق، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.
- ٤٢- ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام ط٣، المعارف، مصر .
- ٤٣- ديوان أبي تمام، تحقيق د. محي الدين صبحي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- ٤٤- ديوان أبي نواس، شرحه د. عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٨/١٩٩٨ .
- ٤٥- ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، قدم له وشرحه د. محمد أحمد قاسم، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٥/١٩٩٤ .
- ٤٦- ديوان الإمام علي، جمع نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥/١٩٨٥ .
- ٤٧- ديوان الأمير أبي فراس الحمداني، على رواية ابن خالويه، تحقيق محمد التونجي، منشورات المستشارية الثقافية الإيرانية، بدمشق، ١٤٠٨/١٩٨٧ .
- ٤٨- ديوان البحري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، بمصر ط٣ .

- ٤٩- ديوان السري الرفاء، تقديم وشرح كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٦ .
- ٥٠- ديوان السموع بن عاديا، شرحه د. عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت ط ١، ١٤١٧/١٩٩٧ .
- ٥١- ديوان الشافعي وحكمه وكلماته السائرة، جمعه يوسف علي بديوي، توزيع دار الفجر ط ١، ١٤٢١/٢٠٠٠ م.
- ٥٢- ديوان العباس بن الأحنف، شرح وتحقيق عاتكة الخزرجي، دار الكتب المصرية، ١٣٧٣/١٩٥٤ .
- ٥٣- ديوان العجاج، تحقيق أستاذنا الدكتور عبد الحفيظ السطلي، توزيع دار أطلس .
- ٥٤- ديوان الفرزدق، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦/١٩٦٦ .
- ٥٥- ديوان المرقشين، المرقش الأكبر عمرو بن سعد، والمرقش الأصغر عمرو بن حرملة، تحقيق كارين صادر، بيروت ط ١، ١٩٩٨ م.
- ٥٦- ديوان النابغة الذبياني، صنعة ابن السكيت، تحقيق د. شكري فيصل، دار الفكر ١٣٨٨/١٩٦٨ .
- ٥٧- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق فوزي عطري، دار صعب بيروت، طبعة عام ١٩٨٠ .
- ٥٨- ديوان الهذليين، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦٩/١٩٥٠ .
- ٥٩- ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع وتحقيق ودراسة، صنعة الدكتور عبد الحفيظ السطلي. ١٩٧٤ .
- ٦٠- ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، دار بيروت ١٣٨٠/١٩٦٠ .
- ٦١- ديوان بشار بن برد، لناشره ومقدمه وشارحه محمد الطاهر عاشور، علق عليه محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٩/١٩٥٠ مصر .
- ٦٢- ديوان جرير، بشرح محمد بن حبيب، د. محمد أمين طه، دار المعارف، بمصر، سلسلة ذخائر العرب.
- ٦٣- ديوان جميل، شاعر الحب العذري، تحقيق د. حسين نصار . مكتبة مصر ط ٢، ١٩٦٧ م.
- ٦٤- ديوان حسان بن ثابت، حققه د. وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤ م.
- ٦٥- ديوان حسان تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، سلسلة ذخائر العرب ٢٤، ١٣٧٧ هـ/١٩٥٨ م.

- ٦٦- ديوان سقط الزند، لأبي العلاء المعري تحقيق د. عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، ط ١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- ٦٧- ديوان شعر المتلمس الضبعي، رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي، تحقيق وشرح: حسن كامل الصيرفي، مجلة معهد المخطوطات العربية ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- ٦٨- ديوان صفي الدين الحلي، تحقيق عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت ط ١، ١٤١٨/١٩٩٧.
- ٦٩- ديوان طرفة بن العبد، شرح الأعلام الشنتمري، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٥/١٩٧٥.
- ٧٠- ديوان عبد الله بن قيس الرقيات، تحقيق د. عزيزة فوال بابتي، دار الجليل، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- ٧١- ديوان عروة بن حزام، تحقيق أنطوان محسن القوال، دار الجليل، بيروت، ط ١، ١٤١٦/١٩٩٥.
- ٧٢- ديوان علقمة الفحل، بشرح الأعلام الشنتمري، تحقيق لطفي الصقال، درية الخطيب، مراجعة د. فخر الدين قباوة. دار الكتاب العربي بحلب ط ١، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.
- ٧٣- ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم بك، لجنة التراث العربي، بيروت.
- ٧٤- ديوان عليّة بنت المهدي، تحقيق د. سعد بن ضناوي، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.
- ٧٥- ديوان عمرو بن كلثوم، صنعة د. علي أبو زيد، دار سعد الدين، دمشق ط ١، ١٤١٢/١٩٩١.
- ٧٦- ديوان فاطمة الزهراء، تحقيق محمد عبد الرحيم دار رقية، دمشق ط ١، ١٤٢١/٢٠٠٠م.
- ٧٧- ديوان قيس لبنى، قيس بن ذريح، تحقيق د. عفيف نايف حاصيم، دار صادر بيروت ط ١، ١٩٩٨م.
- ٧٨- ديوان كشاجم، تحقيق د. النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١. ١٤١٧/١٩٩٧.
- ٧٩- ديوان كعب بن زهير، قرأه وقدمه له د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤١٥/١٩٩٥.
- ٨٠- ديوان كعب بن مالك الأنصاري، دراسة وتحقيق د. سامي مكّي العاني، عالم الكتب بيروت ط ٢، ١٤١٧/١٩٩٧.
- ٨١- ديوان مجنون ليلي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر.

- ٨٢- الرد على البردة، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين، علق عليه أبو عبد الأعلى خالد محمد، دار الآثار، مصر، ط ١ ٢٠٠٢ م.
- ٨٣- الرسالة القشيرية، للإمام عبد الكريم القشيري، تعليق د. عبد الحليم محمود، تحقيق عبد الكريم العطا، توزيع مكتبة أبي حنيفة دمشق، دار العلم الحديث، دمشق.
- ٨٤- رفع الإشكال عن مسألة المحال، ونقد قصيدة البردة، أبو الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق، هجر للطباعة والنشر القاهرة، ١٩٨٧ م.
- ٨٥- زهر الآداب وثمره الألباب، إبراهيم بن علي القيرواني، صلاح الدين الهوام، المكتبة العصرية بيروت ط ١، ١٤٢١/٢٠٠١.
- ٨٦- زوائد الإمام عبد الله بن أحمد، تحقيق د. عامر حسن صيري، دار البشائر الإسلامية ط ١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠ م.
- ٨٧- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة ١٤١٤/١٩٩٣.
- ٨٨- السيرة النبوية، أحمد بن زيني دحلان، دار القلم العربي، حلب، دمشق ط ١، ١٤١٧/١٩٩٦.
- ٨٩- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن مخلوف، دار الكتاب العربي بيروت ط ١، ١٣٤٩ هـ.
- ٩٠- شرح أشعار الهذليين، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، تحقيق عبد الستار فراج، مراجعة محمود محمد شاكر، دار العروبة مصر.
- ٩١- شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق د. عبد الرحمن السيد. د. محمد بدوي المجنون، دار هجر، ط ١ ١٤١٠/١٩٩٠.
- ٩٢- شرح الصاوي على جوهره التوحيد، أحمد بن محمد، تحقيق د. عبد الفتاح البزم دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط ٤، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥ م.
- ٩٣- شرح المعلقات العشر المذهبات، للتبريزي تحقيق د. عمر فاروق طباع، دار الأرقم، بيروت.
- ٩٤- شرح المقاصد للتفتازاني، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩ م.
- ٩٥- شرح جوهره التوحيد (إنحاف المريد) للعلامة عبد السلام بن إبراهيم اللقاني بتحقيق الشيخ محي الدين الحميد، دار القلم العربي سورية، ط ١، ١٤١١/١٩٩٠.
- ٩٦- شرح جوهره التوحيد، الشيخ إبراهيم البيجوري، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، ١٤٠٣/١٩٨٣.

- ٩٧- شرح حكم الإمام ابن عطاء الله، للشيخ عبد المجيد الشرنوبى، ضبطه د. عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير، دمشق . ط ٨، ١٤٢٢/٢٠٠٢ .
- ٩٨- شرح ديوان الخنساء مع أهم أخبارها، شرح إسماعيل يوسف، منشورات دار الكتاب العربي دمشق .
- ٩٩- شرح ديوان المتنبي، وضع عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١١/١٩٨٦ .
- ١٠٠- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق د. إحسان عباس، سلسلة التراث العربي، في الكويت .
- ١٠١- شرح شذور الذهب، لابن هشام، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م .
- ١٠٢- شرح قطر الندى لابن هشام، مع سبيل الهدى، محمد محي الدين عبد الحميد، دار ذوي القربى، إيران .
- ١٠٣- شرح كتاب الفقه الأكبر، لأبي حنيفة، شرح علي القاري، تحقيق علي محمد دندل، دار الكتب العلمية بيروت ط ١، ١٤١٦/١٩٩٥ م .
- ١٠٤- شعر الخوارج، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة بيروت ١٩٢٣ .
- ١٠٥- شعر النابغة الجعدي، تحقيق عبد العزيز رباح، المكتب الإسلامي دمشق، ط ١، ١٣٨٤/١٩٦٤ .
- ١٠٦- شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة الأعلام الشنتمري، تحقيق د. فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٠/١٩٨٠ .
- ١٠٧- شعر عمرو بن معدى كرب الزبيدي، جمعه ونسقه مطاع الطرايشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، بدمشق، ط ٢، ١٤٠٥/١٩٨٥ .
- ١٠٨- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض بن موسى، تحقيق عبده علي كوشك، مكتبة الغزالي، دمشق، دار الفيحاء، بيروت، ط ١، ١٤٢٠/٢٠٠٠ .
- ١٠٩- الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها، إعداد د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع، دار أطلس للنشر، الرياض ط ٢، ١٤٢٢/٢٠٠١ .
- ١١٠- الشمائل المحمدية، للترمذي، تحقيق عزت عبيد الدعاس، دار الترمذي، ط ٢، ١٤٠٥/١٩٨٥ .
- ١١١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤/١٩٨٤ .
- ١١٢- الصحاح في اللغة والعلوم، تقديم العلابي، إعداد نديم مرعشلي - أسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية، بيروت .

- ١١٣- صعود الأقوال ورفع الأعمال إلى الكبير المتعال، الشيخ عبد الله سراج الدين، دار الفلاح، بحلب .
- ١١٤- العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ناصيف اليازجي، دار صادر، بيروت.
- ١١٥- العقيدة الإسلامية، تأليف د. مصطفى سعيد الحزن، محي الدين مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط٣، ١٤١٩/١٩٩٩ .
- ١١٦- العمدة في صناعة الشعر وآدابه، للحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق د. محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٨/١٩٨٨ .
- ١١٧- عنوان الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب الشيخ محمد النيفر، ط١، المطبعة التونسية ١٣٥١-١٩٣٣ .
- ١١٨- الفراغ وأثره، لفضيلة الدكتور محمد ياسر محمد الحسين، دار اقرأ، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- ١١٩- الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي دار الفكر دمشق . ط٣، ١٤١٧/١٩٩٦ .
- ١٢٠- قصص الأنبياء لابن كثير، تحقيق علي عبد الحميد بلطه جي، محمد وهبي سليمان، معروف زريق، دار الخير، ط٤، ١٤١٤/١٩٩٤ .
- ١٢١- قصيدة البردة ومعارضاتها، محمد بو ذينة، منشورات محمد بو ذينة، السعودية.
- ١٢٢- الكامل، لمحمد بن يزيد المبرد، تحقيق د. محمد أحمد دالي، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٨/١٩٩٧ .
- ١٢٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد عوض، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨/١٩٩٨ .
- ١٢٤- لكشاف، للزمخشري، ومعه الكافي الشافي، دار المعرفة، بيروت .
- ١٢٥- كشف الظنون، لحاجي خليفة، دار الفكر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ١٢٦- الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى العكبري، تحقيق د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢/١٩٩٢ .
- ١٢٧- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، الطبقات الكبرى، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت ط١، ١٩٩٩م.
- ١٢٨- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني، تحقيق علي ناصيف د. عبد الحلیم النجار د. عبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٠/١٩٩٩ .



- ١٢٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الرحالي الفاروق، السيد عبد العال السيد إبراهيم، محمد الشافعي صادق العاني. ط ١، ١٣٩٨/١٩٧٧ .
- ١٣٠- محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٤ / ١٩٨٤ .
- ١٣١- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي.
- ١٣٢- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، لعلي القاري، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر، بيروت، ط ٦، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- ١٣٣- معجم أعلام شعراء المدح النبوي د. محمد درنيقة، قدم له وضبط د. ياسين الأيوبي، دار ومكتبة الهلال بيروت ط ١ . ١٩٩٦ .
- ١٣٤- معجم الأمثال العربية، أ. خير الدين شمسي باشا، مركز الملك فيصل، الرياض، ط ١، ١٤١٧/١٩٩٧ .
- ١٣٥- معجم المؤلفين، تأليف عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان .
- ١٣٦- المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧/١٩٩٦ .
- ١٣٧- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، لابن هشام، تحقيق فضيلة أستاذنا الدكتور مازن المبارك، وأستاذنا محمد علي حمد الله، مراجعة الأستاذ سعيد الأفغاني .
- ١٣٨- مفاتيح الغيب، للإمام الرازي، تقديم الشيخ خليل الميس، دار الفكر بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
- ١٣٩- مفتاح العلوم، محمد علي السكاكي، تحقيق د. عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤٢٠/٢٠٠٠ م .
- ١٤٠- مقدمة ابن خلدون، دار ابن خلدون الإسكندرية، مصر .
- ١٤١- المقصد الأسنى، للإمام الغزالي، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، دار الجنان والجابي، قبرص، ط ١، ١٤٠٧/١٩٨٧ .
- ١٤٢- الموجز في أصول الفقه، محمد عبيد الله الأسعدي، دار السلام، ط ١، ١٤١٠ / ١٩٩٠ .
- ١٤٣- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر، ط ٢، ١٤٢٤/٢٠٠٣ .



## مسرد المحتويات

٥.....	البردة	
١٥.....	مقدمة	
١٧.....	تقديم بقلم الدكتور مازن المبارك	
٢٣.....	التمهيد	
٢٥.....	أ - ترجمة البوصيري	
٢٧.....	ب - البردة	
٤١.....	ج - نبذة عن ابن عاشور	
٥٠.....	د - شفاء القلب الجريح	
٥٤.....	هـ - عملي في إخراج هذا الشرح	
٥٧.....	شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح	
٦٥.....	المبحث الأول في الشعر وفضيلته	
٨٦.....	المبحث الثاني في ذكر شيء من أغراض الشعر على وجه إجمالي	
٩٤.....	المبحث الثالث في التعريف بالناظم وبيان سبب إنشاد هذا النظم الشريف	
٩٧	مَرَجَتْ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقَلَّةِ بَدَمٍ	[١] أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانِ بِيْذِي سَلَمٍ
١٠٥	وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلْمَاءِ مِنْ إِضْمٍ	[٢] أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاطِمَةٍ
١١٥	وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ : اسْتَفَى بِهِمْ	[٣] فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ : اكْفُفَا هَمَّتَا
١٢٠	مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمٍ	[٤] أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ
١٢٧	وَلَا أَرَقَّتْ لِذِكْرِ البَانِ وَالْعَلَمِ	[٥] لَوْلَا الهَوَى لَمْ تُرَقْ دَمْعاً عَلَى طَلَلٍ
١٣١	ذَكَرَى الخِيَامِ وَذَكَرَى سَاكِنِي الخَيْمِ	[٦] وَلَا أَعَارَتِكَ لَوْنِي عَبْرَةَ وَضْنِي
١٣٤	بِهِ عَلَيْكَ عَدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ	[٧] فَكَيْفَ تُنْكَرُ حُبًّا بَعْدَ مَا شَهِدْتَ
١٣٧	مِثْلَ البَهَارِ عَلَى خَدَيْكَ وَالْعَنَمِ	[٨] وَأَثْبَتَ الوَجْدُ حَظِي عَبْرَةَ وَضْنِي
١٣٧	وَالحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّدَاتِ بِالأَلَمِ	[٩] نَعَمَ سَرَى طَيْفٌ مَنْ أهْوَى فَأَرَقَّنِي
١٤٠	مَنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلَمْ	[١٠] يَا لَأَيْمِي فِي الهَوَى العُدْرِي مَعْدِرَةَ
١٤٤	عَنِ الوُشَاةِ وَلَا دَائِي بِمُنْحَسِمِ	[١١] عَدَّتْكَ حَالِي لَا سِرِّي بِمُسْتَبِيرِ

- ١٤٩ إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْعُدَالِ فِي صَمَمٍ  
 ١٥٠ وَالشَّيْبُ أَبَعَدُ فِي نُضْحٍ عَنِ التُّهَمِ  
 ١٥٣ مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ  
 ١٥٨ ضَيْفِ أَلَمٍ بِرَأْسِي غَيْرِ مُحْتَشِمِ  
 ١٦٠ كَتَمْتُ سِرًّا بَدَا لِي مِنْهُ بِالْكَتَمِ  
 ١٦٣ كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الْخَيْلِ بِاللُّجَمِ  
 ١٦٥ إِنَّ الطَّعَامَ يَقْوَى شَهْوَةَ النَّهَمِ  
 ١٦٨ حُبُّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَقَطَّمَهُ يَنْفَطِمِ  
 ١٦٩ إِنَّ الْهَوَى مَا تَوَلَّى يُضْمِ أَوْ يُصِمِ  
 ١٧٤ وَإِنْ هِيَ اسْتَحَلَّتِ الْمَرَعَى فَلَا تُسِمِ  
 ١٧٩ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ  
 ١٨٢ فَرُبَّ مَحْمَصَةٍ شَرَّ مِنَ التُّخَمِ  
 ١٨٥ مِنَ الْمَحَارِمِ وَالزَّمِّ حِمِيَةَ النَّدَمِ  
 ١٨٧ وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكَ النَّضْحُ فَاتَّهَمِ  
 ١٩٠ فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخِصْمِ وَالْحَكَمِ  
 ١٩٤ لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلًا لِذِي عَقْمِ  
 ١٩٧ وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ: اسْتَقِمِ  
 ٢٠٠ وَلَمْ أَصِلْ سِوَى فَرُضِي وَلَمْ أَصِمِ  
 ٢٠٢ أَنْ اسْتَكَّتْ قَدَمَاهُ الضَّرَّ مِنْ وَرَمِ  
 ٢٠٥ نَحْتِ الْجِجَارَةِ كَشْحًا مُتْرَفِ الْأَدَمِ  
 ٢١٠ عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ  
 ٢١٢ إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى الْعِصَمِ  
 ٢١٣ لَوْلَاهُ لَمْ تُخْرَجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ  
 ٢١٦ وَالْفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ
- [١٢] مَحْضَتْنِي النَّضْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ  
 [١٣] إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذْلِي  
 [١٤] فَإِنَّ أَمَارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظْتُ  
 [١٥] وَلَا أَعَدْتُ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قَرَى  
 [١٦] لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أَوْقَرُهُ  
 [١٧] مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا  
 [١٨] فَلَا تَرُمُ بِالْمَعَاصِي كَسَرَ شَهْوَتِهَا  
 [١٩] وَالنَّفْسُ كَالطُّفْلِ، إِنْ تَهْمَلَهُ شَبَّ عَلَى  
 [٢٠] فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَازِرْ أَنْ تُوَلِّيَهُ  
 [٢١] وَرَاعِهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ  
 [٢٢] كَمْ حَسَنْتَ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً  
 [٢٣] وَأَخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَعٍ  
 [٢٤] وَاسْتَفْرِغِ الدَّمَعَ مِنْ عَيْنٍ قَدْ امْتَلَأَتْ  
 [٢٥] وَخَالَفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِمَهُمَا  
 [٢٦] وَلَا تَطْعُ مِنْهُمَا خِصْمًا وَلَا حَكَمًا  
 [٢٧] اسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلٍ بِلا عَمَلٍ  
 [٢٨] أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ لَكِنْ مَا اتَّمَرْتُ بِهِ  
 [٢٩] وَلَا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً  
 [٣٠] ظَلَمْتُ سِنَّةً مِنْ أَحْيَا الظَّلَامِ إِلَى  
 [٣١] وَشَدَّ مِنْ سَعَبِ أَحْشَاءِهِ وَطَوَى  
 [٣٢] وَرَاوَدْتُهُ الْجِبَالَ الشُّمَّ مِنْ ذَهَبِ  
 [٣٣] وَأَكَدْتُ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ  
 [٣٤] وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةٌ مَنْ  
 [٣٥] مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْنِ

- ٢٢٨ أَبْرَ فِي قَوْلِ لَا مِنْهُ وَلَا نَعَمَ  
 ٢٣٣ لِكُلِّ هَوْلِ مِنَ الْأَهْوَالِ مُقْتَحِمِ  
 ٢٤٠ مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْقَصِمِ  
 ٢٤٣ وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمِ  
 ٢٤٥ عَزْفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدَّيَمِ  
 ٢٤٦ مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكْمِ  
 ٢٥٠ ثُمَّ اضْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِيئُ النَّسَمِ  
 ٢٥١ فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ  
 ٢٥٢ وَاحْكُمَ بِمَا سُئِتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتَكَمَ  
 ٢٥٦ وَأَنْسَبَ إِلَى قَدْرِهِ مَا سُئِتَ مِنْ عِظَمِ  
 ٢٥٨ حَدِّ فَيُعْرَبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِقَمِ  
 ٢٥٨ أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرَّمَمِ  
 ٢٦١ حِرْصًا عَلَيْنَا فَلَمْ تَرْتَبْ وَلَمْ نَهَمِ  
 ٢٦٢ لِلْقُرْبِ وَالْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَجِمِ  
 ٢٦٣ صَغِيرَةً وَتَكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ  
 ٢٦٤ قَوْمٍ نِيَامَ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالْحُلْمِ  
 ٢٧٠ وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ  
 ٢٧٠ فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ  
 ٢٧٢ يُظْهِرُنْ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ  
 ٢٧٣ بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمِ  
 ٢٧٦ وَالْبَحْرِ فِي كَرَمِ وَالذَّهْرِ فِي هِمَمِ  
 ٢٨٠ فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمِ  
 ٢٨٣ مِنْ مَعْدِنِي مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسِمِ  
 ٢٨٥ طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمُلْتَمِمْ
- [٣٦] نَبِيْنَا الْأَمْرِ النَّاهِي فَلَا أَحَدُ  
 [٣٧] هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ  
 [٣٨] دَعَا إِلَى اللَّهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ  
 [٣٩] فَاقِ النَّبِيِّنَ فِي خَلْقِي وَفِي خُلُقِي  
 [٤٠] وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسُ  
 [٤١] وَوَأَقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمْ  
 [٤٢] فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ  
 [٤٣] مُنَزَّرَةٌ عَنْ شَرِيكَ فِي مُحَاسِنِهِ  
 [٤٤] دَعَا مَا أَدْعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ  
 [٤٥] وَأَنْسَبَ إِلَى ذَاتِهِ مَا سُئِتَ مِنْ شَرَفِ  
 [٤٦] فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ  
 [٤٧] لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَمًا  
 [٤٨] لَمْ يَمْتَحِنًا بِمَا تَعْيَا الْعُقُولُ بِهِ  
 [٤٩] أَعْيَا الْوَرَى فَهَمَّ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى  
 [٥٠] كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعْدِ  
 [٥١] وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ  
 [٥٢] فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ  
 [٥٣] وَكُلُّ آيِ آتَى الرُّسُلِ الْكِرَامِ بِهَا  
 [٥٤] فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلِ هُمْ كَوَاكِبُهَا  
 [٥٥] أَكْرَمُ بِخَلْقِ نَبِيِّ زَانَهُ خُلُقُ  
 [٥٦] كَالزُّهْرِ فِي تَرَفِ وَالْبَدْرِ فِي شَرَفِ  
 [٥٧] كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ فِي جَلَالَتِهِ  
 [٥٨] كَأَنَّمَا اللَّوْلُؤُ الْمَكْنُونُ فِي صَدْفِ  
 [٥٩] لَا طَيْبَ يَعْدِلُ تُرْبًا ضَمَّ أَعْظَمَهُ

- [٦٠] أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ  
 [٦١] يَوْمٌ تَفَرَّسَ فِيهِ الْفُرْسُ أَنَّهُمْ  
 [٦٢] وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى وَهُوَ مُنْصَدِّعٌ  
 [٦٣] وَالنَّارُ خَامِدَةٌ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَسْفَى  
 [٦٤] وَسَاءَ سَاوَةٌ أَنْ غَاضَتْ بِحَيْرَتِهَا  
 [٦٥] كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالْمَاءِ مِنْ بَلَلٍ  
 [٦٦] وَالْجِنُّ تَهْتِفُ وَالْأَتْوَارُ سَاطِعَةٌ  
 [٦٧] عَمُوا وَصَمُّوا فَأِعْلَانُ الْبَشَائِرِ لَمْ  
 [٦٨] مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الْأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ  
 [٦٩] وَبَعْدَ مَا عَايَنُوا فِي الْأَفْقِ مِنْ شُهْبِ  
 [٧٠] حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مُنْهَزِمٌ  
 [٧١] كَأَنَّهُمْ هَرَبًا أَبْطَالُ أَبْرَهَةَ  
 [٧٢] نَبَذًا بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحِ بَيْطِنِهِمَا  
 [٧٣] جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الْأَشْجَارُ سَاجِدَةٌ  
 [٧٤] كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْرًا لِمَا كَتَبَتْ  
 [٧٥] مِثْلُ الْعِمَامَةِ أَتَى سَارَ سَائِرَةً  
 [٧٦] أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُتَشَقِّقِ إِنَّ لَهُ  
 [٧٧] وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمَنْ كَرَّمَ  
 [٧٨] فَالْصُّدُقُ فِي الْغَارِ وَالصُّدَيْقُ لَمْ يَرَمَا  
 [٧٩] ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى  
 [٨٠] وَقَايَةَ اللَّهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةِ  
 [٨١] مَا سَامَنِي الذَّهْرُ ضَيْمًا وَأَسْتَجْرْتُ بِهِ  
 [٨٢] وَلَا التَّمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ  
 [٨٣] لَا تُنْكِرِ الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ
- يَا طِيبَ مُبْتَدَأٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمٍ ٢٩٠  
 قَدْ أَنْذَرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالنَّقَمِ ٢٩٤  
 كَشَمَلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرِ مُلْتَمِمْ ٢٩٧  
 عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمِ ٣٠٠  
 وَرَدَّ وَارِدُهَا بِالْعَيْظِ حِينَ ظَمِي ٣٠١  
 حُزْنًا وَبِالْمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ ٣٠٢  
 وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنَى وَمِنْ كَلِمِ ٣٠٤  
 تُسْمَعُ وَبَارِقَةُ الْإِنذَارِ لَمْ تُشَمِ ٣٠٦  
 بَأَنَّ دِينَهِمُ الْمَعْوَجُ لَمْ يَقْمِ ٣١٠  
 مُنْقَضَةٌ وَفَقَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَنَمِ ٣١٢  
 مِنَ الشَّيَاطِينِ يَقْفُو إِثْرَ مُنْهَزِمِ ٣١٤  
 أَوْ عَسَكَرَ بِالْحَصَى مِنْ رَاحَتِيهِ رَمِي ٣١٥  
 نَبَذَ الْمَسْبُوحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَمِمِ ٣٢٠  
 تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلا قَدَمِ ٣٢٣  
 فَرُوعَهَا مِنْ بَدِيعِ الْخَطِّ بِاللَّقَمِ ٣٢٥  
 تَقِيهِ حَرًّا وَطَيْسٍ لِلْهَجِيرِ حَمِي ٣٢٦  
 مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةٌ مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ ٣٢٧  
 وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي ٣٣٢  
 وَهُمْ يَقُولُونَ: مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرَمِ ٣٣٢  
 خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُخْ وَلَمْ تَحْمِ ٣٣٥  
 مِنَ الدَّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأُطَمِ ٣٣٦  
 إِلَّا وَنَلْتُ جَوَارًا مِنْهُ لَمْ يُضْمِ ٣٤١  
 إِلَّا اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ ٣٤١  
 قَلْبًا إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنْمِ ٣٤١

- ٣٤٤ فليس يُنكرُ فيه حالٌ مُحْتَلِمٍ  
 ٣٤٧ وَلَا نَبِيٍّ عَلَى غَيْبٍ بِمُكْتَسَبٍ  
 ٣٤٨ وَأَطْلَقَتْ أُرْبَاً مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ  
 ٣٤٩ حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً فِي الْأَعْصِرِ الدُّهُمِ  
 ٣٥٤ سَيْبٌ مِنَ الْيَمِّ أَوْ سَيْلٌ مِنَ الْعَرَمِ  
 ٣٥٥ عَلَى الرُّبَا وَالْهَضَابِ أَنْهَلَ وَأَنْسَجِمَ  
 ٣٥٦ بِإِذْنِ خَالِقِهَا لِلنَّاسِ وَالنَّعَمِ  
 ٣٥٨ عَمَائِمًا بَرُؤُوسِ الْهَضَبِ وَالْأَكَمِ  
 ٣٥٨ مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى الْخَدَيْنِ وَالْعَنَمِ  
 ٣٦٠ إِلَى الْمَكَارِمِ نَفْسُ النُّكْسِ وَالْبَرَمِ  
 ٣٦٠ أَلْحَقْتُ مُنْفَخِمًا مِنْهَا بِمُنْفَخِمِ  
 ٣٦١ هِيَ الْمَوَاهِبُ لَمْ أَشْدُدْ لَهَا زِيْمِي  
 ٣٦٣ فَمَا يُقَالُ لِفَضْلِ اللَّهِ: ذَا بِكُمْ؟  
 ٣٦٤ حَدُّ السَّوَاءِ فِذْوِ نَطْقِ كِذْبِي بِكُمْ  
 ٣٦٤ ظُهُورَ نَارِ الْقِرَى لَيْلًا عَلَى عِلْمِ  
 ٣٦٦ وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مُنْتَظَمِ  
 ٣٦٧ مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَالشَّيْمِ  
 ٣٦٨ قَدِيمَةً صِفَةً الْمَوْصُوفِ بِالْقَدَمِ  
 ٣٧١ عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ  
 ٣٧٢ مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدْمِ  
 ٣٧٣ لِذِي شِقَاقٍ وَمَا يَبْغِينَ مِنْ حَكْمِ  
 ٣٧٤ أَعْدَى الْأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِي السَّلْمِ  
 ٣٧٥ رَدَّ الْعُيُورِ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحَرَمِ  
 ٣٧٧ وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيمِ
- [٨٤] فَذَاكَ حَيْنَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوتِهِ  
 [٨٥] تَبَارَكَ اللَّهُ مَا وَحِيٌّ بِمُكْتَسَبٍ  
 [٨٦] كَمْ أَبْرَأْتُ وَصَبَاً بِاللَّمْسِ رَاحَتُهُ  
 [٨٧] وَأَحْيَتِ السَّنَةَ الشَّهْبَاءُ دَعْوَتُهُ  
 [٨٨] بَعَارِضٍ جَادَ أَوْ خَلَّتِ الْبَطَاحَ بِهَا  
 [٨٩] لِمَاشَكَّتْ وَقَعَهُ الْبَطْحَاءُ قَالَ لَهُ  
 [٩٠] فَادَّتِ الْأَرْضُ مِنْ رِزْقِ أَمَانَتِهَا  
 [٩١] وَأُلْبَسَتْ حُلَلًا مِنْ سُنْدُسٍ وَلَوْتُ  
 [٩٢] فَالْتَّخَلُّ بِاسِقَةً تَجْلُو قَلَائِدَهَا  
 [٩٣] وَفَارَقَ النَّاسَ دَاءَ الْقَحْطِ وَأُتْبِعَتْ  
 [٩٤] إِذَا تَتَبَّعَتْ آيَاتِ النَّبِيِّ فَقَدْ  
 [٩٥] قَلَّ لِلْمَحَاوِلِ شَاوٍ فِي مَدَائِحِهِ  
 [٩٦] وَلَا تَقُلْ لِي بِمَاذَا نَلْتُ جَيْدَهَا  
 [٩٧] لَوْلَا الْعِنَايَةُ كَانَ الْأَمْرُ فِيهِ عَلَى  
 [٩٨] دَعْنِي وَوَضْفِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ  
 [٩٩] فَالْدُرُّ يَزْدَادُ حُسْنًا وَهُوَ مُنْتَظَمٌ  
 [١٠٠] فَمَا تَطَاوَلُ أَمَالِ الْمَدِيحِ إِلَى  
 [١٠١] آيَاتِ حَقِّ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثَةٌ  
 [١٠٢] لَمْ تَقْتَرِنُ بِزَمَانٍ وَهِيَ تُخْبِرُنَا  
 [١٠٣] دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجَزَةٍ  
 [١٠٤] مُحَكَّمَاتٍ فَمَا تُبْقِينَ مِنْ شُبِّهِ  
 [١٠٥] مَا حُورِبَتْ قَطُّ إِلَّا عَادَ مِنْ حَرْبِ  
 [١٠٦] رَدَّتْ بِلَاغَتِهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا  
 [١٠٧] لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدِ

- [١٠٨] فما تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا  
 [١٠٩] قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِبِهَا فَقُلْتُ لَهُ :  
 [١١٠] إِنَّ تَتْلُهَا خَيْفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظِي  
 [١١١] كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبْيِضُ الْوَجْوهُ بِهِ  
 [١١٢] وَكَالصَّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدَلَةٌ  
 [١١٣] لَا تَعْجَبُنْ لِحَسُودِ رَاحِ يُنْكَرُهَا  
 [١١٤] قَدْ تُنْكَرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمِدِ  
 [١١٥] يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمُ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ  
 [١١٦] وَمَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى لِمُعْتَبِرِ  
 [١١٧] سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمِ  
 [١١٨] وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً  
 [١١٩] وَقَدَّمْتُكَ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا  
 [١٢٠] وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطَّبَاقَ بِهِمْ  
 [١٢١] حَتَّى إِذَا لَمْ تَدْعُ شَأوًا لِمُسْتَبِقِ  
 [١٢٢] خَفِضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ  
 [١٢٣] كَيْمًا تَفُوزَ بِوَصْلِ أَيِّ مُسْتَبِرِ  
 [١٢٤] فَحَزَّتْ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرِكِ  
 [١٢٥] وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا أُولِيَتْ مِنْ رُتَبِ  
 [١٢٦] بُشْرَى لَنَا مَعْشَرَ الْإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا  
 [١٢٧] لَمَّا دَعَا اللَّهُ دَاعِينَا لِطَاعَتِهِ  
 [١٢٨] رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَا أَنْبَاءَ بَعْثِهِ  
 [١٢٩] مَا زَالَ يَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرِكِ  
 [١٣٠] وَدَوَا الْفِرَارَ فَكَادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ  
 [١٣١] تَمْضِي اللَّيَالِي وَلَا يَدْرُونَ عِدَّتَهَا  
 ٣٧٨ وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْثَارِ بِالسَّامِ  
 ٣٧٩ لَقَدْ ظَفِرَتْ بِحَبْلِ اللَّهِ فَاعْتَصِمِ  
 ٣٨١ أَطْفَاتُ حَرِّ لَظِي مِنْ وَرْدِهَا الشَّبِيبِ  
 ٣٨٢ مِنَ الْعَصَاةِ وَقَدْ جَاوَوْهُ كَالْحَمَمِ  
 ٣٨٣ فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقْمِ  
 ٣٨٥ تَجَاهِلًا وَهُوَ عَيْنُ الْحَادِقِ الْفَهْمِ  
 ٣٨٧ وَيُنْكَرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ  
 ٣٨٩ سَعِيًّا وَفَوْقَ مُتُونِ الْأَيْتِقِ الرُّسْمِ  
 ٣٩٠ وَمَنْ هُوَ النَّعْمَةُ الْعَظْمَى لِمُغْتَنِمِ  
 ٣٩١ كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ  
 ٣٩٣ مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تَدْرِكْ وَلَمْ تُرَمِ  
 ٣٩٤ وَالرُّسُلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ  
 ٣٩٦ فِي مَوْكِبِ كُنْتُ فِيهِ صَاحِبَ الْعِلْمِ  
 ٣٩٦ مِنَ الدُّنُوِّ وَلَا مَرْقَى لِمُسْتَنِمِ  
 ٣٩٧ نُودِيَتْ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعِلْمِ  
 ٣٩٩ عَنِ الْعِيُونِ وَسِرِّ أَيِّ مُكْتَتَمِ  
 ٤٠١ وَجُرَّتْ كُلُّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ  
 ٤٠٢ وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُوتِيَتْ مِنْ نِعَمِ  
 ٤٠٥ مِنَ الْعِنَايَةِ رُكْنَا غَيْرَ مُنْهَدِمِ  
 ٤٠٨ بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ  
 ٤٠٩ كَنْبَاءَةٌ أَجْفَلَتْ عُفْلًا مِنَ الْعَنَمِ  
 ٤١٢ حَتَّى حَكَّوْا بِالْقَنَا لِحْمًا عَلَى وَصْمِ  
 ٤١٣ أَشْلَاءٌ شَالَتْ مَعَ الْعِقْبَانِ وَالرَّحْمِ  
 ٤١٦ مَا لَمْ تُكُنْ مِنْ لِيَالِي الْأَشْهُرِ الْحَرْمِ



- [١٣٢] كَأْتِمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ  
 [١٣٣] يَجْرُ بِحَرِّ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ  
 [١٣٤] مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلَّهِ مُحْتَسِبٍ  
 [١٣٥] حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الإِسْلَامِ وَهِيَ بِهِمْ  
 [١٣٦] مَكْفُولَةٌ أَبْدَأُ مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبِي  
 [١٣٧] هُمُ الْجِبَالُ فَسَلَّ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ  
 [١٣٨] وَسَلَّ حُنَيْنًا وَسَلَّ بَدْرًا وَسَلَّ أُحُدًا  
 [١٣٩] المُضْدِرِي البِيضُ حُمْرًا بَعْدَ مَا وَرَدَتْ  
 [١٤٠] وَالكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الحِطِّ مَا تَرَكَتْ  
 [١٤١] إِنْ قَامَ فِي جَامِعِ الهِجَاءِ خَاطِبُهُمْ  
 [١٤٢] شَاكِي السَّلَاحِ لَهُمْ سِيْمَا تُمَيِّزُهُمْ  
 [١٤٣] تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَّاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمْ  
 [١٤٤] كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الخَيْلِ نَبَتْ رُبَاً  
 [١٤٥] طَارَتْ قُلُوبُ العِدَا مِنْ بَاسِهِمْ فَرَقَاً  
 [١٤٦] وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللّهِ نُصْرَتُهُ  
 [١٤٧] وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيِّيْ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ  
 [١٤٨] أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ  
 [١٤٩] كَمْ جَدَلْتُ كَلِمَاتِ اللّهِ مِنْ جِدْلِ  
 [١٥٠] كِفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الأُمِّيِّ مُعْجَزَةٌ  
 [١٥١] خَدَمْتُهُ بِمَدِيحِ اسْتَقِيلَ بِهِ  
 [١٥٢] إِذْ قَلْدَانِي مَا تُخَشَى عَوَاقِبُهُ  
 [١٥٣] أَطَعْتُ غِيَّ الصَّبَا فِي الحَالَتَيْنِ وَمَا  
 [١٥٤] فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا  
 [١٥٥] وَمَنْ يَبِيعُ آجِلًا مِنْهُ بِعَاجِلِهِ  
 بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ العِدَا قَرْمٍ ٤١٧  
 يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطَالِ مُلْتَطِمٍ ٤١٨  
 يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكَفْرِ مُضْطَلِمٍ ٤١٩  
 مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مُؤْصِلَةٌ الرَّحِمِ ٤٢٠  
 وَخَيْرٌ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمِ وَلَمْ تَتِمِ ٤٢٠  
 مَاذَا رَأَى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُصْطَلِمٍ ٤٢٢  
 فُضُولَ حَتْفٍ لَهُمْ أَذْهَى مِنَ الوَخْمِ ٤٢٣  
 مِنَ العِدَا كُلِّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللَّمَمِ ٤٣٧  
 أَفْلَامُهُمْ حَرْفٌ جَسْمٌ غَيْرٌ مُنْعَجِمٍ ٤٣٨  
 تَصَامَمَتْ عَنْهُ أذْنَا صِمَّةِ الصَّمَمِ ٤٣٨  
 وَالْوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّيْمَا مِنَ السَّلْمِ ٤٣٩  
 فَتَحَسَّبُ الرُّمْرُ فِي الأَكْمَامِ كُلِّ كَمِي ٤٤٠  
 مِنْ شِدَّةِ الحَرِّمْ لَأَمِنْ شِدَّةِ الحَرِّمْ ٤٤٠  
 فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ وَالبَهْمِ ٤٤١  
 إِنْ تَلَقَّه الأَسَدُ فِي آجَامِهَا تَجِمِ ٤٤٢  
 بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرِ مُنْقَصِمِ ٤٤٣  
 كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأَشْبَالِ فِي أَجَمِ ٤٤٣  
 فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ البُرْهَانَ مِنْ خَصِمِ ٤٤٤  
 فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي النِّيْتِمِ ٤٤٥  
 ذُنُوبَ عُمَرِ مَضَى فِي الشُّعْرِ وَالخِدْمِ ٤٤٨  
 كَأَنِّي بِهِمَا هَدْيِي مِنَ التَّعَمِ ٤٥٠  
 حَصَلْتُ إِلاَّ عَلَى الآثَامِ وَالنَّدَمِ ٤٥١  
 لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسْمِ ٤٥٢  
 يَبِنُ لَهُ الغَبْنُ فِي بَيْعِ وَفِي سَلَمِ ٤٥٢

- ٤٥٣ مِّنَ النَّبِيِّ وَلَا حَبْلِي بِمُنْصَرِمٍ  
 ٤٥٤ مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذَّمِّ  
 ٤٥٧ فَضْلاً وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ  
 ٤٥٨ أَوْ يَرْجِعِ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمٍ  
 ٤٥٩ وَجَدْتُهُ لِحَلَاصِي خَيْرٍ مُلْتَزِمٍ  
 ٤٦٠ إِنَّ الْحَيَا يُنْبِتُ الْأَزْهَارَ فِي الْأَكْمِ  
 ٤٦١ وَلَنْ يَفُوتَ الْغِنَى مِنْهُ يَدَا تَرَبَّتْ  
 ٤٦٢ وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَفْتُ  
 ٤٦٣ يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَالِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ  
 ٤٦٤ وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ بِي  
 ٤٦٥ فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا  
 ٤٦٦ يَا نَفْسِ لَا تَقْنِطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ  
 ٤٦٧ لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا  
 ٤٦٨ يَارَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ  
 ٤٦٩ وَالطُّفْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ  
 ٤٧٠ وَأَثَدُنْ لِسُحْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ  
 ٤٧١ مَا رَنَحَتْ عَذْبَاتُ الْبَانِ رِيحُ صَبَاً  
 [خاتمة مصحح نسخة الأصل] .....  
 ٤٧٤.....  
 ٤٧٩..... مسرد المراجع والمصادر

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)



رَفَع

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)